مجلة معرفة وعطاء

(مجلة ثقافية علمية)

تصدرها هيئة تكريم العطاء المميز كل ستة أشهر

العدد الثاني : كانون الثاني 2021

تعبّر المواد المنشورة في هذه المجلة عن آراء أصحابها و هي على مسؤوليتهم .

هيئة التحرير

تتكون هيئة تحرير مجلة " معرفة و عطاء " من تسعة أساتذة وخبراء في الشأن الثقافي العلمي الأكاديمي ، تناط بهم المسؤوليات التالية :

- وضع خطة العمل للمجلة مع الاشراف على تنظيم وتنفيذ الأمور الفنية .
- اقرار البحوث المعدة للنشر و اعتمادها .
- ادارة التقويم الدوري للمجلة من حيث الشكل و المضمون بهدف تطويرها .
- اقرار الإخراج الفني .

تتوزع الهيئة الحالية لتحرير المجلة على الشكل التالي :

1- رئيس التحرير : د. كاظم نور الدين

2-أمين التحرير : د. حسين ظاهر

3-التدقيق اللغوي : د. درية فرحات

4-الشؤون المالية : الحاج حسيب عواضة

أعضاء هيئة التحرير

5-د. عماد سيف الدين

6-د. سلام شمس الدين

7-الأستاذ يوسف نصار

8-الأستاذ اسماعيل رمال

9-المهندس نبيل مكي

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية : د. كاظم نور الدين	5
حكاية حروفنا الأبجدية مع الإبداع : د. ناهض قديح	9
الاغتراب: الخزان الوازن للاقتصاد اللبناني : الحاج عباس فواز	14
نماذج قراءات وتعليقات صباحية: الجزء الأول: أ. ماهر الحاج علي	19
الخطاب السياسي والفكري والفني بكل انواعه، عاشوراء وإعادة تأهيل وتصحيح ثورة الحسين: د. جهاد أيوب	42
خسائر لبنان 147 مليار دولار، الإنقاذ بالإسترداد: د. أمين صالح	53
حول فكرة حياد لبنان: د. حسين ظاهر	64
تجربتي مع العمل الاجتماعي الخدماتي: الحاج حسيب عواضة	68
العلوم الجغرافية في القرآن الكريم: د. علي زين الدين	73
الجودة الشاملة والإصلاح التربوي د. عدنان يعقوب	85
رحلة البندقية الى الصين في العصور الوسطى: د. طارق شمس	102
البيئة قي زمن كورونا: د. كاظم نورالدين	121
الحضارة مفهوم غامض في زمن الثورة التكنولوجية: د. دانية الزين	126
الاسلام والغرب: صراع حضارات أم رسالات: د. محمد مراد	133
الأزمة المالية في لبنان، أزمة الدولار: د. بسام عواضة	142
التلوث والبيئة: مقاربات واقتراحات للمعالجة: أ. أسد غندور	147
الصحة و البيئة محاكاة وتفاعل: د. نادين نور الدين	164
نكبة بيروت: الشاعر عبد النبي بزي	178
الليرة بين مطرقة الدولار وسندان الفشل الحكومي الاقتصادي: د. هدى ياسين	181
البناء السردي وتكوين الشخصيات في رواية وادي الغيوم لعلي نسر: د. درية فرحات	186
فلسفة العلاقات اللبنانية السورية ورهاناتها المستقبلية: د. ماغي عبيد	190
العقوبات الأميريكية وتنازعها مع القوانين الوطنية: المحامية مريم الشامي	203
لبنان ما بين غورو وماكرون: أ. ابراهيم فقيه	205
الشباب اللبناني والمستقبل المظلم: أ. هدى فحص	212

في مفهوم الحياد: د. غسان الخالد	215
الكون: أ. نجيب زبيب	222
دور الموسيقى في حياتنا: د. حسين قديح	227
الداء والدواء في النظام السياسي: هكذا نبني دولة: الاعلامي واصف عواضة	236
التعلّم النشط: أ. جوانا مزهر	244
عيد الميلاد... طقوسه، رموزه وأغرب احتفالاته: أ. ميادة مهنا سلمان	248
معالم الصراع بين أنصار الفصحى وخصومها: أ. علي توبة	256
إرادة الانسان وأفعاله بين الجبر والاختيار: د. قاسم مطر	275
عودة الى الحكمة : د. مصطفى بدر الدين	287
مزارع شبعا في الجغرافيا والتاريخ: د. علي فاعور	291
الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي: أ. نرجس حيدر عمران	305
تطور الصورة النجومية في الشعر العباسي: د. يحيى شامي	309
الادارة التحفيزية : د. فاطمة دقماق	314
السيد عبد المحسن فضل الله(قدّس سرّه) علامة من عاملة: د. عباس فتوني	328
العمارة البيئية: المهندس نبيل مكي	350
الجمعيات والأندية التي تعاونت معها، في نشاطات مشتركة، هيئة تكريم العطاء المميز: أ. يوسف نصار	356
رحلة مع نعيمة وجبران الى جبال الأرز: د. حسن جعفر نورالدين	363
الحدود الأولى لدولة فلسطين: العميد الركن حسن بشروش	373
لبنان الكبير من"سحر الخطأ التاريخي" الى الدور الحضاري المرتجى: د. أمين الياس	393
مراكز الأبحاث بين النخبوية والرصانة العلمية: أ. محاسن نجم	413
A Fragrance of Welted Dreams : فاطمة بشر	421
الغلاف: الثقافة وتقنيات انتقالها: الاعلامي علي عميص	خلفية الغلاف

رئيس تحرير مجلة معرفة و عطاء د. كاظم نور الدين

الإفتتاحية

تندرج أهمية نشاطات نقل الثقافة وانتقالها بين الأجيال، في خانة حماية التراث والهوية الوطنية ومكتسباتها، وتحتاج في هذا الزمن الذي يغوص بين التقنيات، إلى أفكار خلاّقة، تتلاءم بوسائلها مع عصر التقنية، الذي يساهم في إنتشار المعارف واختلاطها والخوف من فنائها.

تعتبر الثقافة الذاكرة الجمعية لأي مجتمع، فهي أساس هويته وانتمائه وتميّزه، تقوده نحو التنمية المستدامة في شتى المجالات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية. وتنبع أهميتها من الجدارة التي أثبتتها في حفظ الذاكرة والتاريخ، واستنهاض التعبيرات والخصوصيات الثقافية، وفي إفادة المجتمع، وإعطائه حضارة متألّقة. وهي بهذا المعنى، سجلٌ مفتوحٌ يواكب تطور المجتمع وسيرورته، ويخضع عبر مجريات التاريخ لتفاعلات عدة تؤثر عليها من حيث الوظيفة التي تؤديها تجاه الأفراد والجماعات البشرية.

وأمام نظام العولمة أمست الوظيفة الثقافية تواجه تحدّياً كبيراً، فقد فُرض عليها إعادة النظر في ميكانيزماتها وامتداداتها ومجالات اشتغالها، والتكيف مع معطى ظهور الأنترنيت كإختراع ساهم في الإنتقال من إعتماد "الحوامل" التقليدية في نشر وترويج الثقافة والفكر، إلى توظيف وسائل وتقنيات رقمية جديدة أكثر سرعة وأكثر قدرة على تخزين المعارف، وتداولها في زمن قياسي، وقد تحوّل معها الإنسان من كائن واقعي إلى كائن إفتراضي غير مرتهن لحدود الزمان والمكان.

اذن الثقافة هي تعبير عن الحياة الاجتماعية الكلية للإنسان، بما تنطوي عليه من قدرات ومهارات وعادات وتقاليد تُكتسب في الجماعة البشرية ذاتها.

وقد ساهم الفضاء الإلكتروني الحالي، الذي يتسم بعدة سمات، ليس أقلها أن الحدود بين الدول والشعوب لم تعد لها قيمة تذكر، فالعالم أضحى قرية صغيرة، تنتشر فيه المعرفة بسرعة قياسية، وصارت فيه الممارسات الثقافية المرتبطة بالفضاء الرقمي كونية، مخلخلة مجموعة من القواعد، وهو ما حدا بالمتتبعين والدارسين للشأن الثقافي، إلى إعتبار الأمر انقلاباً في المنظومة الرمزية والفكرية لمختلف شعوب العالم، وأن التحولات الشاملة للثقافة في هذا العصر الرقمي، ليست فقط تحولات ثقافية، ولكنها تحولات حضارية أيضاً، في تسريع نقل الثقافة بين المجتمعات والدول والأمم ...

وبمقاربة نشر الانتاج، بل المخزون الثقافي، فقد جاء إختراع المطبعة الصناعية التي كان لها عدة إيجابيات:

- أحدثت ثورة جذرية في عالم الكتاب والفكر والقراءة، عندما أراحت الإنسان من عناء النسخ والكتابة.
- يسّرت تداول الكتاب بين عموم الناس لأول مرة في تاريخ البشرية، بعدما كان الولوج إلى المعلومة يتم حصرا عن طريق النخب.
- ساهمت في رفع منسوب القراءة الفردية المباشرة، بعدما ظلت القراءة الشفهية الجهرية مهيمنة لزمن طويل.
- ساعدت في زرع أولى بذور الديموقراطية في عالمي الكتاب والقراءة. وكنتيجة لذلك أضحى الكتاب كوسيط ورقي يضطلع بمهمة تحرير الإنسان وإثراء ذهنه وفتح مداركه وتنمية ملكة النقد لديه.

وقد تابعت التقنية لتطورها عبر التاريخ حتى وصلت إلى مرحلة التكنولوجية المتقدمة "تكنولوجية الإعلام والإتصال بصفة خاصة". فبرز دور الوسيط الالكتروني الذي مثلت إيجابياته التى وفرها أمراً واقعاً، يقرّ به العديد من الدارسين، رغم أن البعض يؤكد عكس ذلك، ويقول بتوظيف الوسائل الجديدة في التدوين والنشر... كالحاسوب ومكوناته الإلكترونية واللوحات، وهذا الفعل الحضاري أفقد الانسان بعضاً من خصوصياته، ليس أقلها متعة التصفح المادي للكتاب، رغم أن الفارق شاسع بين الكتابة على أسانيد مادية ملموسة، وبين الكتابة الرقمية على حوامل إفتراضية.

في هذا السياق دائما، حملت هذه التحولات، كثيراً من المتتبعين لقضايا النشر والكتاب، إلى الاعتقاد بأن الكتابة الرقمية في طريقها إلى إحداث قطيعة مع أشكال الإنتاج غير الرقمي، التي بات ينظر إليها بإعتبارها أشكالاً تقليدية، بل إن البعض إعتبر هذا التطور مؤشراً على نهاية "حقبة الدفتر" التي امتدت لفترات زمنية طويلة.

ومن هذه المحاولات، نجد مكتبة "الكونجرس الأمريكي"، و"الخزانة الوطنية الفرنسية"، و"مشروع غوغل" الذي يرمي إلى وضع 16 مليون كتاب رهن إشارة الباحثين رقمياً، وبشكل مجاني، وأيضاً "الموسوعة الشاملة العربية " وغيرها...

إنطلاقاً من ارتقاء الإهتمام بالكتاب الرقمي في عصرنا الحالي إضافة إلى مستوى الأسبقية في تسويق المعرفة، كان لابد من أن تطغي الرقمنة المعرفية على بقية الوسائل المعتمدة في ترويج الكتاب، وأن تتربّع التكنولوجيا الحديثة على قمة نشر الثقافة وتدويلها، بل إن المنتجات الثقافية لم تعد حكراً على فئة دون أخرى، بل توسع مداها ليصل إلى كافة فئات المجتمع، كانت فكرة إصدار مجلة الكترونية تطال كافة ميادين المعرفة لنشر إنتاج كتّابنا وعلمائنا وأدبائنا وحكمائنا وفنانينا ... ونقله للأجيال القادمة والحفاظ على التراث الثقافي من الضياع .وخاصة بعد أن أصبح بإمكان القارئ الحصول على ما يريد من معرفة أينما حل وارتحل، وبدون قيود زمنية أو مكانية،إذ يكفي أن يتوفر لديه حاسوب وملحقاته الإلكترونية، مع بعض الأوليات في هذا المجال. وبادرت هيئة تكريم العطاء المميز الى إصدر العدد الأول لمجلة"معرفة و عطاء" الالكترونية، النصف سنوية، والتي تعتبر إضافة جديدة الى جوانب التميّز المتعددة التي تتسم بها أبحاث هذه المجلة. كما أنها دليل على تفاعل الباحثين مع المتطلبات الآنية للمجتمع اللبناني، وهي تمثل إسهاماً في نشر الثقافة العلمية التي أصبحت من ضرورات المعرفة.

ولكن بالرغم من شيوع الكتاب الرقمي كظاهرة ثقافية سائدة في عصرنا، فهي لازالت طارئة على المناخ الثقافي العام في مجتمعاتنا، ونحتاج إلى مسافة زمنية كافية، حتى نتملكها ونستوعب أدواتها أيما استيعاب. ولو أن البعض يؤكد أن الرقمنة أصبحت "واحدة من صيرورات التاريخ وحتميته. ونحن في هيئة التكريم نسعى لذلك.

الدكتور ناهض قديح

حكاية حروفنا الأبجدية مع الإبداع

تمهيد

كلنا يعلم أن الكتابة، ومنذ بدايتها، كانت تهدف لتقديم خدمات رسمية، كتسجيل حسابات ضرائب الدولة، وإحصاء السكان، وتسجيل الوقائع والمناسبات.. وقد إستخدم الإنسان عقله الذي زوده به الخالق؛ فجفف الطين، وإستعمل الآلات الحادة كالإزميل للحفر والكتابة على الأحجار وغيرها..

والإنسان يحتاج منذ وجوده إلى الكتابة لأنها من أهم طرق التواصل بين الناس، وتساعده على قضاء حوائجه. ويعد إكتشافها بصمة مضيئة في تاريخ الإنسانية.

وإذا أردنا الإشارة إلى أهمية الكتابة، نرى أنها وسيلة لحفظ العلوم والخبرات والتجارب الحياتية، وللتعبير عن المشاعر الدفينة. وهي طريقة من طرق الإبداع، وإبراز المواهب والقدرات، كما هي وسيلة للتنفيس عن مكنونات النفس الداخلية، ولها الدور الكبير الفعال في زيادة معلومات الإنسان وتكثيرها، وتنمي قدرته العقلية[1].

1- الكتابة قديماً:

لقد تنوعت الكتابة تبعاً للحروف والشعوب؛ فالكتابة بالأسلوب المسماري (وهي الحروف البابلية والأشورية القديمة Babylonian)، كانت تتميز بالشكل الأسفيني، والتي صنعوها من العظام والغضروف عام 3000 ق.م. في مناطق نهر الفرات، وقد تبنتها شعوب أخرى وإستخدمتها. أما الفراعنة فقد إستخدموا أوراق نبات البردى (نبات النب Papyrus) التي كانت تنمو على ضفاف النيل، وذلك لتسجيل

[1] محمد مروان، أهمية الكتابة، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com

المعلومات الثقافية ق.م. وإستنبط الفراعنة طريقة الكتابة المسماة بالهيروغليفية، وهي كتابة الكهنة. وإعتمدت حروف على شكل صور للطيور والحيوانات والحراب والشمس والوجوه[2].

2- الكتابة عند العرب:

إستخدم العرب الطين المجفف بعد تعرضه للشمس أو الأفران، ومن ثم الكتابة عليه بإستخدام أقلام مصنوعة من أغصان الأعشاب. أما أصول الحروف، فقد أخذت من الحروف الأبجدية السامية الجنوبية South Semitic Alphapet، ثم تطورت لعدة أشكال عرفت باللهجات Dialects أي تتبع المناطق المختلفة مثل اللهجات الثمودية مثلاً، كما إستخدم العرب الكتابة بإسدام الحروف الآرامية Aramic في سنة 106 ميلادي. لكن المراجع العربية القديمة تثبت أن الكتابة والمخطوطات العربية القديمة نشأت عن اللغة النبطية Nabataean. أما في العصور العربية القديمة، فكانت هناك أساليب متعددة للكتابة: كالطريقة الكوفية، التي كتبت بها معظم القصائد والمعلقات، والتي تتكلمها قبائل متعددة وبلهجات مختلفة، وكانت بعض الكتابات غير منقطة، ثم جاء التنقيط فيما بعد. أما نشوء اللغة العربية وتطورها فكان عبر مراحل، وظهرت كأحرف عربية أبجدية بالتدريج من أصول متعددة، بدأت عام 1500 ق.م. حتى وصلت إلى الحروف الأبجدية المتأصلة في عام 200 ميلادية[3].

3- التسلسل التاريخي للأبجدية:

4- إن الأصول التي ظهرت من خلال الحروف الأبجدية للغات الشعوب التي سبقت اللغة العربية، يمكن وضعها حسب رأي المؤرخين كما يلي:

- الحروف السينائية Sinai: 1500 – 1600 ق.م.
- الحروف الأوغاريتية Ugarit: 1300 – 1400 ق.م.
- الحروف البيبلوسية Byblos: 1000 – 1300 ق.م.
- الحروف الهيراطيقية Hiratic: 700 ق.م.
- الحروف المؤابية Moab: 900 – 1000 ق.م.
- الحروف الآرامية Aramic: 900 ق.م.

[2] عميش يوسف عميش، نشأة اللغة والحروف الأبجدية، صحيفة الرأي. الموقع الإلكتروني: www.alrai,article.com
[3] تاريخ الأبجدية العربية/المعرفة، الموقع الإلكتروني: www.m.marefa.org

- الحروف النبطية Petra: 400 – 1000 ق.م.
- الحروف العربية الجنوبية South Arabian: 300 ق.م. – 700 م.
- الحروف التدمرية Palmyrenean: 44 – 272 م.
- الحروف السريانية Syriac: 200 م.
- الحروف المندائية Mandean: 600 م.
- الحروف اللاتينية Latin: 900 م.
- الحروف العربية Arab: 200 م.

هناك تشابهاً في هذه اللغات، وإختلاف في عددها[4].

5- حروفنا الأبجدية وترتيبها:

تعرف الحروف الأبجدية على أنها الحروف المستخدمة في اللغة العربية كتابة ونطقاً. فقد خضعت هذه الحروف، التي عددها ثمانية وعشرين حرفاً، لترتيبات مختلفة وهي:

أ- ترتيب أبجدي وتم تفريعه إلى: حروف سامية، أي من أصل سامي وعددها 22 حرفاً وهي: أ-ب-ج-د-هـ-و-ز-ح-ط-ي-ك-ل-م-ن-س-ع-ف-ص-ق-ر-ش-ت.

وإلى حروف عربية، عددها ستة حروف، أضيفت إلى الأصل السامي، وسميت بالروادف وهي: ث-خ-ذ-ض-ظ-غ.

وقد سمي هذا الترتيب بالأبجدي نسبة إلى الكلمة الأولى منها وهي: أ-ب-ج-د (أبجد).

ب-ترتيب هجائي، وهو الأكثر إستعمالاً وتداولاً. إعتمد على تشابه أشكال الحروف من حيث الرسم. فجاءت على الشكل التالي: أ-ب-ت-ث-ج-ح-خ-د-ذ-ر-ز-س-ش-ص-ض-ط-ظ-ع-غ-ف-ق-ك-ل-م-ن-هـ-و-ي[5]، وطبعاً بدون الألف لام (ال).

6- حروفنا الهجائية والإبداع:

[4] تاريخ الأبجدية، ويكيبيديا، الموقع الإلكتروني: www.ar.m.wikipidia.org
[5] ترتيب الحروف الهجائية، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com
وأنظر: وليد سليمان، أسرار الحروف في "العربية"، صحيفة الرأي، الموقع الإلكتروني: www.alrai.com

ما نود الإشارة إليه هنا، هو أن ما كُتب بلغتنا العربية منذ قرون وفي الحاضر وما سيكتب لاحقاً، وفي كل الفنون الأدبية، كالشعر والقصة والحكاية والرواية، والخطابة والمقامة والمقالة، كان وسيكون دائماً بإستخدام هذه الحروف فقط لا غير.. وإن إختلفت الفنون الأدبية من مجتمع إلى آخر، ومن شعب إلى آخر، تبقى تعتمد وترتكز على إستعمال المفردات، وتشكيل الجمل بجمالية مميزة، والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر الإنسانية.

وإذا كان الله قد زوّد الإنسان بالعقل، الذي إستخدمه، منذ وجوده، لحل المشكلات التي واجهته، وكان دافعاً له في تطوير حياته وأدواتها التي سهلت له سبل التعامل مع الطبيعة، فأبدع في مجالات كثيرة ومتعددة. فالإنسان المبدع هو من إمتلك القدرة على الإتيان بالجديد في كل مجالات الحياة، أو التمكن من تطوير ما هو موجود، والإضافة على كل قديم..

فالإبداع "في صميمه يعني القدرة على رؤية الأشياء بطريقة لا يستطيع الآخرون رؤيتها، فهو مهارة تساعد في العثور على وجهات نظر جديدة لإنشاء حلول خلاّقة للمشاكل. ويتميز الشخص المبدع بالقدرة على إدراك العالم بطرق جديدة، وإبتكار أنماط خفيفة، وإنشاء روابط بين الظواهر التي قد تبدو للوهلة الأولى بأنها غير متصلة.. ومن أهم العناصر التي تسهم في تطوير الإبداع لدى الإنسان ومظاهره هي: التخيل – المرونة – إتخاذ القرارات – التعاون – التواصل والتعبير – الدوافع والتحفيز – الرياضة والتمرين"[6].

والإبداع هو "شكل راقٍ للنشاط الإنساني... ولهذا فالتقدم العلمي لا يمكن تحقيقه من دون تطوير القدرات المبدعة عند الإنسان، وهذا التطوير من مهمات العلوم الإنسانية العامة، وعلم النفس في دراسة الإبداع خاصة"[7].

أما علاقة الإبداع الإنساني مع الحروف الأبجدية، يكمن بالقدرة على ترتيبها بإتقان، وطريقة تشكيلها، وتنظيمها، ومقاصدها، وتوزيعها، وإستعمالاتها، وإختيارها، وتمكينها، وبنائها، ومتانتها، وموالفتها، وتقديم الإنتاج الجديد من جمعها.. وإذا كان الإبداع يتوزع بين نوعين هما:

---

[6] عمر اللحام، ما معنى الإبداع، 20 آذار 2019، موقع موضوع الإلكتروني:www.mawdoo3.com

[7] ألكسندرو روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة غسان عبد الحي أبو فخر، عالم المعرفة الكويتية، عدد 144، ص 13.

- الإبداع العلمي التقني (البيولوجيا والطب – صناعة المحركات – مجالات التعدين...).
- الإبداع الفني (الموسيقى – التصوير – الرسم...).

قد يبدو أن هذين النوعين لا علاقة لهما بالحروف الأبجدية. لنجيب: إنهما لا يستغنيان عن إستخدام اللغة والحروف الأبجدية للتعبير عن نتائجهما، وشرح التفاصيل المتعلقة بهما.

7- الخاتمة:

بعد هذا العرض لحكاية حروفنا الأبجدية، ومسيرتها عبر العصور، نؤكد أن العقل الإنساني هو وراء العمليات الإبداعية التي تمتعنا بها في السابق وفي الحاضر، وما سنستمتع به في المستقبل، وذلك من مبدعين إستخدموا هذا العدد المحدود لحروفنا الأبجدية بفكر متجدد وتقنية عالية. والحقيقة أنهم قدموا لنا أساسيات ومقومات التطور الهائل الذي نعيشه الآن؛ من إقتحام الفضاء وإكتشافه، والمركبات المتقدمة، والصواريخ العابرة للقارات، والتكنولوجيا بمجالاتها المتعددة، والإلكترونيات التي نقلت الإنسان إلى عالم آخر، ولا نعلم في المستقبل كيف تكون الحياة...

رئيس الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم الحاج عباس فواز

الاغتراب : الخزان الوازن للاقتصاد اللبناني

الدور الفاعل للمغترب يكون في الإستثمار أكثر في لبنان، لأن هناك عدد معيّن من الدول يعطي المغتربون فيها من خبراتهم الإقتصادية، وهذه ليست حالة لبنان، لأن هيكلية الإقتصاد فيه لا تسمح بأن يستوعب كل تلك الطاقات والأفكار الجديدة. والمغترب اللبناني يستطيع أن يساعد بلده في الدرجة الأولى بالإستثمارات.

يضخ لبنانيو الخارج ما يوازي 20% سنوياً من الناتج المحلي في شرايين الاقتصاد الوطني، وهو من المعدلات الأعلى عالمياً. هذه التحويلات تؤدي دوراً مفصلياً في دعم الناتج المحلي، وتنشيط الاقتصاد اللبناني ، ودعم قدرات الأسر، وتنمية الإستهلاك، وحفظ الإستقرار النقدي، وتوازن ميزان المدفوعات...

المغترب اللبناني يستطيع أن يقدم الإستثمارات، وما يستطيع لبنان أن يقدمه في المقابل لهذا المغترب أولًا : تأمين الأمن، النظام السياسي والإجتماعي ، تسهيل المعاملات الادارية وتخفيف البيروقراطية لعودته إلى بلده والإستثمار فيه.

هناك تفاوت هائل في تحويلات المغتربين بين الدول، ومع اقتصاد لبنان الضعيف يبقى أن هذه الاموال حاليا" تذهب إلى الإستثمار في الماكينة الإقتصادية، و قسم كبير منها يذهب إلى الإستهلاك المباشر.

هذا ويعود دور الاقتصاد الإغترابي في دعم الاقتصاد اللبناني إلى أكثر من مائة عام، حيث أكّد الخبراء أنّ الإغتراب اللبناني هو "اليد الخفيّة" التي لطالما دعمت لبنان وحمته في أصعب الظروف، ولا سيّما خلال الحروب، حين وازت تحويلات اللبنانيين المغتربين نحو 30% من الناتج المحلّي، وكانت من المعدّلات الأعلى عالمياً.

وبينما ترتكز المحرّكات الأساسيّة للعجلة الاقتصادية على ثلاثة ركائز هي: الخدمات والإستثمار في البنى التحتية والسياحة، وحيث ان المجتمع اللبناني مجتمع مستهلك ويستورد حوالي 80 % من استهلاكه ويعاني حاليا" من انخفاض قدرته على الإستيراد من الخارج، بسبب انخفاض العملة الصعبة، بل تعذرها، من هنا

لبنان يحتاج إلى توظيف أموال المغتربين في مجال الإنتاج مثل الصناعة والزراعة والخدمات المعرفية ، لذلك يجب توطيد العلاقات الاقتصادية معهم وتسهيل كل المعاملات الادارية وقوانين الإستثمار لتحفيزهم ، لا سيّما أنّنا قد نكون مقبلون على مرحلة أفضل اقتصادياً، على ضوء المستجدّات التي تتم في ملف التنقيب عن النفط، كما يمكننا طرح الأسئلة التالية :

1- كيف يمكن مساعدة لبنان اقتصادياً في ظلّ هذه الظروف الاقتصادية الصعبة وانتشاله من الإنهيار؟

يمرّ لبنان بمرحلة صعبة تستدعي وتستوجب تضافر جميع القوى الفعالة في لبنان من أجل إطلاق مشروع إنقاذ اقتصادي، لأن لبنان يمر باوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية وصحية بالغة الخطورة ، ولانه بلد مستهلك وغير منتج يعتمد على الواردات، ويتّكل على بعض الخدمات التي كان يقدّمها منذ عشرات السنين (السياحية والتعليمية والصحية). فالعديد من المسؤولين في منطقة الشرق الأوسط قد تخرّجوا من الجامعات في هذا البلد واستشفوا في مستشفياته....

لذلك يجب العمل على خطة إنقاذ فعلية تنطلق من خلال ورشات عمل ادارية، قانونية، استثمارية، تضم فعاليات اغترابية يكون للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم دور في التأسيس لعمل اقتصادي إنتاجي جديد، تلعب فيه الجامعة دور الرابط بين لبنان المقيم والمغترب.

لقد مرّ اللبنانيون بأزمات عديدة ولكن هذه الأزمة التي يمر بها حاليا" لا سابق لها ، فالقطاع المصرفي الذي يجب ان يكون العامود الفقري للإستثمار والحركة المالية في البلد يتعرض لأزمة ثقة خاصة أن الكثير من إيداعات المغتربين التي يمكن أن تتوجه للإستثمار في البلد متعثرة، ومن الصعب الحصول عليها من القطاع المصرفي .

رغم ما تقدم إن أدبيات الاغتراب تؤكّد على إيمان المغتربين بوطنهم الأم، وهم على أتمّ الإستعداد للمساهمة في عملية الإنقاذ الاقتصادي.

2- كيف يمكن انقاذ الوضع الاقتصادي في لبنان؟ومشاركة المغتربين في هذه العملية؟

هناك ضرورة للفصل بين المصارف اللبنانية وبين لبنان كوطن. فثقة اللبناني وخصوصاً المغترب بوطنه ثقة كبيرة لا تهتز لا بأزمة اقتصادية ولا بأزمة سياسية ولا بأزمة أمنية. و المغترب لازال يضخّ دماً في شرايين

الاقتصاد اللبناني منذ استقلاله عام 1943، وللعلم أنه بين عامي 1900 و 1930 هاجر ثلث الشعب اللبناني بسبب الحروب والمجاعات والأمراض والأوبئة، مات الثلث، وبقي الثلث الأخير في لبنان. هذا الثلث الذي هاجر أقل من نصفهم عاد الى لبنان بعد استقلاله عام 1943 وبدأوا يتوافدون ويحضرون معهم إمكانياتهم المادية، يستثمرونها ويوظّفونها فيه، وقد شكّلوا النواة الأولى لإقتصاد الوطن . واستمروا بضخّ إستثماراتهم في شرايين هذا الاقتصاد في كل قطاعاته السياحية، التجارية، الصناعية، الزراعية والخدماتية على أنواعها (فنادق، مستشفيات، مصانع وقطاع بناء...). مما يعني أنهم كانوا وما زالوا على إستعداد دائم للمساعدة .

هؤلاء المغتربون مستمرّون في الإستثمار في الوطن رغم كلّ ما يحصل اليوم من نكسات في قطاعاته كافة، ولكن طبعاً ليس عبر المصارف.

3- كيف يمكن تأمين تواصل الجامعة الثقافية مع المغتربين في هذه الظروف الصعبة؟

مع انتشار جائحة كورونا، والجامعة اللبنانية الثقافية في العالم على تواصل يومي مع المغتربين، عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي، للوقوف على أوضاعهم، ولتنسيق عودة من يرغب منهم إلى لبنان، بخاصة وأنها عضو في خلية الأزمة. لذلك تنسّق وتنظّم ترتيبات العودة مع الحكومة.

وإذا ما كان لبنان لديه فرصة للنهوض فعلى الجميع إعطاء الحكومة الفرصة الكاملة للقيام بالإصلاحات اللازمة. للبدء بحلحلة الأزمة. وإعطاء الفرصة للمغتربين بالإستثمار المباشر في الاقتصاد اللبناني، الإستثمار في الصناعة والزراعة والتجارة والخدمات، والعمل على المصالح المتعثرة وإحيائها حتى تبقى، إستثماراً مباشراً. بعد تأمين مستلزمات الحماية و الصمود... أما الحديث عن صناديق لا توحي بالثقة فهذا كلام يقال.

و في ظل جائحة كورونا ستساهم عودة المغتربين في ضخّ أموال جديدة في الاقتصاد اللبناني، وبالطبع ستساعد في إمكانية تخفيض سعر الدولار ودعم العملة الوطنية عن طريق ضخ عملة صعبة في السوق وهذا ما حصل فعلاً...

في الوقت الحالي تقتضي المرحلة إيلاء الأولوية والأهمية للأمن الصحي قبل غيره، لذلك فإن الإستثمار في الاقتصاد من قبل المغتربين على النطاق الذي نرغب سوف يأتي في مرحلة لاحقة.

وهنا لابد من الإشارة الى أنه بسبب جائحة كورونا، وإعلان التعبئة العامة، وتوقّف العديد من المصالح والأعمال، عمدت الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم إلى برمجة توزيع عشرة آلاف حصّة غذائية في كافة المناطق.

- ولن ابالغ هنا في القول أن تحويلات المغتربين اللبنانيين والتي تشكل 20%من إجمالي الناتج المحلي(كما ورد أعلاه) تمثل عنصراً أساسياً في الاقتصاد اللبناني ، مع الإشارة الى أن ما يزيد عن 30 مليار من هذه التحويلات لم يتم إدخالها في الدورة الاقتصادية ، لذلك نطرح السؤال عن دور أموال الاغتراب في الاقتصاد:

إن هيكلية الاقتصاد اللبناني الهشة لاتسمح بخلق فرص عمل لإستيعاب 16 ألف خريج من الجامعات سنوياً، يستوعب سوق العمل المحلي حوالي ثلاثة آلاف فقط و بعضهم يمارسون أعمالاً لاتتوافق مع إختصاصاتهم. ويضطر الباقي للسفر والهجرة بعد التخرج للعمل، أو لمتابعة الدراسات العليا. وقد ساهم ذلك في رفع أعداد المغتربين للعمل في الخارج: الولايات المتحدة الاميركية، استراليا، كندا، المانيا، افريقيا،المملكة العربية السعودية، ومعظم دول الخليج، فرنسا، السويد، البرازيل ، بريطانياو...

في الختام لابد من توضيح بعض الاستنتاجات والتي منها :

- التأكيد على الأهمية الاقتصادية للاغتراب، ولا سيما من خلال تحويلات اللبنانيين العاملين في الخارج، والتي تتسم بالإستقرار مقارنة مع المصادر الأخرى للتدفقات المالية الخارجية.
- تلعب تحويلات المغتربين دوراً هاماً في نمو وتنمية الاقتصاد اللبناني، كونها تغطي نصف العجز الحاصل في الميزان التجاري، وتسهم في تعزيز الإستهلاك المحلي.
- ضرورة السعي إلى استقطاب أموال المغتربين للإستثمار في لبنان في مجالات إنتاجية تخلق فرص العمل أمام اللبنانيين، وتهيئة المناخ الإستثماري الملائم لإجتذاب هذه الإستثمارات.
- السعي الى تصويب الشوائب والمعوقات التي تحد من التدفقات الاستثمارية.
- أهمية القطاع المصرفي بالنسبة إلى المغتربين من خلال الخدمات المميزة التي يوفرها لهم في الداخل والخارج، كما أهمية المغتربين بالنسبة إلى المصارف.

رئيس الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم: الجناح المغترب لن يتخلَ عن الجناح المقيم

فنان أبدع في قراءة الصور والمشاهد قراءة رائعة، مغموسة بالأحاسيس و المشاعر بشكل لا يصدّق، في نوع فريد من الأدب الجمالي التعبيري،بحيث بتنا أمام صور فنية متميّزة لكاتب (لان القلم بين يديه ودوزن الأحرف ونمّق الكلمات). يدخل في قلب المشهد فيزيده جمالاً ورونقاً، ويعيّشنا مع الأيام الحلوة ، والذكريات الجميلة.

تراه يسكن المنظر الذي يحوّر ما يتضمنه ويحيله الى نتاج أدبي نقي، مبدعاً بالتصورات وبُعد الخيال . نادراً ما نلتقي بمثله في حياتنا الأدبية ... إنه الفنان الأستاذ ماهر الحاج علي .ننتظر الصباح لنطّلع على ما خصّنا به مما احتفظت به "أجندته". / د. كاظم نورالدين

الأستاذ ماهر الحاج علي

نماذج من قراءات وتعليقات صباحية(الجزء الأول)

إستجابة لطلبٍ عزيزٍ من الرئيس الدكتور كاظم نورالدين الذي ناشدني بمحبته الصادقة المميّزة، أن أعيد تجميع مجموعة من صبيحياتي التي كنت قد وجهتها على الواتساب للأحباب، وذلك على مرّ سنوات خَلَتْ. لكي يتم نشرها على صفحاتٍ من مجلتنا الألكترونية، لما لها بنظره المرهف من نكهة خاصة، وتعبير صادق، عما يجول في خاطري من تعليق على الأحداث والمناسبات... هرعت فوراً لتلبية الطلب، فكانت تلك الصور والكلمات:

إنها كلمات الصباح... كلمات رقيقة نابعة من القلب، بقالبٍ مميّز ، مقرونة بصور جميلة غالباً ما تعبّر عن واقع الحال...

فأبدأ يومي بإبتسامات أمل ورجاء، بإيقاع موسيقي مختلف عن سائر الإيقاعات، حتى وإن تشابهت معه سمفونيات العصافير التي تنقر شباكي باكراً مرددةً:"دعك من النوم يا صاحِ، فما أطال النوم عمراً ولا قصّر في الأعمار طول السهر..." فأستجيب فوراً لندائها، وأهرع الى قلمي لأغزل من نبض قلبي بعض كلمات... ليست كالكلمات...

في الزمن الصعب يتكئ الأخ على كتف أخيه... وفي التعاضد والعاطفة والحنان ما يكفي لبلسمة الجراح... صباح الإلفة والمحبة...

"فلاح مكفي، سلطان مخفي" ... رجل الزمان مرتاح البال، فالحليب و اللبن مؤمنان، والباقي على الرزّاق الكريم... صباح الخيرات والمسرات...

يطل قمرنا علينا بجماله وبهائه من خلال فسحة ... "تدعى" : الأمل : صباح الجمال والآمال...

تهيأت المظلة للشتاء، بعدما تحلّلت عقد السماء بالدّيم الهطلاء...

مظلة زرقاء كأنها مرآة السماء،مرآة مجلوّة على ديباجة حسناء.. صباح جميل مع المظلة الجميلة واللغة البليغة.

تكفهّر الأجواء وتظلم... ويحمرُّ الشفقُ مؤذنا بغياب شمسٍ لن يطول... ثم يسطعُ فجرٌ جديد بأنوار لا ولن تخبو... صباح الأمل بالفرج القريب...

"ولا تقنطوا من رحمة الله تعالى".

دمعة حرّى تذرفها على "ست الدنيا" بيروت ... الكارثة عصيّة على الوصف والمصاب جلل... اللهم ارحمنا برحمتك...

ما أجملها وما أبهاها حبن تفتح للزائر قلبها قبل بابها... فنِعم الدار ونعم أهلها... صباح"الملقى" الطيب... قال المثل "لاقيني ولاتطعميني"...

رزقالله على هاك النملية، يا لتبقى بالغراض مكركبة ومحشيّة... صباحك صباح بساطة الزمن الجميل...

"بيروت تنتفض شامخة من تحت الركام"
بريشة زعل سلوم -عام 1990-

ليتك كنت شاهداً على مأساتنا الجديدة، أيها الغائب الحاضر دائماً في القلوب، لتبدع ثانية في حبك لبيروت... صباح الإبداع...

" ما في شي بلم غير جناح الأم" مثل شعبي... سبحان الذي يزرع عاطفة الأم والحنان، حنى عند الطير و الحيوان... صباح المحبة...

مهما كِبِرتِ وشمختِ بالعالي يا حورة... آخرتك أبائيب... صباح التواضع والأخلاق الحسنة...

يا عصيّة على الدهر، امنحينا بعضاً من صمود نواجه به عاديات هذا الزمن المتردي... صباح الصمود والتصدي...

حيف عليك يا حج... هيك بطّلت تعرف تركب؟... صباح الهمّة العالية...

مهما اجتُثّت الأغصان ومهما عبث العابثون بها، فلا بد من إشراقة تُعيد لها نبض الحياة وانبعاثها من جديد، ما شاء الله... صباح الإشراق والأمل بالعلي العظيم...

حان القطاف بعد أن طالت اللّحيةُ وشابت ... صباح الخيرات...

باقة من تعب وجهد ومشقّة حصدها رجل من زمن الكفاح المجدي والمثمر عطاءً وبركة ومحبة... صباح الخيرات...

رزق الله على أيام زمان.. يوم ما كان الحمّام إلو هيبة... دعك وفرك ودموع ... صباح الزمن الجميل...

مع الأحوال السيئة التي نعيش، لن نتوقع أن تُثمر لنا نبتة الصبّار تفاحاً... ولن يصدمنا المستقبل حين نعي الأصل و الفصل... صباح الصبر والتبصر والبصيرة...

وعندما تنضج الأمور، تتفتّق القشور, وتطل الثمرة من بعد ظلمة الى النور... صباح الخيرات والنور...

زهرة تعبّر عن فرحتها على طريقتها... سبحان من يُدخل الفرحة الى قلوب خلقه... إنه الخالق العظيم... صباح الفرح ...

قيادة للديك مربكة‘ وسط تشتت لفريقه

. .. فكل دجاجة تغني على ليلاها...

وما أحلى الصباح حين يبتدئ بالصياح...

صباح سعيد بإذن الله...

"قرن الغزال" جمال على جمال...

صباحك جميل مع إبداع الخالق...

"آه من قيدك أدمى معصمي" ...

"لِمَ أبقيه وما أبقى عليّ..." بالإذن

من الست أم كلثوم ... صباح

الحرية من كل قيد...

أشرقت الشمس وحان الوقت لتكشفي عن

الوجه الصبوح... صباح الجمال...

"أرجع لنا ما كان .. يا دهر في لبنان"

أرجع لنا العرزال، العيش الهني وراحة البال... صباح الآمال...

مع التحضير للهريسة في هذه الأيام الحزينة(عاشوراء)، أهديك صباحاً من كعب الدست...

"ابتسمي يا حلوة قبل ما إفلِس الزر ..." والله يضبط

ينجيكِ من فأسة هالزر... صباح الإبتسامة الحلوة مع كل السلامة ...

على توقيت الإبتسامة الصباحية

الياسمين عطره الفوّاح...

زهورٌ بلون القلب ... صباحٌ صافٍ نقيٍ
كنقاء القلب والزهور ...

أرجع لنا ما كان يادهر في لبنان...
أرجع لنا الصاج والجرن والمهباج،
وخصبنا في الربى ونورنا في السراج...
ارجع الكهرباء وكاذبات الغنى، يا
يادهر أرجع لنا ما كان في لبنان...
صباح الآمال المنشودة..

لما بيتفقوا الغنم مع الكلاب... بيفلتوا
الذياب... و... الله ينجينا من الأعظم

رفقاً بهذا المشنوق ...هو يقدم "اللبنة"
الطازجة وهم يضيقون عليه الخناق...
وهذا ما ينطبق على واقع حالنا الأليم...
صباح لمّ الأنفاس...

العناية و الحماية واضحتان ... حتى من أشعة الشمس أخاف عليك... ومن الأشرار والعابثين.... دامت المحبة ودام الوفاق والإتفاق... صباح تؤمل فيه المحبة...

ما أروع الصباح مع كأس شايٍ"يتنبت" على الحطب... فالمذاق استثنائي و" الطعمة غير شكل"... صباح كل طعمة غير شكل...

وهل أراها إلا مكبرات صوت لآذان نهار الجمعة؟... صباح مبارك لجمعة مباركة...

حتى زهرة "تم السمكة" تود أن تقول شيئاً.. إلا أن الظروف الصعبة تمنعها من ذلك... صباحك حلو بالنيابة عنها...

حتى لو إجتثوا جزءاً منك بالكسر،
فإن فمك يبقى ملآناً بالخير والبركة...
صباح الخيرات والجرة الملآنة
بأطيب الميّات...

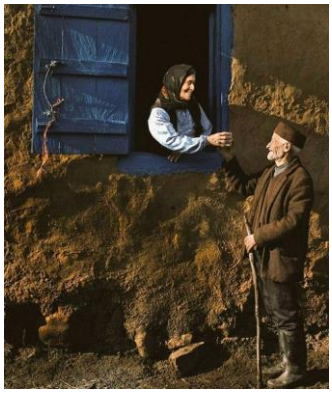

وأتذكر معهما في هذا الزمن المنحوس
أغنية نجاح سلام :"من بعيد لبعيد حبيتك"
فقد أضحى التنائي بديلاً عن التداني...
صباح الأشواق و المحبة

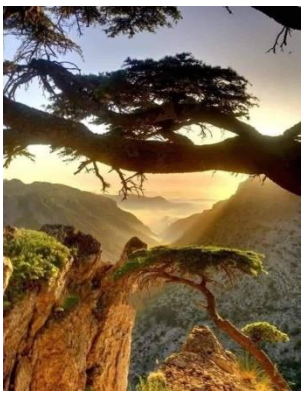

ويشع نور الأمل حاملاً البشائر من
"وادي قنوبين"... صباح الآمال و
الجمال...

وتبادلتا اللون والرحيق سواء بسواء،
فتجانستا .. ما أروع التجانس حين يكتمل...
صباح الجمال والإبداع...

ما أجمل الصباح حين توقظه زخات المطر وتزينه زهرة...

مطرٌ يهمي وزهرة تفرح... صباح الجمال...

ثريا الطبيعة تشرق بأنوارها... صباح النور...

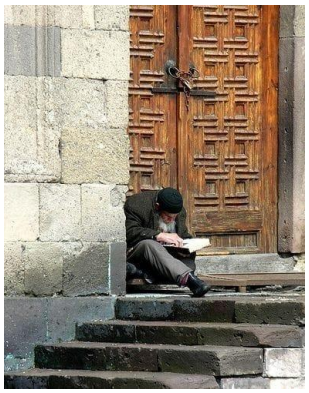

ما أحلى كتابه، وما أعجب أمره ... كتابه كتب له أماناً من الزمان... صباح الحكمة المستقاة من الكبار...

بياضٌ في جوانبه احمرارٌ، كما احمرت من الخجل الخدود... صباح الفل...

وتنتصب قاماتهن بغنج ودلال.... صباح الجمال...

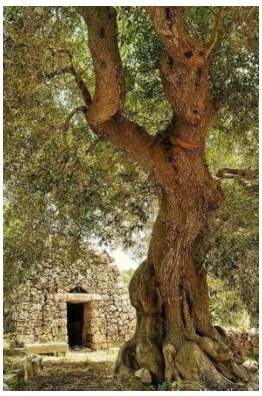

خلف الزمان العتيق، حنين وذكريات... عودة الى التراث والأصالة مع صباح المطر و الخير...

إن كان نصيبك من الدنيا لين قلبك، فقد نجوت... صباح العطاء الذي ليس له حدود...

مهما اشتد الظلام وكحّل أيامنا بلونه، سيبزغ فجر جديد حاملاً بريق الحياة بإذنه تعالى... صباح إبداع الخالق والفرج القريب...

إلتزام مطلق بتعليمات السلامة العامة... إبتعدوا قدر الإمكان ... صباح الخير لأهل الخير...

زهرتان تتناجيان بأعذب الألحان، بسلام وأمان... سلام وأمان واطمئنان على من اتبع الهدى...

ما أجمل أن نبدأ صباحنا بالضحكة... لعله أغرب الطيور، بل ويحمل أغرب الأسماء... إنه طير الأرامل...

أشرقت الشمس من جديد وانفرجت على غيوم عابرة... أسعد الله صباحك وأيامك بكل التفاؤل و الخير...

يتألّق الجمال مع العصفور ويفيض العطاء صباح العطاء الخيّر

مع صبر أيوب نبدأ صباحنا، آملين الفرج القريب.... كبير...

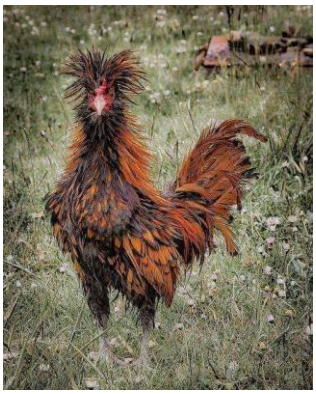

ديك لبناني منفوش ... حتى الديك بلبنان هيك آخرتو...لكن الأمل بالله سبحانه وتعالى

صباح الآمال المرجوّة

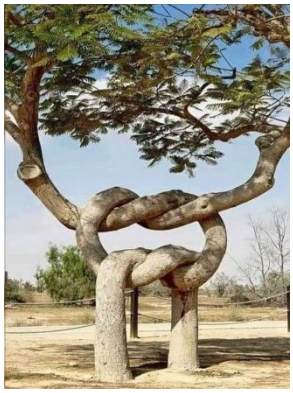

عأدوها عئدة ما إلها حل...صار بدها حل رباني... صباح الفرج...

وتبقى العاطفة ويبقى الحنان حتى عند الحيوان ... صباح المحبة...

ما ضرَّ بعدُ السماء وإن علت... ما دمت ياربَّ السماء قريب... صباح الإيمان برب العالمين...

منتصبة القامة، بشوشة الوجه... صباح الوجه البشوش...

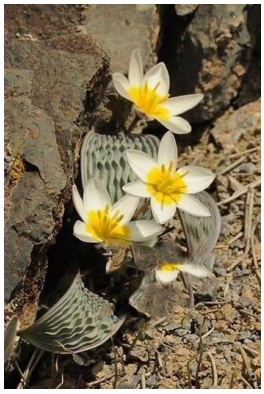

الفلّة بتسرق فل من فلك... حنايا الروح بتعشقك كلك... والشمس بتصحّيك عا بكير... جايي صباح الخير ت تقلك... أسعدت صباحاً...

يُسرٌ من بعد عُسر... ويطلع الزهر من الصخر... صباح الفرج...

حُبيبات مطرٍ تداعبُ وجه الحسناء ... صباح الورد

هو طائر الشوق يحمل اليك السلاما... صباح الشوق والسلام...

مواجهة حُبيّة...ليت كل المواجهات تبقى كذلك...صباح التفاهم والمحبة والسلام...

بلّلَها الندى فأطرقَت خجلاً... صباح الندى المنعش...

هي دمعةٌ أم لؤلؤةُ مُزنٍ تجري على خد وردتي؟... كل ما أتمناه دمعة فرح أو قطرة خير... صباح الخير...

تُطلين رغم الحَجْر لتنوّري صباحي بأجمل ابتسامة... طاب صباحك الجميل...

يداً بيد مع رفاق العمر... صباح المحبة و الدعاء للأحفاد...حفظك الله وحفظهم من كل مكروه...

ما أجمل اللمسة الجميلة التي تقشعر لها الأبدان... صباح الكلمة الطيبة و اللمسة الحنونة...

ماذا عساني أن أهدي الى زملائي المربين في عيدهم غير القلب... واختر لقلبك ما يليق بحسنه... فالقلب مأخوذ بكل جميل...

ومن الظلمة تفرُّ الزهور الى مكامن النور صباح النور ...

هي قلوب نازفة، نتمناها نزف حب وسلام واطمئنان...
صباح الجمال...

لا تسألوا كيف بان جمالها بل سبحوا سبحان من سواها...

ساءلتني زهوري: هلاّ نسيتنا؟...
فحلفت : أبداً... وهل يُنسى الجمال إذا تجلى؟... صباح الجمال..

لقاء سري بريء تفوح منه ذكريات الصبا الجميلة... صباح المحبة...

قديش عم يصلو فخاخ... فخ ورا فخ...
بس طيرنا واعي وما بيعلأ...
صباح السلامة من كل شر...

نظرة طفولة ولا أجمل، تحمل كل الأمل والمحبة... صباح الجمال والرقة والمحبة

صباح الجمال...

وشوشة... تفهم للموضوع... وقبول... صباح الفهم والتفهم والتفاهم...

بين فكي المطرقة و السندان، حال بلدنا هو حال الإنسان... وتبقى فسحة من الأمل حيّة في النفوس...

صباح الأمل المنشود...

والتقيا على حُنُوٍ وعاطفة... صباح المحبة...

وردة زاهية تختال في مملكة الجمال...

صباح الجمال...

ما نتمناه أن يكون آخر مسمار يدق في كياننا لأن النّصال تكسرت على النصال... صباح الفرج...

"بعد حين يبدّل الحب داره... والعصافير تهجر الأوكارا.." جورج جرداق.

ربنا آمنا في ديارنا ووطننا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا... صباح الأمان و الإطمئنان...

غاب مصنع الرجال.. غاب صانعوه... وغابت دواية الحبر و الريشة" والخط الجميل ورونق اللغة العربية... سقى الله تلك الأيام ... عليها وعليكم السلام...

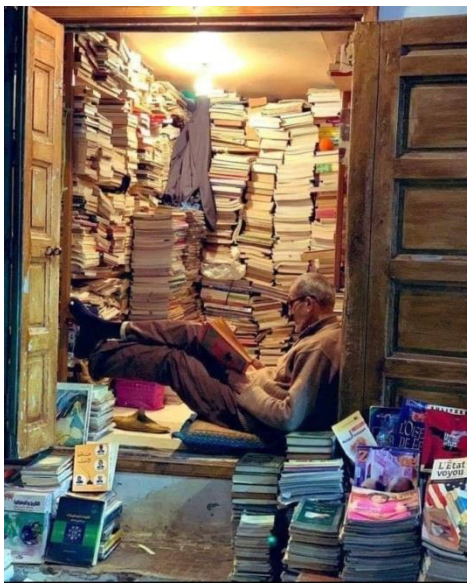

وقبل أن تسدل الستارة على أيامه، يمضي صاحبنا في رحلته الممتعة الطويلة مع الكتاب، فيقلّب الأزمان طوراً بعد طور، يسافر الى عوالم بعيدة، ويعيش ألف حياة... يكنز المعارف و يغتني.. إنها القراءة ، مُتعة الحياة... صباح الإمتاع والإبداع..

الناقد الدكتور جهاد أيوب : الخطاب السياسي والفكري والفني بكل أنواعه: عاشوراء وإعادة تأهيل وتصحيح تاريخ ثورة الحسين

الجزء الأول

لم تكن عاشوراء حادثة دينية فقط، ومن يضعها في هذا القالب يرتكب فعل الغباء المتعمد، ولم تكن مجرد رجل يبحث عن ميراثه وزعامته ونصيبه من الحكم، ومن يفكر بذلك يكون جاحدا يكره الحقيقة ومن زمر الفاسدين، ولم تكن ايضاً مجرد صرخة لتصحيح دين محمد والسلام، ومن يؤمن بذلك كما يؤمن بنصف الحقيقة! عاشوراء بكل تفاصيلها، وبكل الصور التي تقدم فيها حتى المبالغ عنها ويرفضها العقل والمنطق هي تستحق الدراسة بتروٍ وتأني، دراسة لإستمرار الحقد المبطن على الحسين وثورته، ودراسة العشق المتطرف للحادثة وسيدها، والأهم دراسة أسباب الحدث، وحدود الحدث، وآفاق الحدث، والهدف من الحدث، وما بعد الحدث! رغم مرور هذه السنوات على حادثة الطّف أو كربلاء، ورغم ارتفاع صوت الحدث الجريمة ضاقت المعلومات الفكرية والعلمية، وانحصرت بالخبرية، والسيرة الأسطورية، والبكائيات، والخطابية دون الولوج بعمقها! ورغم تعدد وسائل الطرح، وكثافة السرد الكلامي والنصوص المكتوبة سجنت هذه الحادثة التي وجب أن تغيّر التاريخ الانساني والبشري والسياسي والديني والاجتماعي، سجنت في طائفة، واخذت هذه الطائفة بالإنقسام حول مفهومها مع الحفاظ على طقوسها! ورغم تعدد الطرح، ومناقشة الحالة ظلت قضية الحسين مجرد ذكرى نخوض فيها لأيام معدودة في السنة ومن ثم كلٌ يذهب إلى عالم مختلف، وقد نتباهى بأننا اشتركنا في جلسة فكرية مناسباتية مع شخصيات مسيحية وسنية متهمة ومهتمة، ومعتدلة، وعلمانية، وشيعية مشككة أو مؤمنة، ولكن ذلك ظل ضمن النخب في ساعة من التغني والتعظيم والإحترام، ومن بعدها إعجاب بالكلمات وتناول الطعام، والخروج إلى ندوة وقضية اخرى! بهدوء، وبعيداً عن التطرف الفهمي، والجهل السياسي، والعنصرية الدينية لا بد أن نعترف أن ما قام به الإمام الحسين حتى البرهة لم يُقرأ قراءة صحيحة، ولم تصل رسالته كقيمة انسانية وسياسية معاصرة ومتحركة خارج جمود التاريخ بل تحرك المستقبل، لم تصل بشكل صحيح، ولم تجد طريقها إلى الإنتشار الأوسع والأشمل والأهم، والأسباب كثيرة وواضحة منها أنّ من يقوم على إبراز عاشوراء يتعمد ان تكون موسمية ضمن طقوس محددة ولطائفة خاصة، وآخر يعتبرها مناسبة للشحن الطائفي لإستغلالها في صناديق الانتخابات وتكريس الزعامات المتطرفة، أو تجاهلها من قبل طوائف اسلامية لا تؤمن بحقيقة وجوهر الإسلام بقدر إيمانها بصورة شكلية فارغة من الإسلام تزيد عدد المسلمين دون صوت او نفع مؤثر في الوجود وتطور الحياة، وهؤلاء يسعدون إن ظل المسلم متخلفاً لا يؤمن بالعصر

والمستقبل، ويمتطي الجمل بعيداً عن السيارة، ويخاف الكاميرا وشاشة التلفزيون والعلم. كما يوجد فريق آخر يتعامل مع عاشوراء كمناسبة حزبية يستغل فيها المفاهيم الدينية لجذب الشباب الواعد وتحديداً الذين تتجاوز أعمارهم ما بين 14 وال 19سنة، هؤلاء يشكلون بذرة لمستقبل استمرارية الفكر الحزبي المذهبي، وشد العصب الطائفي كلما لاحت بوادر الفرج الفكري التوحيدي! في الفن المعاصر ولا ننسى ان المبالغات في الكتب، والخطابية المباشرة في الشعر والبرامج الفنية الذهنية أضرّت بها، أما مسرحياً وتلفزيونياً وسينمائياً بقيت ضمن لعبة التحريم والتخويف، وجهل أبعادها التاريخية. لا بد من أن نفهم أن الفن يؤثر في إيصالها ايجاباً أو سلباً، وكلما تعمدنا تشويشها وتسييسها، وعدم وضوحها داخل الصورة الفنية يزداد هجرها لنا. كما وجب أن لا نفرض تعقيدها بمحرمات ظهور الشخصيات، وتغييب حقائق زمنية وسياسية غاية بالأهمية خوفاً من مشاعر هذا وذاك، أو لتلميع حركة حزبية أو شخصية سياسية مرحلية. إذا فهمنا تطور الزمن، وما يؤثر بالمجتمع مع تقدم العلم وفنونه خاصة إذا رغبنا بطرح قضايا مفصلية قد نصل إلى بر أمان التأثير في الطرح والرسالة.

حينما نتناول أي فكرة قضية حكاية تعنى بمصير أمة ومستقبلها علينا أن ننسلخ من عقدنا الذاتية، وننفتح على الحقيقة المؤجّلة، نعم الحقيقة تؤجّل حتى تجد دورها وفرصتها، ولكن في تحديد مصير قضية الدين الواضح في كتابه، وشرح قيمته الإنسانية والفلسفية، وفي تحديد مصير أمة لا بد من أن نخرج الحقيقة من سجنها، ونناقشها لتتضح أمامنا مدى صلاحيتها ومواكبتها للعصر، وبذلك لا تُربك قضية عاشوراء مع الوجود، ولا تزيد من الإنقسام. كما لا بد من تنظيفها من الشوائب، والمبالغات، والإسرائيليات، وإبراز أسبابها السياسية والاقتصادية والبيئية بعيداً عن سياسة المصالح والمكاسب المختلفة، وتبرئتها من الحقد الدفين الذي أضرّ بالدين، وعدم جعل تداولها في المناسبات فقط! أقصد، حينما نجد الفرصة المنسجمة مع الواقع والعصر نسارع بإبراز الحقيقة وبهدوء، ليس من أجل التاريخ الذي ذهب مع زمانه وبقيى منه صور كتبها المنتصر، بل من أجل الإفادة من التاريخ دون أن نسجن به، ونحرره إلى المنطق، وحرية المناقشة فيه، وإستيعاب ما كان، وإبراز الواقع القديم بأبعاده السلبية والإيجابية دون قداسة، والإستفادة من تجربة الماضي، والتعلم منه! نعم، وبكل وضوح علينا الإعتراف بأن المال والمنتصر هما من يكتب التاريخ، وبالطريقة التي تناسبهما، وفي كل العصور كتبا التاريخ كما يشتهيا وزورا به، والغيا ما أرادا، وامحيا وشوها الحقائق، وأبرزا حقائقهما التي تجعلهما أبطالا لمرحة من التاريخ الآخر حتى يأتي من ينتصر وبيده سلطة المال والسلاح ويلغي ويغير ويقوم بما قام سلفه العدو المعتدي. من أجل استيعاب ما حدث، والتعلم من حركة التاريخ وجب علينا قراءة كل جوانب الفكر القضية الحدث بعيدا عن المعتقد، المعتقد الحزبي أو المعتقد الديني، أو المعتقد الطائفي، وكلما قرأنا الحقيقة داخل تلك المعتقدات ضاقت مساحة البحث، وعجزنا عن الحركة بحرية، واخذت الحقيقة بالاختفاء لتبرز مكانها حقيقة جديدة بذات الصور والرموز ولكنها بعيدة عن قيمتها العميقة حدثاً وفعلاً وفكراً

ومنهجاً ومقاومة وثورة! الجريمة من قام بفعل عاشوراء – القاتل والمقتول، الغادر والمغدور، السارق والمسروق، الفاعل والمفعول، الحاكم ومن يطلب منه ان يطبق الحكم عليه... لم تكن فعلتهم صدفة، أو مجرد حادثة عابرة، كانوا يعلمون ماذا يفعلون! هذه غاية أساسية وحساسة في قراءة حادثة عاشوراء الحسين وأهل بيته وأصحابه، ونافذة مهمة لإعادة تأهيل وتصحيح تاريخ الإمام الحسين ليس عند قرّاء التاريخ والمستفيدين منه، ومغيبي فعل الحسين، بل عند محبي تاريخ الحسين، ومستغليه أيضاً! نحتاج اليوم إلى إعادة تأهيل وتصحيح تاريخ وسيرة وثورة الإمام الحسين من كل الشوائب التي تراكمت عليها، وشكلت مع تطور الخطاب الإعلامي والديني في الأزمان التاريخية والسياسية قضية تكبر وتشتعل تحت الجمر، وتُستغل مع كل نفحات المشاريع السياسية في المنطقة، ولا شك يتحمل عدم تطور فهمنا لها النظام الإسلامي بكل طوائفه ومراكز القرار فيه، والبعض هجرها وخاف منها جراء التعصب في حب الحسين وكرهه وتزوير تاريخه، والأخطر بعض الطقوس والطريقة المتبعة في إبراز ما حدث في كربلاء، وتعمّد تغييب البعد السياسي التحرري عن فعل ثورة الإمام الحسين، وبصراحة، الجميع مشارك في هذه الجريمة! ضوابط الفهم الوجودي الحسيني الذي وضع الضوابط في كيفية الحكم، وكيفية تقديم الشهادة من اجل قضية عادلة، وكيفية زرع فكرة مراقبة الدولة المعاصرة، والتعامل معها بوضوح لم تنته ثورته بعد، وليس مبالغاً إذا قلنا أن عاشوراء ثورة لم تنته بعد ما دام كل حرّ يبحث عن حريته في مفهوم المقاومة والشهادة والإصلاح، وليس في مفهوم الزعامة، والكسب المادي والسياسي على حساب الحقيقة والحق الإنساني. شكلت حركة الحسين بارقة أمل في الفهم الوجودي للتوازن بين الإيمان بالله وكتابه وحب الحياة، ولم يفصل الحسين بينهما لكنه فصل في كيف ان تعيش بينهما إنفصاماً وجودياً، لذلك ثورة الحسين الوحيدة التي انتصرت، وحققت اهدافها في الفكر السياسي، وفي الوعي الوجودي، وفي الفهم الديني بعد أن اغتيل واستشهد قائدها! وقد يبرز من يقول، وينتقد الحالة الإيمانية الحسينية، وفعل الموت دون ملذات الدنيا، ويسأل ماذا تحقق من سكب الدماء ما دام الله هو الذي أمر وفعل استشهاد الحسين؟ السؤال حق، وواجب يقيني من أجل معرفة القيمة الأشمل والأوسع لثورة الحسين، هذا السؤال اليقيني غاية في فهم الحدث، وأسباب الفعل دينياً وليس سياسياً فقط، وربما يندرج في سياسة الله الذي أنزل الأنبياء والرسل كل في مرحلته ومع معجزاته وكتبه، وهو القادر أي الله على فعل ما يشاء، وبضربة القرار الواحد! لم يأمر الله بفعل عطش، تعذيب، سبي، قتل، ذبح، استشهاد الحسين ومن معه، بل أراد ذلك من أجل حكمته ورسالته وموضوعيته. حكمته في أن الحياة حق وتستحق ان نضحي لاجلها، ورسالته في أن الإيمان بالعدل وبالله دون شركاء على الارض، ودون ظلام وطغاة وديكتاتوريات ومستغلين لإسمه وله لا يمثلون رسالة الرحمن ولا عدالته، وموضوعيته في أن تلك الثورة الحسينية هي ثورة تصحيحية مادية وفكرية ومعنوية شاملة بعد ثورة جده الإرشادية المعنوية في الطرح الإسلامي! وحتى بعد إستشهاد

الحسين عليه السلام برز أن عاشوراء مدرسة البحث عن الحقيقة الإنسانية، والحقيقة الوجدانية، وحقيقة العدل والإيمان والعدالة، لذلك علينا ان نقرأ عاشوراء مع تطور العصور والأزمنة، وهي اليوم تشكل مرحلة سياسية متطورة المعاني لأن الحسين أسس لمبدأ المحاسبة والنقد وتوجيه الأسئلة للحكم والحاكم عند العرب والمسلمين. قبل الحسين لم يكن هذا التطور في المفهوم السياسي حاضراً، ولم يصبح منهجاً إلا بعد ثورة الحسين، ولا عجب إن بقيت العرب والمسلمين حتى البرهة تبع لحاكم فاسد وظالم بحجة ولي الأمر، أو السير وراء قائد واحد حتى القداسة، ولا مجال لخلق آخر، للأسف هذه حقائق مرة تلازمنا، ولا نستغرب سعادة الشارع العربي والإسلامي بكونه من الغنم في السياسة والإجتهاد الديني، وفي الفكر الإسلامي والسياسي، لا نستغرب ذلك ما داموا يتعمدون وضع ثورة الإمام الحسين في الخطاب الطائفي، وفي سلة دينية عنصرية ضيقة محاصرة بالجهل والحقد! الحقد القائم نعم، لا يزال الحقد على الحسين قائما، ولا يزال جهل غالبية من يحب الحسين عن ما فعله الحسين حاضراً، وقد ينظرون على أن عاشوراء هزيمة، وربما انتكاسة، وفي الحقيقة عاشوراء لا تنتمي إلى كل أنواع الهزائم والإنتكاسات بل هي إنتصارات على أكثر من صعيد سياسي وفكري وديني. عاشوراء منهجية حياة، وإنتصارات لمدارس الوفاء للقضية ورسالة الخالق، وتضحية بالروح والمال والسلطة من أجل مبدأ الحق والعدل والعدالة، والأهم من كل ذلك أن عاشوراء الحسين كانت لتصحيح الخلل في دين محمد حينما استولى تجار المال، ورجال الاقتصاد، وعشاق السلطة على زمام القرار بعد موت النبي بحجة السيطرة على الحكم، والحكم بعد رسالة الطهر والحق وشخصية عبقرية كشخصية النبي محمد تتطلب الإستغلال الديني، وتسيير الاقتصاد، وزرع الفتن الدينية، وإنشاء المذاهب والطوائف من أجل تخدير الناس، والتعصب والتحكم بأمور السلطة. من هنا نستطيع القول أن عاشوراء ثورة لم تنته بعد، وأن الإمام الحسين شخصية مقاومة بالدرجة الأولى، وإصلاحية، وتنويرية، وثورية، ويؤمن بإنتفاضة الضعيف المظلوم صاحب الحق على القوي المتجبر المغتصب لحقه، والأهم من كل ذلك أن الحسين لم يكن يؤمن بالنق والثرثرة والخمول، ولم ينتظر من ينوب عنه كي ينال مطالبه، ولم يؤمن بالصبر المنقطع ما دام المجرم يرتفع شأناً ويزداد عنجهية وقوة، الحسين عليه السلام ترك مجد تاريخ جده ووالده وعمامته جانباً وقرر النزول إلى عمق فكر الدين الذي يحرر الإنسان من القيود. لم ينم الحسين على مجد الماضي، ولم يؤمن يوماً بأن سيرة أسلافه قد تعيد حقه الذي سلب، الحسين تخلى عن كل أمجاد الماضي ونزل إلى أرض المعركة بإرادته، وبقرار درسه وقرر تنفيذه، وبإيمان مطلق، وبمعرفة قوية وواسعة لمفهوم الجهاد في سبيل الله والحق، وغاية متزنة في أن يكون مقاوماً إصلاحياً في ظل إغراءات دنياوية، ومناصب سياسية، وثروة مالية ضخمة بمجرد الموافقة على ولاية من ليس أهلا لحكم المسلمين! الاقتصاد وقد يعتبر البعض أن الحسين لو ارتضى بما عرض عليه من ثروة لكان الوضع التجاري والاقتصادي في تلك المرحلة أكبر وأكثر انتشاراً، ولسعت العرب

والمسلمين إلى مرحلة زمنية هادئة من الإستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي! ضيّق الأفق من حقه أن يؤمن بذلك، والباحث الذكي من حقه أن يطرح ذلك من خلال اسئلة يبنى عليها الفهم المعاصر لطبيعة قرار الحسين، وهذا الفهم يوصلنا إلى حقائق تاريخية قد تكون مذهلة عند أهل الإختصاص، أما طرحها لمجرد النعرات

والثرثرات التي توصل للتصادم غاية بالخطورة. عاشوراء...هذه الوقفة بكل أبعادها من الإمام الحسين تتطلب دراسة سياسية وفقهية معمقة بالبعد الإنساني والاجتماعي وحتى الاقتصادي، وتقديمها على مذبح كل عصر لكونها ثورة متحركة تواكب العصر رغم اختلاف الزمان والمكان هو الخوف منها ومن الإستفادة من الفهم العميق لسيرتها. عاشوراء تخاطب المسلم وغير المسلم، وتقدم الحلول السياسية والوطنية الفردية والاجتماعية... نحن مجرد اناس نطرح اسئلة موجبة عن عدم البحث الجدي في حركة الإمام الحسين كفكر أممي، وثورة رائدة في العمق الإنساني، وإصلاح سياسي برز معه مراقبة النظام والزعيم، ومحاسبته خارج دائرة الإستغلال الطائفي، والبكائيات المتعمدة، والسواد بحزن فلكلوري مع أن الحزن على الحسين من أرقى المشاعر، وأعمقها في إستيعاب وجع الآخر، والتأثر بحال ألامه. عاشوراء الحسين تجربة إنسانية حضارية صافية النوايا، صادقة النفس، تعانق الروح السمحاء، أو الروح المتعبة بهموم الأيام والرزق لتذهب مع الفكر بعمق التجربة التاريخية، راسمة الحضور المعاصر بكل تفاصيله. عاشوراء كنزنا الإنساني، ولا خلافات جوهرية حولها، عاشوراء تجربتنا السياسية المعمقة في صناعة القرار والعمل به. عاشوراء مقاومة ضد العدو، وضد اغراءات الذات. عاشوراء تضحية بالروح كي يعيش الآخر. عاشوراء نافذة تاريخية تطل على العالم الحاضر والمستقبل لتعلم دروس الحياة الكريمة بعيداً عن التكلف وكذبة الإيمان... وما أن يبدأ الامتحان يكرم المنظر أو يهان!

الجزء الثاني

ومن وجهة نظر فكرية تحليلية أخرى أطرح أيضاً المقاربة التالية:

<u>عاشوراء هدف المخابرات البريطانية والإستخفاف المتأسلم والطقوس الطائفية!</u>

هذا هو الواقع وهذه هي الغرف السوداء وهذا هو الحل؟

من يعتقد أن ذكرى عاشوراء مجرد حالة طقوسية إيمانية عابرة فهو واهم!

ومن يتصور أن هذه الكينونة الواقعية لواقعة "الطف" مجرد بعض أيام تستمر بسرعة دون أن تترك أثارها على محيطها فهو بالتأكيد يعيش الهبل الفكري والاجتماعي!

ومن يقنع حاله بأن مقتل الإمام الحسين مجرد لحظات تاريخية عابرة خارج كتاب الحياة، والعبر، والدروس فهو من الأغبياء، لأن هذه القيمة الوجودية أنقذت إسلام محمد من الإندثار، وهي ثورة تصحيحية على سلطة

الاقتصاد والمال والقوة في حينه، وترسم مع كل محطة قوة الضعيف أمام الجبروت، صوت الحق أمام صهوة الباطل، ونبع الحقيقة أمام تزويرها!

كربلاء الحسين هي الكتاب الذي كُتب بدم الأطهار، وذكراها ليست لنعيش الثأر أبداً، بل من أجل توازن وجودنا في بلادنا، وديننا، ومجتمعنا، وفي العمل والوظيفة والحزب والدولة، والحرب، والسلام!

بإختصار كل ما لدينا من عنفوان سببه عاشوراء، وهذه الأيام العشرة هي بقوتها سنوات من التحدي، وتعديل الذات، ومراجعة الإيمان بالله وبالوجود وبالتصرف. يعني أيام عاشوراء المعلنة هي بصمة في تطبيق عمق حقيقة ممارسة التدين خارج نطاق المظاهر، وهي تصرف غير معلن بحياتك اليومية، ولا يستطيع المؤمن بالإسلام أن ينسلخ عن عمق فلسفة وثورة ومفهوم وسياسة ثورة الحسين لا من الناحية الدينية العقائدية، ولا من الناحية الحياتية، وهي في شرارات كل ثورة على الأرض حتى لو لم تكن دينية طائفية إسلامية، أي أن عاشوراء لاهوت الثورات فلسفياً وفكرياً وتصرفياً!

وعاشوراء خارج الثورة بكل مفاهيمها تروي النفس، وتلجم المصيبة، وتلوي سطوة الغرور إن وقع، ولو إقترب المقتنع بها إيمانياً وليس سلطاوياً ومفاخرة عنجهية تنظيرية شوفانية مذهبية، لو إقترب من مفاهيمها وحكايتها سيحمي روحه، وسيجد الإنسان فيه بعد أن يُهذب نفسه الجامحة من أسطورة من لحم ودم ودين وحقيقة!

نحن هنا لا نجامل، أو نتحدث عن تعصب جاهل، أو نبرر الكلام للإشارة إلى الفهم أو الجهل بباطن الحدث لمجرد لفت النظر!

قد يستخف بعض المتأسلمين المتطفلين المتعصبين الطائفيين بالواقعة من باب التعنُّت، والجهل بأصول ثورة الدين، ويعتقدون أن دينهم صلاة ومظاهر، مع أن الدين في هكذا حالة هو فلكلور وعادات قريبة إلى الجاهلية وما قبل الإسلام!

وقد يتعصب من سجن الواقعة في خانة طائفية ضيقة، وتعنيه لوحده، فيستغلها من أجل مكاسب سياسية وحزبية ومالية، ولكنه يشوه قدسية العبرة، وفهم الغاية من حدوثها مع أطهر الناس، وأشرف المخلوقات، مع أهل بيت النبوة، وكان بإستطاعة الله عدم وقوعها، والله لا يفعل صدفة، بل لكل ما يقوم به من مصيبة أو فرحة عبر!

لا نجامل إذا قلنا إن عاشوراء مدرسة الوجود الإنساني، ولكننا ننافق إذا لم نعترف بدخول شوائب صهيونية إستعمارية على بعض طقوسها وظواهر إستعمالها، لا بل معيب أن لا نقوم بمراجعة ميدانية لكيفية تصرفنا مع الواقعة في الجسم الإسلامي والطائفي!

ورغم هذه السنوات الطوال علينا الإعتراف أننا وقعنا بمبالغات الممارسة والتطرف والتعصب مع إن الواقعة واضحة بكل فصولها، والحالة السياسية والاجتماعية ناصعة الحضور، والسيرة مشعة كالشمس، ولكن إستغلالها كي تصبح وسيلة جاذبة وتحريضية هو هدف مشترك للعدو ولمن يدّعي حبّه لها!

اليوم، وفي مثل هذه الظروف الجامحة إلى القحط، وإلى تشويه كل ما هو جامع وذات فكر وعمق ملوث بالشوائب لا بد أن تصيب في قلب الإسلام، ولا بد أن نشير إلى حقائق سياسية نعانيها، وصنعت كي نعاني منها في طقوسنا وإيماننا، وتحديداً في فهم قيمة ذكرى عاشوراء، وقيمة تبني الرسالة الإسلامية، ولم يعد مهماً أن نُذَكر بصناعة الإسلام السياسي الموجة أميركياً كما حال المسيحية ما بعد إتفاقية "كامب ديفيد"، وداعش، والنصرة، والتعصب الديني العنصري المذهبي، ومن مّول ودعم وفتح الأبواب لأنتشار هذا الوباء، فظهورهم كان جلياً في الإعلام الغربي، وإجرامهم كان صورة سهلة الوصول، والهدف إبقاء المشروع الصهيوني حدثاً حضارياً، وإبعاد الفكر الغربي ومواطنيه عن الإسلام، وأن يعيش الإسلام غربة في مجتمعه، وهذا ما حصل، وما كان، وبتفوق!

ومع الأيام، وبعد ثورة الإمام الخميني في إيران حيث شكلت بعداً استراتيجياً ايجابياً لصالح رسالة محمد في العالم، وتحديداً في الغرب تنبه هذا الغرب إلى إستراتيجية حركة الشعب الإيراني، وإدارة زعيمها الخميني، وأكثر ما لفت العمق الثوروي المحرك لغضب ولجم وإستيعاب وتنظيم الشارع ليتبين أن عاشوراء الحسين هي المدماك المحرّك، وكتاب الإسلام هو العمق الإستراتيجي لفكر التحرك!

أول من درس ظاهرة الإمام الخميني كانت المخابرات البريطانية، هذه التي عملت وتعمل على تعميق أي فجوة في مجتمعات الشرق، وتحديداً بلاد العرب والمسلمين، والكل يتذكر كيف أرسلت أميركا ضباطها إلى بريطانيا قبل غزو واحتلال العراق ليتعلموا طبيعة ذاك المجتمع، وقراءة ظواهر نقاط الضعف والخلل والقوة، وما يؤثر في أن يعيش التعصب القاتل، وكانت النتيجة اللعب على الوتر الديني والطائفي والمذهبي، والتقاليد العشائرية والقبلية...وهذا ما كان!

عمّقت المخابرات البريطانية الشرخ الديني، ووجدت أن المسلمين خاصة في لعبة التجارة والاقتصاد ألغوا مرحلة النبي، وعاشوا على ما بعد موت النبي بمئتين سنة عبر أحاديث لُفقت من قبل علماء حسموا أحاديثهم النبوية دون أن يعيشوا مع النبوة أو تنسجم مع القرآن، وأيضاً وقفت دراسات ولادة المذاهب الإسلامية عند بعض المذاهب التي انشغلت على تثبيت نظرياتها دون السماح بوجود نظريات مشابهة تنتقدها، فأغرقت نفسها بتضخيم نفسها(لهذا دراسة مستقلة مشبعة خارج هذا السياق)!

أخذت المخابرات البريطانية تدرس ظاهرة لمّ شمل المسلمين الشيعة حول عقيدة فكر أهل البيت، ووجدت أن عاشوراء الحسين هي التي تُهذب، وتُثقف وتُعمق فكر الشاب المسلم، وتحمسها لذلك حركة عاشوراء جبل

عامل ضد الوجود الصهيوني، وتداخل شباب المناضلين الشيعة في أحزاب علمانية لبنانية بكثافة، ليلتفوا فجأة أمام ثورة الخميني، ومن ثم ينشغلون بجدية في مقاومة الإحتلال الإسرائيلي، وكانت مقاومة عاشوراء النبطية حيث أخذ الضابط الصهيوني بالبحث عن حيدر والعباس والحسين!

تراكمت الأحداث، وتبين للمخابرات البريطانية المنشغلة بالإسلام وتقسيمه، ودراسة ظاهرة المهدي المنتظر وعاشوراء الحسين، تبين لها أن من ضمن تشويه هذه الأسس هو ما يبقي الإستعمار الغربي في بلادنا، ساعدها في تحقيق الهدف التعصب النائم المتحرك الموجود في مجتمعاتنا، وعدم تصدي المثقف الديني وبعض العلماء لذلك، وخيانات غالبية حكام العرب والمسلمين!

عملت أميركا في تثبيت وجودها وحل المشاكل على عضلاتها والهوبرة على المسلمين، وتسويق كذبة العيش المخملي الأميركي!

انشغلت إسرائيل بإحتلال العرب بسهولة الشهوة، والعمل على الوتر الطائفي والشهوة الجنسية والحياتية، وتحديداً الأكل والحرية المستوردة، وديمقراطية الكذبة رغم أننا نعاني من ديكتاتورية وجودها في يومياتنا وإعلامنا، وثقافتنا... وهذا نحن نتحمله، وليس التصهين!

بريطانيا درست الواقع العربي والإسلامي بعد أن غزت المسيحية حتى التشويه والسيطرة شرقاً وغرباً، لتصل إلى ما وصلت اليه مخابراتها من فهم عميق لديانات الشرق ومجتمعاته خاصة الإسلام بما حمل، وبالتحديد عاشوراء الحسين لتتجه الآن عبر غرف سوداء متخصصة لضرب هذا المعتقد والحدث من الداخل!

عاشوراء مع دخول الإسرائيليات إلى طقوسها عند البعض أصبحت ذات ظواهر مخيفة ومخجلة ومقززة، لذلك نشير أو نوضح ما نتلمسه عن علم ومعرفة ومتابعة!

دخلت السوسة المخابراتية التي ذكرنا بتعصب وتكفير الآخر إلى المعاهد الدينية، وإلى الحوزات الدينية، وإلى المساجد والمراكز الاجتماعية، والكتب المدفوعة المدسوسة والمدعومة والمنمقة حيث تشكك بكل العقائد الإسلامية بعد أن وضعنا نحن قيود عدم مناقشتها في زجاجات الفراغ المتزمت، والفضائيات الشيعية والسنية تحديداً بكثرة، والناطقة من لندن بلسان الشتيمة والتكفير، يضاف إلى كل هذه سموم المال الشيطاني سهل المنال!

دور هذه المفاتيح المدعومة من المخابرات البريطانية، بعد دراسة، أن تشعل الفتنة داخل المجتمع الإسلامي ونجحت، واليوم دورها زرع الفتنة في الفكر الشيعي، وفي مفهوم عاشوراء من خلال إدخال عادات وتصرفات في الشكل، حركة تصوفية إيمانية عاشورائية جامحة، وفي العمق زرع ظواهر متخلفة جامحة إلى التطرف، وقد إنطلقت من باكستان والهند وصولاً إلى العراق، وقد بدأت ملامحها في مسيرات لبنان وبعض القرى الشيعية بخجل!منها :

– العمل على إستمرارية التطبير، وتقديم دلائل على إنها من عمق الإسلام، وتشفي المريض، وعدم التطبير معصية، والكل يعلم إشمئزاز النظر من أشكال التطبير!

–إعطاء صفة أشكال الحيوانات على أهل البيت، ورسم الإمام علي على أنه الأسد، والعباس الفهد وما إلى ذلك من تشبيه حيواني لأهل البيت لا يتقبله العقل!

–العمل على تسويق بدعة جديدة تكمن في تطيين الجسد " التطيين بالوحول لأجل الحسين"، وتكفير من يعتبرها خرافة، وقد انتشرت بجنون في باكستان والهند!

–الزحف، وربط عنق عاشق الحسين كالحيوانات إلى مقامات أهل البيت خلال زيارتها!

–السير على النار، والزجاج، والجمر!!!...

–تكفير الآخر، والإستخفاف به لمجرد رفضه تلك الظواهر!

–التمسكن، والتظلم!

–وفرة المال، والإكثار من ولائم الطعام، وهذه الأخيرة بدأت في الظهور في بعض قرى الجنوب اللبناني مؤخراً!

–التعامل مع الإسلام كفلكلور، ولا محرمات في دخول أي مهنة ووظيفة.

–التساهل مع كل ما يتناقض مع الإسلام فكرياً، والتعصب في موضوع عاشوراء، وتطبيق ظواهر عاشورائية متخلفة نافرة!

هذه الظواهر المتخلفة تتعمق في ظهورها في العديد من الدول التي تعمل على ذكر الإمام الحسين، وعاشوراء، وقد وصلت إلى العراق وبعض الدول العربية كممارسة إيمانية، ومنذ عامين أخذت بالظهور في لبنان بخجل على أمل ان تنتشر وتحديداً في منطقة بيروت، حيث الوجود السني، وذلك لتعميق التطرف والصراع المذهبي بعد أن يتم رفض وإنتقاد هذه الظاهرة سنياً في العاصمة، وأي مشكل في العاصمة يكبر وينتشر، وهذا هو المقصود من ظهورها في بيروت!

لا بد من محاربة هذه الخرافات السياسية المتعمّدة والمقحّمة!!!

المطلوب من المثقف المسلم ما يلي:

أ– أن ينفتح على هذه الظواهر المشوهة بقراءة متأنية ليعرف ضررها، ويخبر الناس بخطورتها، لا أن يتعالى ويتجاهلها بحجة أنه مثقف ويفهم، مع العلم ليس كل من يذهب إلى المشاركة في مجالس عاشوراء ذات الفهم والثقافة!

ب– أن يلتفت عالم الدين، وخطباء المساجد في دروسهم وموعضاتهم، والإعلام الديني إلى هذه الظواهر، ومحاربتها بحكمة وحنكة وتبسط!

ث- العمل على أن عاشوراء ليست للبكاء، أو للإلغاء الفكري والمعنوي والذاتي، وللثأر بل هي قيمة وجودية.

ث- جمع الناس أساسي، ولكن دون زرع الفتن والتصرفات الهمجية، والغاية من الجمع حضاري يخدم خط الحسين.

ج- الحوار، والتحابي، وتبادل السؤال، والتواصل الاجتماعي من أساسيات المجالس العاشورائية، ومن أهداف جمع الناس.

ح- العمل في القرى والمناطق المُناطة بالمجلس على توسيع دائرة المشاركة مع ضبط الدائرة، والتنظيم الحاسم مع إنفتاح على من هم من خارج الدائرة الحزبية، وفي حال مشاركة الناس بمسؤولية لا يُسمح للمتطفلين بالعبث، وتنظيم الحركة والتحرك أكثر.

خ- عاشوراء اليوم أكثر مسؤولية في فهم الهدف الإنساني والاجتماعي والسياسي، والحفاظ على التقليد لا ينفي البناء الصحيح حتى لا نخسر الروح والعمق فيها.

د- علينا أن نفهم قولاً وفعلاً أن كل ما لدينا من حركة ضد الظلم، والوقوف بجانب الحق، والنشاط الشبابي المندفع ينبع من عاشوراء...

عاشوراء العمق في المدرسة، في التربية، في الجامعة، في المعمل، في الشركة، في الوظيفة، في التبادل الاجتماعي، في الحزب، وفي الدولة...

وليس ضرورياً أن نكون شيعة أو سنة أو مسلمين حتى نطبق هذا، بل بمجرد أن نكون إناساً ملتزمين خارج التعنت والتعصب والتطرف نصل إلى حقيقة عاشوراء دون تكلف، لكون عاشوراء العمق الثوري للإسلام والإنسان أينما وجد وبالفطرة.

الدكتور أمين صالح

خسائر لبنان 147 مليار دولار : الإنقاذ بالاسترداد

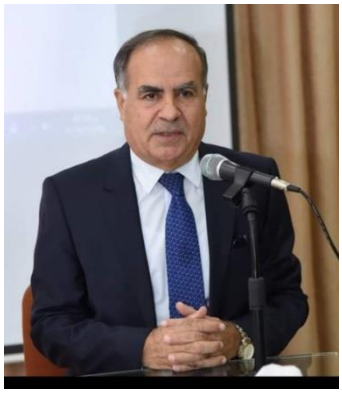

الدولة مفلسة , والاقتصاد منهار, والنظام المصرفي أفلس وسقط, وسعر صرف العملة الوطنية تهاوى بسرعة وينذر بالمزيد والفقر سيطر على الأسر, والجوع على الأبواب , فلا مسؤول يهتم يسأل ويُسأل ولا راعي يرعى، الفوضى قد تصبح شاملة إن لم تتدحرج الى انهيار امني . والكيان اللبناني قد يهدد بالسقوط .

لذلك لا بد من ان نفكر ونبدع حلا , خطة إنقاذية فيما يلي عناوينها العامة .

إن الخطة الإصلاحية الاقتصادية التي نقترحها تستند أساسا الى المعطيات الرقمية الواقعية والعلمية والموضوعية، على ان يؤخذ في عين الاعتبار ما يظهره التدقيق المالي والمحاسبي والجنائي من حقائق ما تزال مستورة، ويتم تعديل الخسائر وفقاً لها.

كما ان الخطة تنطلق من الخيارات المتاحة امام لبنان للخروج من الإفلاس والانهيار. وهي خيارات محدودة جدا، ذلك انه ليس لدى لبنان سوى الخيار اللبناني الداخلي، حيث ان الحل لا بد ان يكون لبنانياً داخلياً، ذلك ان الخيار الخارجي فضلاً عن انه يمس بالسيادة الوطنية فإن شروطه قد تكون قاسية وغير قابلة للاحتمال.

على ان يبقى الخيار الخارجي مفتوحاً للمساعدة غير المشروطة، إذ أن بعض شروط الخارج قد تؤدي الى المس بوحدة لبنان وامنه واستقراره واقتصاده ولبنان بغنى عن ذلك.

إن الخيار الداخلي للحل، يقتضي النظر اليه على انه الخيار الأفضل لجميع اللبنانيين، انطلاقا من حرص اللبنانيين على سلامة ووحدة الدولة اللبنانية، وعلى تضامنهم في زمن المحنة، لمواجهة أقسى حالة اقتصادية ومالية ونقدية واجتماعية يواجهها لبنان منذ نشأته الى الآن.

هذا فضلا على ان هذا الحل يقوم على المساواة بين اللبنانيين في التضحية، وفقاً لقدرة كل منهم على المساهمة في هذه التضحية، وهو خيار عادل في توزيع الخسائر بين جميع من استفاد من أرباح ومكتسبات، إذ لا يمكن القبول بأن يتحمل فقراء لبنان ومعوزيه وطبقته الاجتماعية المتوسطة تبعات هذا الحل، إذ يتوجب على جميع من استفاد من فوائد الدين العام ومغانم السلطة أي كانت مسمياتها ان يتحملوا التضحية الكبرى وهذا واجب وطني عليهم، وندعوهم الى القبول بهذا الحل طوعاً واقتناعاً قبل ان يصبح هذا مقروضاً قسراً ، عملاً بمبدأ الغرم مقابل الغنم.

في أسباب الإفلاس والانهيار

اولاً: النظام السياسي الطائفي الذي قام على تحاصص المناصب والمراكز والوظائف على أساس طائفي مذهبي، معطلاً الدستور اللبناني ووثيقة الوفاق الوطني ومعطلاً الرقابة السياسية والإدارية والشعبية على أداء السلطات كافة وادى كل ذلك الى عدم الاستقرار السياسي.

ثانياً: الاختلال الاقتصادي: الاقتصاد اللبناني هو اقتصاد ريعي يقوم على قطاع الخدمات والتجارة والفوائد ويبتعد عن الاقتصاد الحقيقي المنتج زراعياً وصناعياً وتكنولوجيا.

فتدنى معدل النمو الاقتصادي وتراكمت الثروات والمداخيل في ايدي قلة من الافراد وارتفعت نسبة البطالة وزادت الفوارق الاجتماعية وانتشر الفقر والحرمان.

ثالثاً: الفساد: تنامت ظاهرة الفساد في لبنان بأنواعه واشكاله المختلفة من الفساد السياسي الى الإداري الى الاقتصادي الى المالي وحتى الى القضائي.

رابعاً: العجز في المالية العامة

إن المال العام مهدور ومنهوب ومسروق، فقد استباحت السلطة حرمته، وخرقت في جبايته وانفاقه الدستور والقوانين:

1- الانفاق الحكومي بدون موازنات منذ العام 2006- حتى العام 2017 وبلغت قيمته حوالي 121 مليار$.

2- عدم انجاز الحكومة للحسابات المالية بطريق صحيحة منذ العام 1993 حتى العام 2017.

3- الاستقراض (دين عام) بدون إجازة من مجلس النواب بلغت قيمته حوالي 24 مليار $.

4- الانفاق خلافا لأحكام قانون المحاسبة العمومية بواسطة الاتفاقات الرضائية، وبعيداً عن إدارة المناقصات في التفتيش المركزي.

5- العجز المستدام في المالية العامة (بين واردات الدولة ونفقاتها) بلغ حوالي 36 % كمتوسط عام.

6- الفوائد المرتفعة عن الدين العام التي وصلت الى 38% وكمتوسط تراوحت معدلاتها بين 5 و21% في حين ان الفوائد العالمية تراوحت بين 0,56 و6,43 %.

7- تركز الانفاق العام في ثلاثة بنود رئيسية منذ العام 1993 حتى 2019 منه وهو إنفاق استهلاكي:

- الفوائد على الدين العام بلغت حوالي 86 مليار $ ما يعادل 36% من الانفاق الحكومي 60% من واردات الخزينة.
- الرواتب والأجور بلغت حوالي 74 مليار دولار ما يعادل 31% من الانفاق العام.
- نفقات تشغيل الكهرباء وبلغت حوالي 25,6 مليار دولار ما يعادل 11% من الانفاق العام.

8- انخفاض الانفاق الاستثماري فلم يتجاوز 7% من الانفاق الحكومي العام.

9- الانخفاض في الإيرادات العامة:

بلغت الإيرادات العامة حوالي 154 مليار $ وهي منخفضة بسبب:

أ – عدم العدالة الضريبية: 76% منها ضرائب مباشرة يتحملها الفقراء ومتوسطي الدخل و24% ضرائب مباشرة يتحملها الأغنياء ومتوسطي الدخل

ب- التهرب الضريبي

ج- الإعفاءات الضريبية الواسعة

د- عدم كفاءة الإدارة الضريبية سواء في عملية التحقق الضريبي او في التحصيل الضريبي

وفقاً لما تقدم فإنه من الثابت بأن المشكلة الأساس في السياسة المالية والنقدية للدولة كانت في الفوائد المرتفعة التي تكبدتها الخزينة اللبنانية.

إن معدلات الفوائد على الدين العام كانت مرتفعة جداً وتشكل عائقاً امام حركة الاستثمار.

ما هدد باستمرار حركة الركود الاقتصادي، ولقد تبين ان أسعار الفائدة غير محكومة بقواعد السوق (العرض والطلب) بل يتحكم في تحديدها مصرف لبنان وجمعية المصارف بالاتفاق مع وزارة المالية

خامساً: الهندسات المالية

أجرى مصرف لبنان هندسات مالية لصالح 35 مصرف تجاري بلغت قيمة الأرباح التي حققتها المصارف من هذه الهندسات حوالي 5,5 مليار دولار.

إن هذه الأرباح شكلت خسارة للمصرف المركزي وبالتالي خسارة على خزينة الدولة وعلى المكلف اللبناني دون ان يقابلها أي عائد للدولة او للمصرف المركزي.

سادساً: الضريبة على فوائد الدين العام بين الاعفاء والانخفاض

1- اعفت الدولة فوائد الدين العام من الضريبة منذ العام 1993 حتى 30 /2003/1.

2- اخضعت الفوائد بعد ذلك لضريبة نسبية بمعدلات خفيفة تراوحت بين 5 و7 و10%.

3- اعفيت سندات اليورو بوند خلافاً للقانون من الضريبة عن العام 2004 حتى العام 2019 حيث اعفيت نهائياً.

4- بلغت الضرائب الفائتة على الدولة حوالي 2,4 مليار دولار.

سابعاً: العلاقة بين عجز الموازنة العامة وفوائد الدين العام

1 - بلغ عجز الموازنة العام منذ 1993 حتى 2019 ما مجموعه 120,804 مليون ل.ل.

2 – بلغت الفوائد عن ذات الفترة 128230 مليون ل.ل.

3- بلغت نسبة الفوائد الى العجز 106%.

إن عجز الموازنات العامة هو عبارة عن فوائد الدين العام.

ثامناً: الفرق في معدلات الفوائد اللبنانية والعالمية

بلغ الفرق في فوائد الدين العام اللبناني بين مستويات أسعار الفوائد في لبنان والعالم حوالي 58 مليار دولار أميركي.

تاسعاً: الدين العام حتى نهاية 2019

1- بلغ اجمالي الدين العام حوالي 138150 مليار ل.ل ما يعادل 92 مليار دولار.

ويشكل حوالي 173 % من الناتج المحلي وهو موزع كما يلي:

- الدين بالعملة المحلية 87279 مليار ل.ل ونسبته 63%
- الدين بالعملة الأجنبية 50871 مليار ل.ل ونسبته 37%

2- الدائنون الرئيسيون

- مصرف لبنان 41 مليار دولار 45%
- المصارف التجارية 32 مليار دولار 35%
- حملة سندات اليورو بوند 8 مليار دولار 9%
- مؤسسات عامة ومتعهدون 7 مليار دولار 8%

في الإصلاح الاقتصادي والمالي والنقدي

1- الخسائر

أ- الإعلان عن الخسائر المالية بصورة مبدئية وقدرها 132 مليار دولار

2019/12/31

2020/8/31

1- خسائر الدولة = الدين العام =	92 مليار دولار	94 مليار$
2- خسائر البنك المركزي =	40 مليار دولار	54 مليار $
المجموع	132 مليار دولار	148 مليار$

ب- البدء فوراً بتأمين مصادر تغطية هذه الخسائر وتوزيعها بين الدولة والمصرف المركزي والمصارف التجارية وحملة سندات اليورو بوند والمودعين ولا سيما الكبار منهم الذين يمثلون 2% من المودعين على النحو التالي:

البيان	القيمة / مليار دولار
1- استخدام راس مال البنك المركزي	3,759
2- استخدام راس مال المصارف التجارية	20,723
3- استرداد الهندسات المالية	5,5
4- استرداد الزيادة في الفوائد المدفوعة على الدين العام من المعدلات العالمية ويتم توزيعها بنسبة حصة كل من الدائنين من الفوائد في كل سنة منذ العام 1993	58
5- استرداد عائدات الأملاك العامة البحرية (أ)	5,2
6- استرداد سندات اليورو بوند غير المحمولة من المصرف والمصارف (ب)	6,715
7- استرداد نسبة 38% من الأموال المحولة الى الخارج والتي	5,4

تم تحويلها من مجموعة ال 1% من المودعين وقدرها 14,217	
8- الضريبة الفائتة على الفائدة على سندات اليورو بوند	2,4
المجموع	107,697

الباقي 24 مليار $ يبقى على عاتق الدولة وهو يعود الى

- مؤسسات عامة 7,45 مليار
- سندات خاصة 2
- قروض ثنائية 2
- قروض باريس 3 0,17

المجموع 11,62 < 12

- مصرف لبنان 12

- الدين الباقي لمصرف لبنان هو في الحقيقة مقابل ما يستحق للخزينة اللبنانية على مصرف لبنان وهو

الفروق بين ما يوازي موجودات المصرف من ذهب وعملات اجنبية بالسعر القانوني وبين السعر الفعلي لشراء او بيع هذه الموجودات وذلك وفقاً لأحكام المادة 115 من قانون النقد والتسليف التي قضت بفتح حساب خاص باسم الخزينة اللبنانية بهذه الفروق. ويستعمل هذا الحساب باستهلاك سندات الخزينة.

أ- يقتضي اجراء تسوية على اشعال الأملاك العامة البحرية من العام 1994 وحتى 2019, ونقدر بالمتوسط العائد السنوي ب 200 مليون دولار وهي الاحتمال الأقل كلفة بالرغم من انه حاليا أكبر بكثير

ب- استرداد سندات اليورو بوند من المكتتبين من غير مصرف لبنان والمصارف التجارية بالسعر السوقي:

8,39 مليار $ x 0,20 سنت لكل دولار = 1,675 فيكون الوفر 6,715 مليار دولار

2- تأليف هيئة للتدقيق المحاسبي والمالي والجنائي في حسابات مصرف لبنان وحسابات الدولة اللبنانية مؤلفة من:

- ديوان المحاسبة / مدققي الحسابات /
- نقباء خبراء المحاسبة المجازين في لبنان
- شركة تدقيق لبنانية

3- تعيين حاكم جديد لمصرف لبنان

4- وقف دفع فوائد الدين العام فوراً

5-استرداد الفرق في فوائد الدين العام بين المعدلات المحلية والمعدلات العالمية.

6- استرداد مبلغ الهندسات المالية التي أجراها المصرف المركزي لصالح المصارف التجارية مع فوائدها.

7- استرداد الضريبة الفائتة على فوائد سندات الدين العام منذ عام 1993 حتى 2019 مع فوائدها.

8- توزيع فرق الفوائد المستردة على فئات الودائع في المصارف من 50 ألف دولار أميركي وما فوق بمعدلات تبدأ من 11% وتنتهي ب 38 % وعلى الأموال المحولة الى الخارج من حزيران 2019 حتى شباط 2020.

9- - - إعادة هيكلة الدين العام المترتب لصالح المصرف المركزي والمصارف التجارية بما يتوافق مع البنود المذكورة أعلاه

10- إعادة هيكلة النظام المصرفي عن طريق الاندماج بين المصارف، وإعادة رسملة المصارف بما يتوافق مع عملية إعادة هيكلة الدين العام المتوجب للمصارف على الدولة وزيادة راس مال المصارف من أموال المساهمين وكبار المودعين الذين تزيد ودائعهم عن 1 مليون $ ومن يرغب من متوسطي وصغار المودعين

11- وضع الحجز الاحتياطي والتجميد الاحترازي المؤقت على الأموال المنقولة وغير المنقولة وعلى الحسابات المصرفية العائدة لكل من تولى المسؤولية في الدولة والسياسيين والموظفين الكبار ومديري المرافق العامة وعائلاتهم ومتعهدي ومقاولي الصفقات العمومية وعائلاتهم وأصحاب المصارف ورؤساء مجالس ادارتها ومديريها العامين، ورفع السرية المصرفية وكافة الحصانات عنهم ومنعهم من التصرف بالأموال المذكورة، واسترداد ومصادرة كافة الأموال التي يثبت قضائياً أنهّا مسروقة أو منهوبة أو مكتسبة بدون مسوغٍ شرعيٍّ.

12- الكشف عن أصحاب وحجم الأموال المحولة الى الخارج خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام 2019 وما بعد وإخضاعها لأحكام قانون مكافحة تبييض الأموال وتمويل الإرهاب، والمسألة القضائية لكل من سهل التحويلات المذكورة، ومنع باقي المودعين من التصرف بودائعهم خلافاً للقانون.

13- تصحيح الموازنة العامة للدولة بحيث تكون خالية من أي ضرائب جديدة وفوائد الدين العام، وتخفيض النفقات غير المجدية، وتقدير الواردات بما يتناسب مع الوضع الاقتصادي المنكمش وتخصيص الوفر الناشئ عن عدم دفع فوائد الدين لإنشاء البنى التحتية وخاصة ًالمياه والبيئة والكهرباء بعد حل مشكلتها حلاً جذريا وغيرها.

14- تعزيز الموجودات بالعملة الأجنبية من خلال

أ- استرداد باقي الأموال المحولة الى الخارج في الفترة الممتدة بين حزيران عام 2019 وشباط 2020 وقدرها (18,576 مليار دولار – المبالغ المقتطعة لفوائد زائدة 5,4 مليار $) ما يساوي 13,176 مليار دولار

ب- استرداد 70% من الأرباح الموزعة على حملة الأسهم في المصارف التجارية وادماجها في الأموال الخاصة للمصارف وهذه النسبة مرتكزة الى معايير عادلة وموضوعية قابلة للتنفيذ

إن الأموال المستردة تبقى ملكاً لاصحابها وتسجل في حساباتهم الخاصة او في حصصهم في رأس المال المكتتب به .

15- خفض معدلات الفوائد تدريجيا حتى تصل الى ما بين 1 و2 %, وذلك لغاية تشجيع الاستثمار في الاقتصاد المنتج والانتقال من الدولرة في الاقتصاد الى اللبننة " من الدولار الى الليرة".

وعدم دفع أي فائدة على الأموال التي تودعها المصارف التجارية لدى المصرف المركزي ,واعتماد الفائدة السلبية على هذه الودائع تدريجياً .

16- معالجة وضع مؤسسة كهرباء لبنان وذلك:

- منع التعدي على التيار الكهربائي.
- إنشاء معامل لإنتاج الكهرباء بواسطة مناقصة عالمية.

17- إنشاء شركات مساهمة وطنية للقطاعات الاقتصادية التالية:

- النفط والغاز.
- كهرباء لبنان.
- الاتصالات.

يكتتب بها أفراد الشعب اللبناني فقط ولا تتجاوز نسبة الملكية للأسرة الواحدة 0.5% من الأسهم.

18- تسوية أوضاع الأملاك العامة البرية والبحرية وإلغاء التعديات كافة واعتماد مبدأ التأجير على ألا تقل قيمة الإيجار عن 5% من القيمة السوقية للعقارات السائدة منذ العام 1994 وحتى تاريخه.

19- عدم المساهمة بموازنات الهيئات التي لا تتوخى الربح ووقف جميع العطاءات الخاصة.

20- منع التهريب بكافة أنواعه وأشكاله.

21- وقف سياسة الدعم فور تنفيذ التدابير المذكورة أعلاه

22- توحيد سعر صرف العملات الأجنبية بالنسبة لليرة اللبنانية بعد اتخاذ التدابير المالية والتدابير المذكورة أعلاه.

23- إصدار قانون لضمان الودائع سواء بالليرة اللبنانية او بالعملات الأجنبية على أساس سعر الصرف السائد في السوق ولا سيما الودائع الصغيرة والمتوسطة منها.

24- اعتماد نظام ضريبي حديث وعصري يقوم على الضريبة العامة التصاعدية على الدخل – والضريبة العامة التصاعدية على الانفاق .

25- إخضاع مصرف لبنان للتدقيق المحاسبي من قبل ديوان المحاسبة وإيداع تقارير التدقيق الى كل من رئيس الجمهورية ومجلس النواب والوزراء ونشر التقرير في الجريدة الرسمية .

إننا ندعو السلطة السياسية في لبنان وكافة القوى السياسية وهيئات المجتمع المدني الى اعتماد هذا الحل المقترح باعتباره الحل الأعدل والأفضل في ظروف الأزمة الخانقة التي يعاني منها الشعب اللبناني، والمبادرة فوراً إلى تأليف حكومة إنقاذ سياسي اقتصادي بصلاحيات تشريعية استثنائية ولفترة انتقالية، يصار في نهايتها الى اعداد قانون انتخابي جديد تجري على أساسه انتخابات نيابية حرة ونزيهة لتنبثق عنها سلطة جديدة لاستكمال الحل المقترح.

إن الإنقاذ الوطني يستأهل منا جميعاً التضحية العادلة.

الوطن يناديا، وعلينا تلبية النداء

الدكتور حسين ظاهر

فكرة حياد لبنان

طُرحت في الآونة الأخيرة دعوةٌ إلى حياد لبنان، بما يعني التنصُّل من مشاكل المنطقة ونزاعاتها، والابتعاد عن التحالفات وأثمانها، لعلَّ شعب لبنان يعيش آمناً مستقراً وينعم بالسلام ضمن حدود يتمُّ ترسيمها جنوباً وشرقاً وشمالاً.

نظرياً تبدو الفكرة ممكنة وجذابة، أما في الواقع إنّ الأمر يتطلّب دراسةً معمّقةً لمسألة الحياد من حيث الأصل والمفهوم، والسوابق التاريخية بحيثياتها وشروطها، ودور الدول القريبة والبعيدة في إقرار الحياد وتثبيته، أو خرقه وإسقاطه. من غير أن نغفل أهمية الموقع والوضع الجيوسياسي للبلد المطلوب حياده.

إذن ما هو الحياد الدولي؟ لجهة مفهومه وجذوره التاريخية وتطوره، والحالات التي شهدت هذه الظاهرة وصولاً إلى فرضية "حياد لبنان".

الحياد مبدأ من مبادئ القانون الدولي العام، ظهر لأول مرة في مؤتمر لاهاي 1907، إذ تضمّنت الإتفاقيات الناجمة عن المؤتمر نصوصاً تُحدّد حقوق الدول المحايدة والتزاماتها. وتَقَرَّر أنه لا يحقّ لدولةٍ محايدةٍ المشاركة المباشرة في نزاع مسلح أو مساعدة أحد الأطراف.

والحياد قد يكون طوعياً مؤقتاً، أو تعاقدياً دائماً. فالأول، يبدأ مع اندلاع أزمةٍ مسلّحةٍ بين دولتين أو أكثر، وينتهي بانتهاء الأزمة. أمّا الثاني فهو حيادٌ دائمٌ مستمرٌ، تلتزم به الدول بموجب معاهدةٍ تقضي بمراعاته في كل الحالات. كما تفرض على هذه الدول عدم القيام بأيّ حربٍ هجوميةٍ. فالحياد يُرتّب على الدولة التي تُطالب به بعض الواجبات والحقوق:

لجهة الواجبات فإنها تتلخّص بمبدأين: الإمتناع، وعدم الإنحياز. فمبدأ الإمتناع يفرض على الدولة المحايدة عدم تقديم أيّ مساعدةٍ لأحد الطرفين المتحاربين. كما تمتنع عن حماية رعاياها الذين قد يجازفون

ويخرقون الحياد. وتفسح المجال للدولة المتضرِّرة كي تتّخذ الإجراءات اللازمة بحقهم دفاعاً عن مصالحها. أما مبدأ عدم الإنحياز فيفرض على الدولة المحايدة معاملة جميع الدول المحاربة بالمساواة التامة.

وحقوق الدول المحايدة توجز أيضاً بعبارتين: حصانة أراضي هذه الدولة، وتمتّعها بحرية علاقاتها التجارية مع جميع الدول بما فيها الدول المحاربة.

وليس من الضروري ان تكون الدولة المحايدة طرفاً في المعاهدة التي أنشأت حيادها، وضَمِنته. مثال سويسرا، التي ضمنت الدول الأوروبية حيادها في إطار مؤتمر فيينا 1815، وأعادت معاهدتا فرساي وسان جرمان تأكيد هذا الحياد عام 1919، من غير أن تُشارك سويسرا بالتوقيع عليهما. احترمت الدول حياد سويسرا، والحكومة السويسرية رفضت الإنضمام إلى منظمة الأمم المتحدة، تجنّباً لأيّ التزام قد يتناقض مع حيادها. على العكس من ذلك، إنَّ الحياد البلجيكي القائم على معاهدة لندن 1831، قد خُرِق من قِبَل القوات الألمانية عام 1914 وعام 1940. ولم تعُد بلجيكا دولةً محايدةً بعد الحرب العالمية الثانية، وانضمَّت إلى حلف شمالي الأطلسي.

إذن يتوجَّب على الدولة المحايدة أن تمتلك القوة اللّازمة لمنع أيّ خرقٍ لأراضيها، مثال سويسرا التي احتجزت عشرات الآلاف من الجنود الفرنسيين الذين انتهكوا حرمة أراضيها عام 1871، وكذلك في 20 حزيران 1940.

أمّا بالنسبة للبنان، بموقعه الجغرافي المهمّ استراتيجياً، وبانتمائه الحضاري، والذي ارتبطت مصالحُه الإقتصادية والأمنية تاريخياً بعمقه العربي، والذي عانى كثيراً من ارتدادات احتلال فلسطين من قبل الغزاة الصّهاينة منذ العام 1948 حتى اليوم. ولا تزال أجزاءٌ من أراضيه تحت الإحتلال الإسرائيلي. فلبنان جزءٌ لا يتجزّأ من "قضية الشّرق الأوسط"، وطرفٌ من أطراف النّزاع، وبالتالي من المستحيل أن يتقوقع وينعزل عن محيطه الحيويّ، فيُصبح كالنّعامة التي تغرس رأسها في الرّمال طلباً للنجاة.

في الواقع، هناك عوائق حقيقية أمام "الحياد اللّبناني"، وهي بمنزلة شروطٍ يكاد يُجمع عليها الإختصاصيون في القانون الدّولي العام، وينبغي تنفيذها لتحقيق فكرة الحياد. وهي تتمثل بما يلي:

1 – موافقة غالبية اللبنانيين على الحياد.

2 – موافقة الدول المجاورة للبنان على حياده.

3 – قدرة لبنان على حماية حياده بنفسه.

أولاً، من البديهي أنَّ الحياد يتطلب تعديلاً دستورياً مستنداً على استطلاعٍ لرأي اللّبنانيين. لكنَّ أيّ استفتاءٍ شعبيٍّ حول موضوع الحياد، لا يستقيم في لبنان في ظلِّ غياب أيّ إحصاءٍ سكانيٍّ منذ العام 1932. ناهيك عن التّناقضات الإيديولوجية والسياسية بين فئات الشعب اللبناني.

ثانياً، بالنسبة لدول الجوار، أي سوريا و"إسرائيل"، فهل توافق كلٌّ منهما على حياد لبنان؟

من الثابت أنَّ سوريا لن تُفرّط مطلقاً بورقة لبنان كحليفٍ جدّي، ولن تتركه أبداً مصدرَ تهديدٍ لأمنها القومي. و موقف "إسرائيل" قد يكون سلبياً، وفي حال قبلت بهذا الحياد، فإنّه سيكون على الأرجح، قبولاً مرحلياً وعارضاً، هدفه جرّ لبنان للإعتراف بها قانونياً. وبالتالي تعود وتنتهز أيّ فرصةٍ مناسبةٍ لتحقيق أهدافها التوسعية، وأطماعها باستغلال موارد لبنان الطبيعية. واستخدام قمم جباله العالية للتجسّس، وتركيز قواعد لمنصّات الأسلحة الإستراتيجية.

ثالثاً، من الواضح أنَّ لبنان غير قادرٍ، بإمكاناته الذاتية، على حماية حياده بنفسه. فهو يُعتبر الحلقة الأضعف بقدراته العسكريّة المحدودة، ولا جدوى من الوعود والضمانات الدّولية نظراً للصّراعات الإقليميّة والدّولية، وتضارب مصالح وسياسات الدّول الكبرى تجاه لبنان.

ثم نعود إلى السؤال: هل تمكّن المجتمع الدولي، وأصدقاء لبنان من الدول الغربية، من حماية لبنان من الإنتهاكات والإعتداءات الإسرائيلية في الخمسينيّات، والستينيّات، والسبعينيّات من القرن الماضي؟

لقد كانت الحكومات اللّبنانية المتعاقبة تتبع سياسة "قوة لبنان في ضعفه". أي أنّنا مسالمون ولا نعتدي على أحد. هذه السّياسة، التي ليست سوى نوعاً من الحياد "المقنّع"، لم تُفلح في حماية اللّبنانيين من الإعتداءات الإسرائيلية. ولم تمنع إسرائيل من اجتياح جنوب لبنان عام 1978، ولا من وصول جيشها إلى العاصمة بيروت عام 1982.

إنّ قراءةً واعيةً لتاريخ لبنان والمنطقة تؤكّد أنّ من يستطيع المحافظة على الأراضي اللّبنانية، وحماية اللّبنانيين من الإعتداءات والمخططات الصّهيونية والإرهابيّة، هي قوّةُ لبنان الحقيقية التي تبلورت في ثُلاثيّة الشّعب والجيش والمقاومة. وقد بدأت نتائجها تظهر منذ معادلة تفاهم نيسان 1996، إثر عمليّة "عناقيد الغضب الإسرائيليّة"، وصولاً إلى طرد جنود الإحتلال من بيروت، وملاحقتهم إلى إنهاء "الشريط الحدودي"، وانكفاء الإسرائيليين إلى ما وراء الحدود اللّبنانية مع فلسطين المحتلّة. باستثناء مزارع شبعا وتلال كفرشوبا، وجزءٌ من قرية الغجر اللّبنانية.

ثم نتساءل أيضاً، هل بإمكان سياسة الحياد أن تضمن سلامة وأمن اللّبنانيين إزاء خطر الإرهاب التّكفيري والداعشيّ؟ هل تمكّن التّحالف الدّولي، على مدار عشر سنواتٍ، من حماية العراقيّين والسوريّين واللّبنانيّين...من مجازر الإرهابيّين؟!

إنّ لبنان اليوم على مفترق طرق، إمّا أن يخضع للضّغوطات الغربية والصهيونية، ويتخلّى عن مكامن قوّته، ويعود إلى حالة الضّعف والوهن والاستسلام تحت شعار "الحياد الوهم"؛ وإمّا أن يحتفظ بقوّته وبقدرات شعبه، وأن يتعاون بشكلٍ جدّي وفاعلٍ مع أقرانه من القوى والدّول المتضرّرة من الإحتلال الإسرائيلي، ومن سياسات الكيان العنصريّ القمعية والتوسعية.

فلنعقل... ونعود إلى ترميم وحدتنا الوطنية، ونحافظ على مصادر قوّتنا الفعلية، كي ننعم بالسّيادة والإستقلال، ونعيش في عزّةٍ وكرامةٍ. في زمنٍ لا تعرف فيه العلاقات بين الدّول سوى المصالح ولغة القوّة.

الحاج حسيب عواضة : تجربتي مع العمل الاجتماعي الخدماتي

بدأت ممارسة العمل الاجتماعي منذ العام 1956، عندما كنت في السادسة عشرة من العمر، بعد أن تركت المدرسة آنذاك، لأتحمل مسؤولية متابعة العمل التجاري الذي كان يمارسه والدي، على أثر إصابته بحادث في العمل أدى الى إعاقته مدة تزيد على ثلاثين سنة. ورغم هذه المسؤولية وأنا التاجر الشاب آنذاك، والمسؤول عن أسرة مؤلفة من أب وأم وثمانية أولاد، كنت في مقدمة المجموعة التي تعمل على جمع"ليرة" من التجار في مدينة النبطية، ومن المتمولين، و أصحاب المصالح المنتجة... وذلك لمساعدة الفقراء و المحتاجين من الاخوة الفلسطينين الذين تهجروا قسراً من فلسطين بإتجاه مدينة النبطية، وأقاموا فيها، وكانت أحوالهم آنذاك تتطلب المساعدة لتأمين الحاجيات الضرورية، كالمواد الغذائية ومتطلبات السكن و الأدوية ... كونهم تركوا بيوتهم قسراً وهرباً من الحرب، والتدمير، والقذائف الصاروخية التي استخدمها يومذاك الإستعمار الداعم لليهود، والذي وعدهم بوطن قومي يهودي في الشرق الأوسط، تمثل بدولة فلسطين المغتصبة .

استمر العمل الاجتماعي لهذه المجموعة ، ولمجموعات أخرى تابعت هذا النوع من النشاطات ...

عشت سعادة داخلية ، يصعب وصفها، وارتحت لها في هذا العمل الخيري ، لايضاهيها أية سعادة أخرى سوى واجبي كمعيل لأسرتي وتأمين متطلباتها الحياتية والإفتخار بذلك.

شرعت جمعية الكشاف العاملي على سد الثغرات الموجودة في مدينة النبطية، على أثر نكبة فلسطين، التي أثرت سلباً على الاقتصاد ، وقد استطاعت تأمين المساعدات لبعض المحتاجين . لكن تفاقم الوضع الصحي والاقتصادي والاجتماعي دفعنا أنا ومجموعة من شباب النبطية (لأهمية العمل الجماعي) الى التحرك لإخراج المدينة من هذا الكابوس، فقمنا بالتواصل مع بعض المغتربين الذين لبوا النداء، و كان لهم دور اساسي في بلسمة الجراح، واعادة التوازن الى الوضع الاجتماعي ... وفي عام 1969 تمكنا من الحصول على ترخيص لجمعية تعنى بالشأن العام، فكانت جمعية هيئة الخدمات الاجتماعية التي كان لي الشرف أن أكون من

الأعضاء المؤسسين، ولاحقاً الأعضاء الاداريين ، وحالياً رئيساً لهذه الجمعية ، التي ساهمت ولا تزال في سد ثغرة في الواقع الاجتماعي والاقتصادي الصعب.

في العام 1988 تأسست في مدينة النبطية جمعية هيئة حماية البيئة والحفاظ على التراث، وكنت أيضاً من المؤسسين ، ثم من أعضاء الهيئة العامة ، وحالياً ضمن هيئتها الادارية، مسؤولاً للعلاقات العامة للأندية.

في العام 1996 بدأت هيئة تكريم العطاء المميز ممارسة نشاطاتها التكريمية، وحصلت على العلم و الخبر في العام 2000 ، وقد انضممت الى هيئتها العامة في العام 2016، بعد أن استحدثت ضمن نشاطاتها تكريم البيئة ، وتكريم المجتمعات كتكريم جبل عامل... وقد انتخبت في هيئتها الادارية في العام 2018. ولا نزال نتابع نشاطاتنا ، رغم الأوضاع الاقتصادية والمالية الصعبة، والآن وفي ظل أوضاع كورونا، لازلنا نتابع النشاطات التكريمية، فكان تكريم الاغتراب اللبناني، وتكريم بعض المتميزين في أدائهم لأدوارهم الاجتماعية في الميادين التربوية والثقافية والفنية ... ونحن الآن نصدر مجلة الكترونية "مجلة معرفة وعطاء" وقد صدر منها العدد الأول في تموز 2020 ، ونحن بانتظار صدور العدد الثاني في كانون الثاني 2021.

علاوة على ما تقدم مشاركتي المتواضعة في عضوية و نشاطات وخدمات جمعيات أخرى، كجمعية تجار النبطية، وجمعية الكشاف العاملي، وأيضا جمعية التعاضد الخيرية ولجنة عاشوراء وغيرها ...

ورغم أن هذه المشاركات كانت تستثمر وقتي الخاص ، فإنها مثلت لي الهواية الأساسية التي تسعدني، وتشعرني بأنني أسعى الى ممارسة تعاليم التربية الاسلامية، التي تتطلب المساهمة في تحقيق التكافل الاجتماعي في مجتمعاتنا . وقد توصلت، من خلال هذه التجارب المتعددة التوجُّهات، الى استنتاج وتحديد نقاط أساسية تساهم في إنجاح و تطوير العمل الاجتماعي الخدماتي في كل الميادين.

1- ماهو العمل الاجتماعي؟

هو العمل الذي يقوم على عدد من المبادئ الانسانية التي تساهم في دعم ومساندة المجتمعات، كمواكبة مساعدة البشر في حياتهم إبان الحروب والنكبات والأوبئة ... وغالباً ما يكون هذا النوع من العمل الاجتماعي تطوعياً لكي يعطي مردوده الخدماتي، فيطال كافة الميادين، ويسعى الى مساعدة الفقراء

والمحتاجين وكبار السن و المعوزين و المعوّقين، عن طريق تأمين أسباب وأساليب العيش الكريم لهم. وكذلك نشر المعرفة بالأساليب والوسائط المختلفة .

2- مقومات العمل الاجتماعي:

يحتاج أي عمل كي يؤدي فائدته المرجوة للفئات والشرائح المجتمعية على اختلاف انواعها، وخاصة العمل في الميدان الاجتماعي الخدماتي، الى مقومات محددة تظهر فاعليتها، في هذا المجتمع أو ذاك ، ومن هذه المقوّمات :

- أن يكون جماعياً يقوم به عدد من الأفراد، ولا يتحمل أعباءه فرد واحد، وأن يرتكز على القيادات المحليّة (من داخل المجتمع).
- أن يهدف الى تحسين فرص الحياة الاجتماعية، وزيادة معدل الإعالة وتحسين مستوى المعيشة، وهذا يتطلب معرفة دقيقة لأفراد المجتمع.
- يحتاج الى استخدام الأساليب والأدوات التي تتوافق مع ثقافة المجتمع، والتي تساعد في ضمان نتائج جيدة للوصول الى الأهداف المرجوّة. دون الدخول في صراعات مع قوى الأمر الواقع، الأمر الذي يؤدي الى تعطيل العمل الخدماتي.
- الإعتماد على الإحصاءات والمعلومات والحقائق ، عن طريق عمل ميداني دقيق، أو الإستعانة بدراسات سابقة والإستفادة من نتائجها.
- الإعتماد في القيادة ، على الأختصاصيين الاجتماعيين المؤهلين علمياً (نظرياً وعملياً)، لأداء مهام معينة في العمل الاجتماعي.
- إيقاظ الوعي العام في المجتمع الذي يمارس فيه العمل الاجتماعي، و خاصة حول المشكلات التي تعالج في المجتمع، وإظهار مدى خطورتها وآثارها السلبية ، والنتيجة التي ستوصل المجتمع اليها في حال عدم معالجتها.

3- أهمية العمل الاجتماعي الخدماتي:

لقد أضحى العمل التطوعي في عصرنا الحالي ضرورة من ضرورات الحياة، لما له من رسالة اجتماعية هدفها المشاركة في تنمية المجتمع، وتعزيز تماسكه، وخاصة أن الحكومات باتت تعوّل

عليه كشريك لها في مسيرة البناء التي تنشدها في كل الميادين الاجتماعية . هذا العمل الضارب بجذوره في عمق التاريخ، ضمن إطار الجماعة التي تقتضي التعاون معها، ومساعدة من هو بحاجة للمساعدة. وقد ظلت هذه القيمة مترسخة في الإنسان و ساهمت الحضارات الإنسانية في ترسيخها والرفع من شأنها ليبقى هذا النوع من العمل قيمة انسانية .

4- الأهداف التي يؤديها أو يسعى الى ادائها العمل الاجتماعي في كل الميادين.

تسعى الجمعيات ومؤسسات العمل الاجتماعي ومراكز الخدمة الاجتماعية والأندية الى تحقيق عدد من الأهداف الخدماتية التي تحتاجها المجتمعات، لمحاربة الفقر والحاجة والحرمان، والى تطوير الأنظمة... وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر منها ما يلي :

- غرس التعاون الإنساني والاجتماعي بين المواطنين ، وخدمة الإنسان لأخيه الإنسان بكل إخلاص وتجرّد من الذاتية .
- إعالة و إغاثة المحتاجين والمعوزين والبؤساء في جميع الحقول والميادين .
- حشد أكبر عدد ممكن من المتطوعين للإستفادة من طاقاتهم في سبيل الخدمة العامة في مجتمعهم .
- تنشيط السياحة في المناطق اللبنانية .
- الحد من أعمال التسوّل والتشرّد عن طريق معالجة أوضاع هؤلاء من الناحية المادية والمعيشية والمعنوية .
- تأمين ما أمكن من خدمات صحية و اجتماعية للمناطق .
- خدمة المناسبات الدينية و الوطنية .
- الإهتمام بتنمية ذوي الإحتياجات الخاصة .
- النهوض بالأسرة على الصعيد الثقافي، الصحي والتربوي.
- تحسين أداء الممرضين والممرضات والعاملين في القطاع الصحي. وخاصة بعد إنتشار جائحة "كورونا" .
- تكريم النخبة من العاملين بإمتياز .
- رفع مستوى الثقافة .
- توسيع آفاق المعرفة ، و تشجيع الطليعة من المواطنين الذين يقدِّمون لوطنهم أعمالاً جليلة و مميزة.

- تأمين مراكز لرعاية الطلاب ليلاً وهي عبارة عن مراكز تقوية ، وأخرى لتعليم الكبار ومحو الأمية .
- تأمين مساكن شعبية لذوي الدخل المحدود، عن طريق المساعدة المباشرة .
- وضع برامج لمكافحة الآفات الاجتماعية .
- المساهمة و المشاركة في وضع برنامج للسير والنظافة . وتنظيم مهرجانات سنوية لتأمين الترفيه والتسلية وملء أوقات الفراغ القاتل.
- العمل مع الناس وتمكينهم من تحقيق أفضل مستويات ممكنة من الرفاهية الشخصية والاجتماعية.
- العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال التنمية الاجتماعية والتغيير الاجتماعي.
- دعم مصالح وحقوق الناس.
- العمل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات في السعي وتحقيق الوصول العادل إلى الموارد الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية. تقديم المساعدة، لتحسين رفاهية لأفراد المجتمع.
- تقديم المساعدة للأفراد الذين يُواجهون إعاقة أو مرضًا، يُهدد الحياة أو مشكلة اجتماعية، مثل؛ السكن غير اللائق أو البطالة أو تعاطي المخدرات.
- مساعدة العائلات التي تشكو من مشكلات منزلية خطيرة، تنطوي أحيانًا على إساءة معاملة الأطفال أو الزوج.
- إجراء البحوث والدعوة لتحسين الخدمات، والانخراط في تصميم النظم، أو المشاركة في التخطيط أو تطوير السياسة.

5- دور الجمعيات في تطوير العمل الخدماتي في لبنان

تطوّر دور الجمعيات الأهلية في لبنان من مجرد إغاثة المحتاجين، إلى دور إنمائي متقدّم ومتنوّع على أكثر من صعيد. هذا التطور ساهم بتعزيز حضورها على المسرح اللبناني ما أدّى إلى الإعتراف بها وبدورها الذي بات حاجة ماسة..

وهكذا بات عمل الجمعيات يشمل تقديم الخدمات المختلفة إلى المحتاجين، بما في ذلك الخدمات الصحية، وتلبية الحاجات الخاصة للفقراء، مثل توزيع الأغذية والملابس والأدوية في أوقات الكوارث والأزمات، إلى جانب القيام بأعمال إنمائية تركّز بصفة أساسية على الجماعات الفقيرة إلى جانب تقديم خدمات استشارية، وبحوث ودراسات تلتزم قضايا المجتمع. وطال أيضاً البيئة والمرأة وحقوق الإنسان في أوقات السلم والحرب على حد سواء.

الدكتور علي زين الدين: العلوم الجغرافية في القران الكريم

بين الإنتظام العقلاني واستبعاد الأخلاق

إن من يعتقدون بمفهوم الإنتظام العقلاني، يعارضون كلياً تواجد السلوكيات الأخلاقية بينها، وفي هذه الحال لاتقف المسألة عندهم عند حد إخضاع الظواهر السلوكية لمقاييس الحساب والتجربة ، بل تتعداها إلى أن تطلب محو بنية السلوك الأخلاقية، التي ورثها الإنسان عن الحكمة الدينية، وان تستبدلها ببنية أخلاقية تتصف بالتالي:

أولاً،أنها علمية، إذ تتفرع من المعرفة بالأسباب المادية التي تحدد الطبيعة الإنسانية، بيولوجية كانت أم إجتماعية أم نفسانية.

ثانياً:أنها علمانية،إذ تقطع الصلة بكل القيم التي لاتولدها مقتضيات التقدم العلمي– التقني. وبذلك، وحسب وجهة نظر هؤلاء ،**لافطرة إلا للمعاني المؤسسة للأخلاق العلمية والعلمانية.**

كان لابد من هذا التقديم للدخول في موضوع بحثنا، الذي يعتمد في حيثياته على إثبات عدم تعارض العلم في ما نورده من حقائق جغرافية تجسدت في كثير من آيات القرآن الكريم ، خاصة وأن العديد من الكتاب والباحثين يشككون في هذا الأمر، ويعتبرون أن بعض المفسرين لآيات القرآن الكريم، يحاولون المواءمة بين مضمون تلك الأيات وبعض الحقائق الجغرافية. قد يكون لهؤلاء المشككين بعض العذر، وذلك بعدما لمسوا أن الكثير من المفسرين اختلف في تفسير آيات القرآن الكريم. فالبعض اخذ بمعناها الظاهري،والأخر أخذ بتأويلها، وأخرون فسروها في غير سياقها ومضمونها كلياً.

لذلك فإن استسهال المضمون عبر (وضوح) اللغة أو مدلولها هنا ليس متساوياً،بل ليس صحيحاً عند كثير من الناس. فكم من كلمة قرآنية يحسبها قارئها"واضحة"وهي ليست كذلك!لأن معيار القارئ هذا هو (الدارج) بين الناس في وقته وبلده، وليس المدلول الذي يهدف اليه القرآن الكريم فعلاً.

فعلى سبيل المثال لا الحصر،سنورد بعض الكلمات التي قد يفسرها البعض على غير معناها ،كما وردت في بعض الآيات. فكلمة(**النحاس)** تعني : دخان من غير نار، وكلمة **(سائحات)** معناها في الآية

صائمات أو مهاجرات، وكلمة **(نجم)** هي شجيرة من غير ساق. ومع ذلك هذا لايمنع من بقاء المعاني الأخرى غير ممنوعة.

ولذلك، وبعدما تطورت العلوم في شتى المجالات الجغرافية، الفلكية، الفيزيائية،والبيولوجية وغيرها، اتضح للباحث الموضوعي وجود الكثير من تلك الحقائق، التي أثبتتها تلك العلوم، في نصوص وآيات القرآن الكريم، ولم يتم الإنتباه الى مضمونها ومغزاها،فبقيت وكأنها درر مكنونة، تنتظر من يغوص عليها ويستخرجها.

فإذا كان بعض المفكرين يظنون، كما يقول استاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة القاهرة، الدكتور محمد الدسوقي أن بالعقل وحده يعيش الإنسان،ويستطيع الدخول الى جوهر الأشياء[8] ، فالحقيقة غير ذلك. إذ إن هناك ملكة أخرى غير العقل، وفوق العقل لتجاوز الجزئيات اللامتناهية في هذا الكون، والنفاذ الى ماهو كلي فيه..فالعلم متصل بالدين، والعمل مرتبط بالإيمان، والأرض غير بعيدة عن السماء ، والسماء متصلة بالأرض(بالمفهوم الإيماني)،والتقدم الحضاري يسير صعداً الى السماء.

لقد جاءت الكشوفات الجغرافية والفضائية لتقدم البراهين القاطعة على ذلك الترابط الوثيق بين العلم والدين في هذا المجال.فكيف تطورت الحغرافيا ؟،وكيف تحولت الى علم ؟،بل هناك من يطلق على هذا المجال من المعرفة اسم " **أم العلوم**"

وقبل تبيان هذا الترابط الوثيق بين العلوم الجغرافية الطبيعية والفلكية بشكل خاص وما ورد بصددها في القرآن الكريم،لا بد من إعطاء لمحة عن تطور الجغرافيا عبر العصور.

الجغرافيا من وصف سطح الأرض الى علم المجال الجغرافي

أن الجغرافيا كغيرها من ميادين المعرفة البشرية، تطورت مع تطور الأنسان الفكري والمعرفي،وتدرجه في سلم الترقي الحضاري، نتيجة تراكم معارفه مع مرور الزمن ، والإستفادة من تجاربه السابقة،إما نتيجة الملاحظة ، أو الإستفادة من تجارب مجموعات بشرية أخرى، وهذا ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية ، حيث يستطيع عن طريق دماغه الأكثر تطوراً من دماغ تلك الكائنات، تخزين تلك المعارف والإضافة عليها.

[8]–مجلة الجامعة الإسلامية، تصدر عن الجامعة الإسلامية في بيروت العدد الثاني نيسان 1994، ص.6-

والإنسان بطبعه جغرافي،فهو ينطلق منذ ولادته من حيزه الجغرافي في حضن أمه الى بيته ومحيطه، ومن ثم الى الحي فالبلدة او المدينة. الخ.وهكذا كلما اتسع مجاله الجغرافي كلما زادت مداركه عن تلك المناطق الجديدة واتسع مجاله الجغرافي.

هكذا بدأت القبائل والشعوب ، بعدما زادت أعدادها واضطرت الى الإنتقال الى أماكن أخرى لها ولقطعانها بحثاً عن الماء والكلأ والإستقرار.وكذلك في البحر كانت رحلات الفينيقيين في بداية الأمر قريبة من الشاطئ، ثم زاد مدى هذه الرحلات عمقاً ومسافة، بعد التطور الذي شهدته صناعة المراكب والأشرعة من حيث الحجم والمساحة، حتى استطاعوا اكتشاف كامل حوض البحر المتوسط. وقد كان حنون الفينيقي قد دار حول أفريقيا ووصل الى رأس الرجاء الصالح قبل ان يصله ماجلان بآلاف السنين. ويقال أن الفينيقيين سبقوا كريستوفر كولومبس وأميركو فاسبوتشي الى اكتشاف القارة الأمريكية.كما أن مارينوس الصوري قال بكروية الأرض ، وقسمها الى خطوط طول ودوائر عرض، في حين أن علماء اليونان كانوا يعتقدون بأن الأرض مسطحة ،وبعضهم اعتبرها مستديرة على شكل قرص.

والواقع ، وإن كان اليونان الذين ينسب اليهم تطور علم الجغرافيا، وخاصة على يد بطليموس وإيراتوتستين وسترابون وغيرهم – دون أن ننسى الرومان في هذا المجال– إلا ان هذه الشعوب كانت قد سبقتهم الى الكشوفات الجغرافية شعوب أخرى مثل الفينيقيين والمينويين.كما أن سكان بلاد مابين النهرين من السومريين والبابليين، وكذلك كان للمصريين أثر هام بالمعارف الجغرافية من خلال اهتمامهم بعلم الفلك والمساحة ورسم الخرائط.

أماالعرب فقد ساهمت جهودهم في نهضة العلوم الجغرافية، خاصة وأن الكثير من الرحالة أمثال ابن بطوطة وابن باجة والجغرافيين الآخرين مثل الخوارزمي والكندي والمسعودي والإدريسي، قدأضافوا الى المعارف الجغرافية كماً كبيراً من المعلومات. ويكفي أن نذكر من هذا التطور الهائل في الجغرافيا الذي تحول على أيديهم الى علم،عندما طلب المأمون من بعض العلماء المهتمين بهذا الشأن، قياس محيط الأرض وقطرها، وقد تم حساب ذلك بشكل قريب من القياس الحالي ،ودونه المؤرخون وذكره علماء الفلك المعاصرون، ولقد لجأ العلماء العرب المسلمون لعدة طرق للقياس، ومنهم أبو الريحان البيروني، حيث توصل لطريقة جديدة لحساب محيط الأرض، وكانت طريقته في القياس أقرب إلى قيمة قريبة من القيمة الحالية لمحيط الأرض.

وكان الأدريسي اول من رسم مجسماً للكرة الأرضية وقدمها لملك صقلية "روجرز الثاني" الذي جعله مستشاراً له ، وبذلك يكون هذا العالم العربي قد كرس مفهوم كروية الأرض من خلال كرته العملاقة، ومن

خلال قوله في كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، أن الأرض كورة والماء ملتصق بها. وهو بذلك أيضاً سبق نيقولاس كوبر ،بالتأكيد على مفهوم كروية الأرض، بعدة قرون.

إن الجغرافيا بمفهومها الحالي، تطورت مع سياق تطور العلوم المختلفة التي شهدتها القارة الاوروبية منذ منتصف القرن التاسع عشر.ففي هذه الفترة أخذت الجغرافيا تنحو منحى علمياً،. وانتقلت من مرحلة وصف سطح الأرض إلى علم المجال الجغرا في، وعلم الإختصاصات المتعمقة في مجالات العلوم الأرضية والعلوم الإنسانية على حد سواء، هادفة الى شرح الأنماط المتنوعة لتلك المجالات، ودراسة أوجه التشابه والتباين بين الأقاليم المختلفة في البيئات بعناصرها الطبيعية، مثل شكل سطح الأرض والتربة والمناخ وموارد الثروة، كأساس وقاعدة لفهم العناصر الحضارية المترتبة عليها.

والجغرافيا بقدر ماتدرس سطح الأرض لكونه مجالاً ينشط فيه الإنسان، تدرس كذلك جوف الأرض الذي تحدث فيه ومنه الزلازل والبراكين، والغلاف الجوي الذي يشكل لها الدرع الواقي من شآبيب النيازك والشهب التي تتبدد وتحترق فيه قبل أن تصل اليها وتقضي على الحياة فيها، وفي هذا الغلاف يوجد الأوكسجين الذي يمد الكائنات الحية بالحياة، وفيه تحصل العمليات المناخية التي تؤدي الى سقوط الأمطار. وكذلك فالأرض ليست منفصلة عن الفضاء الخارجي ، فهي تشغل جزءاً منه، تسبح فيه،وتدور حول الشمس وتتأثر بجاذبيتها وتستمد منها النور والحرارة ، وحتى القمر الذي يدور حول الأرض، له تأثيرات متعددة على مجالنا الأرضي.[9]

أما كيف عرضت هذه المعلومات والمفاهيم الجغرافية في القرآن الكريم، فهذا ما سنتطرق اليه في هذا البحث الموجز، أو بالأحرى ما سنبحث في جزء صغير منه، فالبحث في هذا المضمار يطول، ويحتاج ربما الى مجلدات.ولذلك سنقتصر الكلام على بعض من هذه الظواهر الكونية والجغرافية، محاولين قدر الإمكان فهمها من المنظورين القرآني والعلمي الجغرافي.

1- الأرض والسماء

أ- (الأرض)

الأرض في اللغة العربية: اسم جنس للكوكب الذي نحيا عليه, وهي لفظة مؤنثة والأصل أن يقال:(أرضه), والجمع(أرضات) و(أرضون) بفتح الراء أو بتسكينها, وقد تجمع على (أروض) و(أراض). ويعبر (بالأرض) عن أسفل الشيء. كما يعبر (**بالسماء**) عن أعلاه, فكل ما سفل من الشيء هو أرضه, وكل ما علا منه هوسماه .●[10]

[9]-زين الدين ، علي، عجالة في الجغرافيا البشرية، بيروت 2008، ص.ص: 9-10

● [10]- الأرض في اليونانية تعني Earth أو Eardaوتعني التربة

وفي (لسان العرب) السماء من السمو والعلو، ومن هنا قيل للسحاب ،السماء لأنها عالية.والسماء تأتي في القرآن الكريم مذكرة، كقوله تعالى:(السماء منفطر به) وليس منفطرة به،والسماء بحد ذاتها تأتي بصيغة الجمع ومفردها سماءة. ونستدل على ذلك بقوله تعالى:

(ثم استوى الى السماء .....فقضاهن سبع سماوات).[11]. كما جاءت السماء بصيغة المؤنث

(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج).[12] وفي سورة الرحمن(والسماء رفعها ووضع الميزان).إذن فالسماء متعددة المعاني ومتعددة التصريف في آن واحد.وهذا يؤكد ماطرحناه من إشكالية عدم الأخذ بمعاني الكلمات الواردة في القرآن الكريم إلا في سياقها الذي جاءت فيه.

وبالعودة الى علاقة الأرض بالسماء، فقد كان علماء الفلك القدماء ومنهم طاليس وديموقريطس وليوكيبوس اليونانيو يعتقدون أن الأرض مسطحة وتطفو على الماء مثل الحطب.كما اعتبروها أنها هي مركز الكون ،اي أنها ثابتة ولها أجرام سماوية أخرى تدور حولها. هكذا اعتقد بطليموس اليوناني كذلك، واستمر هذا الإعتقاد لمدة ألفين عام حتى جاء العالم **كوبرنيكوس** (1473–) 1543 ونشر نموذجه الذي يشير إلى أن الشمس هي المركز وأن الأرض تدور حولها مع مجموعة من الكواكب الأخرى ،التي تم تسميتها لاحقاً بالمجموعة الشمسية.

والشمس ماهي إلا نجم صغير موجود في تجمع هائل من النجوم يسمى المجرة، وهي مجرة درب التبانة التي تضم على مايزيد عن 400 مليار نجم .والشمس على صغرها مقارنة مع حجم المجرة، إلا أنها تساوي بحجمها حوالى مليون وثلاثماية ألف مرة حجم الأرض ، مايعني مدى ضآلة هذه الأرض التي لاتكاد تعادل سوى ذرة غبار متناهية الصغر في هذا لكون اللامتنهي واللامحدود.

أولاً شكل الأرض

وكما كان البشر يعتقدون لفترة طويلة من الزمن أن الأرض ثابتة ،اعتقدوا أيضاً أنها مسطحة , لكن العلماء دحضوا بعد ذلك هذا الإعتقاد ، وأكدوا أن الأرض كروية،وقد أشرنا الى دور الجغرافيين العرب في تثبيت هذه النظرية.

[11]-سورة البقرة، الآية 29

[12]- سورة (ق)، الآية 6

وفي الوقت الحالي ، استطاع العلماء ، ليس تثبيت نظرية كروية الأرض فحسب، بل تحديد قياسات شكلها، وجاذبيتها، ودورانها ، باستخدام نظام تحديد المواقع وغيرها من الأدوات، بالإضافة إلى تحليل الصور المأخوذة من الفضاء بواسطة رواد الفضاء والأقمار الصناعية التي تدور بالآلاف في فلكها وترسل ملايين الصور يومياًعن كل زاوية فيها. حيث بدت لهم الأرض من الفضاء ككرة زجاجية زرقاء مع دوامات بيضاء تحيط بها، وأجزاء ذات ألوان بنية، وخضراء، وصفراء، وبيضاء، فالجزء الأزرق هو الماء والذي يغطي معظم أجزاء الأرض، أما الدوامات البيضاء التي تحيط بالأرض فهي الغيوم، والأجزاء الملونة هي تضاريس الأرض، والأجزاء البيضاء على اليابسة هي الثلج. [13]

أما إذا كانت الأرض كاملة التدوير أم لا، فمنذ القرن الخامس عشر، ثار جدل كبير بين العلماء، بسبب اعتقاد البعض أنها ليست كذلك , وقد ثبت مؤخراً أنهم على صواب حيث أن الشكل الحقيقي للأرض بين الشكل الدائري والشكل البيضاوي أي أنها منتفخة قليلاً من جهة خط الإستواء ومفلطحة عند القطبين.إذ أن قطرها الإستوائي 12756.2 كلم،بينما قطرها القطبي هو 12713.6 كلم، وبذلك يزيد القطر الإستوائي عن القطبي بنحو 52 كلم. مما يؤدي إلى بروز خفيف في الأرض عند منطقة خط الإستواء أو ما يسمى بالتفلطح الاستوائي (بالإنجليزية(The equatorial bulge :، وبالتالي فإن محيط وقطر الكرة الأرضية، يكون أكبر في تلك المنطقة عنه في منطقة القطبين، ولا يكون شكل الكرة الأرضية كروياً بشكل تام.

هذا ماأثبتته كل البراهين والأدلة على كروية الأرض فماذا ورد عن شكل الأرض في القرآن الكريم؟ هل هي مسطحة أم كروية؟ هل هي ثابتة أم أنها تدور؟ وما هي الآيات التي تشير الى ذلك.

وقبل الحديث عن ذلك، وهو حديث ماكان ليحدث لو لم نكن نحن البشر من سكان هذا الكوكب. ومن البديهي أن مقتضيات الحياة والسكن وظروفها على هذه الأرض،كانت ممهدة ومهيأة على أكمل وجه.وهذه بعض من آيات القرآن الكريم التي تشير الى ذلك.

- والأرض فرشناها فنعم الماهدون.[14]

- هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور[15].

- والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم[16].

---

[13]– ورغم هذه الأدلة الدامغة قام ساموبل شينتون، في عام 1956،بتأسيس الجمعية الدولية لبحوث استواء أو تسطح الارض

[14]-سورة الذاريات، الآية 48

[15]-سورة الملك، الآية 15

فالأرض مهدت إذن لساكنيها،وجعلت ذلولة مطواعة بيد البشر، ليستمتعوا بالعيش فيها ويأكلوا من خيراتها. لقد هيأ الله سبحانه للبشر كل مقومات الحياة على هذا الكوكب ،وذلك بخلاف كواكب المجموعة الشمسية الأخرى التي لا حياة عليها في الوقت الحالي.نقول ذلك لأن البعثات الفضائية إلى كل من القمر والمريخ ما زالت تبحث ضمن مكوناتهما عن أي أثر لمواد عضوية، أو عن إمكانية وجود مياه سواءً في الوقت الحالي أو في الماضي السحيق. كما أن العلماء يضعون مبدأ الإحتمالية أمامهم (Probabilté) ، وهو إذا كانت المجموعة الشمسية التي تضم ثمانية كواكب ،يوجد على واحد منها حياة●[17] فمن المحتمل أن تكون هناك حياة أيضاً، في هذا الكون الهائل الذي يضم نحو مائة مليار مجرة كمجرتنا التي (لاتعد الأكبر بين المجرات)،علماً بأنها تضم بحدود 400 مليار نجم ،قد يفوق عدد كبير منها حجمه حجم الشمس وتوابعها من الكواكب.●

إذن من الثابت حتى الأن أن من ضمن أكبر ميزات الأرض، هي أنها المكان الوحيد المعروف في الكون الذي يوجد فيه حياة، وذلك يعود إلى الجو المستقر عليه، كما يحتوى الغلاف الجوي فيه على العناصر بنسب متوازنة، بحيث لا تكون كثيفة جداً، أو خفيفة جداً، وذلك لتكون مناسبة لعيش الكائنات الحية، بالإضافة إلى توفر الماء على سطح الأرض.

كما أن الأرض تبعد عن الشمس مسافة كبيرة جداً، تصل إلى مئة وتسع وأربعين مليون كليومتر ، وبالرغم من ذلك ، يعد كوكب الأرض ثالث أقرب كواكب المجموعة الشمسية إلى الشمس.هذا البعد جعل الحرارة مساعدة على نشوء الحياة عليها ، فالأرض ليست قريبة جداً مثل عطارد والزهرة التي يبلغ متوسط درجة حرارتها الى 464 درجة مئوية، في حين تنخفض على بلوتو، وهو الكوكب الأبعد في المنظومة الشمسية، إلى 200 درجة مئوية تحت الصفر،(متوسطها على الأرض حوالى15 درجة مئوية).يضاف الى ذلك شكلها الكروي ودورانها الدائم اللذان جعلا الحرارة موزعة على كل أجزائها ،بحيث لا تتركز على جهة واحدة منها في الليل أو النهار أو خلال فصول السنة.

لقد ورد اسم الأرض في القرآن الكريم، في 458 موضعاً، وإن كان المفسرون يجمعون على أن ليست كل كلمة أرض وردت في آياته تعني أرضنا هذه.

---

[16]-سورة نوح، الآية19

هو بلوتو، ● [17]- حتى العام 2005 كان العلماء يعتبرون أن كواكب المجموعة الشمسية هي 9، والكوكب التاسع والأبعد في مداره حول الشمس ولكن مع تقدم التكنولوجيا في مجال الأرصاد الفضائية، تبين أن هناك حزاماً من الأجرام الثلجية ضمن حزام يسمى **كايبر** يشكل بلوتو الحسم الأكبر فيها

●- ليس من الضروري أن تكون أشكال الحياة على تلك الأجرام السماوية، إن وجدت، شبيهة بماهي عليه في الأرض

إن القرآن الكريم لا يقول أبداً بثبات الأرض أو بأنها مسطحة، بل قال تعالى: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ **سُطِحَتْ**﴾ [الغاشية: 20]. وكلمة (سُطِحَتْ) تعني مُهدت وبسطت أمام البشر، فأنت مهما سرت على الأرض تجدها مسطحة وممهدة أمامك، وهذا لا يتحقق إلا بالشكل الكروي.

إن من ينظر الى الأرض يراها مسطحة في مدى رؤيته، وهذا أمر بديهي، لأن مدى رؤية العين محدود جداً مقارنة بسعة سطح الأرض، أي أن تقوس الأرض لايظهر للرائي على الإطلاق بالعين المجردة.

ومن هنا فإن الإصرار على(تسطيح الأرض)المطلق، اي المنظور بالعين المجردة يعني التمسك بظاهر اللغة او بنيتها، أما التركيب العميق لها، فهو الأهم والذي يحول النظر الى الأشياء من العين المجردة الى وسيلة أخرى (كرؤية الأرض وتصويرها بالأقمار الصناعية)، تمكن الإنسان من تقدير شكل الأرض بوضوح ودقة تصل إلى الأمتار أو أقل ، والشيء نفسه يقال عن ذبذبات السمع، فما لايستطيع الإنسان سماعه لا يعني أنه غير موجود أو موجود ، ولكن على صورة غير صحيحة طبقاً لواقعه.

لقد مضت فترة طويلة وعلماء الدين يتهمون كل من يقول بكروية الأرض بالكفر، ولعل الكثير منهم مازالوا موجودين حالياً،لأنه يخالف برأيهم القرآن الكريم.. نقول لقد أسأتم تفسير حقيقة قرآنية..فالله أعطانا أكثر من دليل على أن الأرض كروية في كتابه المبين.

فقد قال سبحانه (والأرض مددناها) أي بسطناها... ومعنى ذلك أينما تنظر الى الأرض تراها مبسوطة .إذا كنت في خط الإستواء،أو في القطب، أو في أي قارة وبلد من البلدان ستجدها مبسوطة أمام البشر جميعاً أينما تواجدوا...وهذا لايمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية، فلو أن الأرض مسطحة أو مربعة او مثلثة....في أي شكل من الأشكال لوصلنا فيها إلى حافة. وحيث أنه لايمكن أن تصل في الأرض إلى حافة، فالشكل الوحيد الذي تراه مبسوطاً أمامك، لا يمكن أن تصل فيه الى حافة هو أن تكون الأرض كروية.

ولم يأت القرآن الكريم بالدلائل التي تؤكد لنا أن الأرض كروية في آية واحدة ... بل جاء بها في آيات متعددة ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾[18] . فقد جاء ذلك رداً على السابقين لفهمهم أن اليوم يكون مبدوءاً بالنهار ثم يعقبه الليل، فكأن الله سبحانه يقول لهم: لا يسبق النهار الليل ولا يسبق الليل النهار، ولكنهما كلاهما موجودان معاً وفي آن واحد.

[18]- سورة يسن، الآية 40

ومن المعلوم أن أجزاء الأرض تتفاوت فيما بينها من حيث إقبال النهار بضيائه أو حلول الليل بسواده مما يدل على أن الأرض كروية استناداً إلى الظاهر من دلالة النص القرآني ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. والدليل كذلك على كروية الأرض قوله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [19]

الله تعالى ينزع نور النهار من أماكن الأرض التي يتغشاها الليل بالتدريج، ولا يكون ذلك إلا بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس

إنَّ قوله: "وَيُكَوِّرُ" من التكوير وهو اللف، وكورت الشيء إذا لففته على جهة الاستدارة ، وذلك كقوله تعالى:" يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، أي يغشى هذا على هذا، وهذا على هذا .كما قال : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ [20] يستفاد مما ورد في التكوير أن المراد به اللف على هيئة الاستدارة، وبذلك فإن تكوير الليل على النهار يعني انبساطه عليه بغشائه الملتف وذلك على النحو المستدير، وفي ذلك دلالة على أن الأرض مستديرة في هيئتها طبقاً لصورة الغشاء الذي يلف الأرض لفاً دائرياً على شكل الكرة.

وبتقريبٍ آخر إنَّ التعبير بالتكوير الوارد في قوله تعالى ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾، لا يناسب افتراض أنَّ الأرض مسطَّحة، وذلك لأنَّ المدلول اللغوي للفظ التكوير، هو لفُّ الشيء بنحوٍ يكون على هيئة الكُرَة، فحينما يقال كوَّرْتُ الطِّين أو العجين، فإنَّ معناه جَعَلتُهُ يأخذ شَكْلَ الكُرَةَ، فلو كانت الأرض مسطَّحَةً لكان التَّعبير بتكويرِ الليل والنَّهار عليها غير دقيقٍ، فالليلُ والنَّهارُ بمثابة الخَطَّيْنِ فإذا افترضنا أنَّ إحاطتهما بشيء كان بنحو التكوير كان ذلك مقتضيًا لكرويَّة ذلك الشيء، إذْ لو كان ذلك الشيء (الجسم) مربعًا مثلاً لأخذ الخطان شكل المربَّع، وهكذا لو كان مثلثًا لأخذ الخطان شكل المثلث، ولأن الآية المباركة عبَّرت بالتكوير فذلك يكشف عن أنَّ شكل الأرض كروي.

ثانياً: **حركة الأرض أو دورانها**

تدور **الأرض** حول محورها مرةً كل 23 ساعة و56 دقيقة و41 ثانية. أو ما يُعرف باسم اليوم الفلكي (sidereal day)، قيست فترة الدوران هذه نسبةً إلى النجوم. وفي الوقت نفسه، فإن اليوم الشمسي للأرض

[19]- الزمر، الآية 5
[20]- الحديد، الآية 6

(solar day **Earth's**) (ويعني ذلك مقدار الوقت الذي تستغرقه الشمس لتعاود الظهور في المكان نفسه من السماء) هو 24 ساعة.[21]

وينتج عن هذه الحركة للأرض حول محورها تعاقب الليل والنهار ،فالجهة المقابلة للشمس يسود تكون مضاءة ،ويكون فيها نهار، أما الجهة المقابلة من الكرة فيسودها الظلام أو الليل لانعدام وصول النور اليها.ولولا دورة الأرض هذه، لكان هناك نهار دائم شديد الحرارة وليل دائم شديد البرودة، ولانعدمت الحياة على سطح الأرض.

وقول الله تعالى يولج النهار بالليل ويولج الليل بالنهار،لا يشير الى كروية الأرض فحسب ، بل الى حركتها الدائمة حول نفسها،ففي كل لحظة من لحظات دورتها هذه ،هناك بداية ولوج للنهار على جزء من أجزائها وانحسار لليل في تلك النقطة،وفي الجهة المقابلة يحدث العكس مع بداية ولوج الليل ونهاية النهار.لذلك فإن التغير في أوقات الشروق والغروب متحقق بانتظام على أي بقعة في الأرض على مدار العام

ومن إعجاز القرآن الكريم ،في هذا المجال، أي في حركة الأرض ودورانها ، ماورد في سورة (النمل ، الآية88) . في هذه الآية نجد الكلام عن ذلك شديد الوضوح ولايحتمل التأويل أو التشكيك في قوله تعالى:(**وترى الجبال نحسبها جامدة هي تمر مر السحاب..)**.

وهنا نتساءل من علَم النبي الأمي أن الجبال تسير بسرعة؟ وكيف تمر هذه الجبال وهي راسيات في الأرض ؟ وهذا ما أكدته الإثباتات العلمية عن حركة الأرض الدورانية بعد مضي أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم.حيث أن حركة الجبال الإنتقالية، والتي يبلغ متوسط سرعة انتقالها مع الأرض في الفضاء – نحو30 كلم في الثانية – ،تشبه انتقال شخص ما داخل السيارة ، فالسيارة هي التي تتحرك من مكان لأخر ناقلة معها هذا الراكب .

ومرور الجبال مرّ السحاب هو كناية عن دوران الأرض حول محورها، وعن جريها وسبحها في مداراتها وذلك لأن الجبال جزء من الأرض، ولأن الغلاف الغازي للأرض الذي يتحرك فيه السحاب مرتبط كذلك بالأرض برباط الجاذبية وحركته منضبطة مع حركة كل من الأرض والسحاب المسخر فيه.

وطالما نحن في معرض الحديث عن حركة الأرض المحورية(حول نفسها) او الإهليلجية، في (الفضاء)،لا بد من الإشارة الى حقائق أخرى عن كوكب الأرض في هذا المجال. فالأرض تقوم بتبطيء حركتها بمقدار يبلغ حوالي سبعة عشر ملي ثانية كل مئة عام , وبهذا المعدل سوف يصبح **طول اليوم خمس وعشرين**

[21]-تبلغ سرعة الأرض أقصاها عند خط الإستواء(حوالى 1670 كلم في الساعة)،وتتناقص هذه السرعة تدريجياً حتى تنعدم عند القطبين

ساعة بعد مرور مئة وأربعين مليون سنة. كما أن وجود القمر قريباً من الأرض (يبعد حوالى384000كلم) أدى الى عملية جذب متبادلة بينهما نتج عنها تباطؤ دوران الأرض، وبالتالي زيادة طول اليوم على سطح الأرض من خمس ساعات إلى أربع وعشرين ساعة[22].

ثالثاً:**تمدد الكون**

يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: «**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**»،[23] .والآية الكريمة السابقة تؤكد على أن الكون المعبّر عنه بلفظ السماء هو في حالة توسع دائم، بدلالة لفظ «موسعون» فهو اسم فاعل بصيغة الجمع لفعل أوسع وهو يفيد الاستمرار، لكن القرآن لم يبين تفاصيل الاتساع وإنما أورده مجملاً.

ورغم عدم توفر المعلومات التفصيلية عن فيزياء الكون والقوى العاملة فيه قديماً، إلا أن المتكلمين المسلمين حين استندوا إلى أصول العقيدة الإسلامية المستنبطة بشكل صحيح من القرآن، فإنهم توصّلوا إلى فهم مسائل عويصة، منها مسألة توسع الكون والتي هي قضية مستحدثة في الاستنباط العلمي في القرن العشرين الميلادي.

ومن الحقائق العلمية ،إن عالم الفلك الأميركي «إدوين هابل» ومن خلال التلسكوب شاهد في عام 1929 أن المجرات تتباعد عن بعضها البعض بسرعات هائلة، وإن حركة ابتعاد المجرات ناتجة عن توسع الفضاء (الكون) وامتداده.

وفي عام 1929 أكد العالمان الفلكيان «**همسن**» و«**هابل**» نظرية توسع الكون بالمشاهدة، حيث وضع هابل القاعدة المعروفة باسمه وهي قانون تزايد بُعد المجرات بالنسبة لمجراتنا، وبالنسبة لبعضها البعض، وبفضل هذا القانون أمكن حساب عمر الكون التقريبي، وقد قام «هابل» باستدعاء «**آينشتين**» من ألمانيا إلى أميركا حتى يُرِيَه تباعد المجرات والكواكب بواسطة التلسكوب. وكان أينشتاين عندما صاغ نظريته النسبية العامة 1915 يعتقد أن الكون ثابت مستقر، وقام بإضافة ما يسمى ثابت كوني في معادلاته عن مجال الجاذبية ، ولكن بناءً على ما تحقق بعد ذلك من إشارات عن تمدد الكون فاعتنق هذا المبدأ، ولهذا وصف أينشتاين فيما بعد، فكرة الثابت الكوني «بأنها كانت أكبر خطأ أرتكبه في حياته».[24]

---

[22] -https://nasainarabic.net/education/articles/view/moon :

[23]- الذاريات، الآية 47 -

[24] J.-P. Luminet: *The Rise of Big Bang Models, from Myth to Theory and Observations*. 2007, http://arxiv.org/pdf/0704.3579

إن حركة ابتعاد المجرات ناتجة عن توسع الفضاء نفسه حيث تنساق معه المجرات كلها، وبصورة عامة فإن المجرات وتجمعات المجرات وأكداس المجرات هي أشبه ما تكون بكتل غازية هائلة من الدخان ما تزال تتوسع وينتشر ويتوسع معها الكون منذ حصل الانفجار العظيم في الكتلة الغازية الأولى، وقد أشارت الموسوعة الفضائية إلى هذه الظاهرة واتفاق الفلكيين في النصف الثاني من القرن العشرين على حقيقة توسع الكون أسقطت فرضية أزلية الكون وقدمه، وثبت علمياً أن للكون بداية ونهاية، فسبحان الذي صدقنا وعده عندما قال: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[25]

ووجه الإعجاز في الآية القرآنية الكريمة هو دلالة لفظ «موسعون» الذي يفيد الماضي والحال والاستقبال، على أن الكون في حالة توسُّع مستمر، وهذا ما كشفت عنه المشاهدات الفلكية للعالم «هابل» عام 1929م.

والخلاصة أن الأدلة على كروية الأرض وحركتها,وعلى تمدد الكون وغيرها ، كثيرة في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة، لكن قصور عقل الكثير من المفكرين وتزمت المشككين، وكذلك عدم تحقق إنجازات علمية في مجال الفلك سابقاً، حال دون التمعن في معاني آيات القرآن الكريم والتعرف على هذه العلوم والظاهرات الجغرافية والفلكية والفيزيائية في القرآن الكريم.

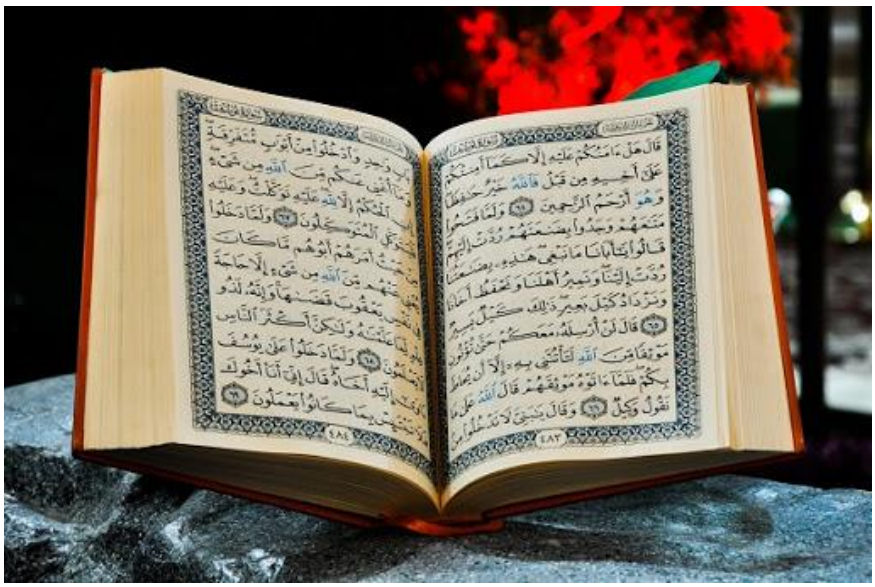

[25].- سورة فصلت، الآية53

الدكتور عدنان يعقوب: منسق مادة الاقتصاد في وزارة التربية والتعليم العالي – مديرية الارشاد والتوجيه

الجودة الشاملة والإصلاح التربوي

إن الجودة الشاملة في التعليم ليست نمطاً موحداً أو قالباً ثابتاً يمكن تطبيقه بحذافيره في كافة المجتمعات وإنما هي نموذج إداري شامل يعتمدعلى التنوع والإبداع، لأن الأمة القوية هي الأكثرمعرفة ودراية، والأغنى بمفكريها ومبدعيها الذين يضيفون إلى المعرفة كل جديد نافع، لذاحظيت عمليات إصلاح التعليم باهتمام كبيرفي معظم دول العالم حتى أصبح المسمى لهذا العصرعصرالجودة الشاملة والإصلاح التربوي باعتبارهما وجهين لعملة واحدة.

سوف نستعرض في هذا البحث 4 نقاط أساسية وهي : **الاصلاح التربوي على مستوى الدولة والمجتمع، على مستوى الادارة المركزية ،الاصلاح التربوي على مستوى المدرسة، التدريب والتعليم المستمر والتنمية الذاتية**

أولاً: الاصلاح التربوي على مستوى الدولة والمجتمع

إن مصطلح إصلاح التعليم لايتم استخدامه كثيراً وإنما يتم استخدام مفاهيم وعناوين أخرى مثل "تطوير التعليم" أو "التقويم الشامل للتعليم" وغير ذلك، حيث أن كلمة "اصلاح" في مفهومها إعتراف مباشر بعجز النظام التعليمي أو فساده. من هنا الفرق الواضح بين مصطلحي، اصلاح التعليم Educational Reform وتطوير التعليمEducational Development ذلك أن المصطلح الاول يذهب بعيداً إلى الأسس والفلسفة والأهداف العامة فيحاول إعادة قراءتها وفق رؤية سياسية واضحة المعالم. أما المصطلح الثاني فيصلح ضمن عمليات تطوير لجزئيات النظام التربوي التي يجب ان لا تتوقف ابداً. فهي عملية مستمرة ضمن سياق عام لا

يتجاوزالأصول الفلسفية، ولهذا فإن عدم وجود إعتراف رسمي واضح بقصورالنظام التعليمي، وبالحاجة الى إصلاحه، يجعل مشاريع تطويرالتعليم تدورفي فلك الجزئيات والتفاصيل ولاتدخل الى العمق لتسأل عن ماهية النظام التعليمي وفلسفته ورسالته العامة[26].

إنطلاقاً من ذلك يمكن القول إن الجودة هي التحدي الحقيقي الذي سيواجه المؤسسات التربوية في العقود القادمة، وتعد إدارة المؤسسات التعليمية هي المفتاح الرئيسي في عمليات تحسين الجودة، من هنا ظهرت الحاجة الى نموذج للاصلاح التربوي تتضح فيه العلاقة بين جميع الشركاء في الاصلاح التربوي وعلى مختلف المستويات (الدولة، المجتمع، الادارة المركزية المدرسة، المعلم، المتعلم) حيث تتحد فيه المسؤوليات لكل مستوى من هذه المستويات عن احداث الاصلاح التربوي والتعليمي المنشود، لذلك فإن تبني هذا النموذج يحتاج إلى رؤيا مشتركة واهداف واضحة وخطط اجرائية وأدوات تنفيذية وأنظمة فاعلة لانجاز الاصلاح التربوي على عدة مستويات في سياق مشروع مدرسة المستقبل[27] .

تعد مدرسة المستقبل إحدى أدوات مجتمع المستقبل، فإذا لم تكن هناك رؤية واضحة للاجابة حول من نكون؟ أين نحن؟ الى اين نريد أن نصل؟

لذلك على الدول التي تفكر في تعليم جيد وتسعى لتحقيق مدرسة المستقبل، أن تحدد واقعها ورؤيتها المستقبلية ثم تقوم بتقديم الدعم السياسي بحيث يصبح التعليم قضية على مستوى الدولة ككل ومطلباً حضارياً وليس خدمة إجتماعية تقدم للافراد بالاضافة الى أهمية الدعم المالي، لأن أي استثمار في البشرهو استثمار في الدولة عندها يمكن للتعليم أن يحقق أهداف الدولة. وهناك دور يمكن أن يقوم به المجتمع في دعم التعليم يمكن ان يساهم في نجاح المدرسة وفي تحقيق التعليم النوعي وهذا الدور يتلخص في الدعم

[26] - العجمي، محمد حسين .2007. الاعتماد وضمان الجودة الشاملة لمدارس التعليم الثانوي العام، دار الجامعة الجديدة ، القاهرة.
[27] - محمد الحر، عبد العزيز ، التربية والتنمية والنهضة. 2003. شركة المطبوعات النشر، بيروت، الطبعة الاولى، ص205.

الثقافي والاجتماعي لمؤسسات التعليم واعتبار التعليم مسؤولية مشتركة ليس قاصرة على وزارات التربية والتعليم، وانما تعاون جميع الأطراف الفاعلة كالأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع المدني وهذا يتطلب تعاون المجتمع مع مؤسسات التعليم عن طريق الشراكة الفاعلة وعلى مستويات مختلفة في المدرسة مثل:التعاون بين الأسرة والمدرسة ومؤسسات المجتمع المدني، الدعم المادي والاعلامي والبرامج المشتركة .

ثانياّ: الاصلاح التربوي على مستوى الادارة المركزية

تقع على عاتق الادارة المركزية والجهة الخارجية المشرفة على التعليم (مؤسسات، وزارات) مسؤوليات كثيرة للاصلاح التربوي ولضمان جودة وفاعلية التعليم والوصول الى مدارس قادرة على التعامل مع متطلبات العصروتحدياته أهمها:

1- المعاييرالوطنية

أهمية وجود معاييروطنية للأداء لجميع العاملين في التعليم (المدير، المرشد، المدرب، المعلم، الطالب) وهذا يختص بمستوى الاداء الذي يجب ان تكون عليه كل فئة. كما أنه لا بد من وجود معايير وطنية للمحتوى، تركز على مضامين المنهج ومحتواه.

إن هذه المعاييرلا تخصّ الطالب فقط وإنما جميع عناصر العملية التربوية (الشكل 4) وهي الطالب والادارة المدرسية والمناهج والأبنية المدرسية والعلاقات الإنسانية في المدرسة، حيث تعتبرهذه المعاييرعناصرأساسية لقياس أداء المدرسة كمنظمة، وقياس أداء الطلاب لمخرجات هذه المنظمة.

2- الاختبارات (الوطنية) الرسمية

وهي تعتبرصمام الأمان ونقاط التحقق من الجودة، ويجب أن يكون الاختبارعاماً شاملاً وموحداً لجميع المتقدمين الى الاختباروان يكون مبنياً بطريقة علمية، ومثل هذا الاختبار يعطي نتيجة واضحة لمتخذي

القرارفي المستوى الذي وصل اليه المتعلم ومناطق القوة والضعف لديه، مع لحظ الجوانب التصحيحية، كما تعتبرهذه الاختبارات أداة خارجية تساعد المدارس في تقييم كفاءتها وجودة الخدمات المقدمة فيها[28] .

3- نظام الدعم المستمر

يتحدد بشكل فني وعلمي وإداري ومالي ونظام معلومات وقواعد وبيانات واستشارات، ومن شأن هذا الدعم ان يساعد المدرسة على تحقيق أهدافها بشكل أفضل.

4- تعزيز مفهوم مهنية التعليم

ان مهنة التدريس هي المهنة الوحيدة التي تتحمل مسؤولية بناء الانسان وتنمية مهاراته وتفجير طاقاته والتي من شأنها تمكين المجتمعات من العيش والنجاح في عصرالمعلومات حيث أصبحت عملية الاهتمام بالمعلم وبقضية تمهين التعليم من القضايا التي تنال إهتماماًعلى مستوى العالم ولا بد للدول التي تريد تطوير نظامها التعليمي أن تسعى لوضع مهنة التدريس في مصاف أعلى وأن تجعلها من أهم المهن مثل مهنة الطب والهندسة. لان عملية تمهين التعليم يعتبرحجر الزاوية لاي رغبة في خلق مدرسة قادرة على العطاء وذات مستوى جودة مرتفعة. من هنا جاءت أهمية توافر مجموعة من المعاييرالمطلوبة لتمهين التعليم[29] وهي: ضرورة توافر قاعدة معرفية للمعلم لكي ينجح في عملية التدريس وتوافرمهارات فنية لان التدريس أصبح فناً له مهاراته ولكي ينقل المعرفة ويساعد في عملية التنشئة الاجتماعية، والالتزام باخلاقيات المهنة .

5-تطوير المناهج وتحسينها

المقصود بالمناهج ممارسات التدريس، والمضمون، أو الموضوع، والمواد التدريسية والبيئة المادية، والنشاطات والموارد البشرية، والتقييم والوقت، والتنظيم، والاتصالات، واتخاذ القرار، والقيادة ويمكن عرض

[28] - محمد الحر، عبد العزيز،مصدر سبق ذكره ، ص220.

[29]- Hargreaves and Lo.(2000).The Paradoxical Profession:Teaching at The Turn of The century. Prospects.P221

سبعة مبادئ يمكن إستخدامها لتوجيه عملية إتخاذ القرارات الخاصة بهيكلية المناهج بحيث تخدم احتياجات المتعلمين المستقبلية الذين تعتمد حياتهم الى حد كبير على ما يقرره قادة التعليم الان وهذه المبادئ :

- وجود جوهرمتوازن للتعليم يضمن للطلبة التصدي لخبرات تعليمية تتناسب بدرجة كبيرة مع حياتهم اليومية .
- التركيز على النتائج وعلى تقييم الاداء.
- اعتماد المنهج على التكامل ومراجعته بشكل دائم،لاستيعاب كافة الظواهر ولتكون المعرفة اكثر وضوحاً للطلبة.
- مشاركة الطلبة بشكل كثيف في عملية التعلم والربط بين الخبرات المدرسية وقضايا عالم الواقع.
- الايمان بأن لدى جميع الطلبة القدرة على استيعاب المفاهيم الاساسية من خلال فكرة العلم للجميع وعدم تصنيف الطلبة

لان تصنيف الطلبة حسب القدرات قد يحكم على الكثير منهم بالتدني ولا يعقد عليهم آمال كبيرة .

- التركيز على تنمية استراتيجية التفكير بطريقة منهجية تولي أهمية للتفكير النقدي وحل المشكلات والقدرة على المحاكاة

والابداع اكثر من الاهمية التي نوليها للعمليات العقلية الاقل تعقيداًمثل المعلومات والوقائع .

ويعدالمنهج المطوربمفهومه الواسع أحد أهم عناصرمدرسة المستقبل[30] فالخبرات التي تقدمها المناهج تمثل المادة الرئيسية

المسؤولة عن بناء المتعلم داخل المدرسة، فالمناهج اليوم صناعة لها مدخلاتها وعملياتها الفنية ومخرجاتها النوعية والتي

[30]- Gaweltiin the Curriculum Handlbook.(2001). Alexandria,Virginia.p223.

تحتاج لمجهودات ذات فرق عمل متعددة التخصصات (علمية، تربوية، نفسية، فنية سياسية واقتصادية) تعمل جميعها في

فريق واحد لانتاج المناهج المطلوبة .

ثالثاّ: الاصلاح التربوي على مستوى المدرسة

المدرسة بلا شك هي المرآة العاكسة لنجاح الانظمة التعليمية وفشلها. فهي الميدان الحقيقي لتطبيق المشاريع التربوية وهي الخط الانتاجي الذي تحدث فيه معظم العمليات التعليمية لذلك هناك العديد من العمليات المتوقعة **من مدرسة المستقبل والتي من شأنها** تحسين الجودة النوعية لتلك العمليات ومنها :

1-التخطيط الاستراتيجي :

يهدف التخطيط الاستراتيجي على مستوى المدرسة الى تحقيق الرسالة والأهداف والرؤية لتأمين مستقبل أفضل للمتعلمين والعاملين في المدرسة لتحقيق الأهداف المنشودة، والتخطيط الاستراتيجي كما يقول الباحثون أصبح من أساسيات عمل المؤسسات بشكل عام والمؤسسات التربوية بشكل خاص .

2- التقويم الذاتي

تعد المدرسة البيئة التي تحتضن الطالب طوال سنوات تعلمه، وهي البيئة التي تحدث فيها عملية التعلم والتعليم، حيث يمارس المعلم وظيفته والمدير يقوم بدوره، وهي الجهة المسؤولة عن تنفيذ الخطط التربوية واتباع السياسات التعليمية وتحقيق الاهداف، وبعبارة مختصرة هي أهم وحدة في النظام التربوي، لذلك يجب أن تحظى بكل اهتمام وعلى جميع المستويات وان تنصب جهود التطوير والتحسين عليها. من هنا الاهمية لاعتبارعملية التقويم الذاتي للمدرسة من أهم العمليات لضمان جودة التعليم وبالتالي إمكانية تعزيز نقاط القوة ومعالجة نقاط الضعف .

3- دعم النمو المهني

هناك مجهودات مهمة تبذل في كثيرمن الدول لاتخاذ إجراءات لتحسين نوعية التعليم ومن أهم تلك الاجراءات توفير فرص التدريب أثناء الخدمة لضمان تواصل المعلم مع آخرالمستجدات في مجال التدريس والتقويم والادارة الصفية وحتى الأدوار القيادية للمعلم، فالتدريب مرتبط بالنمو المهني وليس فقط بالمعلم ولكن بجميع العاملين في المدرسة.

من هنا تأتي أهمية تبني فلسفة التدريب المستمر لكل العاملين بالمدرسة مع أهمية الاخذ بالاتجاهات الحديثة في التدريب وتبني استراتيجية ترتكزعلى : تبني إلزامية التعليم، ربط الترقية والارتقاء المهني بالتدريب، ربط الاستمرار بالخدمة بعد أخذ عدد من البرامج التدريبية خلال العام الدراسي، ضرورة اتباع المدرسة لخطوات منهجية محددة لهذه البرامج التدريبية في كيفية التخطيط والاعداد لضمان جودتها وجدواها التربوية (انظرالجدول التالي) الذي يوضح هذه الخطوات:

جدول: يبين أنواع التدريب في المدرسة

م	أنواع التدريب	الهدف العام
1	البرامج التدريبية التأهيلية	تهدف إلى اكساب المتدربين المهارات، المعارف، الاتجاهات والخبرات الاساسية اللازمة للأداء المتقن في مجال عملهم وتمكينهم من القيام بمسؤولياتهم ومهامهم الجديدة (مديرين، معلمين، مرشدين) وتقدم هذه البرامج عادة قبل الخدمة.
2	البرامج التدريبية العلاجية	تهدف إلى معالجة النقص أوالخلل الذي يظهرمن أداء البعض أثناء الخدمة وتقدم هذه البرامج عادة اثناء الخدمة.
3	البرامج التدريبية الإثرائية	تهدف إلى تعميق التخصص أوالتعرف إلى المستجدات والمتغيرات الحاصلة في مجال من مجالات التربية والتعليم، وتقدم هذه البرامج عادة أثناء الخدمة.
4	البرامج التدريبية	تهدف إلى اعادة تأهيل بعض الموظفين ليصبحوا قادرين على أداء مهام

	التحويلية	ووظائف جديدة تختلف عن التي يشغلونها أوبسبب الترقية لعمل جديد أوعدم أهليتهم للاستمرارفي عملهم، وتقدم هذه البرامج عادة أثناء الخدمة.
5	البرامج التدريبية الاجرائية	ترتكز إلى التدريب الميداني العملي القائم على إعداد البحوث الاجرائية الميدانية والقيام بالزيارات الميدانية للمؤسسات التربوية المشابهة لتبادل الخبرات والاطلاع على التجارب والمطالعات التربوية المنهجية وعقد حلقات نقاش مع مختصين في المجال أوالحقل نفسه.

ويمثل التدريب الفعال القوة الدافعة للمعلم وإغفال هذا الجانب أوالتقليل من شأنه سوف يؤثرعلى مستوى المعلم سلباً وبالتالي على نوعية المتعلمين ومستوياتهم، وبالرغم من أهمية جميع العاملين في المدرسة من قيادة تربوية وادارة مدرسية ومعلمين ومشرفين سيظل المعلم من أهم هذه الفئات التي يجب أن تنال رعاية خاصة في مجال النمو المهني حتى يتمكن المعلم من تأدية دوره بشكل فعال.

رابعاً: التدريب والتعليم المستمر والتنمية الذاتية

إن نوعية التدريس تعد العمل المحدد لنوعية مخرجات التعليم بشكل عام، من هنا أهمية تحديد مواصفات المعلم من غير إفراط ولا تفريط نحن بحاجة دائماً لما يُسمى بوقفة كفايات المعلم لكل مرحلة من المراحل، بل ولكل مادة من المواد الدراسية، ولا بد من إعادة هيكلة برامج إعداد المعلمين لتنمية هذه الكفايات وتحقيقها، ولا بد من أن تكون هذه الكفايات بمثابة محاكاة للتوظيف والتقييم والتدريب، عندها يمكن أن نضمن الحد الادنى من الجودة النوعية المطلوبة في المعلم وبهذه المنهجية سوف يكون هناك اختلاف كبير بين كفايات وبرامج ومعاييرالمعلم الجديد والمعلم صاحب الخبرة.

كما ستختلف المسؤوليات والتبعات المتوقعة من المعلم المبتدئ والمعلم صاحب سنوات الخبرة وبالتالي نجاح العملية التعليمية، فالمعلم الذي يحب مهنته وطلابه ومدرسته وتخصصه وزملائه بكل تأكيد سيكون متفوق الاداء مستمرالنمو متجدد العطاء مخلص العمل .

لذلك لا بد من الاهتمام بالجوانب الشخصية للمعلم وتحفيزه لتبني المعلم القدوة، وتوافرهذا الجانب في المعلم يعطيه قدرة عالية على التأثير والتواصل مع المتعلمين في جميع المجالات الاكاديمية والشخصية. ولا بد للمعلم أن يركز على عملية التعليم والتعلم، فهما طرفا المعادلة الاساسيان. فالطالب هو المدخل، والتدريس هو العمليات التي يمر بها الطالب لاكتساب الخبرات المختلفة، والتعلم هو النتيجة النهائية التي يراد الوصول لها. من هنا أهمية التركيزعلى التعليم والتعلم لأنهما جوهر العملية التعليمية ككل .

كما يجب التركيز على العوامل المساعدة في تحسين هاتين العمليتين، مثل الدافعية لدى المعلم والمتعلم. فدافعية المعلم الايجابية تساعده على العطاء والابداع، ودافعية المتعلم تساعده على الاكتساب والانجاز. وهناك علاقة ارتباطية واضحة ومنطقية بين ضعف العطاء لدى المعلم ودافعيته للعمل. فهذه الدافعية مسؤولة عن تجدد العطاء وحرص المعلم على النمو المهني والتعلم المستمر ومحاولة الابداع في التدريس والنشاط وفي جميع الاعمال التي تسند اليه. وإثارة الحماس لمزيد من الجهد والعطاء .

أ- تقويم المتعلمين

إن التقويم سلاح ذو حدين إذ يمكن أن يفيد في تحسين ما يتعلمه الطالب، ويمكن أن لا يفيد. وهذا يتوقف على نوع القياس فإن الكثير من التقويمات الموجودة داخل المدارس تعد عقيمة، لأنها قد لا تتقيد بالمعايير الخاصة بمستويات الأداء العالية مع إمكانية إضاعة الوقت في أعمال تقليدية تقلص الوقت المتاح للطلبة لكي يوظفوا ما تعلموه عملياً في حل المشكلات .

وعلى العكس من ذلك قد نجد التقويمات التي تستوفي متطلبات المعاييرتوفر فرصة كبيرة للطلبة في أن يظهروا ما فهموه وتوجد فرصة أيضاً للمعلم لان يوفر فرصاً اخرى مشابهة للطلبة على شكل تكليفات صفية يوضحون من خلالها تحسّن الأداء وتقدمهم المستمر. كذلك فإن معيار توزيع الدرجات يساعد في إبداء مدى

تقدم الأداء. فالمعلمون يقررون من خلال النهاية العظمى والصغرى للدرجات. ولهذا يجزم المعلمون على أن التقويمات التي تتم بإعطاء الدرجات هي الطريقة المثلى في تطوير الاداء لدى الطلبة .

وتوجد عدة صفات لهذه التقويمات، منها أنها تسهم في تطويرأداء الطلبة عن طريق منحهم فرصة لتوظيف معلوماتهم عملياً. وكذلك عن طريق اسناد مهام الى الطلاب تحثهم على استخدام معلوماتهم في حل المشكلات الرياضية أو الاقتصادية أوفي تبيان فهمهم للاتجاهات التاريخية ومثل هذه التكليفات يسهم في تفعيل ما يتعلمه الطالب عن طريق ربط ما يتعلمه من معلومات نظرية في الصف والعالم الخارجي آي ربط النظرية بالتطبيق.

وأثبتت التجارب أن التقويمات التي تكون في شكل مشروع يقوم به الطالب هي افضل أنواع التقويمات التي توضح مستوى الأداء. فمثل هذه المشاريع الخاصة، تلك التي تجري في مكان العمل، توفر فرصة للطالب بأن يحتك بالمشرفين وارباب العمل واصحاب المصانع، وبهذا يتشربون الخبرات التي تحسّن مستواهم العملي وتعمل على سرعة إنضاج شخصياتهم .

والتقويم في المدرسة المبني على أسس معيارية لا يقتصر على المتعلم فقط، ولكنه يمتد الى جميع العناصر التعليمية في المدرسة، وهي المعلم والمبنى المدرسي والمناهج، وذلك لأهمية هذه العناصر وتكاملها. ونجاح العملية التعليمية مرهون بجودة عمل جميع العناصر، وأي خلل في أي عنصر من تلك العناصر سيؤدي بالضرورة الى تأثر العملية التعليمية.

ب-القياس المقارن

ت-تعتبرمن ضمن نقاط ضعف التقويمات المعمول بها اليوم، لأنها تقارن أداء الطالب بأداء طالب آخر اجتاز الامتحان نفسه منذ سنوات بحيث تكون الأسئلة عامة لا تحتذي أي معيار، ويتم الاهتمام بالشكل لا بالدرجات التي يحصل عليها الطالب وليس بالمضمون وهو فعالية أداء الطالب

أما التقويمات المبنية على المعاييرفإنها تحدد مستوى أداء معين، يجب على الطالب الوصول إليه، وكذلك مهام عملية معينة في شكل تكليفات تطبيقية يجب انجازها .

كما أنه قد يختلف أصحاب العلاقة المباشرة أوغير المباشرة بالمدرسة في ماذا يريدون أو يتوقعون، فنجد أن توقعات وحاجات أولياء الامور تختلف عن حاجات أرباب العمل. كما قد تختلف توقعات المعلمين عن توقعات المسؤولين عن التعليم وهكذا. وهذا الاختلاف ليس بالضرورة تناقضاً، ولكنه اختلاف جوهري فيما تريد كل جهة معرفته بالنسبة للمتعلم ففي حين أن الجامعات تركز على المعارف التي اكتسبها المتعلم، نجد أن أرباب العمل يركزون على المهارات التي اكتسبها المتعلم، بينما يريد أولياء الامور معرفة الدرجات التي حصل عليها ابناؤهم في نهاية المطاف. واعتماد أسلوب الاختبارات التقليدية لا يمكن بأية حال من الاحوال أن يجيب عن هذه الرغبات المختلفة ولا يفي بالاحتياجات من هنا أهمية أن يكون لكل تلميذ ملف تقييم تسجل فيه عملية نمو الطالب وتطوره خلال فترة زمنية معينة ويحوي على شواهد هذا التطور أوالنمو وهذه الشواهد قد تأخذ أشكالاً متعددة مثل: درجات الاختبار، نماذج من أعمال المتعلمين الانشطة اللاصفية والتطوعية خارج المدرسة، التقاريرالسلوكية والصحية، المهارات والهوايات للمتعلم، شهادات التقديروالتفوق في المجالات المختلفة، توصيات الادارة المدرسية والمعلمين حول المتعلم وأهمية سجل التقييم هذا أنه : يرصد العمليات التي يمر بها المتعلم وليس فقط النتائج، ويرصد نمو المتعلم وتطوره ويسجل نجاحه وإخفاقه في هذا

المجال كما يوفر معلومات وشواهد مختلفة تفيد جميع الجهات ذات العلاقة المباشرة وغيرالمباشرة بالمتعلم مثل الجامعات وأولياء الأموروأرباب العمل والمعلمين، بالاضافة إلى أنه يوفرشواهد مبنية على مجموعة من أدوات القياس مثل: المقابلة والملاحظة والاختبارات المقننة، والتطبيقات العملية والانشطة ما يوفر بيانات غنية تساعد على إصدار أحكام عادلة بالنسبة للمتعلمين، كما يعطي بيانات كاملة عن الطالب في جميع المجالات (المعرفية، المهارية والوجدانية)، ويفيد في معرفة مدى قرب وبعد المتعلم من اكتساب وتحقيق ما يجب أن يتعلمه ويكتسبه بالاضافة إلى أنه يساعد المتعلم على تركيز جهوده ومعرفة مواطن القوة والضعف لدى المتعلمين.

ويمكن أن نتصورنظام التقويم في الثانوية المبني على أسس معيارية كما يلي:

1. **إختبارات نهاية الفصل:** تركزعلى المعارف التي يجب أن يكتسبها المتعلم خلال الفترة المتاحة له بأعلى كفاءة ممكنة.

2. **تعيينات الفصل الدراسي:** وهي عبارة عن تكليفات مستمرة طوال الفصل الدراسي يوظف من خلالها المتعلمون مجموعة من المهارات والمعارف التي اكتسبوها بشكل جزئي طوال الفصل الدراسي حتى تكون في النهاية رصيداً من الخبرات والمعلومات والمهارات التي يمكن استخدامها بشكل متكامل في اي موقف تعليمي يتعرض له المتعلم.

3. **المشاريع العلمية:** وهي مشاريع ذات طابع شمولي تسمح للمتعلم بتوظيف أكبر قدرمن المعارف والمهارات التي تعلمها طوال الفصل الدراسي أو طوال السنة الدراسية، وتقييم من المعلم أولجنة تحكيم على مستوى المدرسة، وبذلك توفر المدارس الاوقات الكثيرة التي تهدرفي اجراء الاختبارات الشهرية اونصف الشهرية او نصف الفصلية التحريرية والشفهية لصالح العملية التعليمية والانشطة الاثرائية واللاصفية.

ج- المواصفات الأساسية لمتعلم المستقبل

من المواصفات الأساسية المطلوبة لمتعلم المستقبل أنه مفكرومنتج ومتقن، ولا بد من نظام تربوي يسعى لتحقيق مخرجات نوعية ويعمل لبناء وتنمية هذه الجوانب لدى متعلم المستقبل حتى يستطيع هذا المتعلم أن يكون مصلحاً لغيره ويمتلك الادوات الأساسية للتفكير وقادراً على تحويل الأفكار إلى منتجات معنوية ومادية .

1- المتعلم المفكر:

إن نوعية الحياة التي نعيشها ونوعية التعليم الذي نكتسبه يعتمد بشكل أساسي على نوعية التفكيرلأن التفكيرهو الخاصية التي تميز الانسان عن سائر المخلوقات، من هنا أهمية ودورالتعليم في تنمية التفكيرالابداعي والانفعالي حيث أوصت العديد من الدراسات بضرورة تدريس التفكير في مدارسنا ليس كمادة منفصلة ومهارات مستقلة، ولكن من خلال جميع المواد الدراسية وعلى جميع المستويات التعليمية، ومن خلال جميع الخبرات التي يمر بها المتعلم، وهذا يتطلب فهماً عميقاً للتفكير، من هنا أهمية التأكيدعلى جملة نقاط وهي[31] :

1. إن الفرق بين البشرفي الأداء هو فرق كمي وليس نوعي، وهذه النقطة ماهي إلا إحدى مسوغات التدخل التربوي وتوفيرفرص تدريب رفيعة المستوى للإرتقاء بنمط التفكير كما إنها واحدة من أبرز مسوغات تعليم التفكير .
2. أداء الدماغ ليس مرهوناً بمرحلة عمرية أو مهنة وهذا يدفعنا إلى المطالبة بتوفير الفرص المناسبة لتعلم التفكير المنظم وتعظيم نتاجاته وأن لا تكون هذه الفرص موجهة نحو فئة عمرية دون غيرها.

[31]- Splitter,L,And Sharp,A,M,(2001)Teaching for Better Thinking:Community of Enguiry,Victoria,Australia:ACER

3. التفكيرعملية متجددة وتنمو مع الإنسان، وهذا ما يدفعنا إلى تعلم المهارات وتثقيف الذات وأن يتعلم الإنسان كيف يتعلم (Learning How to Learn) .

4. يتأثرالتفكير بالمحيط والمقصود هنا البيئة التي يعيش فيها الفرد، والبيئة الاجتماعية وما يتصل بحالة الفرد الجسمية والنفسية والانفعالية والبيئة الثقافية .

2- المتعلم المنتج:

يعرف المتعلم المنتج بأنه الشخص الذي يستطيع استثمارما تعلمه من حقائق ونظريات وقيم أوأي شكل من أشكال المعرفة لانتاج منتجات. وهذا النوع من المتعلمين يمثلون صمام الأمان للمجتمعات التي تسعى إلى المنافسة العالمية ولتحقيق تنمية شاملة واقتصاد قوي .

لأن المعرفة لا تكون معرفة إلا إذا تحولت إلى عمل منتج أو مثمر. إذن العلاقة بين المعرفة والانتاج علاقة قديمة جديدة أتفق عليها الاجيال، ولذلك لا بد من محاولة فهم هذه العلاقة بشكل أفضل وأعمق حتى يمكن للتعليم إذا ما أراد النجاح أن يقدم لنا هذا النوع من المخرجات التي تستطيع ترجمة الافكارإلى أعمال والنظريات الى مُنتجات. وتبني هذه الفلسفة يحتاج لتغيير شامل في النظام التعليمي، تغيير يجعل من التعلم عملية تفاعلية ومن الطالب محوراً لعملية التعلم ومن الخبرات المختلفة للطلبة والمعلمين فرصة للتفاعل وتبادل الخبرات، ومن المدرسة بعناصرها المختلفة مصنعاً للاجيال القادرة على الفهم والانتاج .

وهذه الفلسفة تتطلب تغييراً شاملاً في دور الطالب والمعلم والادارة المدرسية والأسرة والمجتمع. والانتاج الذي نتحدث عنه لايعني بالضرورة الانتاج المادي الصرف، وانما هو كل مُنتج مادي أومعنوي يستفيد منه الفرد أو المجتمع أو البشر.فلا يمكن تخيل مجتمع بلا إنتاج فكري أو أدبي أوفني. فالفنون والآداب والفكر تعد من

أرقى المنتجات التي تميز الشعوب وتبرز ثقافتها وقيمها. كما أنه لايمكن تخيل مجتمع لا صناعة له ولا زراعة ويعيش عالة على ما تنتجه مجتمعات اخرى .

لا شك أن العلاقة بين المتعلم والبيئة التي يتعلم فيها علاقة عضوية، فالمتعلم المنتج يحتاج إلى بيئة تشجع على الانتاج والبيئة التعليمية المنتجة تحتاج لمجتمع خارجي تتفاعل معه وتستجيب لحاجاته وتستفيد من خبراته. فالعملية التعليمية عملية تفاعلية على جميع المستويات الفرد، المدرسة، المجتمع والعالم الخارجي كما يظهر الشكل (التالي). وحتى تكون هذه العلاقة تفاعلية فعلاً لا بد من أن يتعلم الانسان من خلال العمل ومن خبرات الاخرين فالتعلم من خلال العمل يقتضي التفاعل بين المتعلم وما تعلمه من حقائق ونظريات وقوانين وملاءمة تحويلها إلى عمل منتج .

الشكل : تفاعل العملية التعليمية

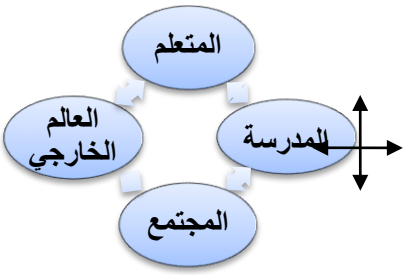

المصدر: من إعداد الباحث

والتعلم من خلال الخبرات التعليمية التي يمر بها الإنسان تقتضي التفاعل في المواقف التعليمية التي يمر بها حتى يستفيد منها ويستطيع تطبيقها. والتعلم من خلال خبرات الاخرين يقتضي التفاعل مع الاخرين تفاعلاً إيجابياً حتى يتعلم من خبراتهم ويكون خبراته الخاصة به، وخبرات الاخرين ليس بالضرورة أن تكون حية أمام الانسان. فقد يستفيد الانسان من خبرات الأباء والأجداد والأجيال السابقة، فالعلم والخبرات عمليات تراكمية

يستطيع أن يستفيد منها الإنسان لتفادي البدايات الصفرية، والوقوع في الأخطاء نفسها التي وقع فيها الاخرون، والبدء من حيث انتهى الاخرون وليس من حيث بدأوا، ولتكوين المتعلم المنتج يقتضي وجود تعلم تفاعلي بحيث يكون الطالب هناك :

- الطالب العامل الذي يتفاعل مع كل ما يتعلمه من خلال الاستماع، أوالتحدث، أوالابداع، أوالتفكير، أوالتقليد، أوالتركيب وهوالطالب الذي يعمل ويفهم ما يعمله.
- المعلم القائد والمبدع، وهو المعلم الذي يركزعلى توظيف قدرات المتعلمين وعلى جعل المتعلمين قادرين على إيجاد منتجات أو أنظمة او خدمات قادرة على حل المشكلات وتستجيب للاحتياجات الفردية والمجتمعية، عندها يمكن أن نحقق المعادلة الصعبة في تكوين هذا المخرج الذي نتمناه لذلك الفرد المفكر والمنتج.

ج- المتعلم المتقن:

في عالم الثورة التكنولوجية الثالثة التي نعيشها، فإن الانتاج وحده لا يكفي، فلا بد من أن يصاحب الانتاج الإتقان فتكون المنتجات المادية والمعنوية التي تقوم بانتاجها متقنة ونوعية.

الجودة والاتقان أصبحا من أهم الجوانب التي تركز عليها الدول المتقدمة. لذلك كان لا بد من إشاعة ثقافة الجودة والاتقان وغرس قيمها لدى أبنائنا حتى يتمكنوا من أن يمارسوها في المستقبل. ولا بد من التأكيد هنا على أن الجودة والاتقان لا يأتيان بالصدفة لا كقيمة ولا كعمل وسلوك وإنما يأتيان عن طريق تربية مقصودة وتنمية مدروسة وبرامج منظمة. والمدرسة تتحمل جزءاً من مسؤولية تنمية قيمة الإتقان والجودة لدى طلابنا. وتبقى المسألة في كيفية تبني هذه القيمة بشكل عملي بحيث تكون موجودة لدى أبنائنا علماً وعملاً. وهذه

مسؤولية مشتركة تتحملها اطراف كثيرة منها المؤسسات التعليمية كما أسلفنا. وإذا نجحنا في بناء هذه المواصفات (التفكير، الانتاج والاتقان) فإننا نكون قد نجحنا في عملية الاصلاح التربوي.

د. طارق شمس

رحلة البندقية إلى الصين في العصور الوسطى

ماركوبولو وقوبلاي خان (1271 – 1295م)

عام 1295م، وصل ثلاثة رجال إلى مدينة البندقية ، " يحملون متاعهم على ظهورهم ، ويلبسون أسمالاً بالية ، ويعلوهم العثر(ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 218)، وقد ادعى هؤلاء الرجال أنهم من البندقية، وأنهم قد غادروها قبل ستة وعشرين عاماً، وأخذوا يلقون على مسامع الناس، القصص عن رحلتهم الطويلة التي أوصلتهم إلى بلاط أعظم ملك في العالم.

كان هذا ماركوبولو ، الرحالة المشهور في العصور الوسطى، الذي وصل إلى الصين، وعمل في بلاط قوبلاي خان حاكم الصين المغولي، والذي لقبه أهالي البندقية بـ " ماركو الملايين" ، بسبب قصصه العجيبة المليئة بالأعداد الكبيرة(ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 219).

ماركوبولو المستكشف الإيطالي

ورافقت علامات الاستفهام قصص هذا الرحالة ، فما هي حقيقة وصوله إلى الصين، البلد الأبعد بالنسبة لأوروبا ، وتحوله إلى مستشار للإمبراطور المغولي، حفيد جنكيزخان، قوبلاي خان.

وعندما طلب من ماركو بولو قبل وفاته ، الاجابة عن هذه الأسئلة ، قال: " إني لم أذكر في كتابي نصف ما شاهدته"(ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 272).

1- العلاقات الأوروبية الصينية.

كان لطول المسافة التي فصلت بين اوروبا والصين بالاضافة إلى أن وجود الامبراطورية البارثية(الدولة البارثية : تنسب إلى البارثيون أو الغارثيين ، وهم فرع من الايرانيين) ، الفاصل بين املاك روما وبلاد الصين، قد منع قيام علاقات مباشرة بين الدولتين ، اللهم إلا عبر شعوب أخرى كانت تربط بينهما، عبر شبكة الطرق التجارية التي قطعت وسط آسيا ، مروراً بالصحاري والوديان والجبال، التي جعلت التواصل بين الدولتين أمراً مستحيلاً حينها(ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 218.5- المرجع نفسه، ص 160) لم يعرف الرومان وجود دولة توازي دولتهم، من حيث الحجم والقوة والقدرات الاقتصادية.

إلا ان بعض المصادر القليلة ، أشارت إلى شعوب الشرق الأقصى التي يأتي منها الحرير، وذكرت هذه المصادر ما أطلق عليهم إسم " السيرين " ومعناها " شعب الحرير" ، حيث ظن الرومان أن هؤلاء يحصدون الحرير من غابات تقع على " الطرف الخارجي لآسيا"(- ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 218.5- المرجع نفسه، ص 162).

كما أورد المؤرخ الروماني " فلوروس " ، عن سفراء وصلوا إلى روما ، ذكر منهم " السيريون والهنود ، وهم الذين يقطنون مباشرة بجوار الشمس"(- ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 218.5- المرجع نفسه، ص 163).

أما بلاد هؤلاء " السيريين " فيوضحه المؤلف والفيلسوف الروماني بليني الأكبر (25- 79م) ، فيعين مكان إقامتهم في شمال سلسلة جبال الهملايا ، في إقليم " تاريم " وهو يقع في إقليم الإيغور المستقل حالياً غرب الصين(- ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 218.5- المرجع نفسه، ص 164).

وهكذا ، بقيت معلومات الرومان عن الصين غير واضحة ، إلى أن تمكن التجار من تبيان بعض حقائق الصين، فالجدير ذكره ، إلى ان فترة حكم الامبراطور " أوغسطس قيصر " إزدهرت بالتجارة البحرية التي ربطت بين العالم الروماني والهند، حيث يذكر أن حوالي المائة وعشرين سفينة كانت تنطلق من مصر باتجاه الشرق الأقصى، لتكون بدايات التأسيس للعلاقة التي ربطت بين اوروبا والصين وليتحول الحرير الصيني، إلى أبرز انواع البضائع التي أسست لعلاقات تجارية وسياسية فيما بعد بين العالمين الشرقي والغربي ، وفتحت أعين أوروبا على الشرق الأقصى(ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 218.5- المرجع نفسه، ص 165).

بدأ التجار الرومان يكتشفون شرق آسيا، فيورد أحدهم عام (70م) عن منطقة

تقع خلف نهر الغانج ، ينتج فيها الحرير ليصدّر عبر إقليم "تاريم"(الثقافة العالمية ص 165).

إلا ان هذا المكان ، الذي ينتج الحرير بقي لغزاً ، فإمكانية الوصول إلى الصين براً ، كانت ممنوعة من قبل " الباريثون " الذين منعوا التجار الرومان من المرور عبر شرق إيران، وذلك بهدف الحفاظ على احتكارهم تجارة الحرير الصيني.

وعلى الرغم من محاولة القائد العسكري الصيني " بان شاوي " من الوصول إلى دولة " البارثيين " ومحاولات الرومان من خلال الامبراطور " تراجان " عام 116م ، من القيام بنفس المهمة من جهة الغرب ، إلا أن القائدان فشلا في مهمتهما ، كما فشلت إمكانية التواصل المباشر بين الدولتين(ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 218.5- المرجع نفسه، ص 165- 166).

الامبراطور تراجان

إلا ان محاولات القائد " بان شاوي " أفلحت في إكتشاف وجود دولة عظمى في الغرب، أطلقوا عليها إسم " داكن " أي " الصين العظيمة " وذلك من خلال التواصل مع رسل الممالك التي كانت على علاقة بالامبراطورية الرومانية(ول ديورانت ، قصة الحضارة، بيروت : دار الفكر ، د.ت ، 4 : 218.5- المرجع نفسه، ص 167) ، وبغض النظر عن بعض أنواع التواصل القليلة التي حصلت بين بعض التجار وملك " الهان"(هي مجموعة قبائل رعوية ، كانت في العصر الروماني بعيدة جداً عن الدولة الرومانية عاشت في سهول آسيا ، تنتقل من مرعى إلى آخر مع قطعان الخيل والماشية – سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، بيروت ، دار النهضة العربية) ، إلا أن التواصل المباشر كان يتم فقط عبر التجارة البحرية وبشكل قليل ونادر.

وتورد كتب تاريخ " الهان " ، عن العام 166م ، وصول مجموعة من الرومان إلى فيتنام، لينقلوا بعدها إلى العاصمة الصينية لمقابلة الامبراطور بشكل رسمي ، ويبدو من خلال الأحداث ، ان هذه المجموعة لم تكن مرسلة بشكل رسمي من الامبراطورية الرومانية وأن الصينيين اعتقلوهم ونقلوهم إلى امبراطورهم(الثقافة العالمية– المرجع السابق ، ص 173 – 174)..

كما وردت اخبار أخرى عن وصول تجار أوروبيين إلى الصين، إلا انها تبقى ضمن إطار العلاقات النفعية ليس إلا(الثقافة العالمية ، ص 174 – 175).

ومع قيام الدولة البيزنطية ، سعى الامبراطور " جستنيان " (527–565م) إلى الحصول على سر صناعة الحرير عن طريق الرهبان النساطرة ، الذين كانوا قد أسسوا لأنفسهم تجمعات في الدولة الساسانية ، وكانوا يجوبون طريق الحرير، فدخلوا الصين وترجموا الكتاب المقدس إلى اللغة الصينية، فطلب منهم جستنيان الحصول على اسرار صناعة الحرير ، ويذكر أن بعض هؤلاء الرهبان قصد بلاد الصين واستطاع نقل بذور من التوت وبيض دودة القز ، من خلال إخفائه داخل عكازات مجوفة ، إلا أن صناعة الحرير البيزنطية ، بقيت على الرغم من ذلك رديئة.

لتحافظ بالتالي، طريق الحرير على أهميتها ودورها ، طيلة سبعماية عام، حتى بدأ عصر تجارة البندقية ، ورحلات المستكشفين ومنهم ماركو بولو(الثقافة العالمية، المرجع نفسه ، ص 171).

2- ماركو بولو والطريق إلى الصين.

ولد ماركو بولو عام 1254م ، في مدينة البندقية، من عائلة من النبلاء، وينقل أن والده نيقولو وعمه مافيو ، قد تعرفا على قوبلاي خان ، القاآن المغولي ، من خلال علاقتهم التجارية مع الصين (ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الألف الكتاب الثاني ، 2002 ، 1: 12 ص 177) .

وكان ذلك على أثر إنضمام الأخوين بولو إلى مبعوثي الخان المغولي في مدينة بخارى، حيث كانا يتواجدان فرافقا بعثة الخان عاماً كاملاً حتى وصلا إلى بلاط الخان، الذي أحسن استقبالهما، وأستفاد من معلوماتهما

عن اوروبا والحياة فيها ، وعن ملوكها والبابا والكنيسة، ومدينة روما وما يجري فيها. ليبعث بهما الخان بعد ذلك ، كسفارة من قبله إلى البابا، طالباً منه " مائة مُبشّر "(بقي كرسي البابا شاغراً في روما ثلاث سنوات ، بعد وفاة البابا كليمنص الرابع (ت 1268م) ، واختير خلفاً له البابا غريغور العاشر(ت 1276م)، وقد عرفت هذه الفترة صراعاً دينياً بين كنيسة روما وكنيسة بيزنطيا ، عقدت خلالها عدة مجامع دينية ، كما شهدت صراعاً سياسياً بين اوروبا والقسطنطينية) بالاضافة إلى زيت من قنديل الناووس المقدس(ماركو بولو – المرجع السابق ، 1 : 15).

ومع عودة الأخوين بولو إلى إيطاليا ، وجدا أن البابا قد مات ، فقصدا البندقية ، بانتظار أختيار بابا جديد ، وفي البندقية كان ماركو بولو قد بلغ من العمر الخامسة عشر وتوفيت والدته، فقرر والده نيقولو أن يصحبه معه في رحلة العودة إلى قوبلاي خان عام 1271م ، مع الزيت المقدس الذي حصلوا عليه ، مع عدم تمكنهم من اصطحاب أي مُبشّر ، كون أن الكنيسة كانت منقسمة حينها(نجيب اسطيفان، صراعات الكنيسة وسقوط القسطنطينية، دمشق ، دار التكوين ، ط1، 2011 ،ص 236– 237).

ألا أنهما اكتفيا برسالة من المندوب البابوي في عكا(ماركو بولو ، المصدر السابق ، 1: 15 – 16) وبعد ثلاث سنوات وصل آل بولو الثلاثة إلى قوبلاي خان عام 1275م ، وهناك أعجب الخان المغولي بماركو بولو، فكلفه بعدة مهمات رسمية من قبله، فكان مبعوثه إلى الأقاليم الصينية المختلفة.

حيث أن الخان الذي كان يعتبر رجاله " حمقى وأغبياء ، لعجزهم عن إبلاغه بأي شيء عن " عادات وأعراق " الأقاليم التي كانوا يزورونها " فماركو بولو ، أثار إهتمام الخان برواياته وقصصه ، عن مشاهداته التي كان ينقلها بتفصيل للخان الأعظم(فرنسيس وود ، المرجع نفسه ، ص 23).

وخلال السبعة عشر عاماً التي قضاها ماركو بولو عند قوبلاي خان، نقل مشاهداته التي ظهرت من خلال كتابه الذي يعتبر من أبرز كتب الأسفار ، كما يعتبر مصدراً في العصور الوسطى عن بعض مناطق آسيا الوسطى والدولة الفارسية ، وعن الصين الكبرى في عهد الأسرة المغولية(ماركو بولو ، المرجع السابق، 1 : 17 – 20.) التي بدأت بإحتلال الصين مع العام 1257 م حتى العام 1368م وسقوط العاصمة بكين بيد أسرة منيغ الصينية(747)، ونهاية الحكم المغولي في الصين(دانييل إليسيف ،تاريخ الصين ، دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، 2007 ، ص109و 125).

3- قوبلاي خان (658- 693 هـ / 1260 – 1294م)

هو قوبلاي ابن تولوي ابن جنكيز خان (رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ ، ترجمة فؤاد الصياد ، بيروت : دار النهضة العربية ، ط1 ، 1983 ، ص 237) ، كان أخاه منكوقاآن قد عينه هو وأخوه هولاكو، للسيطرة على البلاد المحيطة بالدولة المغولية ، فكان نصيب هولاكو المنطقة الغربية من بلاد المغول، فتوسع في فتوحاته حتى دخل بغداد وأسقط الخلافة العباسية عام 656هـ / 1258م .

أما قوبلاي ، فكان عليه السيطرة على البلاد الشرقية وممالك الخطا(الخطا : هي قبائل كانت تقيم إلى الجنوب من منشوريا ، استطاعت فرض الجزية على أسرة سونج الصينية ، وتوسع نفوذها حتى سيطرت على إقليم الصين الشمالي.إلى ان سقطت عام 1125م) فتوسع حتى دخل الصين (رشيد الدين الهمذاني ، المصدر السابق ، ص 243).

ومع موت منكوقاآن ، وقع الخلاف بين أخوته حول من يتسلم السلطة من بعده ، وكان أحد الأخوة " أريق بوقا " وهو الأصغر، ينوب عن منكوقاآن في مدينة قراقورم (قراقورم : عاصمة جنكيز خان ، تقع إلى الشمال من الصين ، عباس العزاوي ، تاريخ المغول، أبو ظبي : المجمع الثقافي، 2000، ص 19) عاصمة المغول، فلما وصل إليه خبر موت القاآن ، اعلن نفسه خاناً بمساندة

عدد من افراد الأسرة المغولية الحاكمة ، خصوصاً وأن أبناء منكوقاآن كانوا لا يزالون صغاراً في السن.

إلا أن جيش الصين المغولي طالب بقوبلاي خاناً ، وإنقسم المغول بين الأخوين ، لينعقد مجلسين وطنيين للمغول (القوريلتاي) أحدهما عين قوبلاي خاناً ، والآخر اختار أريق بوقا عام 1260 م . (ستيفن رنيسمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، بيروت : دار الثقافة ، 1997 ، 3: 530–531).

إلا أن قوبلاي وبمساندة الجيش وقادته ، استطاع أن ينتصر على اخيه وأوقعه في الأسر عام 662هـ / 1263 م (ستيفن رنسيمان ، المصدر نفسه ، 3 : 531).

لم يتخذ قوبلاي خان من قراقورم عاصمة له، بل تحول إلى الجنوب، حيث أعاد بناء بكين عام 1267 م، وغيّر اسمها من عاصمة الشمال(بكين) إلى " خان باليك " [مدينة الخان](دانييل إليسيف ، تاريخ الصين ، ترجمة يوسف الشام، دمشق ، وزارة الثقافة ، 2007 ، ص 110– 111) وأخذ يعمل للسيطرة على باقي أنحاء الصين وما يجاورها من البلاد ، مثل فيتنام وكوريا واليابان.

كما اعلن قوبلاي خان نفسه خليفة لأباطرة الصين، وأسس أسرة يو – وان عام 1279 م(دانييل إليسيف ، تاريخ الصين ، ترجمة يوسف الشام، دمشق ، وزارة الثقافة ، 2007 ، ص 115) ،وتبنى حضارة الصين،

التي كان متأثراً بها، وهو بذلك يكون قد تخلى عن قوانين جنكيز خان المغولية(فؤاد الصياد ، المغول في التاريخ ، بيروت : دار النهضة العربية، د. ت ، ص 217).

واستطاع قوبلاي خان، وبعد عشرين عاماً من الحروب المتواصلة ، أن يسيطر على اقاليم الصين الجنوبية ويقضي على اسرة " سونج " الصينية ، عام 678هـ/ 1288 م(فؤاد الصياد ، المغول في التاريخ ، بيروت : دار النهضة العربية، د. ت ، ص 217).

وأولى الروابط التي تشكلت بين قوبلاي خان وأوروبا ، كانت عبر رحلات آل بولو إلى الصين، وخدمات ماركو بولو للخان ، والتي اعتبرها المؤرخون الغربيون ، اولى العلاقات مع أسرة صينية حليفة للغرب المسيحي(دانييل إليسيف ، تاريخ الصين ، المرجع السابق ، ص 116)

3- ماركو بولو وقوبلاي خان : نظرة الغرب على الشرق.

يبدأ ماركو بولو بالتعريف بالخان المغولي قوبلاي ، البالغ من العمر الخامسة والثمانين في زمن الرحالة البندقي ، فيصفه قائلاً : " لم يكن فحسب شجاعاً مقداماً في القتال ، ولكنه يُعدَّ في شؤون الحكمة والعدالة والمهارة العسكرية ، أكفأ وأنجح قائد قاد التتار – الدهر كله"(ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، المرجع السابق، 2: 12).

وفي كتابه ، يظهر ماركو بولو ، إحترام قوبلاي خان للديانة المسيحية، فهو يستقبل آل بولو الثلاثة ، ويُسرُ برسالة البابا جريجوري وبهداياه ، " وتلقى بالتوقير الواجب الزيت المجلوب من القبر المقدس ، ثم أصدر تعليماته بالاحتفاظ به بعناية ملؤها التقوى"(ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، المرجع السابق، 1: 41).

بعدها يتعرف على ماركو بولو، ويضمه إلى أتباع الشرف من ضمن حاشيته(ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، المرجع السابق، 1: 41).

ويتعلم ماركو بولو " آداب التتار وأعرافهم ... وحذق أربع لغات مختلفة تمكن منها قراءة وكتابة " (ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، المرجع السابق 1. 41).

في الواقع فإن البلاط المغولي ، الذي أظهر تأييده للمسيحية ، أثار الكثير من آمال حكام أوروبا ، الذين اهتموا بتطوير العلاقة معه، وكان لإزدهار التجارة ، على ما عُرف بطريق الحرير، الذي كان يمر بوسط آسيا ، وبلاد فارس ، وأرمينيا وصولاً إلى الصين ، أن ساهم في ظهور التجار الأوروبين في تلك المناطق، وخصوصاً في فارس ، فظهرت المحطات التجارية الايطالية في تبريز ، التي وصلت إليها البضائع من وسط آسيا والشرق الأقصى ، كما تنقلت السفن بين الصين والخليج العربي، محملة بالبضائع.

هذا التواصل التجاري ، بين الشرق والغرب، رافقه تبادل للهدايا بين حكام أوروبا والخان المغولي قوبيلاي ، عبر السفارات التي تبودلت بين الطرفين ، بالاضافة إلى الرحلات التي قام بها التجار الغربيون إلى تلك المناطق في الصين (برتولو شبولر ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، دمشق : دار حسان للطباعة والنشر ، ط1 1982 ، ص 69) لذلك نجحت رحلة ماركو بولو ، التي كانت صلة وصل بين هذين العالمين ، الغرب والشرق ، ولاقت قصصه رواجاً في الغرب، فكانت كتاباته التي وصفت ثروات الشرق وغناه أثرها الكبير في تشجيع عدد من الرحالة والمستكشفين الغربيين على المغامرة في اجتياز مجاهل آسيا ، والبحث عن أفضل وأسهل الطرق للوصول إلى الشرق الأقصى والهند مما ساهم في اكتشاف القارة الأميركية (– حافظ أحمد حمدي ، الدولة الخوارزمية والمغول ، القاهرة : دار الفكر العربي د.ت ، ص 303) وهو ما أوردته الكاتبة إيلين بور في قولها أن ماركو بولو قد اكتشف بلاد الصين في القرن الثالث عشر وهو على قيد الحياة ، واكتشف أميركا في القرن الخامس عشر بعد وفات(Eileen power : Medieval People , London , 1939, P. 67).

ونعود لماركو بولو ، الذي يصور قوبلاي خان ، بالشخصية التي تحترم الأديان فهو يأمر بتعطير الانجيل في عيد الفصح، ويقبله بخشوع ويامر كافة النبلاء بأن يحذو حذوه ، ويضيف ماركو بولو ، إلى ان الخان كان يفعل نفس الشيء في كل الأعياد المسيحية، وحتى في اعياد المسلمين واليهود والوثنيين(ماركو بولو ، المرجع السابق، 2: 18).

في الواقع، فإنه من المعروف أن بلاط الخان المغولي في قراقورم ومنذ عهد جنكيز خان، تواجدت فيه مجموعة من المرشدين والمستشارين ، منهم المسلم والمسيحي والبوذي وعبدة الأوثان(فؤاد الصياد ، المغول في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 153) ، وبذلك فإن الخانات المغول وأبنائهم ، كانوا على إطلاع على

كافة الأديان من سماوية ووضعية ، وعلى الكثير من عادات وتقاليد وأعراف وأنظمة الشعوب المختلفة التي عرفت في عصرهم(فؤاد الصياد ، المغول في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 154).

وظهر احترام الأديان عند المغول ، من خلال قانون الياسا(قانون الياسا : هو مجموعة القوانين والأنظمة والقواعد التي وضعها جنكيز خان – الجويني ، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ، 1: 61) الذي ضمّ بعض القواعد التي أثبتت اهمية وقدسية الديانات واحترام أتباعها ، وهو ما أورده الجويني : ... ولما لم يكن معتقداً بدين معين (جنكيز خان) فإنه لم يتعصب لملة على ملة ، تاركاً المرء وما يعتقد ، في حين أن علماء كل أمة وزهادها مكرمون معززون ، ويعدون إكرامهم وسيلة للتقرب إلى الله ، وهم ينظرون إلى المسلمين نظرة توقير ، ويعزّون الرهبان وعبدة الأوثان أما أولادهم فكانوا مخيرين بالدين الذي ينتمون إليه، فبعضهم تقلد شعائر الاسلام ، وبعضهم سار سيد النصارى ، وطائفة عبدت الأوثان ، كما ظلت فئة تعتقد إعتقاد أجدادها القدماء فلم تمل إلى دين معين، ولم تكن طائفة تدخل في الدين وتتعصب له، بل تتقلده وتسير على تعاليمه"(عطا ملك الجويني ، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ، ترجمة محمد التونجي ، دمشق دار الملاح ، ط1 ، 1985 ، 1 : 63) .

في الواقع فإن قوبلاي خان، الذي عرف بثقافته وتعليمه، حتى فاق مع أخيه هولاكو أقرانهم من الأمراء المغول ، كان معجباً بالديانة البوذية(البوذية : انتقلت البوذية من الهند إلى الصين في عهد الامبراطور مينغ تي من سلالة الهان الذي حكم بين الأعوام 58 و75م) ، التي كانت منتشرة حينها في الصين إلا أنه لم يتخلّ ، ظاهرياً كما يبدو، عن الديانة الشامانيه (*)، التي هي ديانة المغول.

ونعود إلى ماركو بولو ، الذي يأتي على ذكر كيفية اختيار الخان للسراري ، فهو يرسل الموظفين المختصين في كل عام إلى بلاد " التانجوت "(*) فيجمعون له أربعماية " من أملح الشواب فتنة وفق تقدير الجمال المبلغ إليهم فيما لديهم من تعليمات، عبر فحص يجري لهن(ماركو بولو ، المرجع السابق، 2: 24).

بعدها يرسلن إلى الخان ، ليجري فحص آخر عليهنّ ليحتفظ " لمخدعه الخاص بثلاثين أو أربعين أو ستين تقديراً أعلى منهن(ماركو بولو ، المرجع السابق، 2: 24).

ويتسآل ماركو بولو : " ألم يكن أهل تلك الولاية يشعرون بمضض لأخذ الملك بناتهم ؟، فيجيب قائلاً : " كلا بكل تأكيد ، إذ انهم ، على العكس ، كانوا يعدون ذلك فضلاً وتشريفاً لهم"، فأبنتهم قد تصبح الامبراطورة وسيكون لها مركزاً مرموقاً في قصر الخان(ماركو بولو ، المرجع السابق، 2: 25).

أما عن مدينة الخان، فيورد ماركو بولو ، انه يقع في وسط المدينة " جرس كبير ، معلق في بناء مرتفع، يدقونه كل ليلة ، ولا يجرؤ إنسان بعد الدقة الثالثة أن يتواجد في الشوارع إلا أن يكون مضطراً تحت دافع ملح"(ماركو بولو ، المرجع السابق، 2: 34).

بعدها يتطرق ماركو . إلى ذكر ، " عدد العاهرات اللائي يتجرن بأعراضهن مقابل المال.... خمسة وعشرين ألف بغي وقد جعل على كل مائة وكل ألف من هؤلاء البغايا ضباط مشرفون يأتمرون بأوامر قائد عام ، ويشرح ماركو بولو السبب في ذلك، وهو لوضعهم في خدمة السفراء الذين يخدمون الخان، الذين " ولكي يعاملوا بأبلغ تكريم، يؤمر القائد بتزويد كل فرد من أفراد السفارة ، كل ليلة بإحدى هؤلاء العاهرات التي يجري تغيرها بالمثل كل ليلة، وهي خدمة لا يتقاضين عليها أي أجر ، نظراً لأنها تُعدّ شبه آتاوة عليهن أداؤها للعاهل"(ماركو بولو- المرجع السابق ، 2 : 34 – 35.).

ثم يتحدث ماركو بولو عن شدة الخان في تطبيق النظام من خلال واقعة حدثت أثناء وجوده حيث قام بعض من السكان المحليين المسلمين بقتل أحد مستشاري الخان، والعقوبة التي انزلها بهم، وكيف أن قوبلاي وبعد ان ثبت من خلال التحقيقات أن مستشاره كان سيء السيرة هو وأولاده، أصدر أوامره بنبش قبره وإلقاء جثته في الشارع " لكي تنهشها الكلاب وتمزقها إرباً ، كما صادر ثروته ، وامر بان تسلخ جلود أبنائه أحياءً (ماركو بولو- المرجع السابق ، 2 : 36).

هذه الطريقة في العقاب، ليست جديدة عند المغول، فمن المعروف أن قانونهم" الياسا " يورد قواعد شديدة القسوة في إنزال العقاب بالجاني ، مهما كان ، وهي من عادات وتقاليد المغول التي قوننها ونظمها جنكيز خان(- فاسيلي بارتولد ، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، الكويت ، ط1 ، 1981، ص 113).

ومن المعروف، أن بلاط خانات المغول، عرف الكثير من الوشايات التي قامت بين الوزراء والمستشارين والقادة، الذين كانوا يحقدون على بعضهم البعض ، من الأمثلة على ذلك ، وشاية الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، على وزير الايلخان أولجايتو محمد خدابنده (ت 716 هـ/1316 م) ، حيث أمر الايلخان بقتل وزيره سعد الدين ومن معه في بغداد من نوابه(عباس العزواي ، العراق بين احتلالين، بغداد ، مطبعة بغداد 1935، 1 : 417 – 418) كما قتل الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني وولده عز الدين في عهد الايلخان أبو سعيد بهادرخان (ت 736هـ/1335م)، وأرسل رأسه إلى تبريز " وصاروا يطوفون به ويلعنونه ويقولون أن هذا رأس يهودي بدّل كلام الله" ، وذلك بوشاية من الوزير تاج الدين علي شاه(ماركو بولو - المرجع السابق ، 1 : 45).

كما وفي عهد آرغون بن آباقا(ت690هـ/1291م) ، أمر بقتل شمس الدين محمد الجويني، صاحب الديوان ، وأفراد عائلته(فؤاد الصياد، مؤرخ المغول الكبير ، القاهرة : دار الكتاب العربي 1967، ص61).

في الواقع، فإنه كان كل من له غاية في الوصول إلى منصب ما، يعمد إلى إظهار المودة للخان وذكر مساوئ خصمه كي يوغر صدر الخان عليه ، فيعينه مكانه حتى ولو كان ذلك عبر تلفيق التهم التي قد تكون نتيجتها الاعدام بحق المشكوك بولائه.

ثم يتوسع ماركو بولو ، في وصف حياة الخان، وذكر حرسه الشخصي ، الذي بلغ إثني عشر الف فارس، يطلق عليه إسم كاستيان ومعناها " الجند المخلصون لسيدهم" (ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2 : 42) والطريقة التي يعقد بها الخان قوبلاي مجالسه العامة(ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2 : 43) كما يصف عيد ميلاد قوبيلاي، الذي يقع في الثامن والعشرين من أيلول ، حيث يحتفل به " جميع رعايا الخان الأعظم وهذا هو أعظم أعيادهم، بعد استثناء العيد الذي يقام في رأس السنة"(ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2 : 47) ، وهذا العيد الأخير يقع في الأول من شهر شباط من كل عام ،و هم يعتبرونه بداية السنة عندهم ، " ولهذه المناسبة جرت عادة الخان ، وكذا كل رعاياه، بمختلف بلادهم، أن يرتدوا البياض، الذي هو حسب معتقداتهم علامة الحظ السعيد(ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2 : 49).

ويختتم الاحتفال بهذا العيد ، حيث " يقاد أسد إلى حضرة جلالته،و هو من بالغ الاستئناس بحيث يصبح مدرباً على ان يرقد عند قدميه"(ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2 : 51).

ومع حلول فصل الشتاء، يضيف ماركو بولو ، يعطي الخان أوامره " بخروج جماعات القنص ... للصيد بجميع الأقاليم... ويطالب حكام النواحي أن يرسلوا إلى المقر الامبراطوري جميع أنواع الصيد في اكبر أحجامها(ماركو بولو – المرجع السابق ، 2: 52).

ويعطينا ماركو بولو ، صورة عن مشاهد الصيد التي كان يقوم بها قوبيلاي ، وحيوانات الصيد التي كانت ترافقه ، فللخان " الكثير من الفهود التي يحتفظ بها بقصد مطاردة الغزلان فضلا عن الكثير من الأسود ..."

ويصف ماركو بولو ، مشهد الأسود التي تلاحق الحيوانات، : " وأنه لمنظر رائع ، ذلك الذي يتجلى ، عندما ينطلق الأسد ليعقب الحيوان، وحين يشاهد التلهف الوحشي والسرعة الخاطفة التي يدركه بها"(ماركو بولو – المرجع السابق ، 2: 53).

ويضيف ماركو بولو إلى حيوانات الصيد لدى الخان " نسوراً دربت على الانقضاض على الذئاب، وهي من الضخامة والقوة بحيث لا يستطيع ذئب مهما بلغت ضخامته من براثنها(ماركو بولو – المرجع السابق ،2 . 54).

وبعد رحلة الصيد التي يقوم بها الخان في شهر آذار(ماركو بولو – المرجع السابق ، 2: 56) " يعقد الخان الأعظم عند عودته إلى عاصمته جلسة عظيمة وفخمة للبلاط، تستمر ثلاثة أيام يأدب أثناءها المآدب، أو يقدم الملهيات والتسليات إلى كل من يحيط به"(ماركو بولو – المرجع السابق ، 2: 62).

من الجدير ذكره، أن الصيد عند المغول عادة يدأبون عليها في كل عام ، وقد فرض جنكيز خان الصيد على الجيش، فكان الصيد يقام في موسم الشتاء مع نزول الجليد وينتهي مع ظهور العشب، وهي الفترة التي تبدأ فيها بشن الحرب ، لكن في الحالات الطبيعية حيث لا حروب كان الصيد عادة عندهم ، حيث يشارك الخان وأبنائه وأفراد العائلة ، والقادة كلهم في رحلات الصيد(ثروت عكاشة ، إعصار من الشرق ، القاهرة : دار الشروق ، ط5 ، 1992، ص 100) .

بعدها يصف لنا ماركو بولو نظام الدولة الاقتصادي، فيذكر العملة الورقية التي يصدرها الخان، وطريقة صنعها ، فيقول : " فإنه يامر بنزع اللحاء من أشجار التوت ، التي تستخدم أوراقها لتغذية دودة القز، ويأخذ منها تلك القشرة الداخلية الرقيقة التي تقع بين اللحاء اليابس الأخشن وخشب الشجرة ، فتنقع تلك القشرة ثم تدق بعد ذلك في هاون ، حتى تتحول إلى عجينة يصنع منها الورق... فإذا أصبح معداً للإستعمال ، امر به فقطع ليكون نقداً ذا أحجام مختلفة ، وهو مربع تقريباً ، ولكن طوله أطول قليلاً من عرضه" (ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2: 64).

كما ان الخان يكلف مجموعة من الموظفين من أصحاب الخبرة لفحص السلع التي تدخل إلى الأسواق، من خلال القوافل التجارية ، الآتية من مختلف المناطق ، وتحديد قيمة تلك السلع" التي ينبغي أن تباع بها، ثم يسمح بمكسب معقول يضاف إلى المبلغ الذي قدّرت به البضاعة"(ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2: 65).

ثم يصف لنا ماركو بولو مجلس الضباط المعين من قبل الخان للإشراف على الجيش، ومجلس الاثنا عشر الذين يتولون شؤون الامبراطورية بشكل عام ، ويظهر هؤلاء وكأنهم مجلس للوزراء يتبع الخان بشكل مباشر ، ويتولون سلطات عليا ، فهم يملكون سلطة " اختيار الأفراد الواجب تعيينهم حكاماً في الولايات العديدة " ، كما ان لهم حق الاشراف " على كل موضوع يتعلق بجباية الضرائب... كما في يدهم الهيمنة على كل مصلحة أخرى من مصالح الدولة، باستثناء واحد فقط هو ما يتصل بالجيش من امور" (ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2: 68).

أما طرق التواصل بين الأقاليم والولايات داخل الامبراطورية ، فيأتي ماركو بولو على ذكر " دور البريد" ، ويطلق عليها اسم " دور راحة للمسافرين "، هي عبارة عن " مبان ضخمة وجميلة " وفي هذه المحطات أربعماية من جياد الخيل كلها في حالة استعداد مستمر ، حتى يتمكن جميع الرسل الذاهبين والغادرين في خدمة الخان الأعظم وأعماله ، وجميع السفراء من الحصول على ابدال ويزودوا"(ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2:966).

ويهتم الخان بتنظيم هذه الطرق العامة وتزيينها ، " فيأمر بغرس الأشجار على جانبي الطرق العامة" ولهذه الأشجار فوائد عديدة، فهي " تساعد، فضلاً عما تمده من ظل في الصيف"، تساهم أيضاً في " توضيح الطرق [للمسافر] عندما تكتسي الأرض بالجليد" [شتاء].

أما الطرق التي تمر من خلال الصحاري الرملية ، او من خلال الجبال الصخرية، " حيث من المستحيل غرس الشجر، أمر جلالته فوضعت على جانبي الطرق أحجار وأقيمت أعمدة لتكون بمثابة ... علامات لهداية المسافرين "(ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2: 77).

وبعد هذا الوصف لنظام الدولة وتنظيمها في عهد الخان الأكبر قوبيلاي خان، يُظهر ماركو بولو مدى إيمان الخان بالمنجمين والعرّافين، والذي يُقدر عددهم في عاصمة الخان وحدها بخمسة آلاف " يتولى الخان الأعظم إمدادهم بالطعام والكساء بنفس الطريقة التي يعول بها العائلات الفقيرة " ،ومع كل من هؤلاء المنجمين والعرافين إسطرلاب " تصور عليه علامات الكواكب" ، عبر جداول يكتشف عبرها " ما سيكون عليه حال الجو " . هؤلاء المنجمون يتنبأون بالظواهر الخاصة بكل شهر (رعد ، عواصف ، زلزال ، امطار عنيفة ، انتشار الأمراض ، الوفيات، الحروب ، الخلافات والمؤامرات).

ويضيف ماركو بولو ، ان هؤلاء " يكتبون تنبؤاتهم عن السنة داخل مربعات صغيرة ، ويبيعونها"(ماركو بولو ، المرجع السابق ، 2: 82).

ويبدو من خلال وصف ماركو بولو أن هؤلاء العرّافين هم كهنة الديانة الشامانية ، وهي من الديانات الوثنية ، التي كانت منتشرة بين المغول ، وتتمثل في عبادة كل ما يخشونه أو يرهبونه ، من ظواهر الطبيعة ، واتباع هذه الديانة يؤمنون بالقوى السحرية ، وللكهنة الشامانيين خبرة بالسحر والتنجيم ، وتحضير الأرواح لكشف الغيب والتنبوء بالمستقبل(فؤاد الصياد ، المغول في التاريخ ، المرجع السابق ، ص 335).

وينتقل ماركو بولو إلى وصف دين المغول ومعتقداتهم وهي على الأرجح البوذية ، حيث أن قوبلاي خان، ومع أنه كان يحترم كل الأديان ، إلا انه سعى إلى نشر البوذية على حساب الديانة الطاوية "((*) الديانة الطاوية: مؤسسها لاوتسو (ولد 604 ق.م) وهو فيلسوف صيني ، وهذه الديانة تدعو إلى السكون وعدم

التدخل في شؤون الناس– أديب صعب، الأديان الحية، المرجع السابق ، 2005 ، ص 71) " مع الحفاظ على الفلسفة الصينية العقلانية"(دانييل إليسيف ، تاريخ الصين ، مرجع سابق ، ص 109).

ويؤمن أتباع هذا الدين بالولادة الثانية " وأنه تبعاً لمسلك الفضيلة أو الشر الذي اتبعه أثناء حياته، ستكون حالته المستقبلة بإطراد أفضل أو أسوأ (ماركو بولو ، المرجع السابق، 2: 84).

بعدها ينتقل ماركو بولو وباستفاضة في الحديث عن ولايات مملكة قوبلاي خان وأبرز المدن فيها ، وبعض العادات والتقاليد المنتشرة بينهم.

ثم يختتم ماركو بولو رحلته داخل بلاد الصين في مملكة قوبلاي خان، حفيد جنكيز خان ، فبعد سبعة عشر عاماً في خدمة الخان ، قرر البنادقة الثلاثة العودة إلى البندقية ، خصوصاً مع خشيتهم من موت الخان الذي كان يعطف عليهم ويقربهم منه، ألا أنهم خشوا من أن يحرموا من الامتيازات التي حصلوا عليها من بعده.

وكان قوبلاي خان يرفض السماح لهم بالمغادرة ، إلى ان أوتيت الفرصة ، عندما طلب أرغون خان(*) ، خطبة إحدى فتيات القصر، وكان عليهم نقلها بحراً، فطلب من البنادقة الثلاثة، نظراً لمهارتهم في فنون الملاحة، مرافقة السفارة إلى فارس، فكان (أرغون خان: حفيد هولاكو شقيق قوبلاي، وهو إيلخان بلاد فارس – برتولد شبولر ، مرجع سابق، ص 172) الديانة الطاوية: مؤسسها لاوتسو (ولد 604 ق.م) وهو فيلسوف صيني ، وهذه الديانة تدعو إلى السكون وعدم التدخل في شؤون الناس– (أديب صعب، الأديان الحية، المرجع السابق ، 2005 ، ص 71)

والجدير ذكره ، ان فترة حكم أسرة جنكيز خان وأحفاده، عرفت الرحلات التي قامت بها الأميرات المغوليات من الصين إلى فارس ليتحولن إلى عرائس للأمراء المغول في بلاط إيلخانات فارس، وكان يرافق هذه الرحلات عدد من الخدم والأتباع(– برتولد شبولر ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، المرجع السابق ، ص 69).

إلا ان قصة انتقال الأميرة من بلاط قوبلاي إلى بلاط إيلخانات فارس ، تثير عند بعض المؤرخين، بعض علامات الاستفهام حول مصداقية ماركوبولو وصدق روايته ككل حول الرحلة إلى الصين، وما جرى معه هناك.

وتورد فرنس وود ، الباحثة الانجليزية ، ان قصة انتقال الأميرة " كوجاتين " من الصين إلى بلاد فارس، وردت عند رشيد الدين الهمذاني ، كما في نص صيني رسمي، إلا أن الروايتين لم تأتيا على ذكر وجود أوروبيين مرافقين لهذه الرحلة، مما يثير عدد من علامات الاستفهام ، هل أن ماركو بولو قد بالغ بذكر أنه كان من الطبقة المقربة من قوبيلاي خان، أو ان رشيد الدين قد قصد من وراء عدم ذكرهم، كونه كان متحاملاً على الأوروبين!!، وقد تكون هذه القصة مقتبسة من مصدر آخر ، وهنا تتساءل " وود " : " فإن الشيء الثاني الذي وجدته بالغ الاثارة لدى النظر إلى النص في مجمله هو انه، فيما عدا المدخل، لا يتضمن إلا القليل جداً من الاشارة إلى الأخوة بولو أنفسهم ؛ إنه عمل جغرافي أو تاريخي أكثر بكثير من كونه وصفاً شخصياً لأشياء تمت رؤيتها"(فرنس وود، ماركو بولو هل وصل إلى الصين، ترجمة فاضل جتكر ، دمشق : قدمس للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1999، ص 54).

في الختام ، ينطلق البنادقة من فارس إلى البندقية التي وصلوها عام 1295 م وخلال الطريق سمعوا بخبر موت قوبلاي خان(ماركو بولو ، المرجع نفسه، 1: 18).

وفي البندقية التي وصلوها لم يصدق أهلها قصص آل بولو ، إلا أن هذه الأسرة ، ونظراً لكونها أسرة غنية، فقد شاركت في إعداد سفينة قتالية ، أثناء الحرب مع مدينة جنوى، وكان ماركو بولو على متنها، إلا أن أسطول البندقية هزم أمام جنوى عام 1296م ، ووضع ماركو بولو في السجن مدة ثلاث سنوات ، يقال أنه خلالها أملى كتابه على شخص يدعى " رستيكان " من مدينة بيزا ، داخل السجن، ومع عودته إلى البندقية عام 1299 م، تزوج ، ولم يعرف عنه شيئاً بعدها(ماركو بولو - المرجع السابق، 1 : 18- 19).

<u>– من وضع كتاب ماركو بولو؟</u>

ان عدم ورود ذكر لماركو بولو، في الوثائق الصينية وحتى المغولية أثار الكثير من الشكوك حول قصة هذه الرحلة إلى الصين وخصوصاً أن ماركو ، حسب القصة ، كان مقرّباً من الخان شخصياً(فرنس وود، المرجع السابق، ص 183)، مما أثار الشك بأن يكون ماركو بولو قد أعاد سرد بعض القصص أو الأحداث التي وقعت فعلاً في الصين، خلال حكم قوبيلاي خان، مع طرح إمكانية أن يكون آل بولو قد وصلوا فعلاً إلى بكين ، إلا انهم لم يكونوا في الموقع الذي ذكره ماركو في رحلاته ، وبالتالي فإن ماركو بولو اعتمد على

المرويات التي نقلها عن آخرين ، حول مدن الصين وما ورد في رحلاته من عادات وتقاليد وقصص (فرنس وود، ماركو بولو هل وصل إلى الصين ، المرجع نفسه ، ص 189) .

والتساؤل الثاني، حول مصداقية رحلات ماركو بولو كانت من خلال كاتب القصة نفسه، " روستيتشيللو البيزوي " ، الذي كان داخل السجن نفسه الذي تواجد فيه ماركو بولو ، وقد أسره الجنويون عام 1284 م، بعد معركة بحرية وقعت بين مدينتي بيزا وجنوى(فرنس وود، ماركو بولو هل وصل إلى الصين ، المرجع نفسه ، ص 63) وهو احد كتاب القصص المعروفين ، وكان مقرباً من الملك إدوارد الأول ، ملك بريطانيا، ورافق هذا الأخير في حملته الصليبية إلى عكا بين الأعوام 1270 – 1273 م. وقد لاحظ أحد الباحثين وأثناء

المقارنة بين رحلة ماركو بولو، والروايتين التي وضعهما روستيتشيللو ، عن المغامرات الأسطورية للملك آرثر ، عن أوجه شبه بينها، مما يدّل على ان روستيتشيللو هو الذي وضع قصة رحلة ماركو بولو خصوصاً وأن من يقرأ هذه القصة يلاحظ أن هناك من يصف ما رآه بولو أو شارك فيه ، وقد يكون ذلك عائد إلى التأليف المشترك بين شخصين للقصة (فرنس وود - المرجع السابق، ص 64- 65).

وفي الختام وبغض النظر إن كانت قصص ماركو بولو هذه حقيقة أو من الخيال ، وكون معاصروه أتهموه بأنه راوية قصص(فرنس وود - المرجع السابق، ص67).

إلا انه لم يتراجع عن قصته هذه حتى آخر لحظة من حياته، بل أنه يجيب بعدما سُئل عن حقيقة ما رواه حول رحلته إلى الصين : " إني لم اذكر في كتابي نصف ما شهدته(ول ديورانت ، قصة الحضارة، المرجع السابق، 4: 218) وعلى الرغم من كل ما ورد يبقى ماركو بولو يمثل العلاقة التي ربطت بين الصين وأوروبا في العصور الوسطى، فهو الذي عبَر المسافات، وانتقل بين الاختلافات، فكان مُبشراً ثقافياً وحضارياً ، " ادخل السباغيتي الايطالية إلى الصين ، والمعكرونة المسطحة إلى إيطاليا، " فضلاً عن اعتباره صاحب الفضل في الايحاء بـ(البوظة) الايطالية ، وحتى اليوم لا يزال كتاب ماركو بولو ، يعتمد في الأبحاث الأكاديمية عن الصين في العصور الوسطى ، إن كان حقيقة أم انه نقل عن كتاب للرحلات أو انه من نسج

الخيال، إلا انه أورد معلومات قيمة ، تؤكد المصادر عن تلك المرحلة مصداقيتها بغض النظر إن كان ماركو بولو شارك فيها أم أنه لم يشارك(فرنس وود - المرجع السابق، ص 16).

امبراطورية المغول

د. كاظم نورالدين

البيئة في زمن كورونا

بدأ الانهيار في التوازن بين الجنس البشري والبيئة يتسع، ويساهم ذلك في الانهيار البنيوي للنظام البيئي الشامل/ وخاصة مع انتشار الاوبئة التي جاء فيروس كورونا(كوفيد 19) ليعطي مثلاً يارزاً عنها.

قبل التوسع في عرض الواقع البيئي يجب الاقرار في النقاش، على ضرورة التشديد أن الصورة غير الواضحة نسبياً لانتشار فيروس "كوفيد 19" ، ودورات تكاثره، وتبدلات تركيبته وتنقلاته بين عوالم الحيوانات والبشر، تجعل الكلام عنه يلتزم أفق النسبية والراهنية، لأن المعطيات المتوافرة حالياً، قد تتغيّر وتتبدل مع مايستجد من معطيات حديثة.

واستطراداً، في اللحظة الحاضرة، الواضح أن الكلام عن كون "كوفيد 19" سلاحاً بيولوجياً يندرج غالباً ضمن تفكير يميل الى تفسير الأشياء بـ"المؤامرة"، سواء أكان ذلك بالقول أن "كوفيد 19" سلاح استعمله طرف دولي ما ضد آخر (أميركا ضد الصين)، أو بتبني مقولة أن "كوفيد 19" سلاح بيولوجي انفلت من مختبرات عسكرية للجيش الصيني، كانت تُعِدّه سلاحاً في ترسانتها أو غير ذلك. مع الاعتراف بوجود أطراف دولية من بينها أميركا والصين وروسيا، تستطيع تركيب فيروسات كـ"كوفيد 19" أو غيره، خصوصاً مع تقدم تلك الدول في علوم الطب والجينات، بل تحديداً مع المسار المتصاعد لعلم "البيولوجيا التركيبية" Synthetic Biology(اختصاراً بمصطلح "سين بيو" Syn Bio). وثمة دول يستطيع علماؤها تركيب فيروسات انطلاقاً من مكونات بسيطة، ويستطعيون إعطائها ميزات ومواصفات تجعلها أسلحة بيولوجية.

يبقى السؤال عن الأدلة التي تبرهن حدوث ذلك في وباء "كوفيد 19"، وذلك أمر ضروري من أجل حسم ذلك النقاش.

كذلك هناك احتمال يشير الى أن فيروس "كوفيد 19" ينتمي إلى عائلة فيروسات قديمة، هي كورونا التي اشتهر بإسمها، وتطور وتغيرت تركيبته داخل نوع (ربما أكثر) من الحيوانات، فصار قادراً على الانتقال إلى البشر. ومن المهم ملاحظة أن ليس كل فيروس في الحيوان ينتقل بالضرورة إلى البشر. وهذا ما يسميه العلماء "الحاجز بين الأنواع (Inter Species Barrier) ، يمنع ذلك.

ويبدو أن "كوفيد 19" وصل في تطوّره في العالم الحيواني إلى نقطة صار فيها قادراً على الانتقال إلى البشر وإحداث مرض فيهم، وكذلك يشار إلى الحيوان الذي حدث فيه ذلك التطور بمصطلح "الخزان الحيواني"(Animal Reservoir). ولأن "كورونا المستجد" فيروس جديد على أجساد البشر، فإنها تكون خالية من المناعة ضده، فيُحدِثُ فيها مرضاً بسرعة نسبياً.

هذه الجائحة تعطي العالم دروساً هوالأبرز يشير الى أن كلّ أسلحة العالم وأمواله لم تتمكن من وقف انتشار وباء نتج عن التلاعب بالطبيعة. صحيح أن الفيروس الجديد انتقل، كغيره من الفيروسات القاتلة، عن طريق الحيوان، غير أن المسؤولية تقع على الإنسان لتلاعبه غير المنضبط بعالم الحيوان. وهذا يعطي أهمية مضاعفة للحفاظ على التوازن الطبيعي وحماية البيئة. والأكيد أن صرف المليارات على البحث العلمي وحماية البيئة والرعاية الصحية كان أجدى من صرفها على برامج التسلُّح.، فالفيروس القاتل ضرب القواعد العسكرية وحاملات الطائرات نفسها، ووقف كلّ السلاح عاجزاً عن مواجهته.

وقد تفتح الجائحة الباب واسعاً في المستقبل على اعتماد الاجتماعات عبر الإنترنت، كوسيلة تخفف من أعباء السفر وتقلل من الانبعاثات. وعلى أهمية استمرار التواصل الإنساني المباشر، فقد تفرض دروس جائحة "كورونا" نمطاً جديداً في الاجتماعات الدولية، يقرّبها أكثر من العمل المنتج ويحدُّ من الهدر.

تأثير كورونا على البيئة؟

بعض المواطنين العاملين من منازلهم يؤكدون أن لجائحة كورونا تأثير مباشر وكبير على الحياة الشخصية والعملية. إلا أن السؤال الأهم يبقى عن تأثير هذا الوباء القاتل على البيئة؟.ولفت "فانسان هنري بوش" إلى أن "الدروس التي يمكننا الإستفادة منها، هي أنه يتوجب علينا وبعد أن نتخطى هذه الأزمة، أن نفكر مرة أخرى في مشكلة تلوث الهواء. لسوء الحظ لأن تغير المناخ موجود وسيظل كذلك، ولن يتغير بفعل هذه الأزمة. "

وأحد أبرز الأسئلة التي طرحت خلال هذه المدة كانت، "هل كورونا سيختفي بمجرد حلول فصل الصيف، إلا أن الإجابة على هذا السؤال لا تزال غير واضحة، وليس لدينا معلومات كافية بعد،بل اثبت الواقع تأزم الوضع الصحي في معظم المجتمعات، إضافة إلى أن هناك العديد من المتغيرات الجديدة، بما في ذلك كيف يجب أن نتصرف؟.

بشكل عام أثرت جائحة فيروس كورونا(كوفيد 19) على البيئة والمناخ بشكل ملموس في جوانب عدة:

- أدى التقلص الحاد في سفر وتنقل الأفراد والنشاطات الاجتماعية والتجارية إلى انخفاض مستوى تلوث الهواء في العديد من المناطق.
- في الصين ، أسفرت عمليات الإغلاق وإجراءات التي اتخذت للحد من انتشاره عن انخفاض بنسبة 25 % من انبعاثات الكربون
- وعلى الرغم من ذلك ، فإن التفشي عرقل جهود دبلوماسية بيئية ، بما في ذلك التسبب في تأجيل مؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخي لعام 2020.
- كذلك من المتوقع أن تؤدي التداعيات الاقتصادية من هذه الجائحة إلى إبطاء الاستثمار في تكنولوجيات الطاقة الخضراء.

البيئة هي المستفيد الأول

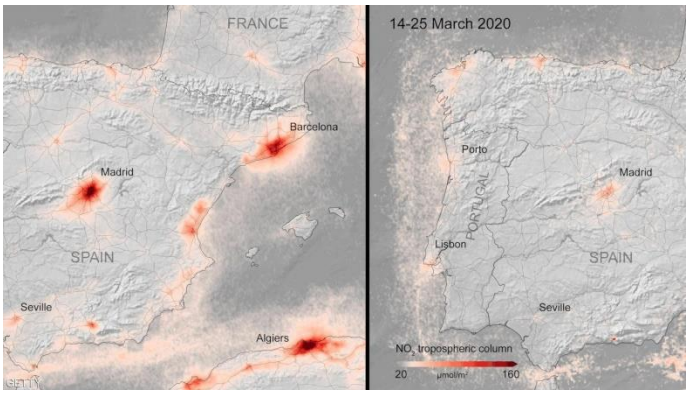

يفرض تفشي فيروس كورونا المستجد"كوفيد 19" خطراً عاماً على الناس في مختلف دول العالم، حيث انخفضت الكثافات في الشوارع، واختفى معظم الناس في شوارع المدن لتصبح أشبه بمدن الاشباح وخاصة

في أوقات التعبئة العامة و اثناء فرض منع التجول، وعاش الناس حالة عزل منزلي تجنباً لاستمرار تفشي الفيروس القاتل. ورغم أن البشر متضررون يشكل بالغ ومباشر بسبب هذه الأزمة ، لكن يبدو أن مستفيداً منها، بل ومستفيداً أولاً هو البيئة، حيث أظهرت بعض الصور للأقمار الصناعية تراجع تلوث الهواء في المناطق الحضرية(المدن والقرى المتحضرة) خلال الإغلاق المفروض لمكافحة انتشار المرض وذلك بسبب تراجع مستوى ثاني اوكسيد النتروجين الضار والذي يسبب مشاكل الجهاز التنفسي والسرطان وخاصة في المدن، بإعتبار أن الإغلاق قيّد وسائل النقل وأبطل إنبعاثات غازات المصانع السامة.

واقعاً، حصدت أزمة كورونا في العالم مئات آلاف الأرواح من البشر، وتركت مخلفات الاقتصادية قاتلة، ورفعت نسبة البطالة المهولة الى حد غير محتمل، وكذلك ازدادت نسبة الفقر ، إذ يقدر عدد الذين رجعوا تحت عتبة الفقر بالملايين في العالم، خاصة في دول العالم الثالث.

وكعادة كل أزمة تمر في العالم، لا تمضي إلا وقسمته إلى نصفين، متضرر ومستفيد، لن نستغرب إن رأينا بعض القطاعات التي استفادت من أزمة كورونا، وازدادت حيويتها بمجرد حلول الأزمة، وليست القطاعات وحدها من استفادت هذه المرة، بل إن البيئة بدورها استفادت مما سببه هذا الفيروس .

فالبيئة وبعد إعلان حالة الطوارئ ببلدان العالم، وبمجرد فرض الحجر المنزلي على الجميع، تنفست الطبيعة فيها من جديد، وكأنها تقول للإنسان أنا أستفيد إذا ابتعدت عني، لتكشف حجم الضرر الذي كانت تتعرض له من ذي قبل.

بالفعل، انخفضت نسبة الغازات السامة بشكل غير متوقع في العالم بصفة بارزة، لم تقدر على تطبيقه كل المواثيق الدولية المتعلقة بالحفاظ على البيئة، ووقف الأنشطة التي من شأنها إصدار الغازات السامة والمواد الضارة، حيث توقفت أعداد كبيرة من المصانع وانخفض عمل عدد السيارات والطائرات الهائل، و أصبحت السماء واضحة طوال اليوم، خالية من الانبعاثات التي كانت تخنقها.

لم يكن الجانب الجوي هو الوحيد المستفيد في الطبيعة، وإنما استفاد الماء بدوره، بعد أن استعادت المياه زرقتها، فما أن ابتعد الإنسان عنها، غاب التلوث الذي اعتادته شواطئ البحار و جنبات الأنهار ومجاري الوديان. كما قلصت النفايات البحرية التي كانت تلقى بفعل السفن في أعالي البحار، وإن لم تتوقف النشاطات المتعلقة بالرحلات البحرية بشكل مطلق، إلا أنها تقلصت على الأقل.

الأزقة والشوارع والطرقات بدورها استعادت نظافتها بفعل التعليق الكبير لحركة العموم فيها، ساهم ذلك بشكل غير مسبق في الحد من تلوث البصر الذي تراه العين كل يوم في الأزقة، كما ساعد ذلك العمال العاملين في قطاع النظافة، إذ قلصوا بشكل كبير حجم التلوث اليومي المعتاد.

هذا الفيروس الذي لم يرحم البشر كان سبباً في رحمة البيئة التي لم يرحمها البشر ، فلم نعد نسمع حتى عن تلوث السمع (الضوضاء)، وذلك طبيعي، إذ إن كثرة السيارات وازدحام البشر والأنشطة والاكتظاظ لم يعد في الوقت الحالي، وحل محله السكون والهدوء، والكل في انتظار انتهاء الأزمة لا غير.

هل فهم العنصر البشري الدرس من هذه المرحلة الصعبة؟...

فانتهاء الأزمة يجب أن لا ينتهي بإعادة تدمير البيئة بأنشطتنا السلبية، بل من الواجب تقييم هذه المرحلة، بالمحافظة على البيئة كما هي الآن، لأن التطور والتحسن الذي عرفته البيئة في أزمة كورونا لم يكن ليتحقق في هذه المدة الوجيزة، وكل المخاوف العودة لموجة ثانية من إفساد الطبيعة وتدميرها بمجرد انقضاء هذه الأزمة، لذلك من الواجب على المنظمات المختصة في هذا المجال الانتباه لهذه المسألة، لأن الحفاظ على البيئة يضمن أعظم المكاسب التي تعود بالنفع على البشرية

في الختام : تحوّل فيروس كورونا الى ناشط بيئي، لأنه أجبر الإنسان على وقف الخطأ القاتل الذي ارتكبه ويرتكبه بحق البيئة...

الدكتورة دانية يوسف الزين

الحضارة مفهوم غامض في زمن الثورة التكنولوجية

يشكل البحث في مفهوم الحضارة مسألة شائكة وشاقة في آن معاً. فهي شائكة لأنها تصوّر التاريخ بمشاهد حيّة شاملة، فتحاول أن تبعث الماضي متكاملاً بقدر الإمكان. فالصورة التي تقدمها لنا الكتابة التاريخية يمثل الانسان فيها كامل الأوجه، فنراه صانعاً، زارعاً، شاعراً، كاتباً، فناناً، سياسياً وحاكماً...

وهذه النظرة هي التي جعلت البحث في الحضارة أمراً شاقاً، ولكي نصل، بل يصل الباحث الى الحكم على حضارة مجتمع ما، عليه أن يلمّ بكافة مظاهر هذه الحضارة، من أدب وعلم وفن وسياسة... وهذا يتطلب جهداً في المجال الفكري، وفي مجال التحصيل في الوقت ذاته. وقد سارع التقدم الصناعي الضخم في القدرة على إبتداع الآلات وتطويعها لخدمة الانسان، وهذا ما يظهر طريقة استغلال الانسان للقوى الطبيعية وما نشأ عن ذلك من مشكلات نظرية وعلمية... لذلك يمكننا القول أن الآلة و الصناعة لم يكن لها تأثير بارز الا في الغرب.

لكل شعب على سطح الارض نصيب من الحضارة أي له نصيب من التنظيم الداخلي لحياته، ومن الفهم، فتتفاوت حضارة الشعوب في مدى ما اكتسبه من علم وخبرة وقدرة على تسخير الطبيعة من أجل خدمتها. وتساعد في ذلك ظروف اجتماعية او مادية طبيعية عزلت الشعوب عن الإتصال بغيرها والإستفادة من خبرتها... لذلك يمكن القول بأن الحضارة هي صفة للإنسان، حيث ذهب بعض الكتّاب الى القول: أن ظاهرة الحضارة لا تتمثل الا في المجال البشري.

أول ما يتبادر الى الذهن عند الحديث عن الحضارة ، مقدمة ابن خلدون الذي تناولها في إطار ما يسميه الدولة من حيث قيامها وسقوطها حيث قال:"الحضارة غاية في العمران ونهاية عمره ومؤذنة فساده".

وقد عرّفها "ول ديورانت" بأنها نظام اجتماعي يُعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي.

كذلك عرّفها الانتربولوجي الانكليزي"تايلور": الحضارة هي كيان معقّد يضم العديد من الفنون والآداب والعادات والتقاليد وجميع القوانين التي يكتسبها الإنسان في المجتمع.

ومن وجهة نظر الإسلام تمثل الحضارة مجموعة القيم والمفاهيم التي ترتبط بمختلف مناحي الحياة، فترتبط بالحالات الدينية والاجتماعية والعلمية والادارية والاقتصادية و السياسية...

1- عوامل قيام الحضارة

من العلماء من يقول أن الحضارة تقوم على عامل واحد هو طبيعة العنصر البشري، ومنهم من يقول أنها تقوم على عدة عوامل منها:

- الظروف البيئية.
- الأحوال الاقتصادية.
- جوهر الإنسان وإرادته وعزيمته.
- القيم الاجتماعية في المجتمع والتي تلتزم عادة إحداث حضارة قوية و متينة.

وهكذا يمكن القول أن الحضارة تقوم على عاملين أساسيين : الطبيعة و الإنسان، بإعتبار أن الطبيعة خُلقت لخدمة الإنسان ، وبذلك تكون العلاقة بينهما علاقة تكامل وإنسجام . ومن إحدى مظاهر الحضارة الخارجية العمران الذي بات يُظهر التوسع الحضاري الذي ينعكس جمالاً وروعة على المجتمعات .

2- مقارنة الثقافة و الحضارة

إن مجرد وجود مصطلحي الحضارة والثقافة في القاموس البشري والفلسفة البشرية هو دليل على نضج عميق في الفلسفة الإسلامية لتعريف الإنسان، ولو وُجد مصطلح الحضارة وحده دون مصطلح الثقافة لدعّم ذلك تصور الفلسفة المادية كما لو وجد مصطلح الثقافة وحده دون الحضارة لدعّم فلسفة الدين المجرد، أما أن يوجدا معاً فذلك تعبير عن جذورالفلسفة الإسلامية عند البشر عبر التاريخ.

إنّ كلاً من الثقافة والحضارة يمثلان خطين مختلفين في الذات الإنسانيّة، حيث تمثل الثقافة الروح والدين والفن والقيمة والمُثُل، أما الحضارة فتمثل نمط مختلفاً يجمع العلم والطبيعة والمادة، وبصورة أكثر دقة

تمثل الثقافة الخُلود والثبات أما الحضارة فتمثل التجدد والتطور، تمثل الثقافة السماء أمّا الحضارة فتمثل الأرض، تمثل الثقافة الوجدان وتمثل الحضارة العالم الخارجي المشهود. كذلك إن مجرد معرفة الخطأ والصواب تنتمي للحضارة، أما القدرة على إنفاذ الصواب وتجنب الخطأ فتنتمي للثقافة،

بالتأمل في تلك الثنائيات التي تبدو وكأنها متناقضة متناثرة في الذات الإنسانية، فإنه لا تستقيم الحياة إلا بالعالمين معاً (عالم الحضارة وعالم الثقافة) ، كما أن الإنسان يستقر بهما ويضطرب .

3- **العلاقة بين الحضارة والنّاس**

توجد علاقة تربط الحضارة مع النّاس الذين يعيشون على أراضيها، ويصبحون جزءاً أساسيّاً منها، وتلخّص هذه العلاقة وفقاً للآتي:

- الإكتساب: هو دور الحضارة في بناء الصفات المرتبطة بالإنسان الذي يعيش على أراضها، إذ يولدُ كائناً بيولوجيّاً لا يتميّزُ بأيّ صفاتٍ اجتماعيّة، ويُساهم وجوده في أسرته بتزويده بمجموعة من المكوّنات والخصائص الثقافيّة الخاصة بمجتمعه، من خلال الإعتماد على دور التربية الاجتماعيّة التي تُعلّم الأعراف، والتقاليد، والدين، واللغة التي تحوّل الإنسان إلى كائن اجتماعيّ يتمتع بصفات المجتمع الذي يعيش فيه.
- الميراث الاجتماعيّ: هو دور الحضارة في توصيل الأفكار والخبرات وطُرق الإتصال بين الأشخاص؛ عن طريق إستخدام قنوات الإتصال الخاصة بها، مثل الضبط الاجتماعيّ والتربية الاجتماعيّة، ولا يعني أنّ الحضارة جزء من الميراث الاجتماعيّ بأنّها غير قادرة على التكيّف مع التطوّرات الحديثة المتلاحقة، أو أنّها منفصلة عن الحاضر والواقع في المجتمع، بل تحرص الحضارة على تطوير أساليبها وأدواتها في التربية والتعليم، وتنظيم العلاقات بين النّاس؛ بهدف المحافظة على إستمرارها وتجنّب تراجعها.

الحضارات بكلياتها تتواصل وتتفاعل وتتبادل، وهذه الخاصة الأساسية من خواصها مستمدة من كيانها الإنساني والاجتماعي. فمن طبيعة الإنسان أنه يتعلم ويعلّم، يقلِّد ويقلَّد، يأخذ ويعطي، يؤثر

ويتأثر، فإذا ما اتصلت المجتمعات وتماشت الحضارات، أدت الطبيعة الإنسانية الاجتماعية ذاتها إلى مثل هذا التبادل، وإلى تفاعل الحضارات فيما بينها، وإلى تمازجها وتلاقحها...

4- الحضارة والمجتمع(المجتمع والمدنية):

الحضارة هي وجه من أوجه المجتمع وصفة من صفاته . وقد فرّق ألفريد ويبر Alfred woeber بين المجتمع والمدنية معتبراً أن المجتمع هو مجموع الظواهر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بينما الحضارة هي الفن والدين والفلسفة، أما العلاقة التي يمكن تصوّرها بينهما فهي علاقة تداخل بين المجالين.

أبسط تعريف للتكنولوجيا هو أنها توظيف العلم في خدمة الصناعة، بينما أبسط تعريف للحضارة هو أنها نسق ثقافي وبناء فكري يرتبطان بعنصري الزمان والمكان. لذلك ليس كل تقدم تكنولوجي يعتبر حضارياً، وليس كل نسق ثقافي مميّز يعتبر ضرورياً لتكنولوجيا معينة.

5- الفرق بين مفاهيم الحضارة والثقافة والمدنية:

ما دام هناك من يخلط ما بين المفاهيم الثلاثة حضارة، ثقافة، مدنية، قد يكون من الضروري الوقوف لتحديد مفهومي الثقافة والمدنية بعد أن حددنا سابقا مفهوم الحضارة.

أ-مفهوم الثقافة: ظهرت كلمة ثقافة "culture ".. "في الفرنسية بمعناها الدقيق في القرن الثالث عشر ، وتلتها في القرن الرابع عشر كلمات مثقف، زارع Cultivateur ومزارع agriculteur لكنها لم تكتسب معناها المجازي كمعرفة، كتربية، وعلم، إلا في القرن الخامس عشر إنطلاقا من مشتقاتها
أيضا: cultiver، cultive، Inculte، وبشكل متواز يحتفظ المعنيان (زرع، ثقف) بكامل قوتهما، ولن يتمايزا إلا بصفتي cultural (القرن 19) وculturel (القرن 20).

وحاليا هناك شبه إتفاق على أن الثقافة هي نتاج تراكمي لعدة قرون، وأنها تُعدّ عملاً إنسانياً جماعياً يتضمن عمليات التدخل والتفاعل والتعديل (للطبيعة وللسلوك...). ومن أبرز التعريفات التي أوردها علماء الأنثروبولوجيا للثقافة نذكر:

- تعريف Kilpatric الذي يقول بأن الثقافة "هي ما صنعته يد الإنسان وعقله من أشياء ومظاهر في البيئة الاجتماعية، أي كل ما إخترعه الإنسان أو ما إكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية...

- تعريف Kluckhon جاء فيه أن الثقافة هي "وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ، الظاهر منها والضمني، العقلي واللاعقلي، التي توجد في وقت معين والتي تكون وسائل إرشاد توجه سلوك الأفراد في المجتمع...
- تعريف نيلز Nilles يقول بأن الثقافة "هي جميع طرائق الحياة التي طوّرها الإنسان في المجتمع"...
- تعريف رجال التاريخ للثقافة: فقد فسروها قائلين بأنها هي "راسب التاريخ"، إذ ينظرون اليها على أنها مجموعة عمليات تاريخية الأصل، تتراكم خلال السياق التاريخي/الحضاري، أو تترسب في التاريخ. فهي تنمو وتنتعش وتترقى كما أنها قد تهاجر من منطقة إلى أخرى.

نستنتج من التعاريف السابقة للثقافة بأنها، بمفهومها العام، تعني التكيّف، وما تكشفه الثقافة من تدخل الإنسان في تعديل الطبيعة، أو تحويلها بإضافة عناصر بشرية على الوجود الطبيعي. وعليه فكل إضافة بشرية على الوجود الفيزيقي أو العالم الطبيعي هي ثقافة. الثقافة بمعنى من المعاني هي الجانب الفكري والروحي لمجتمع ما ولحضارة ما. لذا فهي مرتبطة بلغة وبشعب معينين مما يسمح لنا بالقول إن هناك ثقافة فرنسية ضمن الحضارة الأوروبية، وهناك ثقافة عربية ضمن الحضارة الإسلامية، فتكون الثقافة بهذا المنظور/المثال هي الجزء والحضارة هي الكل.

ب – مفهوم المدنية: عادة يقصد بالمدنية مرحلة زمنية/تاريخية زاهرة وزاهية من مراحل تطور الحضارة، وتتكون أساساً من تراكمات كمية زائدة في كم ومحتوى الحضارة، أي فائض في الماديات وتعقّد في المعنويات (العقيدة والفكر والحرية..)). وهذا ما يقوله Odoum H.W: "إن كل مدنية حضارة وليست كل حضارة مدنية"...

وهكذا يمكن القول بالمدنية الفرعونية، المدنية البابلية، المدنية الغربية المعاصرة، بينما لا يحق لنا، حسب هذا التصور، القول بالمدنية الإفريقية المعاصرة.

6- أنواع الحضارات:

يمكن إيجاد تصنيف للحضارات، ولو بشكل مبسط، بناء على عدة أسس، أوضحها الأساس الاقتصادي لتميزه ووضوحه مقارنة مع غيره، وكذا لتميز ووضوح الأقسام الرئيسية للنشاط الاقتصادي في صورة مراحل تاريخية مختلفة .لذلك يمكننا تقسيم الحضارات الرئيسية حسب هذا الاساس إلى ثلاثة أنواع وهي :

أ – مجموعة الحضارات البدائية: وتتميز هذه باقتصاديات الجمع والصيد (إنتاج زراعي ورعوي بسيط: الزراعة المتنقلة) وبتنظيم سياسي مبني على أساس القرابة ويبقى فيه كبار السن هم منفذو القانون ضمن نظام قبلي بالأساس.

ب – مجموعة الحضارات العليا: وتتميز بمعرفتها للأبجدية وتسجيل تاريخها بها، وبإقتصاديات الإنتاج البسيط: الزراعة الكثيفة، والمحراث الخشبي الذي يجره الحيوان بعد استئناسه، وصناعة الفخار والحديد، وبنظام سوسيوسياسي من بين مميزاته: تمييز اجتماعي: الطبقة الحاكمة ضد طبقات الشعب وتكوين الدولة وحياة القصور ونشوء المدن والوظائف الحكومية.

7- التقدم التكنولوجي

لقد أسهم التقدُّم العلمي والتكنولوجي بدوره الفاعل في التقارب والتعارف بين الأمم، إذ حملت الأعوام العشرون الماضية ثورةً تقنيَّةً كبيرة كان لها دورها الكبير في تقارب الشعوب وتعارفها، وقامت ثورةٌ الأقمار الاصطناعيَّة التي أتاحت للعالم أن يتعرَّف على ثقافاته وتنوُّعاته البشريَّة والعلميَّة الكثيرة، فضلًا عن ثورةٍ الإنترنت التي جعلت العالم قريةً بل أسرةً صغيرة،

ولقد باتت هذه التكنولوجيا الحديثة نوعًا مهمًّا من أنواع المصلحة المشتركة، التي يأتي في مقدِّمتها "المعلوماتيَّة.

8- تفاعل الحضارات

إن التفاعل والاحتكاك بين الحضارات يعد مكسباً كبيراً يجب أن يُوظف ويُستغل في تحقيق التقدم والتطور، ويمكن القول إنه لا يمكن عزل أي حضارة عن أخرى إذ إنه لا توجد حضارة نشأت من تلقاء نفسها بمعزل عن الحضارات الأخرى، أو أنها لم تتفاعل مع غيرها من الحضارات، وذلك لأن الحضارة عبارة عن كيان ثقافي واسع وممتد وليس له حدود أو حتى بداية ونهاية محددة، كما أن الحضارات والثقافات غير ثابتة وتتغير مع الزمن وتتفاعل مع بعضها البعض الأمر الذي يؤدي إلى إثراء الحضارة الإنسانية بشكل عام، ففي تفاعل الحضارات تأخذ كل حضارة ما يناسبها وما يتفق مع طبيعتها، وتعطي الحضارات الأخرى ما تجود به بما يتلاءم مع نشاطها، والجدير بالذكر أنه لا يمكن أن تكمل أي حضارة مسيرتها دون حدوث تبادل وتفاعل مع الحضارات الأخرى والذي تحتمه طبيعة الحياة. والثقافات التي تنتج عن تفاعل الحضارات هي نتاج إنساني تتغير وتتكيف تبعاً للحضارات المتفاعلة، فيُعاد تشكيل هذه الثقافات مُنتجة ثقافة جديدة في طبيعتها وفلسفتها إلّا أنّها تناسب ثقافة الحضارات المتفاعلة. وتعتمد شدة التأثير والتأثر الحاصل في هذا التفاعل

والتبادل على قوة ومدى انتشار وسائل الاتصالات، وعلى الفارق في درجة التقدّم ومقدار القوّة بين الحضارات المتفاعلة، وكذلك على استعداد أفراد تلك الحضارات النفسي والعقلي وجاهزيّتهم لهذا التفاعل.

إن التبادل والتفاعل بين الحضارات لا يلغي خصوصية أي حضارة، وإنما يزيد من وعي الأفراد بقيم الحياة ومقوماتها، كما أن من شأنه تقريب الصلات بين الأفراد وإزالة الكثير من المخاوف، وتخضع جميع الحضارات إلى مبدأ التفاعل. ويعدّ التفاعل الصحيّ بينها هو الذي يحدث في جو سليم ينعم بالحرية والرضى والتساوي، وتسفر عنه نتائج مثمرة، أما فساد التفاعل الحضاري فيكون عندما يحدث في أجواء الحرب، أو نتيجة الكبت والقهر، أو التفاعل الذي يحدث لمصلحة جهة معينة وإهمال مصالح الجهات الأخرى.

9- مقارنة بين الحضارات

نظرة الى العالم حولنا توضح أن الحضارات القديمة ليست بالضرورة هي الأعلى ازدهاراً أو الأكثر تقدماً بل بعضها يعاني من الترهل والشيخوخة و الهرم .

مقدمة ابن خلدون في نظرية العمران ونشوء المدن تشير الى وجود إختلاف بين حضارة النهر و حضارة الصحراء(مجتمعات البادية و مجتمعات الحضر) حتى داخل الدولة الواحدة.

والمتأمل للخريطة الجغرافية، يلاحظ نشوء العواصم على ضفاف الأنهار أو شواطئ البحار ، ولكن ذلك اختلف بعد اختراع الطيران وإمكانية الوصول الى أي مكان.

وأخيراً جاء دور البحث العلمي في تجسيد الفجوة بين العمق الحضاري والتقدم التكنولوجي وأجراء مصالحة بينهما.

مراجع

1- مصطفى الفقى التكنو لوجيا و الحضارة جريدة الرأي 2016

2- Kroeber,A,L The Nature of culture univer of chikago press 1952

3- راغب السرجاني، المشترك الإنساني.. نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب

الاستاذ الدكتور محمد نجيب مراد

في ذكرى الرسول العربي(ص)
الإسلام و الغرب: صدام حضارات أم رسالات

هي موجة جديدة من **الاسلاموفوبيا** تجتاح مرة أخرى فرنسا وغير دولة في الغرب الأوروبي والأميركي , هذه الاسلاموفوبيا كانت ترجماتها وتعبيراتها متعددة الآليات والوسائل , لكنّها في كل حركتها كانت تنمّ عن أزمات مخزونة في الذاكرة الثقافية الغربية تجاه الشرق الاسلامي وبصورة خاصة تجاه الرموز التاريخية البارزة في الوطن العربي بوصف هذا الأخير يبقى الشاهد الدائم على احتضان حركة الاسلام جغرافية ودعوة ورسالة . فالرسول الأكرم محمد بن عبدالله (ص) هو عربي الانتماء والهوى والبيئة الحاضنة للرسالة السماوية التي بشّر بها , والتي لم تكن ليكتب لها النجاح والانتشار لو لم تتحوّل الى خصوصية عربية في الأساس , حيث حملها العرب في وجدانهم الفكري والثقافي وارتقوا بها **حركة عربية – انسانية هي بمثابة رسالة حياة الى غير أمة أو جماعة في العالم .**

أما وقع الرسالة العربية – الاسلامية على الغرب بدائرتيه الأوروبية والأمريكية فكان أقرب الى الصدمة منه الى التفاعل الايجابي معها , فقد ظلّ ينظر اليها من زاوية الاختلاف الحضاري المحكوم بنزعات التغلب والسيطرة والاحتلال والاستعمار من أجل تسييد الغرب على حكم العالم .

تسعى هذه الورقة البحثية الى تناول العلاقات التاريخية المأزومة بين عالمي الغرب والشرق العربي – الاسلامي في محاولة لاستقراء العوامل الحاملة أو الدافعة لتلك الأزمة المتجددة , وهي أزمة لم تعرف بعد, منذ ما قبل ظهور المسيحية والاسلام بقرون عديدة وحتى اليوم , الانفراج وسيادة السلام في علاقات العالمين المذكورين . إذ أنّ فترات الانفراج التي كانت تظهر على السطح بينهما بين الحين والاخر , انّما هي فترات كانت محكومة الى الظرفية الأقرب الى الهدنة منها الى الديمومة التفاعلية في حركتها الخطية المستمرة .

كثيرة هي المقولات الثقافية الغربية التي ظهرت في غير مرحلة من مراحل التاريخ المختلفة ظلت أسيرة دائما لعملية إسقاط أيديولوجي ديني ثقافي عرقي وحضاري مدفوعة غالبا بمنهجية تبريرية تعطي الغلبة

والتفوق لعالم الغرب مانحة إياه " حق " السيطرة والتدخل في شؤون الشرق العربي – الاسلامي وتبرير الذرائع لترويضه ثقافيا وحضاريا وضبط سلوكه وحركته السلبية الناشئة كردات فعل على استبداد عوامل التخلف به , والتي باتت بحسب مزاعم المؤدلجين الغربيين , سببا من أسباب اندفاع الشرقيين المسلمين بعامة , والعرب المسلمين بخاصة , نحو سلوكيات معادية للغرب , والحذر من مخططاته الهدامة تجاههم .

تحاول هذه الورقة أن ترصد القانون التاريخي أو مجموعة القوانين التاريخية التي حكمت مسار العلاقة بين الغرب المسيحي – الرأسمالي – الاستعماري – الأمبراطوري من جهة, والشرق الاسلامي والعربي خصوصا المتميز بأهمية استثنائية على مستويات ثلاثة: جيو–استراتيجية , جيو–اسلامية وجيو– ثرواتية (بترولية) من جهة أخرى .

تكمن مقاربة الحالة العدائية للغرب تجاه العرب والمسلمين عموما من خلال الوقوف على المخزون التاريخي للثقافة الغربية التي تبقى تمثل مفتاح المعرفة الحقيقية لفهم خلفية العداء المتراكم تجاه العالمين العربي والاسلامي , وبيان الشواهد الداحضة لأسبابه , ونفي المقولات عن إرهابية الاسلام , والتي تغالي في وصفه بالرجعية ومعاكسة التقدم .

إنّ رصدا موضوعيا لمسار العلاقات التاريخية بين الغرب والاسلام يظهر بسهولة أنّها كانت تسير باتجاهين متعاكسين تماما : اتجاه اسلامي قيمي تسامحي سعى الى تعميم رسالة العدل الاجتماعي والقيم الانسانية والحضاريةالى الغرب وسائر العالم , واتجاه أخر غربي اختراقي إلغائي سعى دائما الى طمس الهوية الحضارية للعالمين العربي والاسلامي والى اخضاعهما وتوظيفهما لحساب مصالحه وسياساته .

من الانصاف التاريخي القول أنّ عدائية الغرب تجاه الشرق العربي بصورة خاصة كانت سابقة على ظهور الاسلام , فهناك الاجتياحات الغربية اليونانية والرومانية التي سبقت ظهور المسيحية نفسها بقرون عديدة , والتي جعلت من بلدان الشرق العربي بصورة خاصة جزءا ملحقا وتابعا لامبراطورياتها القديمة . غير أنّ ظهور الاسلام مع مطالع القرن السابع للميلاد كان بمثابة القوة الحضارية الدافعة للشعوب التي اعتنقته وراحت توسّع من دائرة انتشاره كرسالة تحاكي حضارة الشعوب الأخرى غير العربية بهدف مدها بعناصر التطور الاجتماعي والحضاري والانساني . فقد بدأت , مع ظهور الاسلام , تتعزز لدى الغرب فكرة

الاسلاموفوبيا التي راحت توصّف الاسلام بالدين غير المسالم والمخزون بالعداء للمصالح الغربية , ومن ثمّ لرسالة الرجل الأبيض التي طبعت الحركة الاستعمارية الأوروبية التي تكثّفت خلال القرن التاسع عشر , والتي اتخذها الغرب يافطة لتسويق الحضارة الأوروبية والغربية عموما , ولكنها في الواقع كانت تخفي مطامع استعمارية قائمة على الاخضاع والهيمنة على الشرق العربي – الاسلامي وإبقائه ملحقا طرفيا على هامش الغرب المتطور والمتقدم .

ثمة تهمة تاريخية يلصقها الغرب دائماً بالمسلمين عموماً وبالعرب منهم خصوصاً، وهي تهمة التخلف والإرهاب والعداوة الدائمة للحضارة، على قاعدة هذه النظرة الاتهامية كانت التعبئة الغربية لهجمات مستمرة على بلاد المسلمين بهدف اختراقها أو السيطرة عليها. فالحروب الصليبية مثلت أحد أبرز الاختراقات الغربية الأوروبية للشرق المسلم تحت يافطة إنقاذ المسيحية وتخليصها من براثن الجهل والتخلف. فالهدف الأول لتلك الحروب كان في أحد دوافعه الأساسية محاولات الغرب للتصدي للثقافة العربية – الإسلامية ومحاصرتها وتفريغها من مضامينها القيمية والحضارية الإنسانية التي اكتسبتها من الإسلام نفسه.

إنَّ بحثاً عميقاً في دوافع الاستعداد الغربي الدائم لاختراق الديار الإسلامية يُظهر أن المحرك الأبرز لذلك الاستعداد يكمن أولاً وأخيراً في أزمة الغرب الدائمة في التاريخ. فقد عرف الغرب، منذ الألف الأول للميلاد، على الأقل، أزمة الكنيسة التي اندفعت وراء سلطتها الاستبدادية على مؤمني أوروبا , إلى نقل أزمتها إلى الشرق بهدف إبعاد القوى الاجتماعية والسياسية المعارضة لها في الداخل الأوروبي. من هنا كانت الحروب الصليبية كوسيلة ناجعة من وسائل تصدير الأزمة إلى خارج أوروبا. ومع تنامي الرأسمالية الغربية في أعقاب الثورة الصناعية وجدت هذه الرأسمالية في اللجوء إلى الحروب على أنها أفضل السبل للخروج من الأزمات المتلاحقة. فالرأسمالية الغربية الأوروبية والأميركية كانت تبحث دائماً عن منافس تحت ضغط أزماتها المستمرة، فالحروب الأوروبية بعد الثورة الفرنسية وصولاً إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية، كلها حروب كانت من تدبير الرأسمالية على الرأسمالية دفعت البلاد الإسلامية والعربية تحديداً الثمن الباهظ لنتائجها.

مع نهاية الحرب الباردة في أعقاب السقوط السوفياتي في تسعينيات القرن الماضي (القرن العشرين)، ومع دخول رأسمالية المركز الأميركي عصر العولمة – عصر الأحادية القطبية – راحت تبرز ثقافة القوة

المؤدلجة في علاقات الغرب بالشرق الإسلامي. ارتكزت القوة الأميركية المؤدلجة إلى عناصر ثلاثة: المعرفة التكنولوجية، الاقتصاد الرأسمالي والصناعات الحربية. شكلت هذه العناصر المرتكزات الاستراتيجية للسياسة الخارجية الأميركية في نظرتها للعلاقات الدولية، وبالأخص في نظرتها إلى عالمنا العربي الإسلامي الذي قُصد ابتزازه ليكون أكثر تجاوباً مع ما تفرضه ثقافة القرارات الدولية، وهو ما جعله مرغماً على تبرير وتخفيف لهجة مواجهاته، بعد أن غدا متهماً زوراً "باغتصاب أمن العالم".

يقدِّم هنري كيسنجر – المهندس الاستراتيجي للسياسة الخارجية الأميركية – نموذجاً تحريضياً صارخاً لتحشيد الاستعداء الغربي على الإسلام. ففي خطاب له أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية عام 1990، قال: "إنَّ الجبهة الجديدة التي يتحتم على الغرب مواجهتها هي العالم العربي _ الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب. أما أمين عام حلف شمال الأطلسي (الناتو) "ولي كلايس" فقد قدَّم صورة أكثر عدائية تجاه الإسلام قائلاً: "لقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نتخلى عن خلافاتنا وخصوماتنا السابقة وأن نواجه العدو الحقيقي لنا جميعاً وهو الإسلام، وأنّ الأصولية الإسلامية هي، على الأقل، في مستوى خطورة الشيوعية".

في عصر العولمة الراهن باتت تشهد الولايات المتحدة تحولات كمية ونوعية تتمثل بانتقالها من دولة الامبريالية التي برزت في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى امبراطورية الامبريالية في ظل الشركات القطبية المتعددة الجنسية المسيطرة على العالم اليوم. مع امبراطورية الامبريالية باتت الشركة أو مجموعة الشركات العملاقة تتحكم في السياسة والاقتصاد والمجتمع. ومع هذه الشركات تحولت الدولة إلى مجرد وسيلة في خدمة المراكمة الرأسمالية القائمة على نهب ثروات العالم ومصادرة إرادة الشعوب. فالامبراطورية الأميركية في عصر العولمة لا تختلف عن سمات الامبراطوريات المتسلطة السابقة في التاريخ إلا من حيث التسميات والتصورات، وهذا ما عكسه "توني بلير" – رئيس الوزراء البريطاني – بقوله: "فلنعد ترتيب العالم من حولنا" ليعقبه الرئيس الأميركي "جورج بوش الابن" بالقول "إننا نركز على أفغانستان ولكن المعركة أوسع". وهنا يكمن التركيز الغربي لا سيما الثنائي الانكلوسكسوني على منطقة الشرق الأوسط ذات الحضور الإسلامي الغالب، وذلك لجهة اعتبارها المدخل إلى الامساك بالعالم كل العالم.

باتت السياسة الأميركية بقيادة المحافظين الجدد بمثابة رأس الحربة في عدائها للعالم الإسلامي عموماً والعربي منه خصوصاً. وقد ارتكز هؤلاء المحافظون إلى خلفية ايديولوجية ذات أبعاد ثقافية وفكرية مغلفة بنزعة إيمانية مسيحية تنشد المغالاة والتطرف في معتقداتها بهدف خلق الذرائع والمبررات لأدائها السياسي، في ضوء هذه الخلفية الاعتقادية للإدارة البوشية راح جورج بوش الابن يقدم تبريره للحرب التدميرية على أفغانستان والعراق معلناً بأن ذلك ينسجم مع "العناية الالهية" التي كلَّفت الأميركيين بتطويع العالم وضبطه بما في ذلك اللجوء إلى الحرب "الاستباقية" التي احتلت الأولوية بين وسائل الإخضاع الأخرى لاحتلال أفغانستان عام 2001 والعراق 2003. فقد قال بوش في احدى خطبه: "لقد دعا التاريخ أميركا وحلفاءها للعمل. فأصبح من مسؤوليتنا ومن حقنا خوض حرب الحرية".

إنَّ البروتستانتية المتطرفة التي تحكم سلوك المحافظين الجدد في إدارة البيت الأبيض اليوم ليست سوى الوجه الآخر لنزعة التفوق في التوراة اليهودية، والتي تزعم بأن اليهود هم شعب الله المختار، وهم المكلفون إلهياً بحكم العالم وقيادته. تقاطعت البروتستانتية المتطرفة مع التوراتية اليهودية وتحولت معها الأيديولوجية الأميركية الجديدة إلى عصبية دينية كانت وراء التوجهات السياسية لإدارة جورج بوش الإبن في مشروعه الشرق أوسطي الجديد الذي يهدف من بين ما يهدف إلى إلغاء الهوية الإسلامية كهوية تاريخية للمنطقة والترويج لهوية بديلة شرق أوسطية تستطيع معها الهوية الصهيونية أن تفوز بالتفوق والغلبة.**إنّ مسلسل التطبيع المتسارع اليوم بين دول عربية عديدة مع الكيان الصهيوني , فهو إن دلّ على شيء فانما يدل أكبر خطر يطال الهوية العربية بخصوصيتها القومية والاسلامية , وهذا ما يشكّل استهدافا غير مسبوق لهذه الخصوصية في ظل تسويق لهوية صهيونية وتقديمها كهوية لها حضورها في إقليم شرق أوسطي بديل لاقليم قومي عربي ظلّ طويلا يحافظ على مقوّمات تشكّله عبر التاريخ .**

يخطئ من يعتقد أنَّ التوترات الحاصلة في علاقات الغرب المسيحي بالشرق العربي – الإسلامي هي توترات ناجمة عن صراعات خفية مسيحية – إسلامية. إنَّ مثل هذا الاعتقاد منافٍ للحقيقة. فالمسيحية والإسلام كلاهما نبت في التربة المشرقية والعربية تحديداً، وتفاعلا مع بيئتها تأثيراً وتأثراً، وكانت المسيحية العربية أكثر حماساً في استقبالها للإسلام حين ظهوره بعدها بأكثر من ستة قرون، وقد شكلت معه النواة الأولية للجماعة العربية التي ما برحت تتعاظم حجماً وقوة باتت معهما قادرة على التبشير برسالة حضارية

إنسانية، فكانت معها الفتوحات العربية – الإسلامية لا لتنحصر في دائرة محدودة جغرافياً، وإنما اتسعت لتصل إلى غير مدينة أوروبية، إلى تور في فرنسا، والبندقية ونابولي وجنوى في إيطاليا، وفيينا عاصمة النمسا، والأندلس في إسبانيا. أما الدليل الثابت على أنسنة هذه الرسالة فهو ما تركته من آثار ما زالت ماثلة في الزخارف، والنقوش، وفنّ العمارة، وقيم الأسرة، والقول بالمعروف والنهي عن المنكر، بل أكثر من ذلك، أن التاريخ الأوروبي لم ينعت أبداً الوجود العربي – الإسلامي في أوروبا بالاستعمار أو الاحتلال، عكس ما فعله الأوروبيون ومن ثم الأمريكيون مع الشرق العربي – الإسلامي حيث أمعنوا فيه تجزئة وتفتيتاً واحتلالات لم تتوقف، وهم الذين هيأوا الظروف ودمروا المعطيات لزرع الكيان الصهيوني الاستيطاني في فلسطين وشردوا أهلها في الشتات وما زالوا حتى اليوم الظهير الداعم لإسرائيل على حساب الحق العربي – الإسلامي في فلسطين والمنطقة العربية عموماً. ثمة دليل على مدى الانحياز الأميركي لإسرائيل عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً، يكمن في موقف الولايات المتحدة الرافض بقوة لمعظم القرارات الدولية المؤيدة للفلسطينيين. ففي الفترة بين 1983–2001 هناك 18 قراراً دولياً أصدرها مجلس الأمن الدولي تدين إسرائيل وممارساتها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني , وكذلك تعديها على الحقوق العربية، قامت أمريكا باستخدام حق النقض (الفيتو) لتعطيل كل هذه القرارات. هذا، بالإضافة إلى 10 قرارات أخرى امتنع فيها الممثل الأميركي عن التصويت.

إنَّ السياسات القهرية والنهبية التي انتهجتها غير دولة غربية مع المنطقة العربية – الإسلامية، تتحمل وحدها المسؤولية الكاملة عن السلوك السياسي المقرون، أحياناً كثيرة، بردات فعل عنيفة من قبل الحركات العربية – الإسلامية التي را حت تواجه الغرب وتقاوم سياساته العدائية بحثاً عن الاستقلال والحرية.

إنَّ المقولة الغربية الزاعمة بأن الصراع بين الغرب المسيحي والشرق العربي – الإسلامي هو صراع حضاري لا تلامس الموضوعية ولا تجانب الحقيقة، وما يؤكد عليه "هانتغتون" في كتابه "صراع الحضارات" هو في حقيقته فعل ممارسة لقوى الغرب على الشرق وإخضاعه لمزيد من السيطرة وفرض وجهات نظره عليه. إنَّ ما نشهده اليوم ليس صراع حضارات، بل هو فرض حضارة على أخرى، وما ينجم عن ذلك من مقاومة. إنَّ ما تشهده علاقات الغرب بالشرق اليوم يندرج ضمن حركة العداء التاريخي ونزعة الغلبة والسيطرة

التي تميز بها سلوك الغرب الدائم تجاه الشرق. إن حركة العلاقات المشار إليها تخضع لقانون تاريخي يتمثل بصدام الرسالات وليس صدام الحضارات.

ثمة مجموعة من الحقائق تُوصِّف واقع العلاقة الراهنة بين الغرب والشرق العربي – الإسلامي وهو واقع يتسم بالعجز العربي _الإسلامي مقابل احتفاظ الغرب بمقومات التفوق والغلبة. أبرز هذه الحقائق:

الحقيقة الأولى: الخلل في التزام المسلمين بالمنهج الإسلامي، فالإسلام إما معطّل أو مشوّه ومخترق. فهناك إسلام في النصوص ولكن لا يوجد مسلمون يلتزمون التطبيق.

الحقيقة الثانية: سيادة أنماط الرأسمالية الغربية من أجل الاستهلاك المحلي في غير دولة عربية أو إسلامية، الأمر الذي يشيع ظاهرة التواكلية في الاعتماد على الغرب ويفسح له المجال في الاختراق والتدخل.

الحقيقة الثالثة: تطور ثقافة اللاإنتماء إلى أمة واحدة. فهناك المذهب والفئة والعرق في مواجهة الأمة.

الحقيقة الرابعة: النخب الحاكمة هي نخب مقلِّدة للنماذج الغربية، وتابعة سياسياً واقتصادياً وثقافياً للغرب وأفكاره.

الحقيقة الخامسة: سياسة التراخي المعتمدة من قبل أنظمة الحكم العربية والإسلامية القائمة تجاه التعامل مع سياسات الاختراق الغربي للمجال العربي – الإسلامي في كل شؤونه الإقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والأمنية.

ليس هنالك من إمكانية عند العرب المسلمين من تجاوز حالة العجز المشار إليها إلا من خلال التمسك بثوابت الإسلام الحقيقية والصحيحة لبناء عالم خالٍ من العدوانية، يكون العدل فيه المرجعية المعوَّل عليها لترشيد وضبط سلوك الدول والأفراد في مواجهة دعوات الانحياز والتمايز والفوقية، تلك المنتشية في مناخ غطرسة القوة.

إنَّ واقع المسلمين اليوم، وفي ظل العجز الذي يحكم تفاعلهم مع باقي العالم سواء على مستوى المواجهة مع قوى الغطرسة المادية المتمثلة برأسماليات المركز الأميركي – الأوروبي أم على مستوى الفعل

الثقافي الحضاري مع سائر بلدان وشعوب العالم الأخرى. هذا الواقع الراهن للمسلمين عموماً والعرب خصوصاً يضعهم على مفترق طرق حاسم: فإما الخروج من التاريخ، وإما الاستجابة في ردهم على التحديات التي تهدد مصيرهم. ان شروط الاستجابة العربية – الإسلامية فإنما تكون باستلهام المضامين الجوهرية للرسالة الخالدة في تأكيد مساهمتها الفعّالة في بناء حضارة إنسانية تُراعى فيها خصائص الشعوب والأمم، مع تبيان أنَّ ذلك لا يتم عبر تأجيج الصراعات أو اعتماد أساليب وافدة من أرحام إمبراطوريات مُهرت بالتسلط وبنهب ثروات الشعوب وتدمير مقومات مستقبلها.

إنَّ تجديد الإسلام القيمي الرسالي بات أكثر من ضرورة وحاجة ملحّة ليس فقط إلى العرب والمسلمين وحسب، وإنما أيضاً إلى سائر شعوب العالم عموماً والشعوب الغربية خصوصاً من أجل أنسنة العلاقات العالمية وفقاً لنظرة معيارية قوامها التكافؤ والعدالة والقيم الإنسانية الثابتة.

يمر العرب والمسلمون اليوم في ادقّ مراحل تاريخهم من خطورة غير مسبوقة على هويتهم كجماعة تاريخية لها خصوصياتها في التشكّل التاريخي الاجتماعي والثقافي والحضاري . أبرز التحديات الضاغطة ليست تلك البادية من تصاعد الاسلاموفوبيا في غير دولة غربية أوروبية وأمريكية , وانما في الاحتلالات والتدخلات العسكرية والسياسية والحصارات الاقتصادية وفي الوقوف وراء الحروب الأهلية التي ما تزال ساخنة وملتهبة في معظم الأقطار العربية , هذا في وقت يجري فيه تعزيز قدرات العدو الصهيوني من خلال صفقة القرن الأمريكية التي تتضمن الغاء لعروبة القدس ولطابعها العربي التاريخي كنقطة ارتكاز للتفاعل بين الاسلام العربي والمسيحية العربية في انتمائهما الى الدائرة القومية الواحدة .

خلاصة :

إنّ الاحتلالات والتدخلات الغربية تهدف الى إحداث تغييرات جوهرية في بنية النظام العربي – الاسلامي من خلال تسييد وتقديم الكيان الصهيوني من جهة , ورسم خرائط جديدة لجغرافيات سياسية متعددة وعلى أسس مذهبية وطائفية وعرقية ومناطقية من جهة أخرى .

تفرض التحديات المشار اليها وجوب استلهام الشخصية المحمدية في ذكرى مولدها الشريف , من حيث هي شخصية شكّلت ظاهرة تاريخية في حركتها الانقلابية التغييرية التي نقلت العرب من حالة التشتت

القبلي والتخلف الى مجتمع موحد ومتماسك , والى تطوير فعاليات أمة وصفت على أنها خير أمة اخرجت للناس لما حملته الى العالم من رسالة قيمية وانسانية ومن ترسيخ لمفاهيم العدالة الاجتماعية وبناء علاقات تبادل وتفاعل ايجابي بين سائر أمم وشعوب العالم .

على موازاة استلهام الشخصية المحمدية يتوجب تلمس الخطوط الكبرى لمشروع نهضوي عربي – اسلامي يتمتع بالقدرة على تأسيس حالة عربية – اسلامية قادرة ليس فقط على ممانعة الاحتلالات والتدخلات والاختراقات الخارجية ومقاومتها , وانما أيضا على جعل الاسلام القيمي الرسالي الانساني مرجعية مركزية على مستوى العالم بأسره .

معالم الحضارة الاسلامية

د. بسام عواضة

الازمة المالية في لبنان

أزمة الدولار

<u>تحديد الأزمة:</u>

هل هي أزمة مالية (تتعلق بالتعاملات المالية)؟

هل هي أزمة اقتصادية (تتعلق بنتائج الحركة الاقتصادية من تجارة و صناعة...) ؟

هل هي أزمه نقدية (تتعلق بالسياسات النقدية المتعلقة بالعملة وتداولها ومعاملاتها)؟

إجتمعت في هذه الأزمة المتشابكة عدة عوامل تفاعلت مع بعضها البعض منها:

1- أزمة سيولة في الدولار و ليس بالعملة الوطنية.

2- أزمة اقتصادية ترتبط بالدولار والتجارة الخارجية.

3- أزمة سياسية.

وللتعامل مع هدة الأزمة يجب الأخذ بعين الإعتبار مواقف المؤسسات التالية :

البنك المركزي ,البنوك, الحكومة.

من خلال السيولة النقدية وسعرالصرف.

في ظل الأزمات تلجأ الدولة عادة الى طباعة العملة لتأمين السيولة النقدية من العملة المحلية، لتسديد القروض و الإلتزامات، وهذا أمر خطير، اذا لم يصاحبه دراسة دقيقة للوضع المالي, ولكنه لا يدعو الى الخوف من إفلاس للدولة . وعلى سبيل المثال :

الدخل السنوي الامريكي الحكومي: 3.5 تريليون

المصروفات الحكومية : 4.5 تريليون

يكون بالتالي عجز الموازنة 1 تريليون

وهذا أمر طبيعي ولا يسبب افلاساً, فالدولة تستدين من البنك المركزي، و هوبدوره يستدين من البنوك .

سبل المعالجه:

1- دراسة حجم الاقتراض الدي قامت به البنوك لاغراض تمويل الدولة، واسبابه ذلك؟ و كيفية معالجته.
2- ما هي القيود والظروف التي تسمح للدولة الاقتراض من البنك المركزي؟
3- هل قامت الدولة بطباعة العملة المحلية بشكل أكثر مما هو مسموح به ؟ و لماذا؟ و بأي حجم؟

4- هل هناك أموال للمودعين تم تحويلها الى الخارج بشكل مفاجئ ؟ وما هو حجم هده المبالغ ؟ وكيف خرجت؟ و كيف دخلت الى البنوك الخارجية؟ لانه من السهل تتبع هده الأموال و إستعادتها في ظل الإتفاقيات بين المنظمات و المؤسسات المالية العالمية.

5- هل هناك قيود او حظر على تحويل الدولار من البنك الفيدرالي الى البنك المركزي اللبناني؟ و لمادا ؟ و سبل المعالجة .

الوضع في لبنان

لا تتطلب الحالة اللبنانية أكثر من مجرد قلق, ولا خوف من افلاس للبنوك,

فالبنوك تعمل في ظل أنظمة حماية تكافلية من الخبرات التي اكتسبتها على مدى السنوات السابقة ، فهي لا تسمح بإفلاس أحدها وتتدخل إما بشرائه أو بدمجه, لأن السماح بإفلاس أحدها يجر الى إفلاسها جميعاً مثل أحجار الدومينو.

و بالتالي لا خوف من إفلاس بنوك في لبنان, فهناك تعثر مالي في معظم البنوك لسداد التزاماتها بالدولار و ليس بالليرة اللبنانية. و هناك عقد ملزم بين البنك و المودع و فيه شروط تحكم هده العلاقة و تحمي ودائع المودعين.

الخيارات في حال تعدر سحب الاموال من البنك بالدولار:

1- القدرة على الإنتظار حتى تنتهي الازمة.

2- عدم القدره على الإنتظار :

- قبول الوديعة بالعملة المحلية وبالسعر الذي تحدده البنوك في ظل القوانين المحلية المرعية الإجراء.
- الإحتفاظ بالوديعة بالدولار الى حين إنتهاء الازمة والإقتراض بالليرة اللبنانية من البنك بضمان الوديعة بالدولار.

قانون ضمان الودائع (لكل دولة قانونها الخاص)

1- صغار المودعين:

كل دول العالم تضمن و تحمي المودعين الصغار.

2- كبار المودعين:

بالتأكيد لديهم مشكلة كبيرة في هذه الظروف, ولكن يجب الأخد بعين الإعتبار العلاقة بين :

أ- مستوى الربح (فائدة مرتفعة)

ب-ومستوى الخطر (قد تعني تأخير استلام قيمة الودائع مع أرباحها لحين إنتهاء الأزمة)

- هناك دول مستفيدة من الأزمة اللبنانية، لأنها تشكل لها فرصة لإستقبال الودائع التي كانت من الممكن أن تأتي الى لبنان في حال لم تكن هناك أزمة.
- يجب الأخد بعين الإعتبار دور الحكومات السابقة في ما آلت اليه الأوضاع نتيجة :
  - السياسات الاقتصادية (الدولة).
  - السياسات النقدية (مصرف لبنان).
  - السياسات المالية (البنوك).

إن إقراض مصرف لبنان المركزي للحكومة اللبنانية لتمويل هذا العجز(سياسات الدولة) , عمدت السياسة الحكومية الى اللجوء للإقتراض المحلي، بدلا من محاولة سد العجز من خلال تشجيع و تطوير الاقتصاد و زيادة الناتج المحلي, و بالتالي مزيداً من التدهور في الناتج القومي المحلي الدي نتج عنه :

أ- تراكم الدين على الدولة مع الفوائد المترتبة عليها في ظل غياب ناتج محلي يساعد على تحسين الوضع المالي.

ب-قرار البنك المركزي حجز أموال المودعين في البلد و جعلها مجمدة , أدى الى هروب الودائع الأجنبية المحتملة المستقبلية من الخارج وعدم الثقة بقرارات الحكومة.

لدلك يجب إلغاء مثل هذه القرارات من أجل إستعاده الثقة وعودة الودائع الى لبنان.

ج- الهيركات وهو قرار سرقة اموال المودعين بدون حق وبدون مبرر,لأن أموال المودع هي له وحده، مثل بيته و بقية أمواله الخاصه .

كيفية بناء الناتج القومي : يتم بناء الناتج القومي عن طريق:

1- إستغلال الفرص في الموارد المتاحة من أجل تخفيض الإستيراد :

- الزراعة.
- الصناعات البسيطة.

2- العمل على إعادة ثقة المودع المستقبلي من خلال إلغاء جميع القرارات التي تضيّع حقه، ووضع قرارات تضمن له الحصول على حقوقه التامة في التصرف بأمواله كما يشاء.

3- التعامل مع القرارات الدولية بذكاء والبحث عن الحلول وإستغلال الفرص المتاحة (قرار قيصر) ك:

- التعامل البيني بين الدول بعملاتها المحلية (بدون دولار).
- المقايضة بين الدول في المنتجات.
- ....

4- الاخذ بعين الإعتبار الأمور التالية:

أ- دون الشفافية ليس هناك اقتصاد حيث أن إنعدامها يضع حاجزاً بين الدولة و المستثمرين.

ب-إستقرار القوانين و إحترامها و مصداقيتها و شفافيتها.

ت-إن الدولة التي تريد أن تبني مستقبلاً حقيقياً يجب أن تركز على الإستثمار المحلي. لأن الإستثمار الخارجي لا يأت الى الدولة إلا إذا كان عند الشخص إستثمار وطني يؤكد أن هناك ثقة للمواطن بإقتصاده.

ث- العمل على تشجيع المواطنين على استعمال العملة المحلية، أقله بنسبة 90 بالمئه من معاملاتها وليس بالعملات الأجنبية مما يساهم في زيادة الثقة بثبات بالعملة الوطنية (القوانين اللبنانية).

ج- تحديد صلاحيات ووضع أسس و قوانين تحدد العلاقة بين البنك المركزي و الدولة.

الأستاذ أسد زين غندور

التلوث والبيئة – مقاربات وإقتراحات للمعالجة

مقدمة: في البداية، لا بدّ من مقدمة بسيطة واضحة، تحدد أين نحن في هذا العالم، وكيف ننطلق ونتحول من مجتمع وعالم متخلف، بل متأخر، إلى عالم يدخل العصر، ويتمكن من إثبات وجوده والحفاظ على شعبه ومقدراته.

التخلف، مشكلة سياسية قبل أي شيء آخر، ولا يمكن التغلب على هذه المشكلة إلاّ عبر متغيرات عميقة وجذرية في البنى الاجتماعية والعقلية والاقتصادية.

ويعتبر التخلف من أكثر مشاكل العصر أهمية وخطورة، ولذلك فإما أن تتمكن الشعوب "المتأخرة" وعياً ومجتمعاً وإقتصاداً وسياسة، من العمل على قهر حالة البؤس التي ترزح تحت وطأتها، وإما أن تغرق أكثر فأكثر في الفوضى والتسيب والضياع والانهزام أمام قوى الجبابرة، التي تمكنت أن تفرض سيطرتها على الدول المتخلفة والتحكم بها، ونهب خيراتها، وتغييب دورها في التاريخ، وإبقائها رهينة إلى أطول مدة زمنية.

وإذا لم نبادر إلى صياغة مشروعات علمية تساهم في كسر إطارات التخلف، وتجميده أولاً، والإنطلاق لتوجهات وممارسات ووضع برامج تحد من آثاره التدميرية، وتتيح إحداث شبكات تنموية تحديثية، فلن نتمكن أن نتقدم، ولن نتقدم.

في نضاله ضد التأخر والتخلف، واجه شعبنا عقبتين رئيسيتين: التجزئة أولاً، والآثار الكابحة التي تفرزها البنى الاجتماعية المفككة والمتقسمة على نفسها عامودياً، السابقة للإندماج القومي.

ولكي تكون هناك تنمية، لا بد من وجود شعب، ولكي يكون هذا الشعب فاعلاً، ينبغي أن يتوفر على إندماج قومي، وعلى تلاحم قومي، لا أن يغرق في، ويدافع عن، قوقعات ضيقة الأفق، ضعيفة القدرات، متناحرة فيما بينها على الدوام. فلا تنمية حقة بدون تلاحم قومي، والتلاحم القومي يتطلب قيادات مرتبطة بشعوبها، تمتلك فكراً عقلانياً متنوراً، متجاوزة كل الأطر الضيقة الأفق، قيادات سياسية قادرة على أن تجعل

شعوبها ترتضي، باسم المصلحة القومية العليا، اتخاذ مواقف جريئة تشكك بالسلوكيات القديمة والسلبية، والجمود القديم، وتتجاوز أشكال التضامن القديمة الرخوة، والإنطلاق إلى رسم سياسات حديثة واعية متقدمة.

ولا يمكن تصور إحداث تنمية حقيقية إلاّ في إطار تجمعات كبيرة، متعلمة، مندمجة، عقلانية. هذا ما أدركته البلدان المتقدمة منذ عصر التنوير وإنطلاق التصنيع، وهذا ما يجب أن تدركه شعوب العالم المتأخر.

ولأن العلاقة بين التنمية بجميع جوانبها والبيئة بمختلف مواردها ومكوناتها، هي علاقة جدلية ومتشابكة ومتوازنة،

وحيث أن الإخلال بالتوازن وزيادة حاجات الإنسان عن موجودات وموارد الطبيعة قد أحدث تغيراً في الانتظام العام وفي سلوكيات البشر وأساليب عيشها.

وللحفاظ على مقدرات ومتطلبات البيئة السليمة ومقاييسها وعدم الإضرار بها، يبذل العالم الجهود الجبارة للحد من مظاهر التلوث البيئي والتصحر. ومن انعكاسات تغير المناخ والعديد من التشوهات البيئية. ويعمل الناشطون في شؤون البيئة وسع جهدهم للحفاظ على المعطيات البيئية السليمة ابتداءً من الأسرة والمنزل مروراً بالمدرسة والجامعة، وعبر الجمعيات والنوادي وكافة الأطر المحلية، وصولاً إلى اهتمام السلطات المعنية وسن التشريعات وإصدار القوانين التي تهدف إلى صون الطبيعة والحفاظ على ثرواتها والحد من المخاطر التي تتعرض لها البيئة بممارسات يومية وتشوهات مختلفة.

من خلال هذا الكم من الدراسات والأبحاث والمؤتمرات حول البيئة والتلوث، نشأ في العالم علم جديد يُعرف "بعلم البيئة". وقد حدّد عالم الحياة الألماني، "آرنست هيكل" أن كلمة "Ecologie" مشتقة من كلمتين يونانيتين، "OIKOS" وتعنى المسكن، و "Logos" ومعناها العلم. أي "العلم الذي يدرس علاقات الكائنات الحية بالوسط الذي تعيش فيه.

كما عرّف العالم الفرنسي "بيار أغيس" في كتابه "مفاتيح علم البيئة"، بما يلي: "علم البيئة هو معرفة إقتصاد الطبيعة ورصد علاقات حيوان ما بوسطة العضوي واللاعضوي، متضمناً

بالإضافة إلى ذلك كل صلاته الطيبة والعدائية مع الحيوانات والنباتات التي لها علاقة مباشرة به". ويشير في الحديث عن أهمية هذا العلم متسائلاً: "لماذا لا يصبح علم البيئة أحد ركائز الفلسفة الإنسانية الحديثة".

هذا بالإضافة إلى العديد من التعريفات التي أطلقها أكثر من عالم، وأجمعت أن "علم البيئة" من أحدث العلوم التي تتناول العلاقة بين الإنسان بشكل عام ومحيطه الطبيعي، وحاولت دراسة التوازن بين الأنواع الحية في الطبيعة وتلك النباتية وأحياناً المعدنية، والتعمق في التناقضات التي شهدها علم البيئة على مر الزمن، وإمكانيات التوصل إلى توافقات عبر استمرارية هذا العلم وأهميته يوماً بعد آخر.

لقد اهتم علم البيئة بالكائنات الحية وتغذيتها، وطرق معيشتها، وتواجدها في مجتمعات أو تجمعات سكنية، كما تضمن دراسة العوامل غير الحية مثل خصائص المناخ، الحرارة – الرطوبة – الضوء – الإشعاعات المختلفة – غازات المياه والهواء... الخ"، الخصائص الفيزيائية والكيميائية للأرض وللماء (الحموضية – المقاومة النوعية – نسبة الآيونات – المواد الصمغية – التركيب الفيزيائي للتربة والترسبات)، ومجموعة عوامل فيزيائية وميكانيكية مرتبطة بوضعية كوكب الأرض، وخاصة الجاذبية.

أما العوامل الحياتية، فتتألف من مجموعة الكائنات الحية الموجودة في الوسط، إذ أن لكل فرد علاقة بأفراد نوعه الذين يعيش معهم، كما يقيم العلاقات مع عدد لا بأس به من أنواع الكائنات الحية في المحيط الذي يعيش فيه، يألف بعضها ويفترس البعض الآخر، ويزاحم قسماً منها أثناء بحثه الدائم عن طعامه ومسكنه.

وهكذا نجد أن علم البيئة يتسع ويتشعب باستعمال التقنيات، ومن خلال الدراسات المختلفة في مجالات علمية متعددة، وأصبح متجذراً في علم العادات والفيزيولوجيا وعلم التغيرات والظواهر الجوية، وعلم المناخ والمحيطات والبحار وعلم الحياة وعلم الديموغرافيا، وعلوم الكيمياء الحياتية والكيميائية العضوية، وغير ذلك من العلوم المتعددة والمتشعبة.

إن الطبيعة وثرواتها الهائلة والمتجددة، ليست ملكاً لنا وحدنا، بل إننا، كما ورثناها عن أهلنا وأجدادنا، سنورثها للأجيال القادمة، من هنا كان ولا يزال، يجب المحافظة عليها نظيفة، نقية، خالية من كل أنواع

الملوثات، وما أكثرها، ومن الأضرار والتدخلات التي تسبب هلاكها واستنفادها، وبالتالي هلاك الكائنات الحية معها، كما المطلوب عدم استغلال مواردها الأولية بشكل مسرف هدام يؤدي إلى القضاء عليها.

مما لا شك فيه، لمن الضرورة المحافظة على الحيوانات البرية، وعلى المراعي، والغابات، والطيور بشتى أنواعها، والشواطئ والأنهار، والينابيع، وكل ما يمت إلى الطبيعة بصلة علاقة مباشرة أو غير مباشرة، لأن العالم اليوم بات على مفترق طرق خطير مع ازدياد الملوثات في هذا العالم، والتدخلات الهائلة في الطبيعة والعمل على القضاء على مكوناتها وثرواتها.

إن كثرة استعمال المبيدات والسموم والغازات المشكلة لثاني أوكسيد الكربون، والرصاص، وغيرها من العوامل الفتاكة والضارة بالبيئة والإنسان، وتهدد الحياة البشرية والحيوانية والنباتية والتربة، إذا استمرت على وتيرتها المتصاعدة في التلوث، تشكل التحدي الأهم أمامنا، وضرورة العمل بكل الوسائل المتاحة للحد من آثارها المدمرة.

كما أن التزايد السكاني في العالم بشكل عام، وفي عالمنا المتأخر بشكل خاص، ساهم بإحداث تأثيرات سلبية وخطيرة في الطبيعة والبيئة، وساهم، بقصد وبدون قصد، في زيادة حجم الملوثات البيئية. فعلى سبيل المثال وليس الحصر، لم يكن العالم يستعمل الأنهار يوماً من الأيام لتصريف الفضلات، أو على الأقل لم تكن الطريقة ذات الأهمية في عملية التصريف، إلاّ أن الحالة سرعان ما تغيرت مع التزايد السكاني والثورة الصناعية التي فرضتها الحاجة لتغطية المتطلبات الإضافية لهؤلاء السكان.

ونتيجة تزايد فضلات المواد المصنعة، بمختلف أشكالها، استعملت الصناعة قوة الجاذبية والإنحدار الطبيعي للمياه لتصريف فضلاتها الصناعية في مجاري الأنهار، وكانت نتيجة ذلك سيئة جداً وألحقت الضرر بالأنهار وبالبيئة وبالإنسان وبكل الكائنات الحية.

ومن خلال التزايد السكاني أيضاً، وغياب الدراسات والبرامج لتأمين حاجيات الناس إلى المساكن ومستلزمات الحياة، ثمّ تخريب الأراضي عبر عمليات الحفر الفوضوية، والجرف العميق في التربة وفي الجبال، ونقل الأتربة والحصى والحجارة وغيرها، وتحويل المرتفعات إلى أودية تفتقر إلى أدنى مظاهر الجمال والحياة فيها، فكانت نتيجة ذلك سيئة جداً وألحقت الأثر السيء على البيئة بشكل عام، مما شكل كارثة

بالنسبة للنظم البيئية، كل ذلك في غياب سياسات بيئية علمية، وغياب المحاسبة والمراقبة، وتفلت الكثير من الالتزام بالتشريعات المتعددة والقوانين المرعية الإجراء.

كما أنه على مدى التاريخ، شكلت الحروب ولا تزال السبب الرئيسي لتخريب البيئة، لما حملته من دمار للمناطق التي وقعت فيها هذه الحروب، ولما بثته الأسلحة الفتاكة والمتقدمة تكنولوجياً والمعادية للإنسانية، والمخالفة للأعراف والقوانين الدولية، من سموم تفسد الهواء والمياه والتربة، وتتجذر في أعماق كافة العناصر الطبيعية ومكوناتها، وتبقى تشكل مصدراً للخطر والقتل والإبادات الجماعية لكل حي، والقضاء على كائنات حية ونباتية لفترات طويلة من الزمن.

كما لم يقتصر التلوث على الهواء والماء والغذاء والساحات الخضراء والطرقات، وقطع الأشجار وحرق الغابات والتصحر، بل تعداها ليصيب النفس البشرية، ويسبب لها تغيرات عقلية وعاطفية وإضطرابات نفسية أدت في كثير من الأحيان إلى خلق حالات إجتماعية يرثى لها: تلوث النفس البشرية التي استهواها الإنحراف العقلي والخلقي والأخلاقي، والرخاء على حساب الآخرين، والإبتعاد عن القيم الإنسانية والعادات المميزة، والإهتمام بالمظاهر المصطنعة عنواناً بارزاً للتباهي والتفاخر والإستغلال والنهب المنظم للثروات، والبحث عن الثراء السريع بدون الإلتزام بقيمة الشغل ومفاهيم الإنتاج الذي يعود بالفائدة على البشرية جمعاء.

من هذا المنطلق، نرى أنه بات من الضرورة إضافة "علم البيئة" إلى مجموعة العلوم التي يتضمنها المنهاج العلمي في الجامعات والأكاديميات والثانويات العامة، وحتى في المدارس الإبتدائية، والتعمق في دراسة هذا العلم ومكوناته، والإضاءة على الآثار السلبية التي سببها الإنسان والسياسات والسلوكيات الهدامة على البيئة، بسوء استخدام العناصر الطبيعية وكيفية التعاطي معها، بما يحافظ على استمراريتها أولاً، وتحقيق أفضل إفادة بأقل خسائر ممكنة. ثانياً.

كما أن تكالب البعض على البعض الآخر بحجة الصراع من أجل الحياة، والكسب السريع، وحب التملك والشهوة، كل ذلك ساهم في تدمير البيئة وتراجع الحياة الإنسانية وتدهور العلاقات الاجتماعية وما لذلك من إنعكاس على الطبيعة بكل مكوناتها، ونسي أو تناسى العالم، أننا يمكننا أن نحيا جميعاً بسعادة ووئام إذا أحسنا كيفية التعاطي بشكل إيجابي مع الموارد الطبيعية ومكنونات الطبيعة والحفاظ على مرتكزاتها.

وإذا كان التزايد السكاني من جهة، وتقدم التكنولوجيا والثورة الصناعية من جهة أخرى، وصراع البقاء الذي لا مبرر أخلاقي وقيمي وإنساني له من جهة ثالثة، وكثرة الحروب ووسائلها التدميرية والمميتة، إذا كان كل ذلك قد ساهم بشكل أو بآخر في إزدياد التلوث البيئي، وكثرة المخاطر البيئية، وتقصير عمر الكائنات الحية، واندثار بعضها، إلاّ أنه بقليل من الوعي وتحمل المسؤولية وبالتخطيط والتنظيم والدراية ووضع سياسات بيئية علمية مطابقة للواقع، وتطبيق التشريعات وعدم جعلها حبراً على ورق، فإنه يمكننا القول بأن ازدياد السكان وتقدم التكنولوجيا سيساهمان في توفير مناخات جديدة لوسائل راحة تتطلبها، وللوقاية من أمراض تهدد مصائرنا، والحد من تزايد الوفيات المفاجئة، كما أن هناك علاقة جدلية واضحة بين التزايد السكاني وتقدم التكنولوجيا، حيث تقود الأخيرة إلى دفع الكثير من البشر للبحث في تطوير كافة العلوم، ومنها علم البيئة، من أجل حياة أفضل.

مصادر التلوث الشائعة:

قضية حماية البيئة والمحافظة عليها من مختلف أنواع التلوث وسوء استخدام الموارد الطبيعية، تعتبر واحدة من أهم قضايا العصر، وتشكل بعداً رئيسياً من أبعاد التحديات التي تواجهها البلدان النامية على وجه التحديد، وخاصة في مجال التخطيط للتنمية الشاملة المستدامة، على ضوء التجارب التي خاضتها الدول المتقدمة وتوصلت من خلالها إلى وضع الحلول الملائمة، لذلك يجب أن نولي هذه المسائل الأهمية اللازمة، وأن ننشر الوعي والثقافات الذاتية والجماعية بين البشر، والتعلم من الآخرين، واستخدام كل الوسائل المتاحة أمامنا للمحافظة على البيئة قبل أن نقع في المحذور، وتتراكم النقابات أكثر وأكثر ويزداد حجم التلوث ومشاكله البيئية المعقدة، ويصبح من الصعب معالجة آثاره السلبية.

لسنا بمعرض تقديم بحث يلقي الضوء على كيفية تخريب الطبيعة بفعل الإنسان و"الحضارات المزيفة"، إلاّ أننا يمكننا القول أن باستطاعة شعبنا، والأجهزة الإدارية المسؤولة بمختلف تسمياتها ومواقعها، بمزيد من الوعي وتحمل المسؤولية والإرادة والإدارة والرقابة والمحاسبة، يستطيع مواجهة التلوث والحد من مخاطره المدمرة، وأن يتوصل إلى سياسات بيئية سليمة قادرة على لجم ما نحن عليه اليوم، ووضع الحلول والعلاجات الممكمة والبديلة.

لقد عقدت في لبنان المؤتمرات والمحاضرات والندوات، على مدى عشرات السنوات، حول موضوع البيئة ومواجهة التلوث، وقدمت الدراسات والأبحاث والبيانات، وشكلت الإدارات واللجان، وسنَّت التشريعات والقوانين، وما زال الوضع على حاله، بل يزداد خطراً يوماً بعد آخر.

وبدراسة أولية أجريتها، وبعد الإطلاع والمتابعة والمقاربات الواقعية، تبين أن مجمل النفقات التي تكبدتها الدولة اللبنانية بشكل عام والمجتمع المحلي والإدارات المحلية، منذ ربع قرن ولغاية اليوم من أجل فقط إعداد الدراسات ودفع كلفة التلزيمات الغوغائية، وتقديم اقتراحات حلول عشوائية لمعالجة قضية التلوث في لبنان، ومعالجة النفايات الصلبة على وجه الخصوص، بلغت ما يتجاوز المليارِي دولار أميركي.

بينما، أظهرت الدراسات الحديثة، أن معملاً حديثاً لمعالجة 500 طن من النفايات يومياً، بإدارة متخصصة وقادرة، وضمن خطة متكاملة، تكلفته الإجمالية: ثمن الأرض، شق الطرقات، إنجاز الإنشاءات، تركيب المعدات، نقل النفايات، إدارة ومراقبة وتوجيه، التخلص من النفايات المعدومة، تبلغ حوالي ثلاثين مليون دولار أميركي، على أن يعالج المعمل النفايات الصلبة، ويفرزها، ويتخلص من آثارها وينتج الغاز والكهرباء والسماد ومواد يمكن إعادة تدويرها.

كما أظهرت الدراسات أن لبنان، رغم كثافته السكانية، وعدم الاستقرار في تحديد عدد السكان فيه من وقت إلى آخر، ينتج يومياً، من مختلف المصادر، حوالي 10.000 طن من النفايات. وعلى ما تقدم يكون لبنان بحاجة إلى عشرين من المعامل الحديثة والمتكاملة موزعة على مختلف المناطق الجغرافية، وبذلك تكون تكلفة المعامل العشرون =

$600.000.000 = 20 × $ 30.000.000

يضاف إلى ذلك كلفة الدراسات والتحضيرات وخلافه= 100.000.000 $

فتكون الكلفة الإجمالية = 700.000.000 $

وهذا يشكل ألـ ثلث من كلفة الهدر الذي صرف لغاية اليوم، ولم تتوصل إلى نتائج وحلول مرضية، ويمكن إضافة مبلغ خمسة ملايين دولار على كل معمل، سنوياً، بدل صيانة وإدارة وتشغيل وجمع نفايات وردم بقايا وخلاف ذلك، أي ما مجموعه =

$5.000.000 × 20 = 100.000.000 $ على كل المعامل، وإضافة مبلغ 100.000.000 $ تدفع إلى البلديات للبدء بالفرز من المصدر، من البيوت والمحلات التجارية والمدارس والمعامل والمستشفيات، والمطاعم، والأماكن السياحية وغيرها من الأماكن. وهكذا ترتفع الكلفة الإجمالية المطلوبة لمعالجة النفايات الصلبة إلى حوالي تسعماية مليون دولار أميركي، أي دون نصف قيمة الأموال المهدورة والتي تهدر كل يوم.

في العام 2001، أطلقت وزارة البيئة تقريراً حول واقع البيئة في لبنان، تناول شرحاً مفصلاً للضغوط البيئية التي تحدثها النشاطات البشرية بشكل يومي على البيئة، وانعكاساتها على الموارد الطبيعية، بلغت كلفة التدهور البيئي السنوية في لبنان وفق التقرير عام 2000 = 565.000.000$ أي ما نسبته 3.4% من الناتج المحلي العام. أي حوالي 65% من كلفة معالجة النفايات في كل لبنان. الرسالة من هذه الدراسات يغني عن التعبير، وتتطلب السرعة في التحرك والوصول إلى حل.

ومن خلال الدراسات أيضاً، التي أجمع عليها معظم الباحثين، تبين أن أهم مصادر التلوث هي على سبيل المثال وليس الحصر:

- تلوث الهواء.
- تلوث المياه.
- التلوث بطريقة استعمال الأراضي.
- تلوث وسائل النقل بمختلف أنواعها.
- التلوث بالمعادن الثقيلة.
- التلوث جراء الكسارات وإفساد الطبيعة.

- التلوث بالمخلفات الصلبة.
- التلوث الإشعاعي والحراري والكيميائي.
- التلوث الضوضائي.
- التلوث الصناعي والزراعي والسياحي.
- تلوث المياه المبتذلة.
- الأمطار الحمضية والضباب الحمضي.

لا يمكننا في هذه المحاضرة إلقاء الضوء على كل نوع من أنواع التلوث، ودراسة أسبابه، وتداعياته، وآثاره السلبية، وكيفية المعالجة. إلاّ أن أهم ما يعنينا هو تلوث الهواء والماء والتلوث من جراء المخلفات الصلبة. حيث يمكن وضع الدراسات وإعداد الخطط وتنفيذ المشاريع لمواجهة هذه التلوثات أو الحد من آثارها السلبية، أما باقي أنواع التلوث تتطلب الجهود الإضافية التي تفوق قدراتنا، والوقت الكافي، وسياسات عامة محلية وإقليمية ودولية، لا يمكن الخوض بها الآن.

ومن خلال الدراسات أيضاً، استنتجت المعلومات التالية:

	أنواع المخلفات الصلبة	مصادرها	نسبتها
1	مخلفات المنازل	القمامة المنزلية	%42
2	مخلفات تجارية وشوارع	الأسواق والعمليات التجارية	%27
3	مخلفات المباني	أعمال الإنشاء والتعمير	%9
4	مخلفات صناعية	الأعمال والأنشطة الصناعية والورش	%5
5	مخلفات المستشفيات والصحة العامة	مختلف مجال الخدمة الطبية	%3

6	مخلفات زراعية	أعمال الري وجمع الإنتاج	%2
7	مخلفات الصرف الصحي	مواد صلبة متبقية في محطات الصرف الصحي، إن وجدت.	%2
8	مخلفات مختلفة لم ترد	حيوانات تالفة، سيارات، خردة، مخلفات اللحوم والجزارين وخلاف ذلك	%10

ومن خلال هذا الجدول، يتضح أن المخلفات المنزلية والتجارية والشوارع تشكل النسبة الأكبر من حجم المخلفات الصلبة، وأن معالجة هذه المخلفات يتطلب إطار متكامل من الإدارة، ويمر بعدد من المراحل، ويستلزم تعريف كل مرحلة منها، وفقاً لمبادئ الإستدامة والتوجيه والشفافية. وهذه المراحل والتعريفات هي:

1- إدارة النفايات الصلبة: وتعنى عمليات الرقابة، التخفيف من الإنتاج، الفرز من المصدر، الجمع والنقل، الترحيل إلى المعامل، الفرز في المعامل من جديد، المعالجة، التحضير والتخلص من النفايات الصلبة. فضلاً عن مراقبة جميع الأعمال والخطوات، وتحديد الإجراءات الواجب اتخاذها أثناء القيام بها وخلال فترة المراقبة التي تليها.

2- الإدارات المحلية: هي البلديات – اتحادات البلديات.

3- التحول البيولوجي: هي التقنيات المختلفة التي تعتمد على التحلل الجرثومي البيولوجي (غير التسبيخ) وتهدف إلى إعادة إنتاج مواد مشابهة للمواد المسبخة، أو إنتاج الطاقة: كهرباء – غاز ... غير ذلك.

4- التخلص من النفايات الصلبة: ويقصد بها العملية المتكاملة التي تلي مراحل المعالجة والتحضير.

5- التدوير: هي عملية استخراج المواد التي تحتويها النفايات الصلبة ويمكن إعادة استعمالها كمواد بديلة عن المواد الأولية المستخدمة في عملية التصنيع: الورق – الزجاج – المعادن – البلاستيك – وغير ذلك.

6- التسبيخ: هو التحلّل البيولوجي الجرثومي المتحكم بالنفايات الصلبة العضوية بواسطة كائنات مجهرية وعلى حرارة مرتفعة، وتحويلها إلى منتج يمكن استعماله كمحسن للتربة (Compost).

7- الحائز: هو أي شخص طبيعي أو معنوي مسؤول عن إحدى مراحل إدارة النفايات الصلبة، من المصدر إلى التخلص النهائي. بما في ذلك مؤمني الخدمات.

8- المشغل: هو الشخص الطبيعي أو المعنوي الذي يخوله القانون القيام بأعمال التخزين والفرز والترحيل والمعالجة والتحضير أو التخلص من النفايات الصلبة.

9- المطمر الصحي: هو المركز الذي تمَّ اختياره لطمر باقي النفايات الصلبة التي لا يمكن معالجتها والتي يجب أن لا تزيد عن ألـ 5% من كمية النفايات الصلبة، علماً أنه لا يوجد شيء اسمه مطمر صحي، كل المطامر غير صحية.

10- النفايات الخامدة: هي نفايات صلبة تقاوم التغيرات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية، وبالتالي هي غير قابلة للذوبان، للإحتراق، أو التفاعل الفيزيائي والكيميائي، التحلل البيولوجي، ولا تؤثر، كما العصارة الناتجة عنها، على أي مواد أخرى ولا تشكل خطراً على البيئة. وتعتبر من النفايات الخامدة الجزئيات الناعمة للرماد – وكنس الشوارع، للزجاج المطحون، للإسمنت، للقرميد، البلاط والسيراميك، التربة والصخور، الألياف الزجاجية، بعض المعادن التي يمكن أن تمر من خلال منخل (مصفاة) معين صغير الحجم.

11- النفايات الخطرة: هي تلك التي تشكل خطراً على الصحة العامة والبيئة، بعض نفايات المستشفيات، النفايات الكيميائية والإشعاعية.

12- النفايات الصلبة: ذات الوضع الصلب أو السائل أو الغازي، منها الخطر ومنها الغير خطر، يستثنى منها النفايات المشعة، الإنبعاثات الغازية من الجو، والمياه المبتذلة.

13- النفايات القابلة للتحلل: هي القابلة للتحول البيولوجي الجرثومي عبر الهواء أو بدونه.

14- النفايات المنزلية: هي تلك الناتجة عن المنازل وتلك المشابهة لها من المحلات والمؤسسات التجارية والصناعية والإدارية، ونفايات الكنس من الشوارع. وقد تكون ذات خصائص خطرة أو غير خطرة.

15- النفايات غير المنزلية: هي النفايات الصلبة الناتجة عن المؤسسات التجارية والصناعية أو الإدارية باستثناء المنزلية، وتشمل أيضاً النفايات الزراعية، نفايات بعض المؤسسات الصحية، نفايات المسالخ، نفايات البناء والهدم، الوحول الناتجة عن معالجة المياه المبتذلة، والعصارة الناتجة عن إدارة النفايات الصلبة.

16- تحضير النفايات: هي العمليات الفيزيائية أو البيولوجية التي ينتج عنها تغيير خصائص النفايات، مع التركيز على تخفيف حجمها أو طبيعة خطرها، وتسهيل التعامل معها أو معالجتها بشكل أفضل.

17- جمع النفايات: هو مجموعة من النشاطات المنظمة الهادفة إلى إزالة النفايات من مصدرها أو من مستوعبات مخصصة لتجميعها أو مراكز تجميعها.

18- فرز النفايات: هي العمليات اليدوية أو الآلية الهادفة إلى فرز القسم الممكن استرداده من النفايات كالنفايات العضوية والقابلة لإعادة الاستعمال والتدوير، عن تلك التي لا يمكن إعادة استخدامها.

19- مؤمن الخدمة: هو الشخص الطبيعي أو المعنوي المخوَّل قانونياً بجمع ونقل النفايات، المواد القابلة للتدوير، البقايا والمنتجات الثانوية المتولدة من تحضير ومعالجة النفايات.

20- محرقة النفايات: هي المحرقة الثابتة أو المتحركة المجهزة بهدف القيام بمعالجة حرارية على درجة مرتفعة على أن يتم الوصول في هذه المحارق إلى احتراق كامل ينتج عنه فقط مواد تتكون من رماد، حمأة، انبعاثات تحتوي على جزئيات وغازات، وفق معايير وشروط بيئية عالية، فضلاً عن الحرارة التي يمكن استردادها على شكل طاقة.

21- محطة الترحيل: هي الموقع الذي يتم فيه تفريغ النفايات من الشاحنات بهدف نقلها بعد الفرز والتوضيب إلى مراكز تخزينها ومعالجتها وتحضيرها لإعادة الاستخدام أو التخلص منها.

هذه التعريفات، التي كثر ترداد أسماءها في الآونة الأخيرة، ومراحل العمل بمدلولاتها، يتطلب إدارة متكاملة للنفايات الصلبة من مصدر الإنتاج إلى مواقع التخلص النهائي منها، بطريقة مناسبة بيئياً لا تؤدي إلى زيادة الأعباء الإجتماعية والإقتصادية والصحية، وتؤمن مشاركة القطاع الخاص وتحول دون:

1- تلوث المياه السطحية والجوفية، الهواء، التربة، النبات والحيوان.

2- التسبب بإزعاج من جراء إنتشار الروائح والضجيج.

3- التأثير سلباً على المواقع الطبيعية الحساسة.

4- تهديد الطبيعة والتنوع البيولوجي.

نشأت في لبنان، عبر مراسيم وقوانين، إدارة متكاملة للنفايات الصلبة، ولكن حتى الآن لم تر النور: ممارسة وإداءً. وهذا يعود لعدة عوامل باتت معروفة، على رأسها غياب دولة القانون والمواطنة، والفساد المستشري على مدى واسع. وغياب القيم الحديثة. قيمة الإنسان، القانون – الشغل، الوقت، العلاقة مع الآخر ومع الطبيعة، ومع المجتمع، الحق والواجب، المواطنة بما يمثل هذا المفهوم من دلالات وتعديلات في الانتماءات.

وحيث أن أزمة النفايات تتفاقم، وبما أن النسبة الغالبة من النفايات (69%) هي قمامة المنازل والمحال التجارية وما شابه، وهي تعرف بالمخلفات البلدية، مما يعني أن مواجهة التحدي يقع على عاتق الهيئات والقوى والأفراد في البيئة الاجتماعية.

وبما أن البلديات، تشكل السلطات الإدارية المحلية في كل بلدة، وهي على تواصل دائم ومباشر ويومي مع الناس ومع هيئات المجتمع المنغرزة فيه، لذا، هي السلطات التي يقع على عاتقها وضع الدراسات والخطط وتقديم مشاريع الحلول، وكافة الإمكانات المتاحة لمواجهة معضلة النفايات وكيفية التخلص منها، بالتعاون مع كافة الأجهزة الإدارية المعنية.

وعلى ضوء ذلك، أقترح ما يلي:

1- أن تبادر كل بلدية، بالدرجة الأولى، إلى تشكيل لجنة متابعة بيئية من عدد من الناشطين في المجال البيئي في البلدة، تحت إشراف ومتابعة البلدية، على أن تتكون اللجنة من:

- ممثل عن البلدية.
- ممثلين عن الجمعيات والأندية الاجتماعية والثقافية والبيئية والرياضية.
- بعض الناشطين البيئيين.
- ممثلين عن الطلاب والكادرات التعليمية في المدارس التي تقع في إطار البلدية الجغرافي.

2- أن تبادر اللجنة فور تشكلها إلى إعداد دراسة عن واقع البلدة تتضمن:

- عدد أحياء البلدة.
- عدد الوحدات السكنية وغير السكنية في كل حي مع تصنيفها.
- العدد التقريبي للمقيمين في كل حي، وفي البلدة، والعاملين المضافين، خلال النهار، إليها.
- عدد الوحدات التجارية والسياحية والصحية وخلاف ذلك.
- كمية النفايات التي تنتجها البلدة يومياً ومواصفاتها.
- تحديد الأشخاص، النساء بشكل خاص، الذين يمكن التعاون معهم في كل حي، في موضوع البيئة.

- وضع روزنامة لعقد سلسلة لقاءات وسهرات مع ربات المنازل وطلاب المدارس وأعضاء الهيئات العامة للجمعيات والأندية والفرق الكشفية، لشرح المخاطر، وضرورة التعاون للتصدي لهذه المخاطر ومناقشة وإقرار خطة اللجنة.

3- أن تشارك الجمعيات والأندية والهيئات الاجتماعية المتواجدة في النطاق الجغرافي للبلدية، بعيداً عن السياسة والانقسامات العائلية، أن تشارك في عضوية اللجنة عبر ممثلين حقيقيين مهتمين بأمور البيئة وذوي الخبرة.

4- إصدار قرار بلدي، يعطي اللجنة صلاحية العمل والتواصل ضمن الخطة والأهداف المحددة لها. وقرار بفرز النفايات من المصدر، بالتعاون والتنسيق التام مع اللجنة المكلفة، ومع كافة الهيئات والمؤسسات والوزارات المعنية.

5- العمل على تأمين الحاجات والمستلزمات التي يجب توفيرها لتوزيعها على كافة الوحدات السكنية وغير السكنية قبل البدء بالفرز.

6- تأمين المستوعبات لوضع بقايا النفايات غير القابلة للتحول بعد الفرز.

7- تحديد الأوقات لجمع النفايات المفرزة من المستوعبات، وتلك التي تمّ فرزها ويمكن إعادة تحويلها، والتي يجب أن تجمع من الوحدات مباشرة ووضعها في آليات خاصة بدون كبس أو ضغط وعدم خلطها مع باقي النفايات.

8- أن تبحث البلديات المجاورة لبعضها، أو كمحاور، بكيفية إنشاء معامل حديثة ومتطورة وبإدارة متقدمة وبقدرات عالية، لمعالجة البقايا العضوية وتأمين مواقع لطمر القليل المعدم منها والذي يجب أت لا يتجاوز ألـ 5% من كمية تلك البقايا. وأن تحدد كل بلدية، أو مجموعة بلديات مع بعضها، إلى أين ستتوجه بالمواد التي تمَّ فرزها من المصدر (معامل فرز – معمل معالجة – التعاون مع شركات تشتري هذه المواد.. غير ذلك).

9- أن تحدد كل بلدية الإجراءات التي تقوم بها حالياً للتخلص من، أو معالجة، النفايات:

- هل بدأت بعملية الفرز، وكيف؟
- هل لديها مكان للمعالجة وآخر لطمر النفايات المعدومة؟
- هل تستخدم مكب خاص أم مشترك لرمي النفايات، أين، كيفية النقل، كيفية معالجة المطمر أو المكب، الأضرار الناتجة عن المطمر أو المكب، وضرورة سلوك الطرق البديلة.

إن اللجوء إلى هذه الحلول السهلة والتي هي بمتناول اليد ويمكن من اللحظة البدء الجدي بتطبيقها، يعتبر المقدمة الأولى، والضرورية على طريق معالجة النفايات ومواجهة التلوث والمحافظة على الطبيعة ومواردها وعلى الإنسان وصحته، وعلى نظافة مجتمعاتنا وعقلانية سلوكياتنا، وولوج طريق التنمية الحقيقة.

وقبل الختام، أقترح أمامكم على أصحاب المنازل التي تقع ضمن قطعة أرض صغيرة أم كبيرة خاصة، ومنفردة، أن تلجأ بعد الفرز في البيت إلى استخدام طريقة التخلص من البقايا العضوية بطريقة سهلة، غير مكلفة، وتعود بالفائدة على الأرض المجاورة وطعام للدجاج، وهي على النحو التالي:

1- فرز النفايات في المنزل ضمن وعائين: عضوية (55%)، وغير عضوية (45).

2- تأمين برميل سعة 200 ليتر.

3- فتح البرميل من طرفيه، أعلى وأسفل.

4- نفتح ثقوب في محيط البرميل (قطر 1–3 سم).

5- يوضع منخل وغطاء في أعلى البراميل.

6- يرفع البرميل على حجارة في داخل الحديقة أو قطعة الأرض المجاورة.

7- توضع الفضلات العضوية يومياً في البرميل ويضاف فوقها كمية من التراب لتغطيتها.

8- نفتح مجاري تهوئة في الفضلات مرة كل أسبوع.

9- يضاف 1–2 ليتر ماء على الفضلات كل أسبوع.

10- تستمر إضافة الفضلات من أعلى البرميل.

11- يبدأ سحب السماد الطبيعي بعد ستة أشهر، والذي ينمي المزروعات ولا يشكل أدنى ضرر عليها.

12- ومن لديه كمية من الدجاج في مساحة محدّدة ومحصورة يمكنه إطعام القسم الأكبر من الفضلات العضوية للدجاج مع الانتباه لعدم وجود مواد سامة أو مضرة ضمنها.

مشاهد تلوث بيئي

د. نادين نورالدين

الصحة و البيئة محاكاة وتفاعل

شهد القرن العشرون فترة من النمو والإنجاز لم يسبق لها مثيل في مجال تحسين صحة الناس في كثير من البلدان في العالم. وعلى مدى الثلاثين عاما الماضية، شهدنا إنجازات هامة في الميدان الصحي العالمي ، طال خفض معدلات الوفيات وسوء التغذية لدى الأطفال، كما شهدنا إحرازاً هائلاً في الإبتكارات والتكنولوجيات، ومع ذلك، فما زال هناك فوارق بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة في مجالات الصحة والبيئة ومستوى الدخول .

ومؤخراً في العام 1997 أعد البنك الدولي آخر استراتيجية له في مجال الصحة والتغذية والسكان ، وبذلك يكون تاريخ إعدادها قد سبق وضع الأهداف الإنمائية للألفية المتوخاة، وعلى الرغم من هذه الطفرة الهائلة في الإهتمام العالمي بالصحة في السنوات الأخيرة.

وغالبا ما يكون هناك ارتباط وثيق بين اعتلال الصحة والبيئة والفقر وركود الآفاق الاقتصادية، حيث تشير الشواهد والأدلة الواضحة في بلدان العالم النامية إلى أن ضعف الأنظمة الصحية يشكل عقبةً أمام تحسين الحالة الصحية لمواطني هذه البلدان، .بيد أن هذا الإهمال الذي عانت منه أنظمة الرعاية الصحية في السابق بدأ يتغير، إذ أصبح المجتمع الدولي الآن ملتزماً التزاماً كاملاً **بتدعيم الأنظمة الصحية** من أجل مواصلة الإنجازات، واستمرارية البرامج الرأسية التي تستهدف مكافحة أمراض محددة، وتحقيق أقصى استفادة ممكنة من الإمكانات الإنمائية التي تتيحها المساعدات القياسية الجديدة في مجال الصحة المتاحة حاليا للبلدان المعنية، **والحفاظ على بيئة سليمة** في ظل الإكتظاظ السكاني والتطور الصناعي والاهمال البشري، وتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية ذات الصلة بالصحة والتغذية والسكان. ويلعب البنك الدولي، من جانبه، دوراً أساسيا لمساعدة البلدان الشريكة له على النجاح في هذه المهمة الأساسية في مجال الرعاية الصحية .

وعلى الصعيد العملي، فإن تدعيم الأنظمة الصحية والبيئية المتلازمة يعني . على أرض الواقع . تجميع سلسلة الأحداث السليمة (التمويل، والإطار التنظيمي للتعاون بين القطاعين العام والخاص، ونظام إدارة

الحكم، والتأمين، والجوانب اللوجستية، وآليات دفع مستحقات الجهات المقدمة لخدمات الرعاية الصحية والبيئية وتقديم الحوافز لهم، والمعلومات، والعاملين المدربين تدريبا جيدا، والبنية الأساسية الضرورية، وغير ذلك من اللوازم والتجهيزات) لضمان المساواة في الحصول على الخدمات الفعالة في مجال الصحة والتغذية والسكان، ووجود رعاية مستمرة لإنقاذ حياة الناس وتحسينها .

I- مفاهيم و مصطلحات(مفاتيح على علاقة بالموضوع)

1- مفهوم صحة البيئة

صحة البيئة هي إجراءات يتمّ اتباعها للسيطرة على العوامل البيئيّة ، تساهم في تخليصها من التلوّث ، لتتناسب مع حياة الإنسان وجميع الكائنات الحيّة، فهي تسعى الى عدم اختلال التوازن البيئيّ واستمرار البيئة الصحية للحياة على الأرض من جميع النواحي.

أ-مكونات صحة البيئة:

- المياه الصالحة للإستخدام الآدمي.
- الغذاء الصحي السليم.
- المسكن الصحي بكل مقوماته.
- الهواء النقي.
- التخلص من الفضلات و النفايات.
- مكافحة الحشرات بطريقة سليمة.
- التخلص من البرك و المستنقعات.
- التخلص من المخاطر المهنية.
- التخلص من التلوث الضوضائي.

ب- العوامل البيئيّة التي تُؤثّر على صحة الكائنات الحيّة :

-العوامل الكيميائية.

أصبح استعمال المواد الكيميائية مترافقاً مع أي نشاط بشري في كل مجالات الحياة, وهذه المواد لها تأثيرات سلبية على جسم الإنسان، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر, خاصة إذا عرفنا أن عدد هذه المواد في ازدياد مستمر، ومن المتفق عليه أنه ليس هناك مادة كيميائية أمينة كلياً وبالمقابل ليس هناك مادة كيميائية يمكن اعتبارها ضارة تماماً.

وقد عانى الكيميائيون في العصور الوسطى من أمراض الوهن وغيرها بسبب أضرار المواد المتفجرة والسامة التي عملوا بها, وبدأت تظهر المشاكل البيئية الجدية في أوروبا مع بداية القرن السابع عشر بسبب الغبار المنبعث من المناجم, إضافة إلى إنتاج الصبغة والمواد الكيميائية الأخرى من قطران الفحم الحجري في ألمانيا خلال القرن الثامن عشر, مما أدى إلى ظهور مركبات ثانوية سامة وملوثة للبيئة, وتزايدت كميات وأعداد المركبات الكيميائية المنتجة في القرن التاسع عشر بشكل مضطرد، ومنها بقايا الفولاذ والحديد وبقايا البطاريات الرصاصية، ومصافي البترول، ومعها تزايدت كمية الملوثات والمواد الضارة المطروحة في البيئة.

ومع بداية القرن العشرين تحوّل همّ الإنسان من حماية نفسه من أخطار البيئة، إلى حماية البيئة من أخطاره.

ويعد التلوث بالنفط من أهم مصادر التلوث في المياه البحرية، إضافة الى العناصر الثقيلة كالنيكل والرصاص والزئبق. أما الأمونيا فهو من أكثر ملوثات الأنهار تواجداً . وهي من نتاج المصانع أو تأتي من مياه المجاري التي تطرح في الأنهار, وكذلك المبيدات العشبية تعتبر من أكبر مصادر تلوث الأراضي الزراعية والمياه الجوفية بالمواد العضوية, بالإضافة الى انطلاق أكسيد الآزوت من تخمر الأسمدة الآزوتية في التربة بفعل البكتريا مما يؤدي الى تهتّك طبقة الأوزون الحامية للأرض من تأثير الأشعة فوق البنفسجية، وتختلف التأثيرات الضارة للمواد الكيميائية بإختلاف أنواعها, وتكمن التأثيرات الأكثر ضرراً في محورين اثنين أساسين هما: سمية المواد الكيميائية، وقدرة المواد الكيميائية على تحريض السرطان.

- **العوامل الطبيعيّة، والفيزيائيّة.**

العوامل البيولوجية التي تُسبّب الأمراض وتنقلها بشكلٍ مباشر وغير مباشر كالطفيليات، والبكتيريا، والفطريات، والفيروسات، والقوارض والحشرات، مما يُسبّب للإنسان أمراضاً مُعدية وخطيرة كالتيفوئيد والكوليرا والتهابات الكبد (إلتهاب الكبد الوبائي) والتي تنتقل عند تلوّث المياه، أو الإصابة بتسمّم غذائيّ نتيجة تناول

الأطعمة الملوّثة، أو الإصابة بالإجهاد الحراريّ والمُؤدّية للإصابة بضربات الشمس نتيجة ارتفاع درجات الحرارة.

- **الأخطار المحدقة بالتنوع البيولوجي والصحة**

تزايد القلق البشري إزاء العواقب الصحية لخسارة التنوع البيولوجي والتغير. باعتبار أن تغيرات التنوع البيولوجي تؤثر على أداء النُظم الإيكولوجية، كما أن الإضطرابات الكبيرة في النُظم الإيكولوجية يمكن أن تُسفر عن سلع وخدمات داعمة للبقاء على قيد الحياة.

خسارة التنوع البيولوجي تعني أيضاً أننا نخسر الكثير من المواد الكيميائية والجينات الموجودة في الطبيعة قبل أن نكتشفها، وهي من النوع الذي حقق بالفعل للجنس البشري فوائد صحية ضخمة. وتشمل الضغوط والصِلات المحددة بين الصحة والتنوع البيولوجي ما يلي:

- **تأثير التنوع البيولوجي على التغذية**

بلعب التنوع البيولوجي دوراً حاسماً في تغذية الإنسان، وذلك من خلال تأثيره على إنتاج الغذاء في العالم، حيث إنه يؤمن الإنتاجية المستدامة للتربة، ويوفر الموارد الجينية لكل المحاصيل، والماشية، والأنواع البحرية التي تدخل في الغذاء. ومن المحددات الأساسية للصحة الحصول على ما يكفي من المواد التغذوية المتنوعة.

تظهر الصلة بين التغذية وبين التنوع البيولوجي على أكثر من مستوى:

- النظام الإيكولوجي الذي يشكل إنتاج الغذاء خدمة من خدماته؛ الأنواع الحية في النظام الإيكولوجي والتنوع الجيني داخلها. ويمكن أن يكون هناك اختلاف هائل في التركيب الغذائي بين الأغذية و بين أنواع (أصناف) سلالات الغذاء الواحد، الأمر الذي يؤثر على توافر المغذيات الزهيدة المقدار في النظام الغذائي. كما أن النُظم الغذائية المحلية المحتوية على مستويات متوسطة وكافية من المدخول التغذوي تحتاج إلى الحفاظ على مستويات عالية من التنوع البيولوجي.
- يتأثر التنوع البيولوجي بالإنتاج الغذائي المكثف والمعزز بواسطة الري أو استعمال الأسمدة أو وقاية المحاصيل (مبيدات الآفات)، أو إدخال أنواع محاصيل جديدة، وكذلك الدورات الزراعية... ويؤثر ذلك بدوره في الحالة التغذوية وصحة الإنسان على نطاق العالم. وفي كثير من الأحيان يؤدي تبسيط الموئل، وخسارة الأنواع الحية، وتعاقب الأنواع الحية، الى زيادة سرعة تأثر المجتمعات المحلية، بإعتباره المؤشر الذي يدل على مدى الإستعداد البيئي لاعتلال الصحة.

- **أهمية التنوع البيولوجي للبحوث الصحية والطب التقليدي (الشعبي)**

إن الطب التقليدي (الشعبي) مازال يلعب دوراً أساسياً في الرعاية الصحية، وخصوصاً الرعاية الصحية الأولية. وتشير التقديرات إلى أن 40٪ من سكان العالم ما زالوا يستخدمون الطب التقليدي (الشعبي)، وفي بعض البلدان يندرج هذا النوع من الطب على نطاق واسع ضمن نظام الصحة العمومية. ويُعتبر إستعمال النباتات الطبية أشيع أداة دوائية في الطب التقليدي (الشعبي) والطب التكميلي على نطاق العالم. ويعتمد كثير من المجتمعات المحلية على المنتجات الطبيعية التي تُجمع من النُظم الإيكولوجية لأغراض دوائية وثقافية، بالإضافة إلى الأغراض الخاصة بالغذاء.

ت- **كيف نحقق صحة البيئة** : يمكن تحقيق صحة البيئة باتباع الخطوات التالية:

- التخلص الصحيح من نفايات المنشآت الصحية.
- زيادة كفاءة شبكات النقل وخاصة العام وتحسين أنواع الوقود.
- وضع الأجهزة الفعّالة لمراقبة تلوث الغذاء.
- استخدام أساليب الري التي تخفف من أخطار التلوث للمزارعين و المستهلكين.
- ترشيد استخدام المبيدات.
- الإهتمام بالتربية البيئية في المدارس وضمن كل المراحل التعليمية.

2-البيئة

لغةً: الأصل اللغوي لكلمة بيئة هو الجذر) ب و أ(، قال ابن منظور في لسان العرب: بَوَأَ: باء إلى الشيء يَبوء بَوءًا؛ أي رجَع.

وتبوَّأتُ منزلاً؛ أي نَزلتُه، وقوله – تعالى :- ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾(سورة الحشر: 9) جعل الإيمان محلاً لهم على المثل، وإنه لحسن البيئة؛ أي: هيئة التبوُّء، والبيئة والباءة والمباءة: المنزل، وباءت بِيئَة سوء، على مثال(ابن منظور).

- الاصطلاح العلمي المعاصر للبيئة يشير الى أنها: "كل ما يُحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على الصحة، فتشمل القرية أو المدينة بأكملها، مساكنها، شوارعها، أنهارها، آبارها، شواطئها، كما تشمل كل ما يَتناوله الإنسان من طعام وشراب، وما يلبسه من ملابس، بالإضافة إلى العوامل الجوية والكيميائية...(د. اسامة عبد العزيز "ماهية البيئة" ، شبكة الانترنت)
- قال البعض: إن للبيئة مفهومين يُكمل بعضهما الآخَر:

أولهما البيئة الحيوية؛ وهي كل ما يختصُّ بحياة الإنسان وبعلاقته بالمخلوقات الحية، الحيوانية والنباتية التي تَعيش معه.

أما ثانيهما فهي البيئة الطبيعية، وتشمَل موارد المياه، والفضلات، والتخلُّص منها، والحشرات وتربة الأرض، والمساكن، والجو ونَقاوته أو تلوثه، والطقس...(د. اسامة عبد العزيز ، "ماهية البيئة")

- أما البيئة بمفهومها الواسع فهي تشمل عدة أبعاد؛ تكنولوجية، اجتماعية، اقتصادية، تاريخيَّة، ثقافية. وكل بُعدٍ من هذه الأبعاد يتفاعل مع الأبعاد الأُخرى، ويلعب دورًا حيويًّا في توازُن هذا الكل، فعندما نقول البيئة، فنحن نقصد جميع العناصر التي تُحيط بالإنسان وتتفاعل معه من خلال قيامه بنشاطاته الحيوية.(مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية العدد 46 ص 22)
- البيئة حسب بعض الباحثين هي "عبارة عن نسيج من التفاعلات المختلفة بين الكائنات العُضوية الحيَّة بعضها البعض(" إنسان، حيوان، نبات ...)، وبينها وبين العناصر الطبيعية غير الحية (الهواء، الشمس، التُّربة)، ويتمُّ هذا التفاعل وفق نظام دقيق، مُتوازِن ومُتكامِل يُعبَّر عنه بالنظام البيئي."
- وهناك مَن عرّف البيئة من الناحية العِلميَّة بأنها" :مجموع العناصر الطبيعية التي تُكيِّف حياة الإنسان.(د. عبد المجيد السملالي الوجيز في قانون البيئة ص 13)

وهكذا يُمكن استِخلاص تَعريف عِلمي لمفهوم البيئة بأنها: إجمالي الأشياء المُحيطة بالإنسان والمؤثِّرة على وجود الكائنات الحية على سَطح الأرض، متضمِّنة الهواء والماء والتربة والمعادن والمُناخ والكائنات أنفسهم.

كما يُمكن وصفُها بأنها :مَجموعة من الأنظمة المُتشابِكة مع بعضها البعض لدرجة التعقيد، والتي تؤثِّر وتُحدِّد بقاء الإنسان في هذا العالم، و تتعامَل وفق نِظام دقيق مُتوازِن ومُتكامِل يعبَّر عنه بالمنظومة البيئية.

(ابن منظور، الإفريقي، لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية 1424هـ – 2003م، باب الألف، فصل الباء فالواو، مادة (ب و أ) (1: 42) فما بعدها).

3-الصحة

يعتقِد البعض أنَّ الصِّحة تعني أنْ يَتَمتَّع الإنسان بالعافية فقط، وأنْ يُشفى من جميع الأمراض والأسقام، ولكنَّ مفهوم الصِّحة يعني وُصول الإنسان إلى الصِّحة السَّليمة الخالية من جميع الأمراض ويتطلَّب ذلك المُوازنة بين الجوانب النَّفسية والعقلية والرُّوحية والجِسمانية، بهدف وصول الشخص إلى الصِّحة المِثالية .

و تُعرَّف الصِحّة بِأنَّها حالة الإنسان دون أيّ مَرَض أو داء، وهي تشمِل الصِّحة العقليّة والاجتماعية والبدنية، ويقال في هذا المجال : العقل السَّليم في الجسم السَّليم؛ فالإنسان السَّليم هو الّذي يَشعُر بِسلامة بدنه وجسده. أمّا اجتماعيّاً فهو إنسان ذو نَظرة واقعيّة لِلعالم ويتعامل مع أفراد المُجتمع بِشكل جيّد.

وقد عرَّف العالِم "يركنز" الصِّحة (بالإنجليزيَّة (Health) وهي (حالة من التَّوازُن النِّسبي لِوظائف الجسم المُختلفة، وتنتج من تَكيُّف جِسم الإنسان مع العوامِل الضَارّة الَّتي يَتعرَّض لها)، معتبراً أنَّ تكيُّف الجسم مع تلك العوامِل هو عِبارة عن عملية إيجابيَّة تُحافِظ على توازُنه .

كذلك عرّفت هيئة الصِّحة العالَميَّة الصحة على أنَّها حالة من السَّلامة العامَّة من النَّاحية البدنية والعقلية والاجتماعية وليست مُجرَّد أنْ يَخلو الجسم من الأمراض أو أنْ يَشعُر الفَرْد بِالعَجْز، ورَبَطت جميع الجوانب النَّفسية والبدنية والاجتماعية ببعضها البعض.

تَعريف العالم "وينسلو" : الصحة علم وفن الوِقاية من الأمراض وإطالة العمر، والعمل على ترقية الصِّحة، وذلك عن طريق منظمّات المُجتمع الَّتي تهدف إلى الحِفاظ على صِحة البيئة، ومكافحة الأمراض المُعدية، وتعليم الأفراد كيفيّة المُحافظة على النَّظافة الشَّخصيَّة، بالإضافة إلى العمل على تنظيم خدمات التّمريض والطِّب بِهدف التَّشخيص المُبكِر، وتقديم العِلاج الوقائي من الأمراض المُختلفة، وتَطوير الخَدمات الاجتماعيّة والمعيشيّة وذلك لِتمكين المُواطِن من الحُصول على كامل حقوقِه في الصِحّة والعِلاج.

- الصحة هي مدى قدرة الفرد الجسدية والعاطفية والعقلية والاجتماعية على التكيف مع البيئة التي تحيط به.
- الصحةً هي حالة من الكمال البدني، والعقلي، والاجتماعي، وليست مجرد حالة لغياب المرض والضعف ، إنها مفهوم إيجابي يركز على الموارد الاجتماعية، والشخصية، وكذلك القدرات البدنية للإنسان. كذلك تُعتبر المصدر الداعم لوظيفة الفرد في المجتمع؛ حيث يوفر نمط الحياة الصحي وسيلة ليعيش الفرد حياة متكاملة. (منظمة الصحة العالمية).
- وفي الآونة الأخيرة عرّف الباحثون الصحة بأنّها قدرة الجسم على التكيف مع التهديدات والمخاطر الجديدة التي من الممكن أن تواجهه، مستندين في ذلك إلى أنّ العلم الحديث قد زاد بشكل كبير من وعي الإنسان بالأمراض، وكيفية حدوثها خلال العقود الأخيرة الماضية.

- **تأثير التلوث الهوائي في الصحة:**

تلوث الهواء هو مزيج من المواد الطبيعية والاصطناعية في الهواء الذي يتنفسه الإنسان، وعادة ما يتم فصلها إلى فئتين هما: تلوث الهواء الخارجي وتلوث الهواء الداخلي،[٦] ويرتبط تلوث الهواء ارتباطًا وثيقًا بتغير المناخ؛ إذ إنّ المحرك الرئيسي لتغير المناخ هو احتراق الوقود الأحفوري، الذي يُعدّ أيضًا أحد العوامل الرئيسية التي تساهم في تلوث الهواء، وتجدر الإشارة إلى أنّه من الصعب الهروب من التلوث الهوائي؛ إذ يمكن أن تتخطى الملوثات الجهاز الدفاعي في جسم الإنسان وتتغلغل عميقاً في الجهاز التنفسي والدورة الدموية، مما يؤدي إلى إتلاف بعض أعضاء الجسم مثل: الرئتين، والقلب، والدماغ...

الصحة هي العامل الأول والأساسي الذي تستقيم بعده جميع أمور الحياة الأخرى ، وهذا ما يُوضح حرص جميع الحكومات والدول على الاهتمام برفع درجة الوعي الصحي والاهتمام بصحة المجتمع من أجل رفع معدل قدرات الأفراد ، ومن ثم ؛ يكونوا قادرين دائمًا على العمل والإنتاج بأعلى مستوى من الأداء والجودة ، ومن هنا ظهر مفهوم صحي متداول عالميًا وهو: 4- **مفهوم صحة المجتمع.**

تُعتبر صحة المجتمع Community health هي أحد فروع الصحة العامة بل إنها تعتبر انعكاس مباشر على مدى نجاح تطبيق مفهوم الصحة العامة في المجتمع ، وترتكز صحة المجتمع على رفع مستوى وعي الأفراد ومدى تحملهم للمسؤولية في ضوء ما توفره الدول من وسائل من أجل الوقاية من أكبر عدد ممكن من الأمراض واتباع السلوكيات الصحية والغذائية السليمة وتجنب السلوكيات الضارة أيضًا والتي تؤدي إلى حدوث التلوث ورفع معدل العدوى والأمراض بين أفراد المجتمع.

تركز صحة المجتمع على الناس ودورهم كمحدّدات لصحتهم وصحة الشعوب الأخرى، على عكس الصحة البيئية التي تركز على البيئة المادية وتأثيرها على صحة الناس. صحة المجتمع هي مجال رئيسي للدراسة في العلوم الطبية والسريرية التي تركز على الحفاظ على الحالة الصحية للمجتمعات والمجموعات السكانية وحمايتها وتحسينها.

II- تفاعل البيئة والصحة

1_ تأثير الانسان على البيئة

يمثل الإنسان القوة المهيمنة على الأرض بيئياً وجغرافياً، إذ تسبب في حدوث وتغيّرات عالمية سريعة وغير مسبوقة في أنظمة الكوكب، مثل: حدوث ظاهرة الاحتباس العالمي، وفقدان التنوع البيولوجي، وقد اعتمد على الطبيعة اعتماداً كاملاً في جميع احتياجاته، ولكن في العصر الحديث برز أثرالصناعات على حياة الإنسان،

وأصبح يبتعد عن الطبيعة تدريجياً، رغم أنّ العلاقة بينه وبين البيئة الطبيعية هي علاقة الجنس البشري بموطنه الطبيعي، وهي علاقة تتداخل بكل شيء يحيط به، فتطال تأثيرات هذه العلاقة كل الميادين.

يبحث علم البيئة في المجالات الواسعة لهذه العلاقة، ولا سيما بأبعادها الفلسفية، والثقافية، والأيديولوجية.بإعتبار التفاعل بين الإنسان والبيئة بدأ التحول الصناعي في القرن الثامن عشر في المملكة المتحدة، تبعتها أوروبا، وأمريكا الشمالية، ثمّ انتشر في جميع أنحاء العالم، ومنذ ذلك الوقت تغيّرت العلاقة بينهما، حيث قبل توجه الإنسان إلى التصنيع لم يكن للأنشطة البشرية أثر كبير على البيئة بسبب بساطة التقنيات المُستخدَمة، عندما كان الإنسان في المجتمعات الزراعية القديمة يستخدم الأدوات اليدوية والتكنولوجيا البسيطة، وفي عصر التصنيع استغل الموارد بشكل أكبر، فمثلاً، ظهرت آلات متطورة، وبدأ تصنيع واستخدام الأسمدة والمبيدات الكيميائية التي أدت إلى حدوث تغيّرات سلبية على البيئة.

يمكننا تحديد نوعين رئيسيين من الأنشطة البشرية التي أثرت على البيئة، وهي:

- استخدام المصادر الطبيعية، مثل: المياه، والغذاء، والتربة، والنباتات، والحيوانات.
- إنتاج النفايات، مثل: النفايات الناتجة عن الأنشطة الزراعية، والصناعية، والتعدين، وكذلك الفضلات البشرية.

تأثير البيئة على الانسان:

فيما يأتي بعض التأثيرات التي تطبقها البيئة بشكل عام على الإنسان:

- تؤثر البيئة بشكل فعلي على تسيير العلاقات بين البشر، بحيث تشعره البيئة المريحة بالطمأنينة عند الدخول إليها، و يسهل ذلك عملية التعامل معها.
- تؤثر على سلوكيات البشر، فيؤدي وجود بيئة عمل نظيفة إلى إنجاز العمل على أكمل وجه وبدون نقصان.
- كذلك تؤثر على مزاج الشخص، إذ أثبتت الدراسات أن البيئة ذات الإضاءة الجيدة، سواء كانت طبيعية أو صناعية يمكنها أن تعزز النتائج الصحية، وتخفف من الاكتئاب.
- تؤثر أيضاً على مستوى التوتر والإجهاد لدى الإنسان.

- يؤثر التلوث البيئي على صحة الإنسان، ويعد أحد العوامل الرئيسية المؤثرة على متوسط العمر.

2- أثر الإنسان على البيئة:

يؤثر الإنسان على البيئة بشكل كبير وذلك عن طريق العديد من العمليات والنشاطات الحيوية منها:

- النمو السكاني: سبّب النمو السكاني حول العالم قلقاً كبيراً لدى العلماء منذ عام 1798م وذلك عندما صرح أحدهم أنّه لا بد من ابتكار حلول مستمرة للنمو السكاني المتزايد حول العالم، وإلا سيتغلب ذلك النمو على الإمدادات الغذائية لكوكب الارض.
- الزراعة بأنواعها: استعمل الإنسان الزراعة منذ القدم لتأمين الحاجات الغذائية، لكن تبين أنّ تربية المواشي والحيوانات المستعملة كغذاء للبشر بشكل كبير يتسبب في استنزاف النباتات والحشائش الأصلية للآرض، مما يؤدي إلى تداعي التربة وتآكلها وبالتالي عدم المقدرة على زراعتها بأنواع نباتات غذائية مرة أخرى، إضافةً إلى الانبعاثات الغازية الضارة الناتجة عن تلك الحيوانات.
- إزالة الغابات: نظراً للنمو السكاني تمت إزالة الكثير من الغابات، إضافةً إلى الاستيلاء على الأراضي الزراعية الخصبة، بحجة توفير مناطق سكنية للبشر، وذلك يؤدي إلى التأثير على البيئة بشكل كبير، إذ تشتهر النباتات بقدرتها على امتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون الضار واستبداله بغاز الأوكسجين الضروري للحياة.
- الاحتباس الحراري: ظاهرة الاحتباس الحراري هي أحد النتائج والآثار للنشاطات البشرية في البيئة، والسبب الرئيسي في ذلك يعود لنواتج احتراق الوقود الأحفوري، إضافةً إلى تراكم غاز ثاني أكسيد الكربون الضار، وبالتالي أدى ذلك إلى تدهور طبقة الأوزون في الغلاف الجوي، وتغيير المناخ
- التلوث: يُعرّف التلوث البيئي بأنّه دخول أي مادة سواء كانت صلبة، سائلة، غازية، أو حتى أي شكل من أشكال الطاقة إلى النظام البيئي بنسب لا يستطيع النظام تبديدها والتخلص منها.

III- التفاعل بين الإنسان والبيئة

بدأ التحول الصناعي في القرن الثامن عشر في المملكة المتحدة، تبعتها أوروبا، وأمريكا الشمالية، ثمّ انتشر في جميع أنحاء العالم، ومنذ ذلك الوقت تغيّرت علاقة الإنسان بالبيئة، فقبل توجه الإنسان إلى التصنيع لم يكن للأنشطة البشرية أثر كبير على البيئة بسبب بساطة التقنيات المُستخدَمة، حيث استخدم الإنسان في المجتمعات الزراعية القديمة الأدوات اليدوية والتكنولوجيا البسيطة، أمّا في التصنيع فقد أصبح استغلال

الإنسان للموارد أكبر، فمثلاً، ظهرت آلات قوية لقطع الأشجار، مما سمح للإنسان باستهلاك الأحراج بشكل أكبر، وأدّى تصنيع واستخدام الأسمدة والمبيدات الكيميائية إلى حدوث تغيّرات سلبية على البيئة، وهناك نوعان رئيسيان من 1- **الأنشطة البشرية التي أثرت على البيئة:**

أ- **استخدام المصادر الطبيعية:** يستخدم الإنسان في حياته اليومية أنواعاً متعددة من الموارد الطبيعية، حيث يعتمد على الماء، والغذاء من أجل البقاء، ويحتاج إلى الطاقة لأغراض عديدة مثل: الطبخ المنزلي، أو الصناعات الرئيسية، وغيرها... ويتطلب إنتاج جميع المواد والأدوات التي يستخدمها الإنسان بعض الموارد الطبيعية، فمثلاً تصنيع الورق يحتاج إلى مواد خام من الخشب والماء، بالإضافة إلى الطاقة اللازمة لعملية التصنيع، فالخشب يأتي من الأشجار التي تحتاج إلى التربة، والمياه لتنمو، فحاجة الإنسان إلى الموارد الطبيعية كبيرة، وهي بازدياد مستمر مع زيادة عدد السكان، كما أنّ استهلاك الفرد يزداد مع زيادة التقدم الاجتماعي والاقتصادي، وهذا الاستهلاك يؤدي إلى استنزاف الموارد الطبيعية، خاصة المصادر غير المتجددة.

تختلف المصادر الطبيعية غير المتجددة عن المصادر الطبيعية المتجددة في معدل إعادة تولدها مرة أخرى إلى شكل قابل للاستخدام، وبالنسبة لمعدل الاستهلاك البشري السريع يصعب تجديد الموارد غير المتجددة بالوسائل الطبيعية، فالوقود الأحفوري مثلاً، تشكّل على مدى ملايين السنين من عمليات التحلل الطبيعية للنباتات والحيوانات، أمّا الموارد المتجددة فهي متاحة باستمرار، أو يُمكن تجديدها خلال فترات زمنية قصيرة من خلال العمليات الطبيعية، وهناك بعض المصادر المتجددة لا يُمكن للإنسان تعديلها أو استنزافها، مثل: الطاقة الشمسية، والبعض الآخر يُمكن أن يتلف بحيث يصبح غير صالح للاستخدام، مثل: الماء.

ب-**إنتاج النفايات:** تنتج العديد من القطاعات مثل قطاع الصناعة، والزراعة، وقطاع إنتاج الطاقة نفايات تلوِّث الماء والهواء والتربة، تتسبب بأضرار للإنسان والكائنات الحية الأخرى في البيئة، فمثلاً: تنتج صناعة الجلود ودباغتها كميات كبيرة من النفايات السائلة التي تحتوي على مواد عضوية مثل الدهون، بالإضافة إلى المواد الكيميائية السامة والمسرطنة، كما تُطلق بعض الصناعات غازات دفيئة، مثل: ثاني أكسيد الكربون والميثان، وأكسيد النيتروس، والتي تساهم في تغيّر المناخ. وهناك نفايات لا بدّ من تكوُّنها، مثل الفضلات البشرية التي يتمّ تصريف معظمها إلى مياه الصرف

الصحي، وتُشكّل الفضلات التي لا يتمّ تصريفها بالشكل الصحيح مصدر ضرر للإنسان، حيث يُمكن أن تلوِّث الأغذية والمياه اللتان يستهلكهما ، خاصة إذا احتوت هذه الفضلات على مسببات الأمراض، لذلك يتمّ توفير خدمات الصرف الصحي والنظافة العامة لمنع وصول المياه الملوَّثة بهذه النفايات إلى الإنسان.

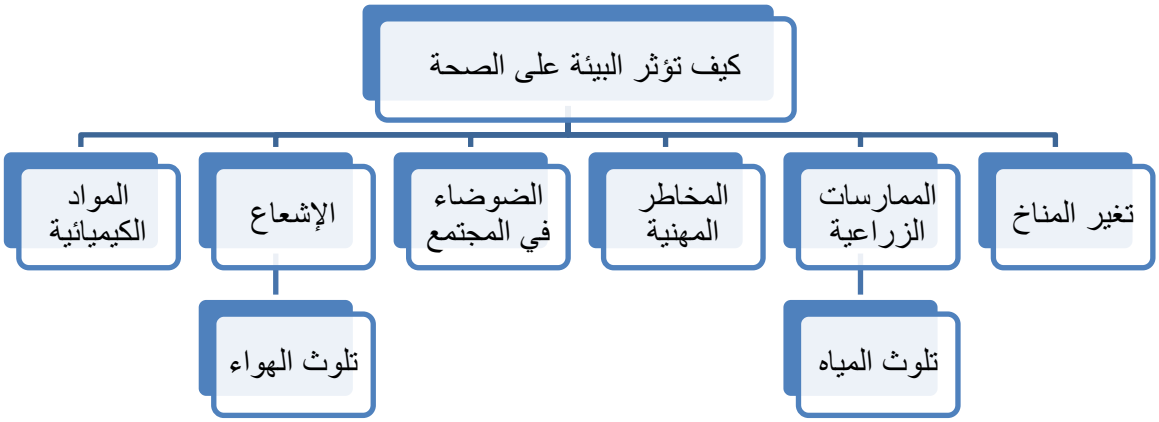

IV- بعض تأثيرات الطبيعة على صحة الإنسان النفسية والبدنية

الشفاء من الأمراض النفسية والبدنية: يقلل التواجد في الطبيعة أو مشاهدة مناظر طبيعية من الشعور بالخوف، والغضب، والتوتر، ويزيد من المشاعر السارة، ويمتد أثر الطبيعة إلى تحسين صحة الإنسان البدنية، فيقلل من ضغط الدم، ومعدل ضربات القلب، ويخفض من توتر العضلات، وإنتاج هرمون التوتر، وقد وجدت الأبحاث التي أجريت في المستشفيات، والمكاتب، والمدارس أنّ وجود النباتات في الغرفة يُمكن أن يكون له أثر كبير على خفض نسبة التوتر والقلق لدى الأفراد

خاتمة

شهد العالم قبل جائحة كورونا انخفاضاً في الأمراض المعدية، في مقابل ارتفاع هائل في الأمراض الناجمة عن الظروف البيئية السيئة. وقدرت منظمة الصحة العالمية أن التدهور البيئي كان مسؤولاً عن 420 ألف حالة وفاة مبكرة في المنطقة العربية وحدها، وهو ما يمثل 20 % من مجمل الوفيات. وتشمل الأمراض الرئيسية الناجمة من مسببات بيئية في البلدان العربية أمراض القلب والأوعية الدموية والإسهال والتهابات الجهاز التنفسي وبعض أنواع السرطان. أما العوامل الرئيسية المحركة للمخاطر البيئية لهذه المجموعات من الأمراض فهي تلوث الهواء الخارجي والداخلي وصعوبة الحصول على المياه النظيفة والتعرض للنفايات والمواد الكيميائية الضارة والمبيدات الزراعية. وتمثل الزراعة المكثفة التي تتطلب إزالة الغابات، والإنتاج الحيواني على نطاق واسع في مزارع كبيرة، وغزو النشاطات الإنسانية للمناطق الطبيعية، أبرز العوامل المؤدية إلى انتشار الفيروسات، خاصة تلك التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان.

نصائح للمحافظة على صحة البيئة:

يمكن الوقاية من العديد من الامرض من خلال ادارة المخاطر البيئية . الأمر الذي يجعل من الضروري معالجة الاسباب البيئية الاساسية ، بإعتبار أن الحد من العبء البيئي للمرض ممكن من خلال تصميم التدابير وتنفيذها بطريقة شاملة. وهذا يدفعنا الى طرح بعض النصائح التي تساعد على توازن صحة البيئة ومنها :

- الحفاظ على نظافة البيئة.
- الحفاظ على نظافة الماء وسلامته والتأكّد من جودته قبل استخدامه.
- الحفاظ على جودة الأطعمة التي تقدم الغذاء للمستهلكين، كذلك متابعة صحة العاملين في المصانع المختصة بذلك ، عن طريق إجراء فحوصات دوريّة لهم حتى يُمنع انتقال الأمراض للأشخاص الآخرين.
- التخلّص من الفضلات بطريقةٍ صحيحة.
- الحفاظ على نظافة المنزل ومكوّناته ومحيطه ليكون مسكناً صحيّاً وخالياً من التلوّث والحشرات والقوارض، وهناك عدة إرشادات يجب اتباعها للحصول على مسكن صحي وتجنّب الحوادث فيه ومنها :

- التأكّد من خلوّ الماء من الملوّثات، وغليه جيّداً، والحفاظ على نظافة الخزانات وإغلاقها جيداً وتنظيفها من وقت لآخر.
- تجميع الفضلات والتخلّص منها بشكل دوري.
- تهوئة المنزل بشكل جيد من خلال فتح النوافذ وخاصّة في فترة النهار. وضع حمايات على النوافذ.
- الحرص على تبديل الأسلاك الكهربائيّة المكشوفة.
- حفظ الأدوية والمواد المُشتعلة ومواد التنظيف في أماكن بعيدة عن متناول الأطفال.
- الإقلاع عن التدخين وتجنّب إشعال الحرائق في الأماكن العامّة للحفاظ على هواء نقيّ.
- التخلّص من عوادم السيارات، ومُخلّفات المصانع بطريقةٍ سليمة.
- الإكثار من زراعة الأشجار التي تحدّ من التلوّث وتنقي الهواء.
- استبدال استعمال المبيدات الحشريّة الكيميائيّة بالمواد العضويّة الطبيعيّة.
- إنشاء المصانع بعيداً عن المناطق السكنية.

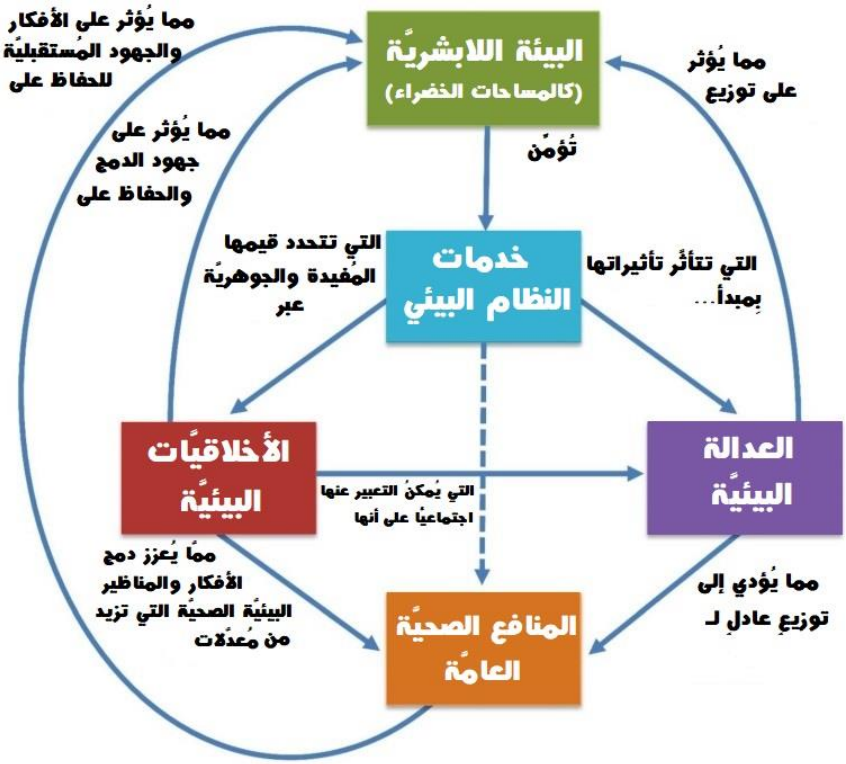

الشاعر عبد النبي بزي(وندزور – كندا)

نكبة بيروت
(على أثر انفجار المرفأ)

جَلَّ المُصابُ وفاَضتْ بالأسى المُقَلُ ... والناسُ من صَدمَةِ المأساةِ قد ذُهِلوا
بيروتُ قد هَزَّت الدُنيا فجيعَتُها ... أخبارُها بالأسى والدَمعِ تنتَقِلُ
تَبكي المَدائِنُ يا بيروتُ زَهرَتَها ... في الشرقِ والغربِ تبكي جُرحَكِ الدُوَلُ
تَبكي العَواصِمُ في حُزنٍ أميرَتَها ... بيروتُ أمٌ بها أحبابُها ثُكِلوا
تَبكي السَماءُ ويَبكي البَدرُ مَنزِلَهُ ... يَبكي الصَباحُ وتَبكي شمسَها الأُصُلُ
والأرضُ تَبكي ويَبكي البحرُمُنتحِباً ... والراسياتُ وتَبكي صِنْوَها القُلَلُ
تَبكي الثقافةُ يا بيروتُ مِنْبَرَها ... والشِعرُ في بَيتِهِ من حُزنِهِ ثَمِلُ
لبنانُ أجمَعُهُ يَبكي فريدَتَهُ ... والأرزُ يَبكي ويَبكي السَهلُ والجَبَلُ
تَفَجَّرَ الحِقدُ يا بيروتُ وانبَعَثَتْ ... نارُ الخِيانَةِ والأحقادِ تَشتَعِلُ
دَمٌ، ضَحايا، وأشلاءٌ مُبَعثَرَةٌ ... في البّرِ في الجَوِ تَحتَ الأرضِ تَتدَمِلُ

****

ناسٌ مُشرَّدَةٌ تاهَتْ وأبنِيَةٌ ... أضحَتْ رُكاماً ودُورٌ رَسمُها طَلَلُ
دَمُ الضَحايا ضُراخٌ مِلءُ كُلِّ فَمٍ ... حُرٍّ يُزَلزِلُ مَنْ خانوا وما خَجِلوا
لُبنانُ مِنْ دَمِكَ المَسفوحِ مُختَضِبٌ ... ودَمعُهُ مِنْ عَميقِ الحُزنِ يَنهَمِلُ
تَفَجَّرَ الحِقدُ يا بيروتُ وانكَشَفَتْ ... وجُوهُ غَدرٍ وعُهرٍ دَأبُها الدَجَلُ
والخَطبُ أكبرُ يا بيروتُ من خُطَبٍ ... والإنفِجارُ ومهما قِيلَ مُفتَعَلُ

سَلوا الخَليجَ سَلوا الأعرابَ كيفَ رَسَتْ سَفينَةُ الغَّدرِ في بيروت ثُمَّ سَلوا
أبنـاء زايدَ مَنْ بالغَدرِ قد نَبَغوا و بالـخِيانَةِ أبنـاءُ الـخنـا جُبِلوا
واستَخبِروا آلَ مَرخان الأُلى دَمُهُم نَفطٌ وأصلُـهُم زَيفٌ و مُنتَحَلُ
تـآمروا مع حُثالاتٍ بـلا خَـجَلٍ منْ أهْلِ لبنانَ مِمّن دينُهُم دَخلُ
واستهدفوا وطناً تحميهِ أُسْدُ شرىً لأجلِ عـزَّتِـهِ أرواحَـهـُم بَـذَلـوا

****

دمـاؤُهُم شُعَلٌ للحقِّ صافيَـةٌ يـحُفّـُها المجدُ والإشراقُ والأملُ
هم أشرفُ الناسُ هم أحرارُ امَّتِنا يقودُهُمْ في ميادين الهُدى بطلُ
والـمجرمونَ زعـامـاتٌ تظلّلها عـباءَةٌ حاكَها التَضليلُ والخَتَلُ
عباءَةٌ سلْـعَةٌ والـدينُ ظـاهِرُهـا والكفرُ باطِنُها والفِسْقُ والدَخَـلُ
أزرى بـلـُبنانَ أفّاكونَ يجمَعُهُم سوقُ الفسادِ وفيهم يُضْرَبُ المَثَلُ
أزرى بـلـبـنـانَ حكّامٌ سَمـاسِرةٌ مُسْتَخدمونَ لدى أربابِهِم خَوَلُ
جَفَّ الشُعُورُ بهِم ماتَتْ ضمائِرُهُم ودونَ فِسقِهِمثمُ الألفاظُ والجُمَلُ
علـى الأرائِـكِ أصنـامٌ مسمَّرَةٌ أرَقُ مِـنـهُم وأرقـى رَبُـهُم هُبَلُ
الدينُ مِصعَدُهُم والعُهرُ مَذهَبُهُم ما همَّ كَمْ غدروا فينا وكَمْ قَتَلوا
مَحْضُ النِفاقِ إذا قالوا مَقولَتُهُم والعارُ والإثمُ والإجرامُ ما فعلوا

****

يا أهلَ لبنانَ هبّوا مِنْ مَضاجِعِكُم لا ينصُرُ اللهُ مَنْ عَنْ حقِّهِم غَفَلوا
أنـتـُم صَنَعتُم زعـامـاتٍ مُزيّفَةً لولا تخاذُلُكُمْ للحُكْمِ ما وَصَلوا
هيّا انهَضوا استغفِروا الرحمنَ بارِءَكُم توبوا الى الله جلَّ اللهُ وابتهلوا
وحَطِّموا ما بَنَتْ أيديكُمُ و جَنَتْ لَعَلَّ أصنامَكُم يودي بها الأجَلُ
فإنْ فَعَلتُم فنعم الفِعلُ فِعْلُكُمُ وإنْ أتيـتُـم فـلا لـومٌ ولا عَـدَلُ
يَستَبْدِلُ اللهُ قوماً غيرَكُمُ ثِقَةً ولـيسَ ينْفَعُكُمْ عُذْرٌ ولا جَدَلُ
لا يَخْذُلُ اللهُ قوماً بالهُدى اعتَصَموا ما خَابَ شَعبٌ على الرَحمَنِ يتَّكِلُ

بـيـروتُ يـا آيـةً للفـنِ سـاحِـرَةٌ علـى شواطِـئكِ الأنـغَـامُ تَـغْتَسِلُ
وأنتِ حاضِرَةُ التاريخِ ما بَرَحتْ تجري ومنْ نورِكِ الأزمانُ تكتَحِلُ
أنتِ التي شَمَخَتْ فوقَ الجراحِ ولمْ تـحنـي إبـاءَتَـهـا الأرزاءُ و الـعلَلُ
أنـتِ الـحيـاةُ سيـبـقى فيكِ مُؤتَلِقاً روحُ الـبقـاءِ ويـبـقـى يُزهِرُ الأملُ

****

بحيرة لويز في كندا

د.هدى ياسين

الليرة بين مطرقة الدولار وسندان الفشل الحكومي الإقتصادي

في ظل تفاقم جملة المشاكل التي تثقل كاهل الإنسان في بلادنا, وتنتهك قيمته بصفته كائناً حراً وسيداً مستقلاً في نظام عيش كريم, وفي ظل إرتفاع معدلات البطالة, والفقر, وقضايا وصعوبات العمل، وشح الأجور, إلى تردي الخدمات الحياتية, وصولاً إلى أزمة الدولار وتداعياته الجنونية لناحية إرتفاع سعر صرفه, مقابل تتالي إنهيار الليرة اللبنانية ليسجل رقم قياسي خطير في تاريخ الحكومات السابقة, وإرتفاع أسعار السلع بشكل خيالي دون حسيب أو رقيب، وتزايد الأزمة الصحية وإنتشار وباء كورونا الخطير وتضاعف أعداد المصابين، وعدم تأمين فرص عمل للشباب، وغياب الضمان الصحي الشامل للأفراد إضافةً إلى الأزمات المعيشية التي تتعلق بتردي خدمات المياه، والإنقطاع المستمر والمتواصل للكهرباء، وإرتفاع تكاليف الإتصالات حيث تعتبر فاتورة الاتصالات في لبنان الأعلى في العالم العربي، والأجور المتدنية التي يعاني منها اللبنانيون التي بالكاد تكفي متطلباتهم لمدة أسبوع، وغلاء كلفة المعيشة (السكن، نقل، مواد غذائية وفوضى الأسعار المرتفعة)، حيث أن أكثر من نصف اللبنانيين باتوا يعيشون تحت خط الفقر، وهي نسبة آخذة بالإرتفاع، وكارثة إنفجار مرفأ بيروت (4 آب 2020) التي خلّفت وراءها عدداً كبيراً من الضحايا والمفقودين، والآلاف من الجرحى والمصابين، وتشريد عشرات الآلاف من المواطنين عن بيوتهم ومساكنهم، والخراب الواسع والخسائر الفادحة والأضرار البالغة بالمباني والممتلكات... في مشهد مأساوي قلّ نظيره في العقود الأخيرة، حيث قدّر محافظ بيروت "الخسائر المادية الناجمة عن الانفجار ما بين 10 إلى 15 مليار دولار أمريكي" (1)، وقد وصف البعض الإنفجار بأنه "أكبر أزمة وكارثة يعانيها لبنان في العصر الحديث"، ضاعفت خسائرها من معاناة لبنان، الذي يعيش أزمة اقتصادية غير مسبوقة، ومديونية تزيد عن 92،2 مليار دولار(2)، أو 170 بالمئة من إجمالي الناتج المحلي للبلاد، في واحد من أكبر أعباء الديون في العالم (3).

وفي ظل تسارع الأحداث وتقلّب المواقف، تبين الأرقام والمقاربات، الصورة القاتمة والسوداء عن الوضع في لبنان مالياً واقتصادياً وادارياً، وهي ميؤوس منها بسبب أجندات وأسباب خاصة(داخلية وخارجية).

وبنتيجة هذا المشهد، ذهبت خطة صندوق النقد الدولي إلى مقاربات تقوم على اعتبار كل المستحقات والديون المتوجبة على لبنان من اليوم وحتى سنة (2050) هي بحكم المستحقة، وبات التعاطي مع لبنان كبلد مُفلس، وليس كبلد مُتعثر يحتاج إلى إعادة هيكلة، ولم يعلن إفلاسه حتى الآن.

المشهد المالي والسياسي بات يبدو الآن قاتماً جداً، وأسوأ ما فيه هو الشعور بغياب الحلول والمخارج، فبات المواطن اللبناني يشعر بأنه متروك لقدره ومصيره، ويتفرّج على البلد يغرق أمامه، وهو يغرق معه في ظل حكومة عاجزة عن إجتراح الحلول، التي تُبعد الانهيار الشامل عن البلد، وتضعه على سكة الحلول المَرجوّة، وتعيد الثقة للشعب بحاضره ومستقبله.

فالمواطن اللبناني يستفيق على الارتفاع الجنوني لسعر الدولار، وإنقراض المواد الاستهلاكية التي أصبحت أسعارها أيضاً جنونية، وينام على هَم الكهرباء والموالدات والمازوت والمحروقات. لكنه رغم ذلك يبحث عن لقمة عيش تُجنّبه العوز وتحفظ كرامته مع ارتفاع عدّاد العاطلين عن العمل يومياً، ونزول الناس إلى الشوارع للتعبير عن يأس وغضب، لعلّ هناك من يسمع صراخهم وإستغاثاتهم للتخلّص من هذا الوضع المأساوي، الذي لم يتصوروا يوماً أنهم سيعيشونه ويصلون إليه.

أمام هذه الأزمات المعيشية والإقتصادية والإجتماعية والمالية, تبقى صرخة المواطن هي التي تعبّر عن واقع مرير يعيشه اللبنانيون بكل مفصل من مفاصل حياتهم، محاولين مواجهة الأزمات الآنفة الذكر, التي تعود أسبابها إلى أمور عديدة منها :

- فشل سياسات الدولة في معالجة قضايا المواطنين، وعجزها عن متابعة وإدارة الملفات الحياتية والإقتصادية والإجتماعية والمالية...
- جمود العالم العربي, وتخلف الدولة عن القيام بعمليات تنمية لتحقيق العدالة والمساواة وخلق فرص عمل للمواطنين.

- الفساد المستشري والمنتشر في بعض مؤسسات الدولة, إذ بالكاد نجد مؤسسة حكومية تعمل بأداء مُحكم وجيد، بل تعاني هذه المؤسسات من الضعف والتراخي...
- السياسات المالية غير المدروسة التي أوصلت البلد إلى الخضوع لرحمة وسيطرة المصارف.

أمام هذا الواقع المرير والأسباب التي أشرنا إليها من البديهي أن تنشأ هذه الأزمات.

فالأسباب الاقتصادية والمالية كافية للاستنتاج بأنّ سعر صرف العملة الوطنية يتعرّض لضغوط اقتصادية، بالإضافة إلى العوامل النفسية التي تتسبب بها النكسات السياسية.

وفي هذا السياق، يمكن القول أنّ الوضع المالي مقبلٌ على فترات صعبة، خصوصاً أن الطبقات الشعبية والعمال يستعدون لرفض أي محاولة لتقليص الدعم، بما يعني أنّ الأموال ستنفد، في غياب خطط الإنقاذ، الأمر الذي سيؤدي إلى كارثة تتجمّع مؤشراتها تباعاً. في حال رفع الدعم عن المحروقات والأدوية والقمح وكل المواد الأساسية إثر فقدان "المصرف المركزي" قدرته على التمويل، مع بلوغ إحتياطي العملات الأجنبية مرحلة حرجة (4).

وقد حذّر وزير خارجية فرنسا قائلاً: كلّما تأخّر تشكيل الحكومة اللبنانية غرق المركب أكثر، والعرقلات يجب أن تتوقف، ولبنان لم يعد يحتمل(5)، علماً أن فرنسا قدمت مبادرتها "كفرصة إنقادية للبنان"، وهي تضمنت ورقة إصلاحية للحكومة الجديدة، تحدّد من خلالها شكل الحكومة الجديدة، والرئيس المنتخب على أساسها، كمبادرة لحل عقدة وأزمة الحكومة اللبنانية القائمة. وقال ماكرون عند زيارته للبنان عُقب الإنفجار المشؤوم أنه: "سيخوض حواراً صريحاً مع المسؤولين وشدّد على ضرورة وضع حد للفساد، والبدء بالإصلاحات كشرط للدعم"،لافتاً إلى أن لبنان سيظل يعاني إذا لم تُنفذ الإصلاحات التي سيطرحها في مبادرته...

وشدّد الرئيس الفرنسي على ضرورة تحقيق الإصلاحات للحصول على تجاوب دولي فيما يتعلق بمساعدات مؤتمر سيدر وأوضح أن المساعدات التي تطرق إليها الجانب الفرنسي في الورقة تتعلق بمؤتمر سيدر، ولا علاقة لها بالمساعدات التي تخص تفجير مرفأ بيروت، و"سيدر" هو مؤتمراقتصادي عُقدَ بباريس في أبريل/

نيسان 2018 بمشاركة 50 دولة، بهدف دعم اقتصاد لبنان، وبلغت القروض المالية الإجمالية المتعهدّة من الدول المانحة قرابة 12 مليار دولار(6) .

في حين كان قد أكّد مدير إدارة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى في صندوق النقد الدولي "جهاد أزعور" أن صندوق النقد على أتم الاستعداد لمساعدة لبنان. وأضاف نتطلع إلى الحكومة المقبلة، والخطوة الأولى هي أن تقدم الحكومة اللبنانية برنامج إصلاحات شامل وموثوق به، يساعد في معالجة المشاكل الاقتصادية والمالية المتعددة التي يواجهها لبنان بسبب الازمات المتعددة التي مربها، والتي اضيفت إليها تداعيات إنفجار 4 آب. وهذا البرنامج يجب أن يكون مدعوماً من مختلف الأطراف ويكون موجهاً إلى إعادة الثقة، وإعادة الاستقرار الاقتصادي (7). وفي المقابل أكد نائب رئيس مجموعة البنك الدولي لشؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا "فريد بلحاج" أن "البنك الدولي جاهز لإعادة تخصيص مليار دولار لدعم الاقتصاد اللبناني، والمشاريع الأكثر أولوية، والمطلوب من الحكومة اللبنانية فتح الأبواب للداعمين من المجتمع الدولي بشكل يعيد الثقة ويسهم في مساعدة الشعب اللبناني" (8).

أمام هذه المعطيات للمشهد المتدحرج نحو الهاوية والقعر، لم يبق من أمل سوى الصلاة والتضرّع من أجل أن يَرأف الله بشعب لبنان، وينوَّر عقول المسؤولين اللبنانيين لتحمل المسؤولية الحقيقية للقيام بما يُجنّب لبنان السقوط... ولكن كيف يمكن أن يرأف بمَن بيده القرار ولا يعمل ولا يبادر لإخراج لبنان من أزمته؟...

ويبقى السؤال المطروح, إذا لم يتحرك الوضع السياسي، وإذا بقيت الدولة بلا خطة، وبلا أمل في الحصول على مساعدات خارجية، كيف سيكون المشهد بعد بضعة أشهر من الآن؟ وهل تستطيع الفئات الوسطى, والفقيرة من الشعب اللبناني التحمّل والصمود والصبر, أمام تداعيات هذه الأزمات الخطيرة (أزمة الدولار, إرتفاع الأسعار...) وخاصة الذين يعانون من البطالة(العاطلين عن العمل), إذا إزدادت الأمور المالية أكثر تعقيداً, وطالت أزمة كورونا أكثر فأكثر؟...

ما أحوجنا إلى صلاة ودعاء شبيهين بصلاة ودعاء للاستسقاء!!

المراجع

، بتاريخ 13/آب/2020. www.arabic.rt 1.com–كارثة مرفأ بيروت...حصيلة ثقيلة للخسائر المادية،

2-تقريرصادر عن بنك عودة، ارتفاع اجمالي الدين العام في لبنان إلى 92،2 مليار دولار، المصدر(موقع النشرة الاقتصادي، بتصرف)

، بتاريخ 24/ تموز/2020www.uac-org.org

3- وزير المالية اللبناني غازي وزني، لبنان ينوي إعلان خطة هيكلية الديون نهاية 2020، نشر في 28/ مارس و20 مايو، بيروت فرنس برس.

،بتاريخ 28/آذار/2020.www.alarabiya.net

4-لبنان...أزمة في المواد الأساسية بسبب احتمال نفاد احتياطي المصرف المركزي،

، بتاريخ 2020/10/17www.aljazeera.net

5-فرنسا تحذّر من "غرق المركب أكثر" مع تأخر تشكيل الحكومة اللبنانية، "باريس الشرق الأوسط أونلاين"

، (الشرق الأوسط" جريدة العرب الدولية، بتاريخ 21/ أكتوبر/2020.www.aawsat.com

6-بيروت /ريا شرتوني/ الأناضول، مصدر فرنسا تسلم لبنان ورقة "خطوط إصلاحية"

، بتاريخ 27/آب/2020www.aa.com.tr

7-جهاد أزعور:صندوق النقد على اتم الاستعداد لمساعدة لبنان،

، بتاريخ 19/تشرين الأول/2020 www.elnasher com.

8-فريد بلحاج:البنك الدولي جاهز لتقديم مليار دولار لدعم اقتصاد لبنان،

، بتاريخ 21/تشرين الأول/2020 www.elnasher com.

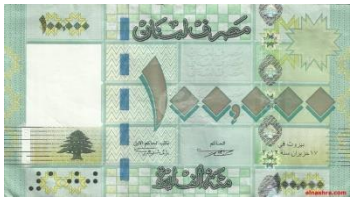

د. درية كمال فرحات

البناء السّردي وتكوين الشّخصيّات في رواية وادي الغيوم لعلي نسر

وادي الغيوم رواية للكاتب"الدّكتور علي نسر"، تدور أحداثها حول البطل يوسف قنديل، ذلك الشّاب الأديب المبدع الذي يلفت انتباه الجنس النّاعم، فهو القادر على جذب النّساء نحوه، أو كما قال عنه صديقه صلاح: "هو المتفلّت الذي تتعرّى أمامه في كلّ يوم امرأة مختلفة، والكأس لا تفارق أصابعه"(ص 22). يوسف حامل هذا الاسم له دلالة سيميائيّة، فكأنّ يوسف الرّواية يأخذ من قصة النّبي يوسف تعلّق النّساء به، وانجذابهنّ إليه، لكنّ قميص النّبي يوسف صكّ براءة له، أمّا قميص يوسف بطل رواية وادي الغيوم فلم يكن بريئًا من مجاراة انجذاب النّساء نحوه، سوى امرأة واحدة وكان لتعفّفه معها أنّها لم تكن سوى زوجة صديق عمره "صلاح"، فكانت "ماجدة" كزليخة بالنّسبة إلى يوسف قنديل، إنّ مسّها فهو يمسّ القيم والمبادئ التي يؤمن بها.

ولم يكن يوسف البطل الذي يأخذ من اسمه معناه فقط، فالبطل المساعد في الرّواية أي صلاح، يأخذ اسمه علامة سيميائيّة مهمة، فاسمه يدلّ على مفهوم الاستقامة والعمل الصّالح والسّلامة من العيب، وهكذا كان حامل هذا الاسم، فهو بالنّسبة إلى يوسف الإنسان الهادئ المصلح الدّاعي إلى الخير وهو كما يقول يوسف عنه بأنّه "المتدين الذي تلوّنت جبهته من كثرة السّجود"(ص 6)، وما هذه العلاقة المغناطيسيّة التي تشدّ صلاح إلى رفيق مختلف عنه، إلّا لأنّه يرغب في إصلاحه "مشروع تخرّجي في الحياة أنت يا يوسف، لن أجعلك تفلت مني إلى النّار"(ص 7).

وهكذا كان اختيار الاسمين دلالة على الأبعاد النّفسيّة للشّخصيتين، وقد تناول فيليب هامون PH.Hamon اسم العلم في كتابه "سيمولوجية الشّخصيات الرّوائية"، ويعدّه علامة سيميائيّة تتحدّد دلالاته ومقاصده عبر السّياقات النّصّية والذّهنيّة، وذلك ضمن علاقات نصّيّة بنيويّة تفاعليّة قائمة عل التّقابل والاختلاف والاستبدال. ويقوم اسم العلم بدور تميزيّ للشّخصيّة داخل المسار السّرديّ والحكائيّ.

وإذا كان يوسف يمثّل صورة الشّاب الماجن، فإنّ الرّواية ليست قصّة "دونجوان" العصر، إنّما هي حكاية تجمع في ثنايا أحداثها الكثير من القضايا الاجتماعيّة والأفكار الفلسفيّة والوجوديّة والدّينيّة والحياتيّة.

والرّواية عبارة عن مشروع مشترك بين يوسف قنديل وصلاح إضافة إلى مرام، يتبادلون رواية فصولها، فيتحدّث كلّ راوٍ عن المواقف كما رآها هو أو عرفها، وتكتمل الحادثة عندما يتحدّث الرّاوي الآخر، وإن احتلّ يوسف القسم الأكبر فروى سبعة فصول من الرّواية، أمّا صلاح فروى أربعة فصول، واكتفت مرام برواية فصلين. وتعدّد الرّواة هو ما يفضّله بطل الرّواية عندما تحدّث عن روايته المفضلة "واعترفت لنفسي بأنّ جمال الرّواية في مضمونها هذه المرة إذ لا أحبّ هذا النّمط من الرّوايات التي يكون الرّواي أحادي السّرد والكلام والرّؤية، يحرم الشّخصيّات من قول ما تريد بشكل عفويّ ومنسجم مع حركتها ودورها ومستواها الفكريّ والاجتماعيّ، فأنا أكره الدّيكتاتوريّة حتى في الرّوايات والرّوائيين"(ص 91).

ولعلّنا نلمح ظلال الكاتب من خلال ما ذكره البطل يوسف، فقد مضى القصّ في الرّواية مستندًا إلى تعدّد الرّواة، يروون ما في داخلهم من تداعي أحداث الماضي، وربطه بما يجري في الخارج، فيتشكّل مسار سردين أوّلهما داخلي نفسيّ وثانيهما خارجيّ. وإذا اعتمد الكاتب في طرائق سرد الحوادث على طريقة التّرجمة الذّاتيّة عبر تعدّد الرواة، وأغفل ما له علاقة بطريقة السّرد المباشر أي الرّاوي العليم، فهو في مقاطع أخرى من روايته يلجأ إلى طريقة المنولوج الدّاخلي، أي تيار الوعي، فيعرض من خلالها لخواطر الشّخصيّة ويستحضر ذكرياتها كيفما وردت إلى الذّهن ومن خلالها يكتمل رسم الشّخصية، وقد برز ذلك كثيرا من خلال حديث يوسف إلى نفسه، وفي رقدته بين أحضان والدته، فتعود الذّكريات إلى ذهنه فيخرجها لترتبط مع السّرد من دون الالتزام بتتابعها الزّمنيّ للحوادث.

وقد يتشكّل مسار السّرد من خلال دفتر الذّكريات الذي يلجأ إليه البطل يوسف قنديل، "دخلت إلى البيت، توجّهت إلى دفتري ذي الصّفحات الخريفيّة"(ص 10)، واللافت هو الرّبط دائمًا بين أوراق الدّفتر الصّفراء وأوراق الخريف المتساقطة، وكأنّ البطل بذلك يُسقط هذه الخواطر منه لتبقى شاهدة على انتهاء كلّ علاقة يقوم بها.

ومن طرائق سرد الحوادث المعتمدة طريقة الرّسائل وقد لجأ إليها الكثير من الرّوائيين ومن أبرز الأمثلة على ذاك رواية "آلام فارت" لغوته و"زهرة العم" لتوفيق الحكيم، وأيضًا فقد لجأ إلى هذه الطّريقة توفيق يوسف عواد في روايته "طواحين بيروت"، وفي هذه الطّريقة يمكن للرّوائيّ أن يحمّل الرّسائل جزءًا من مهمّة سياق النّصّ القصصي. أمّا في رواية "وادي الغيوم" فقد أبدل الكاتب علي نسر طريقة الرّسائل باعتماده على سرد فصول من رواية تُرجع البطل إلى "بداية الحرب مرورًا بهولها ونكساتها وصولًا إلى منتصف الأحداث"(ص 12)، وقد لازمت هذه الرّواية يوسف قنديل حتّى أدمن عليها، ولم تكن العودة إلى هذه الرّواية إلّا لتكمل المشهد الذي يرسم لنا شخصية البطل، وتبرز لنا الجانب النّضالي لديه. والكاتب علي نسر لم يذكر اسم الرّواية، ويمكن القول إنّنا بتنا أمام رواية ثانية يكتب نسر أجزاءً منها داخل روايته وادي الغيوم، لكنّ دورها هنا يكمن في رسم غير مباشر لشخصية يوسف قنديل.

إنّ رواية وادي الغيوم بما يحمله اسمها من دلائل سيميائيّة إضافة إلى أسماء بطليها، جعلتنا نعيش من خلال طرائق سرد حوادثها حكاية يوسف قنديل فهو الشّخصية الرّئيسة في الرّواية فكلّ الحوادث تدور حوله وكما يقول محمد يوسف نجم عن الشّخصيّة المحوريّة بأنّ كلّ ما يحدث في القصة من أحداث لا بدّ من أن يمسّها من قريب أو من بعيد ويؤثر في تلوينها بألوان جديدة، وهكذا كانت شخصية يوسف قنديل هي الشّخصيّة المحورية التي تدور في فلكها الشّخصيّات الأخرى.

ولعل هذه المحورية للشّخصية الأساسيّة جعلت الكاتب علي نسر يهمل تحديد معالم الشّخصيات الثّانوية، فلم يظهر منها إلّا ما له علاقة في بناء حركية الأحداث المرتبطة بيوسف قنديل. وقد نقبل ألا نعرف من هي المرأة الجميلة المجهولة التي شاهدها في الأمسية الشّعريّة، واكتفى الكاتب فقط بإثارة فضول القارئ لاكتشاف هويتها، ولتكون ممهدّة للحديث عن مرام، لكنّ ما لم يكن مقبولًا هو إغفال إعطاء الصّورة الواضحة عن مرام وماجدة. فمرام تحبّه حبًّا كبيرًا، فيغدر بها وتخسر خطيبها بسببه لتتزوج رجلًا يعرف حقيقة مشاعرها، ويتركها مع أوراق ذكرياتها غير آبه لذلك وتكوّن معه عائلة في الاغتراب، لتعود لاحقًا للتّواصل

مع يوسف، وتقرّ بحبّها له، وتكون لهما مغامرة جديدة، وترحل من جديد تاركة إياه لتلحق بعائلتها من دون أن يكتمل المشهد وإبراز واقعها النّفسيّ.

ونقف أيضًا حائرين مع المرأة الملتزمة التي اختلّ توازنها فراحت تبحث عن حلول تناسبها وحدها في أثناء غياب زوجها، فتطلب لقاءه لتعترف له، فيصدّها، ولم يعتمد الكاتب لعبة أجاثا كريستي في قصصها البوليسية، فلا نعرف القاتل إلّا في الختام، إنّما نراه يترك للمتلقي الذّكي في أن يكتشف أنّ هذه المرأة ما هي إلّا ماجدة زوجة صديقه صلاح من خلال قراءته لما بين السّطور. وظلّت هذه العلاقة غير المكتملة هي موضعّ إعجاب صلاح به لأنّه تعفف عن الاستجابة لرغبات هذه المرأة التي رفض صلاح معرفة اسمها كي لا يحمل صديقه ويتحمّل معه شيئًا من الإثم. وهكذا بقيت ماجدة غامضة بتفاصيل نفسيتها، والأسباب التي قادتها إلى ذلك إلّا إذا أخذنا بالإشارة السريعة إلى اختلاف تربيتها العلمانيّة عن طبيعة حياة زوجها الدّينيّة. وظلّت هؤلاء النّساء يدرنَ حول البطل كما تدور الفراشات حول الضّوء من دون أن تدري أنّ في هذا الاقتراب من الضّوء احتراقًا لها.

رواية "وادي الغيوم" رواية تنطلق من شخصية يوسف قنديل لتكون محطّة لعرض الكثير من الآراء الفلسفيّة بين يوسف وأصدقائه، ولتشير إلى الواقع السّياسيّ للبيئة التي اختارها الكاتب لروايته، وللمعاناة من الطّائفيّة، وما تتركه هذه الطّائفيّة من مشاكل اجتماعيّة كما حدث مع أخته التي لم يعرف عنها إلّا بعد مرور سنوات عديدة على وفاتها وقد اصبح شابا وله ولدان.

وإذا تفنّن الكاتب علي نسر في طرائق السّرد منوّعًا بها، وأجاد في بناء الشّخصيات التي حقّقت مراده، فإنّ الرّواية شاهدة على أسلوبه السلس وحسن استخدامه للصّور البيانيّة التي حفلت فيها الرّواية ناقلة المراد الذي يبتغيه الكاتب.

الاستاذة الدكتورة ماغي عبيد

فلسفة العلاقات اللبنانية السورية ورهاناتها المستقبلية

في ظل العولمة يحق لنا أن نطالب العلم بإزالة الغشاوات واللبس، وإيضاح الواقع وتنظيمه، والكشف عن القوانين التي تتحكم وتحكم العالم، إذ أن العلم يسير اليوم نحو فضاء إبستمولوجي ومنهجي، فلسفي وقانوني هو فضاء الفكر المركب، في محاولة إصلاح منظوماتي، طارحاً مسائل التحوّل والفوضى، القانوني واللاقانوني، اللانهائي واللايقيني، حيث الرهان على أسس التفكير في الكون. ولعل من الإشكاليات التي شكلتها الفلسفات والإبستمولوجيات والعلوم النسقية أنها سعت جاهدة لسبر غور العالم، بذلك المجموع من المركبات الدينامية المعقّدة التشييدية واللايقينية، والمتحولة بأدوات الإبستمولوجيا التقليدية، إبستمولوجيا القرن الفائت، إبستمولوجيا الإختزال والتبسيط، الثبات والوضوح، والقوالب الجاهزة، والتغاضي عن صورة هذا القرن وتشابكاته وتقاطعاته. فالعالم الآن، هو عالم الإكتشافات الأساسية لفيزياء الكوانتا والتكنولوجيا الرقمية، والكيمياء المتحوّلة ، ولعل هذا العصر يتطلب أطراً وفلسفات قانونية تعمل للسير به نحو الأفضل.

لعله من البديهي التساؤل حول مشروعية أن تتدخل الفلسفة في السياسة وتقحم نفسها فيه، فالسياسة موضوع للفلسفة منذ بداياتها الأولى، والعلاقات بين الدول جزء لا يتجزأ من السياسة، إذ إن العمل السياسي سواء أكان تاريخياً داخل الدولة الواحدة، أو بين الدول، هو يحتاج الفلسفة بتنظيراتها العقلية، وهذا ما يدعونا للخوض في فلسفة العلاقات السورية اللبنانية في حضورها الطبيعي، وظهورها التاريخي الجدلي، والوقوف على أسرارها المضمرة، والمحاولات الآيلة الى تجميدها، في محاولة لشرح أبعادها لا لتقريظها والتعالي بها، أو اتهامها وإسقاطها، حيث أنه وراء ما تحمله من تبادل إتهامات وادعاءات وانقسامات بين القوى المتباينة في مواقفها

منها، تبرز علاقات طبيعية تاريخية، وسياقات لنموها واستقرارها واستمرارها، وهذا ما يجعلنا نضع هذه العلاقات على بساط البحث الفلسفي، وإن كانت الشبهات التي تطالها خارج السياقات المنطقية، مسلطين الضوء على الأحداث التي ترسم معالم و إشكاليات لرؤى تتجاوز الإلتباسات التاريخية التي أورثت هذه العلاقات ثنائية ترسخت في قيام كيانين توأمين خضعا للقوة الإلزامية نفسها بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية ، إذ إن مراقبة الحدود اللبنانية السورية تبرز التعقيدات المحلية والديناميات الاقليمية، بدءاً بشبعا كنقطة صراع بعد الإنسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان في العام 2000 الى القصير والقلمون في العام 2013، والتدخل العسكري لحزب الله في الحرب السورية بحيث تتحول هذه الحدود الدولية الى حدود وهمية، أو إن شئنا القول الى حدود متناهية في الصغر، وبالتالي تعكس عملية انفجار يتسارع فيها النزوح القسري لمئات الآلاف من السوريين، في ظل انقسامات طائفية و سياسية في كلا البلدين. هكذا إذاً، بعد مئة عام من سايكس بيكو، وتشكيل الكيانين التوأمين تسود مرحلة من الشك ، وعدم اليقين في لبنان كما في سوريا، وتترافق مع تجارب مؤلمة شهدتها العقود الأخيرة، لهذا يذهب البعض من المفكرين الى استصعاب التكهن بمستقبل العلاقات بين الدولتين، لاسيما وأن اللبنانيين والسوريين، الأخوة الأعدقاء، سيواجهون تحديات وأسئلة جديدة، وبقى التساؤل: ما جوهر العلاقات السورية اللبنانية؟ أهي علاقات عضوية طبيعية جيوسياسية تاريخية استراتيجية إنسانية؟ أم أنها علاقات جوار مؤلمة بين كيانين توأمين يلتقيان لقاء الغرباء الحميميين؟ وهل هي علاقات انفصال ومواجهة و تمايز؟ وبالتالي هل يكمن الحل بترسيم الحدود ؟.

تذهب المفكرة الفرنسية Elizabeth Picard في كتابها:

Liban–Syrie Douloureuses Relations De voisinage "لبنان وسوريا علاقات جوار مؤلمة" الى وصف هذه العلاقات بكونها لقاء الغرباء الحميميين، مؤكدة على أنه بعد سقوط الامبراطورية العثمانية، وبعد

قرن من التفاعل الاجتماعي السياسي، وانطلاقاً من عشرينات القرن الماضي، كانت هذه العلاقات قد شهدت مراحل مواجهة وإنفصال بين بيروت ودمشق، امتدت من 15 آذار في العام 1950 وصولاً الى يومنا هذا، مستندة في ذلك الى أن الأوساط الاقتصادية اللبنانية، المدافعة عن الليبرالية في وجه النظام الجديد في سوريا، المطالب بتنفيذ سياسة اقتصادية عملت على إبراز فكرة "السيادة الوطنية " التي ستحوّل هذا الواقع الى إشكالية قد تعمل على تعزيز مسارين متباينين، وسيكون للتطورات الدولية(الحرب الباردة)، والإقليمية (النزاع العربي الإسرائيلي)، وصعود ناصر، وحلف بغداد، وتداعيات في أواخر الخمسينات في سوريا (الجمهورية العربية المتحدة) مع ما يترافق من مواجهات سياسية مجتمعية عميقة، إضافة الى وصول حزب البعث الى السلطة في العام 1963، ومحاولة لبنان الحفاظ على تنوعه السياسي والثقافي، في ظل الطائفية التوافقية، وإندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في العام 1975، والتدخل العسكري السوري في العام 1976، ورغبة الرئيس الأسد في التخفيف من مخاطر السياسة الشرق أوسطية، و التي رأت في هذا التدخل بداية مرحلة للهيمنة السورية، والتي ستستمر حتى العام 1989(إتفاق الطائف)، كذلك فإن خروج لبنان من الحرب وإعادة بنائه المتوازي مع خروج سوريا من الاشتراكية في بداية التسعينات، سيؤسسان لشبكات وقدوات مرئية، وغير مرئية في ظل النظام السوري المترافق مع بروز الضباط والسياسيين ورجال الأعمال في كلا البلدين، وستخلق هذه العلاقات ديناميات جديدة بدءاً من العام 2000، وبروز ما يعرف بالبرنامج العربي، الا أنه سيبرز أوجه التفاعل بين المثقفين اللبنانيين و السوريين، وستترافق مع صعود المعارضة السياسية اللبنانية للوجود السوري، وسيشهد لبنان إنتفاضة بعد اغتيال الحريري، وبروز معارضين سوريين، من السمات الرئيسية لعامي 2005– 2006، ومقولة التفاضل الديمقراطي كما أسمته "أليزابيت بيكارد"، عاد للبروز مع رحيل الجيش السوري عن لبنان. لكن الأزمات والإنتهاكات الأمنية تشل المؤسسات في بيروت، ومن ثم تندلع الحرب في

سوريا في العام 2011، وتشهد سياقاً جديداً من العنف، وتُطرح التساؤلات في لبنان المنقسم من جديد حول مستقبل هذه العلاقات التي تتأرجح بين الماضي المعقّد والمستقبل الغامض؟ بين معارض لها يرى فيها هيمنة أو سيطرة، رافضاً إعتبار لبنان محافظة من سوريا، معتبراً أن لب المشكلة تكمن لا في الشعبين اللبناني والسوري، بل في النظام الحالي ومشروعيته.

على نقيض وجهة النظر هذه تقوم وجهة نظر مضادة لعدد كبير من المفكرين والسياسيين ورجال الدين، الذين يصرون على عمق العلاقة الإستراتيجية و التاريخية بين الكيانين، ووحدة الجغرافيا والمصالح المشتركة، والروابط العائلية والإنسانية، ولعل من أوائل من أدرك أن سوريا هي بوابة العبور الى لبنان، وشريكه الطبيعي في مواجهة المشروع الصهيوني، كما أنها الضمانة لتحقيق السلم الأهلي، وتوفره في لبنان، بخاصة مع بداية الحرب الفتنة وإشعال نيرانها، وجعل الشعب وقوداً لهذه النار، كان الإمام السيد موسى الصدر الذي توجه بالنداء الشهير الى الراحل المناضل حافظ الأسد بالقول :"أيها الأمل الباقي مُدَّ يدك المنقذة الى لبنان الجريح، واكشف عن المعركة كل ستار، وادخل الساحة اللبنانية مباشرة من دون وسطاء.(2) ولبى الرئيس الراحل حافظ الأسد النداء، على اعتبار أن المؤامرة الصهيونية في الحرب اللبنانية ستتجه الى سوريا و الدول العربية، و أُطلقت النار على إمام المحرومين في بيروت وشتورا، و لكنه لم يتراجع عن موقفه النابع من رؤية استراتيجية واضحة لأهمية حضور سوريا في الساحة اللبنانية، ودخلت سوريا، وأوقفت الحرب، ومنعت تهجير المسيحيين خدمة للبنان وللقضية الفلسطينية التي ينبغي أن تبقى بنادق أصحابها موجهة الى صدر العدو الصهيوني، ومعظم الذين وقفوا في وجه الإمام الصدر، وحاولوا قتله، اقتنعوا في السنوات الأخيرة أن سوريا هي الحل. لكن نظرة الإمام الصدر حول سوريا تُرجمت في إتفاق الطائف عن العلاقة المميزة مع سوريا، ووجه لبنان العربي، والإصلاحات السياسية. وشكّل الرئيس الحسيني في الطائف ترسيخاً لهذه النظرة، وجرت

متابعتها برئاسة دولة الرئيس نبيه بري، رئيس مجلس النواب اللبناني في الإطار ذاته، وإن اختلف الإسلوب، مؤكداً على عمق العلاقات الانسانية، التاريخية و الجغرافية بين البلدين بالقول: إننا نلمس الإهتمام اليومي للرئيس الأسد بالوقائع الجارية في جنوب لبنان. وهذا الجنوب هو خط التماس مع الجغرافيا والتاريخ. والذي هو أيضاً، التاريخ مع الجغرافيا، وأرض الحرب والسلام، والذي هو أرض شقيق الجولان في الإنتفاضات والمقاومة لكل انتداب واحتلال.

هذا الجنوب سيتذكر، على الدوام، أن الأسد كان عرينه قلب الإستشهاديين من مقاوميه، من بلال فحص الى أحمد وحسن قصير، وابو زينب، وسناء محيدلي، وخالد أكر، خالد الأزرق وعباس الموسوي... وسيذكر الجنوب سوريا التي تعمّر مقابل اسرائيل التي تدمّر، ولن ينسى الجنوب المنشآت الحيوية والطرقات التي نفذتها مؤسسات سورية.(3). وفي خطاب عودته الى لبنان من المهجر في 2 آذار من العام1947 قال المفكر اللبناني أنطون سعادة مؤسس الحزب القومي السوري الاجتماعي :" إن إنقاذ فلسطين هو أمر لبناني في الصميم، كما هو أمر فلسطيني في الصميم،. إن الخطر اليهودي على فلسطين هو على سوريا كلها. هو خطر على جميع هذه الكيانات.(4) هذا الكلام لأنطون سعادة يحمل في طياته استقراءاً فلسفياً للواقع الذي نعيشه، حيث أنه في مقاربات المحافظين الجدد، نستطيع أن ندرك أن موقع سوريا الطبيعية او بلاد الشام، أو الهلال الخصيب في حسابات الغرب الامريكي والاوروبي قد عبّر عنها "ريتشارد بيرل"، وهو من المحافظين الجدد مؤكداً على أنه من يضع يده على بغداد يضع يده على الهلال الخصيب، وإعادة بنائه في ضوء المعطيات البدائية الأولى : العشيرة، العائلة، الجبهوية و الإثنية، وتبعاً لذلك يمكن تقسيم سوريا والعراق ولبنان مستثنياً الأردن وإسرائيل.

تتطلب منا فلسفة العلاقات السورية اللبنانية تفكيراً عقلياً منطقياً، وتحليلاً نقدياً لإشكالية يمكن طرحها بغية سبر معناها لا الوقوف على الشكليات والتجاذبات الضيقة الظرفية، إذ ما هي الآلية التي تجعل هذه العلاقة الطبيعية علاقة إنصهار واتحاد وارتقاء، وبالتالي ما هي الرؤية الفلسفية القادرة على توحيد الرؤية السياسية، وتحويلها الى إجراءات وقرارات قابلة للتطبيق؟

أ- **البعد السيادي** : هل يحق لأي من الدولتين أن تكون منصة للتدخل السياسي والأمني في شؤون الأخرى من مثل الإفساح في المجال للتخطيط لإنقلابات شاملة في البلد المجاور تحقيقاً لمشاريع سياسية؟ فقضية الأمن الخارجي ترجع بأصولها الى إتفاقية "سايكس بيكو" التي أورثت نشوء دولة لبنان في العام 1920، مولّدة انفصالاً في ما بين البلدين، وهذا ما أربك طرح وحدة المسارين في الربع الأخير من القرن الماضي، جواباً على التحديات التي فرضها العدوان الاسرائيلي في العام 1948، لاسيما وأن البعض من الدول العربية كانت قد عمدت لاحقاً الى توقيع سلام الذل والتخاذل مع تل أبيب، لهذا عمد فريق من اللبنانيين الى الإطاحة بأساس من أسس الأمن الخارجي المشترك، وكان قد تمّ عقد معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق في 22/5/ 1991 ، وإتفاقية الدفاع والأمن بتاريخ 1991/9/1 ، ولعل المادة الثالثة من المعاهدة كانت قد نصت على أن : الترابط بين أمن البلدين يقتضي عدم جعل لبنان مصدر تهديد لأمن سوريا، وسوريا لأمن لبنان في أي حال من الأحوال. وعليه فإن لبنان لا يسمح بأن يكون ممراً أو مستقراً لأي قوة أو دولة أو تنظيم يستهدف المساس بأمنه أو أمن سوريا، وأن سوريا الحريصة على أمن لبنان واستقلاله ووحدته ووفاق أبنائه لا تسمح بأي عمل يهدد أمنه واستقلاله و سيادته." تركز المادة من الإتفاقية على إلتزام الدولتين بمنع أي نشاط أو عمل أو تنظيم في كل المجالات العسكرية و الأمنية و السياسية من شأنه إلحاق الأذى أو

الإساءة للبلد الآخر. وإلتزام كل من الجانبين عدم تقديم ملجأ أو تسهيل مرور، أو توفير حماية للأشخاص والمنظمات التي تعمل ضد أمن الدولة الأخرى، وفي حال لجوئهم اليها يلتزم البلد الآخر القبض عليهم وتسليمهم الى الجانب الثاني بناءً على طلبه. ويبقى السؤال: هل تمّ الإلتزام بهذه المعاهدات و الإتفاقيات أم أنها بقيت حبراً على ورق؟. وبالتالي منظومة هذه العلاقات تتطلب حتمية ارجاع الأمن الطبيعي الاولي بكونه ظاهرة بديهية حيوية تنتظم في أرجائها مشاريع التعاون الممكنة، وفي شتى الميادين أسوة بالتعاون الأوروبي.

ب- **البعد العملاني** : بالإستناد الى "جيمس" و"ديوي"، حيث الإعتقاد والعمل والمعنى، وحيث المصالح المشتركة في إقامة المشاريع، وتنسيق خطط التنمية في منهجها العملي، وأنماط تفكيرها الروحية والإجرائية، والتي تتطلب انضباطاً زمنياً وتقيماً مستمراً.(5) تشكّل الموضوع الموصل الى الحقيقة، القائمة على النتائج العملية السلوكية المنفعية، فهل الإتحاد مع سوريا أصبح واقعاً لمعالجة كل المشاكل و الثغرات؟

ت- **البعد الإيديولوجي:** تفترض المنظومة العلائقية السورية اللبنانية تداخلاً في الخطاب الإيديولوجي و الديني، والذي يشكّل الإطار الثقافي و الروحي في البلدين، لذا فإن الإشكالية التي تظهر تكمن في كيفية التوفيق بين استقلالية الكيانين ومن ثم انخراطهما في عمليتي التوحيد والتعاون، بخاصة و أن "جون رولز"john Rawis الرافض رفضاً مطلقاً لإمكانية قيام نظام كوسموبوليتي(6) إيماناً منه بأن العالم منقسم الى شعوب صديقة وأخرى عدوة، لابد من أن تصبح محكومة بمبدأ التعاون فيما بينها بقوله : **الفكرة الرئيسية تكمن في أن ينخرط عدداً من الأفراد في مشروع تعاوني تبادلي، في الإستفادة طبقاً لقوانين قد تقيّد حرياتهم بطرق ضرورية لإنتاج مكاسب جماعية ، على أن أولئك**

الذين خضعوا لتلك التقييدات لهم الحق بالخضوع المماثل للقوانين من قبل أولئك الذين استفادوا من خضوعهم. فنحن لن نحمل حصتنا على محمل الإنصاف ما لم نكسب من العمل التعاوني للآخرين(7). نلمس من هذا الكلام بأن عدالة "رولز" تحمل في طياتها المساواة وبالتالي فالإنصاف عنده يقوم على مبدأين:

1- المساواة في الحريات الجوهرية، إذ على كل إنسان أن يحصل على حقٍ متساوٍ للوصول الى الحريات الجوهرية.

2- الإختلاف: معنى أن مبدأ احترام التساوي في الفرص يقضي في اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية بين الأفراد أن تأتي لمصلحة الأكثر فقراً، وبما أن المساواة في الفرص باتت قائمة، فلن يلحق الغبن بأحد، خلا مسألتي طبيعة الظروف و الحظ. لاسيما وأن الهوية تتحدد موضعياً لدى الجغرافيين، وبنيوياً عند علماء الاجتماع. من هنا كيف لمسالك التعاون أن تتحقق لاسيما وأن النظام اللبناني يختلف بهويته وطبيعته أنه برلماني طائفي وحر، والديمقراطية السائدة فيه هي التوافقية، في حين أن النظام السوري يتسم بوحدته الوطنية المتينة. من هنا لابد من سيادة الوطنية و الديمقراطية في كلا البلدين، عمادها الوحدة العربية والعدالة الاجتماعية، الاستقلال الوطني والتجدّد الحضاري. وإن كان "ناصيف نصار" المفكر اللبناني قد وجد الحل لهذه العلاقات في العلمانية (10) والدولة المدنية ، فإن التساؤل الذي يطرح : كيف نبدأ دراستنا لهذه العلاقات في مجتمعات ما بعد العلمانية؟ ومن أين؟ نظن بأن ذلك لن يكون الا من خلال الإشكال الأساسي، والذي أرّق ذهن "يورغن هابرماس"Jurgen Habermas (11) وبالتالي، علينا أن نرى أنفسنا كأعضاء في مجتمع ما بعد علماني، ماذا علينا أن نتوقع من بعضنا

البعض لنتأكد من أنه في دول أممية عميقة الجذور تظل العلاقات الاجتماعية مدنية و حضارية، رغم نمو تعددية الثقافات ووجهات النظر الدينية ؟ وبصيغة إستفهامية أخرى . كيف يمكن أن نوجه النقاش بين أفراد ينتمون الى تراث وتقاليد مختلفة؟ وكيف يمكن تكوين التناسق؟(12). يتبين لنا أن القضية الأساس ستتمحور حول المواطنة والإندماج الاجتماعي في مجتمع ما بعد علماني، متسائلين حول هل في إمكان العالم العربي تأسيس منظومة للمواطنة تقرّ بالإختلاف والتعدّد والتنوّع في أفق من النقاش العقلاني الهادئ بعيداً عن لغة العنف والصراع، النبذ والإقصاء؟ الى أي مدى نحن بعيدين عن إغتنام فضيلة ومكسب التعدد وترجمتها الى وحدة اجتماعية ؟

ويبقى السؤال أي عالم معولم من العلاثات ينتظرنا؟: **وإذا كان التاريخ يتقدم تطورياً، أي نحو عالم جديد أفضل من الماضي، وعالم آخر أفضل من العالم الجديد الآتي تحت أبصارنا وتطلعاتنا، فإن العالم المأمول الذي، سيتكون عن فكر جديد سينبثق حكماً في الآتي من الأيام، إذا لم يكن هو العالم الأخير، عند المشككين، فهو عالم فوق العوالم الأرضية ودرجة لا بد منها لاطراد ارتقاء الانسانية النفسي. ولذلك هو عالم خالد، لأن ما سيأتي بعده في الأبعاد البعيدة، سيصدر عنه ويثبت نفسه عليه، أو على الأقل، ستكوم النفوس التي ارتقت الى هذا العالم الجديد مستعدة لاقتبال عالم أجد، إذا اكتشف مخبآت الأبد أنه سيكون ممكناً إحداث ذلك العالم، الذي لا يمكننا ، الآن والى أمد بعيد، تصوّر موجباته وحقائقه وقضاياه، ولكننا نتصور، بموجب مبدأ الإستمرار والإطراد الفلسفي، أنه لابد من أن يكون، وفقاً لهذه المعادلة ، ذا إتصال وثيق بعالم النظرة الجديدة التي تحمل حقائقه وقضاياه. كما أننا نرى، بموجب هذه**

النظرة، أن عالمها ليس شيئاً حادثاً من غير أصل، بل شيئاً غير ممكن لدون أصل جوهري تتصل حقائقه بحقائقه، فتكون الحقائق الجديدة صادرة عن الحقائق الأصلية القديمة بفهم جديد للحياة و قضاياها و الكون وإشكالياته و الفن ومراميه" (8). لهذا لابد من التأكيد على العيش الحر الكريم، القائم على المواطنة و الإندماج والإنصهار الذي يرسم الحدود المشتركة، والتي لا يمكن لأي سلطة تجاوزها، وأن يبرزوا الصيغة التاريخية المتنوعة، وغنى مضامينها، وصوابها السياسي في لبنان وسوريا دون إغفال للمشاكل الحقيقية الناجمة عنه، لهذا يذهب البعض الى أن هناك تاريخ مشترك أصلاً سوريا و لبنان هما تاريخياً دولة واحدة، بيروت تشبه دمشق، وهي ودمشق حضارة واحدة وروح واحدة ودفء واحد... لبنان وسوريا جسد بقلب ورئتين لا يمكن لأيهما أن ينفصل عن الآخر.(9) هذه العلاقات العضوية والتاريخية هي واقع ومبدأ ، لجهة كونها واقعاً بالبعد الفينومينولوجي، هذه العلاقات موجودة وعلى كافة المستويات، في أيام الحربب والسلم، في الأوج والحضيض، منذ استقلال الكيانين التوأمين، وحتى يومنا هذا. أما من جهة كونها مبدأ، شكلت هذه العلاقات ولم تزل تجاوراً اجتماعياً لشعبين مؤمنين بالإندماج و الإنصهار، تربطهما علاقات اجتماعية وروابط عائلية، وهذا الخيار، متمسك به الغالبية من اللبنانيين والسوريين. وعلى الرغم من حجم المشاكل الناجمة عن هذه الوحدة، وعيش كهذا، إضافة الى المعاني السابقة من حماية الفروقات بين اللبنانيين والسوريين، فإن المشاركة و التعاون بينهم لا بد قائم، رافضين كل أنواع التقسيم والإنقسام والإقتسام، و الفرز الانساني وصولاً الى اعتبارها ثروة ينبغي الحفاظ عليها. لا سيما وأن حاضر امتنا واستشراف مستقبلها لا يحتمل الصراع الحضاري، إنما يتطلب التفاعل والتقدم الحضاريين بما يكفل تعزيز التضامن و العمل

العربي المشترك ، وإعادة صوغ العلاقات وتثميرها لخدمة القضايا العربية. لقد آن الآوان لأن نكتب تاريخنا المعاصر المزدان بحقيقة المقاومة والأمل بإنتصار الحق والعدالة، السلام والحرية والوحدة.

وفي الختام ما أحوجنا لقانونيين ومشرّعين ، قضاة وفقهاء، مفكرين وفلاسفة يعملون على تحديث هذه العلاقات وتطويرها لتصبح أكثر إنسانية وعدالة، تحقق للبنانيين والسوريين أمنهم وأمانهم في ظل عولمة قضت على البشر والحجر، ويبقى الرهان على فلسفتنا الراهنة القادرة على صياغة قوانين تعمل على خلقها وتطويعها، تعديلها وتطويرها بما يتلاءم وروح العصر، وصولاً لوحدة نهضوية عربية منتجة وفاعلة. وفي النهاية لا خلاص لنا من أزمتنا إلا بالرجوع الى هويتنا العربية الأصيلة التي فيها حريتنا واختيارنا بالسعي نحو الآخر المغاير لا نفيه، والتي تبرز مشروعنا الفكري لصناعة إنسان يفكر، أي شخصية تتوهج بالكينونة .

وفي النهاية لا استقلال سوريا جريحة ، شبعا محتلة، عراقنا مسلّب، قدسنا سليب، وعن لبناننا في عيد استقلاله يمكن القول:

لبنان يا بلد الأبطال　　شموخك عالي ما بينطال

فجّرت بيوم التحرير　　ثورة بعيد الإستقلال

المراجع

1- Elizabeth Picard, Liban-Syrie, Intimes Etrangers. Un Siecle Dinteractions Sosiopolitiques. Sindbad Actes sud, 2016

2- صوت المحرومين ، العدد الثاني،الأربعاء 28 تموز 1976 م 1396 هـ ، نشرة داخلية تصدر عن حركة المحرومين ص 27.

3- مسيرة الرئيس نبيه بري، قدّم له الدكتور أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب المصري، اعداد وتوثيق طلال حاطوم ، ط1، 2004م،ص 74.

4- أنطون سعادة في الأول من آذار ، 1959، ص27.

5- ناصيف نصار، الاشارات والمسالك، من إيوان إبن رشد الى رحاب العلمانية، ط1، دار الطليعة، بيروت 2011، ص 220- 221.

6- موسوعة الابحاث الفلسفية، الفلسفة الغربية المعاصرة ، صناعة العقل الغربي من مركز الحداثة الى التشفير المزدوج، ط1، ج2، إشراف وتحرير عبود المحمداوي، تأليف مجموعة من الاكاديميين العرب، تقديم علي حرب، الرباط، دار آمان، 2013م، ص 1223.

7- John RawisK Justice as Fairness a restatement CambridgeKMass: Havard University Press, 1964 P112.

8- علي حمية ، مقال بعنوان:"دفاعاً عن الفلسفة"، مجلة إتجاه، العدد 36- 37 ، شتاء/ ربيع 2017 ص 4.

9- سامي كليب، لعبة الامم، قناة الميادين ، مقابلة مع نائب رئيس مجلس النواب ايلي الفرزلي.

10- ناصيف نصار/ مصدر سابق ذكره، ص 285.

11- بورغن هابرماس، المجتمع ما بعد العلماني، تأصيل المعنى والتجربة، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت- لبنان، العدد الثاني ، شتاء2016، ص 53،

12- نيكولاس آدمز، هابرماس واللاهوت، صدط1، ترجمة حمد حمود- شهيرة شرف، الرباط- المغرب، جداول للنشر والترجمة والتوزيع- مؤمنون بلا حدود، 2016، ص7.

المحامية الأستاذة مريم الشامي

العقوبات الأميركية وتنازعها مع القوانين الوطنية

تعود بنا الذاكرة كلما حاولنا البحث عن منشأ القوة الأميريكية التي تتحكم بروح الإقتصاد العالمي، الى غبار الإتفاقات الدولية الغابرة في التاريخ، والتي تراوحت ما بين معاهدة بريتون وودز والجات ومبادرة نيكسون وغيرها الكثير من القرارات والتوصيات الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة...

إلا أن هذه القوة بدأت تتعاظم مؤخراً، وباتت مصدراً يهدد حكومات العالم وشعوبه، وأصبحت تفرض عقوباتها يمنة و يسرة حصاراً، حظراً، مقاطعة، إفقاراً وتجويعاً، بقصد تأليب الشعوب على حكوماتها، وتالياً إخضاع هذه الدولة أو تلك الى ربطها وإدخالها في دائرة المؤيدين والمريدين للنسر الأميركي.

إزدادت هذه القوة، وتفاقم خطرها أكثر، حينما أتيح لأميركا وبعد أحداث 11 سبتمبر من العام 2001، أن تفرض عقوباتها وبموجب قوانينها على أشخاص وكيانات وشركات بطريقة منفردة و إنطلاقاً من مؤسساتها الدستورية والقانونية مستبعدة ومحيّدة مجلس الأمن وأجهزة الهيئة الدولية التي كانت بالماضي القريب هي من يفرض العقوبات والحصار بإسم الفصل السابع من ميثاقها، فأمام هذه الفوضى الخلاّقة التي أوجدتها العقوبات الأميركية في غير منطقة، و التي تمظهرت مؤخراً بعقوبات على وزراء لبنانيين و"بقانون قيصر" الذي استولد من الخاصرة الأميركية لمحاصرة وإرهاق وإفقار الشعب والدولة السورية إقتصادياً بعد تعسر مخاض وعجز قدارتها عن إسقاطهما بالحرب العسكرية، فإننا نجد أنفسنا نحن الباحثون عن حقيقة وصوابية ومدى قانونية هذه العقوبات أمام نوع من التنازع في القوانين وتزاحم ومفاضلة ما بين القوانين الداخلية و

الأجنبية الوافدة اليها من بلاد العم سام ومن سطوة الدولار، وموجبات القرار 1373 المتعلق بمحاربة الإرهاب والصادر عن مجلس الأمن تحت الفصل السابع ، فالقرار 1373 رغم عدم تعريفه للإرهاب، إلا أن مضامينه تتحدث عن موجبات ملزمة مفروضة على دول العالم وتحكي عن الزامية تطبيق هذا القرار رضائياً وفي حال التخلف يطبق إكراهياً بواسطة مجلس الأمن الدولي.

ومن أخطر ما ورد في هذا القرار هو نص المادة الأولى منه التي تقول:"أن مجلس الأمن يقرر أن على الدول القيام دون تأخير بتجميد الأموال وأي أصول مالية أو موارد إقتصادية لأشخاص يرتكبون أعمالاً إرهابية أو يحاولون ارتكابها أو يسهلون ارتكابها لكيانات يمتلكها أو يتحكم فيها هؤلاء الأشخاص"...

من خلال هذا القرار وهذه المادة المذكورة أعلاه تحديداً، دلفت الدولة الأميركية وخرقت سيادة الدولة اللبنانية و السورية وغيرهما، فارضةً قانونها الأميركي على مواطنين و شركات وكيانات لبنانية و سورية، بعد أن أصبغت عليه الصفة القانونية ، متجاوزة الشرائع والقوانين اللبنانية و السورية، متعلقة بالقرار 1373 والذي شكل أهم الأسباب الموجبة لإصدار"قانون قيصر" ولتجميد أموال وشركات وكيانات شخصيات سورية لبنانية .

وهكذا إستطاعت أميركا أن تطوّع القرار الأممي المتعلق بمحاربة الإرهاب وتحوّله الى قاتل إقتصادي تقتصّ به ومن خلاله الشعوب المتمردة على سياستها العابرة للحدود...

هذا ويبقى السؤال الأهم وهو سننتظر صدور أي قانون صيني أو روسي أو ربما سوري، إيراني مماثل يجمّد أموال وأصول مالية لأشخاص أو شركات أو كيانات أميركية بالمدى المنظور؟؟؟؟

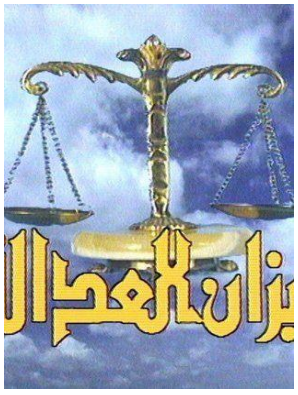

الأستاذ ابراهيم فقيه

لبنان ما بين غورو و ماكرون

ماية عام مرّت على إعلان ما يسمى بدولة لبنان الكبير، بمساحة عشرة آلاف وأربعماية وإثنان وخمسون كيلو متر مربع، حيث ضمّ هذا الكيان جبل لبنان الذي كان تحت حكم المتصرفية ، والشمال، والجنوب، والبقاع التي كانت تخضع للسيطرة العثمانية . وبعد الحرب العالمية الأولى الممتدة من العام 1914 حتى العام 1918 وإنتصار الحلفاء بقيادة فرنسا وانكلترا على دول المحور وإنتهاء الإمبراطورية العثمانية المتهاوية، أطلق وزيرا خارجية انكلترا وفرنسا ما سمي بمعاهدة "سايكس بيكو" وخضع لبنان خلالها لسلطة الإنتداب الفرنسي مع سوريا، بينما خضعت فلسطين ومعها الأردن و العراق لسلطة الحكم البريطاني. وتمت خديعة الشريف حسين بعد أن وُعد من قبل الحلفاء بحكم الجزيرة العربية وباقي البلاد المحيطة بها. وانتفضت الشعوب العربية مطالبة بالإستقلال في العراق ثورة 1920 وفي سوريا وفي الجنوب اللبناني وبقاعه مع شخصيات وطنية في الشمال والبقاع وبيروت.

ولما فشلت الثورة السورية المؤيدة من قوى لبنانية كانت تتطلع لإقامة الدولة العربية برئاسة فيصل ابن الشريف حسين ، وتغلّب الجيش الفرنسي على الإنتفاضة التي قادها عبر المقاومة الممثلة بأدهم خنجر وصادق حمزة ورفاقهما، إنتهت بإعدامهما. كذلك لم تنجح ثورة ميسلون في سوريا واستشهد يوسف العظمة ورفاقه، بعد ان وضعت فرنسا ثقلها العسكري لإنهيار الثورة السورية . وفي هذا الوقت كانت الصهيونية العالمية التي سعت كثيراً لدى السلطة العثمانية لوضع يدها على فلسطين واستفادت من وعد "بلفور" وزير خارجية بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود حيث مهّدت الدولة البريطانية المنتدبة على فلسطين والتي سهلت قدوم اليهود ومنظماتهم الإرهابية وتسليحها ومساعدتها للقضاء على حركة المقاومة بقيادة عبد القادر الحسيني وغيره من الثوار، بعد أن ارتكبت الهاجانا وغيرها من المنظمات الصهيونية المجازر المتوحشة في دير ياسين والبلدان الفلسطينية الأخرى ، وترافق ذلك مع إنهزام الأنظمة العربية، وقيام ما يسمى بدولة اسرائيل عام 1948 وبدأت رحلة العذاب الفلسطيني، كذلك مشوار الآلام اللبنانية من عدوانية هذا الكيان، إذ

دفع لبنان بعد فلسطين الثمن الأكبر من الأطماع الصهيونية ، وكان لبنان قد حصل على إستقلاله عام 1943 أي بعد ثلاثة وعشرين سنة من إعلان كيانه تحت وصاية الإنتداب الفرنسي، الذي هيّأ دستورياً وإدارياً ومؤسساتياً لقيام دولة الإستقلال، وعلى الطريقة اللبنانية إتفق الرئيسان بشارة الخوري ورياض الصلح وممثلي الطائفية و المذهبية على ما يسمى بالميثاق الوطني المتضمن لأعراف تلبي مصالحهم الخاصة دون أن تكون مبيّنة في الدستور اللبناني.

ولم ينقض خمسة عشر عام على الإستقلال حتى قامت إنتفاضة بل ثورة ضد الرئيس كميل شمعون الذي دخل آنذاك حلف بغداد في وقت كانت الناصرية تجتاح العالم العربي شعبياً، حتى تولى رئاسة جمهورية لبنان اللواء فؤاد شهاب الذي أسس لقيام مؤسسات الدولة التي لازال لبنان الاداري يتكئ على بقاياها.

بعدها بخمسة عشر ونيّف من السنين تحوّل النزاع بين أفرقاء الحكم والقوى السياسية والحزبية وإنعكاس الصراع الإقليمي والقضية الفلسطينية الى حرب أهلية استمرت أيضاً لخمسة عشر عام لم توقفها مؤتمرات جنيف ولوزان ولا الشاذلي القليبي والقادم من مؤتمرات القمة العربية ولجانها، ولا فيليب الحبيب القادم من أميركا ... وتصاعدت وتيرة الحرب والتهجير وسيطرت الميليشيات على الأرض والمناطق، وظهر ما سمي بأمراء الحرب بعد مئات الآلاف من الضحايا (قتلى وجرحى ومعاقين)، ودخلت قوات الردع العربية التي لم يبق منها الا الجيش السوري. وفي هذه الفترة كان العدو الإسرائيلي قد غزا لبنان وصولاً الى عاصمته بيروت عام 1982، بعد أن كان اجتياح الجنوب 1978 وأبقى ما سمي "بجيش لبنان الجنوبي " الذي عرف فيما بعد بجيش العميل انطوان لحد، وكانت الحرب اللبنانية تفعل فعلها بأبشع الوسائل بين اللبنانيين المنقسمين يميناً ويساراً، عروبيين وانعزاليين، مسلمين ومسيحيين، مبتدعين طريقة القتل على الهوية وبين أناس يدافعون عن القضية الفلسطينية كونها أم القضايا العربية وبين من ناصبوا العداء للفلسطينيين وللعروبة، وكانت بحق حرباً طائفية بغيضة استمرت خمسة عشر عام ، الى أن انعقد مؤتمر الطائف برعاية سعودية سورية و توافق دولي أسفر عن إتفاق تحوّل الى دستور جديد للبلاد.

بعد اسبوعين من إنتخاب رينيه معوّض كأول رئيس للجمهورية بعد الطائف تمّ تفجيره، وانتخب الياس الهراوي، وبعد مدة تصاعدت الفوضى بسبب الغلاء وإرتفاع أسعار الدولار الأميركي ، الأمر الذي أدى الى مجيء رجل السعودية رفيق الحريري رئيساً للوزراء ، وبدأت ما يسمى بالجمهورية الثانية والتي أدت الى

إنفراج إقتصادي واستقرار أمني في الداخل، بالرغم من الحربين الاسرائيليتين على لبنان . الاولى في العام 1993 والثانية في العام 1996 التي انتهت بجهود الرئيس حافظ الأسد وصمود المقاومة والأهالي بتفاهم نيسان الذي حقق شروط المقاومة والدولة اللبنانية، حيث كان للرئيس رفيق الحريري دوراً أساسياً هاماً في عواصم القرار، فرسم هذا التفاهم معادلة جديدة بين المقاومة والعدو الإسرئيلي. الى أن كان عام 2000 ، عام التحرير وإندحار العدو الصهيوني وعملائه في الخامس والعشرين من أيار الذي اضحى عيداً للتحرير.

مرّت خمس سنوات أخرى من العزة والرفاه والإطمئنان والعيش الرغيد لدى أكثرية اللبنانيين الى أن تمّ اغتيال الرئيس الحريري في الرابع عشر من شهر شباط 2005، وكان له أثر الزلزال، وانقسم البلد بين الثامن والرابع عشر من آذار. وتمّ إنسحاب الجيش العربي السوري من كافة الأراضي اللبنانية . وبعد عام ونيّف اجتاح العدو الإسرائيلي الجنوب بعد أن دمرت طائراته البنى التحتية وصولاً الى أطراف البقاع وأقصى الشمال ناهيك عن الجبل والعاصمة دون أن يحقق تقدماً عسكرياً على الأرض بفضل صمود المقاومة وتصدّيها لآلياته العسكرية ، بعد أن تهجّر حوالي مليون شخص عادوا في يوم واحد فور إعلان وقف إطلاق النار يوم الرابع عشر من أب بفرحة كبرى، رغم الدمار الذي حلّ ببيوتهم وممتلكاتهم . هذه الفرحة كانت توازي فرحة التحرير قبل ستة أعوام.

ولم تمض مدة طويلة حتى عمدت حكومة السنيورة المبتورة بسبب إنسحاب الوزراء الشيعة منها لإستهداف نظام إتصالات المقاومة وحزب الله ، فحصل السابع من أيار الذي وضع حداً للتمادي، دون أن ننسى هنا الدور الوطني المساند لحق المقاومة لرئيس الجمهورية الذي سمي بالمقاوم الرئيس العماد أميل لحود.

حصل مؤتمر الدوحة برعاية من أمير دولة قطر الذي كان قد ساهم مساهمة فعلية في إعادة إعمار ما هدمته اسرائيل في العام 2006، ووقع السياسيون إتفاق الدوحة الذي أوصل قائد الجيش العماد ميشال سليمان الى رئاسة الجمهورية .

ضاع اللبنانيون بين نظام بدأ يفقد ميزته وتمايزه، وتتالت السقطات الاقتصادية والمالية والاجتماعية ، وانكشف الفساد المعشعش في الإدارات العامة وكافة مؤسسات الحكم ، ولم تكن أزمة النفايات الا الدليل الأصغر على فساد الطبقة السياسية و عجزها الكامل عن إدارة شؤون البلاد و العباد .

فاحت روائح نهب المال العام وإستغلال المراكز و المناصب وازدياد الثروات واستمرار أزمة الكهرباء دون حل منذ ثلاثين عام ، بالرغم من المليارات الطائلة التي استنزفتها والتي يمكن أن تكفي لإنارة قارة بأكملها . كذلك رائحة الهندسات المالية برعاية البنك المركزي وحاكميته المستمرة منذ حوالي الثلاثة عقود. الى أن انفجر الشعب في وجه السلطة التي لم تفعل شيئاً لوقف الإنهيار منذ أكثر من عشرين سنة ... وحصلت الإنتفاضة الشعبية من كافة الفئات وجميع المناطق بشكل لم يعرفه تاريخ لبنان وكان ذلك في 17 تشرين الأول 2019.

استقال رئيس الحكومة سعد الحريري تحت وطأة الإنتفاضة العارمة بعد أيام من إنطلاقتها، وبدأت كرة الإنهيار تتدحرج بسرعة فائقة، حيث كشف الغطاء عن فضائح المصارف التي توقفت نسبياً عن دفع أموال المودعين خاصة بالعملة الصعبة، بعد أن هرّبها أصحاب المصارف ومجالسها الإدارية وشركائهم من السياسيين وأصحاب رؤوس الأموال المتواطئين معهم الى الخارج، فانهارت الليرة اللبنانية بعد استقرار مصطنع لها مقابل الدولار الأميركي لثلاثين عام. وأقفلت أكثر المؤسسات والمعامل أبوابها ، وفقد العدد الكبير من اللبنانيين أعمالهم وبات أكثر من نصفهم تحت خط الفقر ، وانهارت الطبقة الوسطى التي تشكّل عادة ضمانة التوازن في المجتمع. وزاد وباء "كورونا" الطين بلّة وانهارت البلاد سياسياً واقتصادياً ومالياً واجتماعياً الى أن كان الرابع من آب حيث دوّى الإنفجار الكبير كالزلزال وفعل فعله كالقنبلة النووية، ودمّر جزءاً كبيراً من العاصمة بيروت وضواحيها، دون أن يرف جفن للطبقة السياسية : مئات القتلى ، آلاف الجرحى، عشرات آلاف المنازل المتضررة، والمهجرين . فضاع حلم الكثيرين بالتغيير وضاع الوطن في متاهات حكامه. في وقت يتلهى العرب في سباق التطبيع مع العدو الإسرائيلي والعالم يلهث وراء وباء كورونا ، الى أن أطل بصيص أمل تراءى من المبادرة الفرنسية المشروطة بالإصلاح ومحاربة الفساد والهدر والسرقة الى جانب الشروط التعجيزية لصندوق النقد الدولي والضربات الأميركية الموجهة بشروطها عبر العقوبات المفروضة على لبنان تحت عنوان مواجهة الإرهاب.

هذه المبادرة التي أطلقها الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون والتي لم تستطع حتى الآن أن تجد لها مكاناً مريحاً في ظل دهاء السياسيين اللبنانيين وجشعهم وأسلحتهم الطائفية والمذهبية الفتاكة.

في الذكرى المئوية الأولى لإعلان دولة لبنان الكبير عبر المفوض السامي الفرنسي الجنرال "غورو"، والزيارة الثانية للرئيس "ماكرون" بعد الرابع من آب، وإعلان مبادرة إنقاذ لبنان المتهاوي والمنهار مالياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

ترى هل حاولت الطبقة السياسية أن تقيّم ماية عام من حكمها لهذا البلد الصغير الذي كان سمي يوماً سويسرا الشرق في مقابل بلد قوارب الموت للهاربين من الجحيم؟ ولماذا أوصلوه الى هذه الحال؟ وهل قُدّر للبنانيين أن يعوا حقهم، ويعودوا لرشدهم، ولو لمرة واحدة، ويصمموا على ما يجب فعله لأجل إنقاذ أنفسهم وبلدهم؟ وهل آن الأوان لأن تنتفض كل جماعة على قادتها وزعمائها لعدم إثارة الفتنة الطائفية ؟ هذه الطبقة السياسية لم تستطع أن تنفذ بنداً واحداً أساسياً من إتفاق الطائف خلال ثلاثين عام وهو إنشاء الهيئة العليا لإلغاء الطائفية السياسية، حيث كانت الخسارة من المال العام حوالي ثلاثماية مليار دولار لعلها موجودة في حساب مئات الأشخاص فقط من اللبنانيين، والتساؤل اليوم بعد تكليف سعد الحريري بتشكيل الحكومة الجديدة بعد مضي عام على إستتلاليته بسبب الإنتفاضة، فما هو المعيار الجديد لشكل الحكم ؟ وهل هذا يعني أن الواقع في لبنان "فالج لا تعالج"؟.

وإذا كانت الطبقة السياسية عبر أحزابها وقواها السياسية، قد وافقت على المبادرة الفرنسية التي أعلن بنودها الرئيس إيمانويال ماكرون في قصر الصنوبر في بيروت ، حيث تضمّنت إصلاحات مالية واقتصادية وادارية ومحاربة الفساد، في ظل تلويح بعقوبات تطال العديد من المسؤولين السياسيين. ترى هل تستطيع هذه الطبقة السياسية المتحالفة مع القطاع المصرفي وأربابه، من تشريع إصلاحات تطيح بها وبمكتسباتها؟ وإذا كان لابد من المحاسبة وإستعادة الأموال المنهوبة، فهل من المعقول أن يصار الى قرارات تؤدي بأكثريتهم الى السجون؟ أم كالعادة يتفننون بالتخلص من العدالة و يتهربون من المسؤولية؟ ويستمرون بالحكم والتسلط عبر سلاحهم الطائفي المشترك؟

ماية عام مرّت على إعلان الجنرال غورو لم تتمكن السلطات الحاكمة في لبنان إن لم نقل منعت وأعاقت قيام دولة بمؤسسات وإدارات قادرة على تطوير الكيان الى وطن، والسلطة الى دولة، والرعايا الى مواطنين، واللبناني الى مواطن يعيش حالة المواطنة بالإنتماء للوطن وليس لسلطة الطائفة والمذهب أو الحزب والزعيم، كما أن هذه الطبقة السياسية المتوارثة منها، والمستجدة من خلال الحروب الأهلية المتتالية، أو من خلال

منظومات مالية واقتصادية، أتقنت كل أنواع الفساد حتى فتكت بإحدى أجمل اللوحات التي رسمها الخالق في أقدس بقعة من الأرض ، وحطمت اللوحة الطبيعية الخلابة على امتداد العشرة آلاف ونيّف من الكيلومترات المربعة، وهجّرت الطامحين لغدٍ أفضل، وقضت على الأدمغة القادرة على الإبداع وصدمت المفكرين والمثقفين الحقيقيين، وأصحاب الضمير والوعي والأخلاق والفكر المستنير، والذين يسعون الى أبسط حقوق الإنسان .

هؤلاء اللبنانيون الذين يتمنون أن يكونوا شعباً عظيماً، ومنهم من أثبت أهليته وقدرته الخلاّقة بعد ما عبر البحار وانتشر في كافة بقاع الأرض محققاً المعجزات في كافة مجالات الحياة، ومن بقوا في مدنهم و قراهم ليسوا أقل شأناً من المغتربين الذين يفخر العالم بهم وبإنجازاتهم، ولكن الطبقة والمنظومة الحاكمة عملت دوماً على تقطيع أوصال البلاد جغرافياً ودينياً كي لا يكون هناك قوة شعبية متكاملة قادرة على النهضة و التغيير، فلا دستور بتفسير واحد يحتكمون اليه ، ولا نظام عادل يساوي بين من يتوقون للعدالة و المساواة ، ولا عدالة تعطي كل ذي حق حقه، والحكم التوافقي بدعة إبتدعوها لإستمرار سلطاتهم الجائرة تحت شعارات الحرية المنقوصة والديمقراطية التوافقية المزيفة.

ترى ما العمل في ظل مجتمع فقد مقوماته الإنسانية ، فالأحزاب العلمانية سقطت في إمتحان الحرب الأهلية، والأحزاب الطائفية إستغلت الدين بأبشع الصور والشعارات.

أما المثقفون فقد ضاعوا بأكثريتهم بين زواريب التطيّف والتمذهب إلاّ البقية القليلة التي تُقفل بوجهها كل الطرق المؤدية للإنقاذ، والنقابات التي كان يعوّل عليها منذ عقود سقطت في فساد الإنقسام و التحاصص. والحركات الطلابية التي عاشت عصرها الذهبي في ستينات وسبعينات القرن الماضي في قيادة الحركة الشعبية والمظاهرات المطلبية ، غرقت اليوم في وحول الأحزاب والزعامات .

أما المرأة التي تعب المكافحون و المكافحات من أجل نيلها حريتها وحقوقها الإنسانية، فقد غرقت في آتون منافع الرجل إلا القليلات اللواتي لازلن تصارعن التسلط.

الأدباء والشعراء والعلماء والمفكرون والنجباء... تلاشوا حيث لم يعد لهم مكان في هذا المجتمع الذي تفشى فيه الفساد، كما تفشى فيه وباء الكورونا في هذه الأيام الحالكة والسنوات العجاف.

والغريب أن لبنان الذي انطلق منه عظماء ورسل، أضاءوا سماء العالم، وشكلوا منارات، لازال المجتمع البشري ينعم بعطاءاتهم ومواهبهم الخلاّقة..

لبنان هذا الذي أعطى الأديب والفيلسوف جبران خليل جبران، والعالم المخترع حسن كامل الصباح، ورمال رمال، وميخائيل نعيمة مع كبار الرابطة القلمية، وشعراء المهجر، وبهاء الدين العاملي، وبولس سلامة وطانيوس شاهين، ويوسف بك كرم، وبشير جنبلاط، كذلك سعيد عقل والشاعر القروي رشيد سليم الخوري والإمام الاوزاعي والسيد موسى الصدر، وكمال جنبلاط وفؤاد شهاب ورواد الحركة الثقافية في الندوة اللبنانية، والمجلس الثقافي في انطلياس، والمجلس الثقافي للبنان الجنوبي، والبطريرك هزيم بطريرك العرب، والبطريرك لحّام، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، وأدهم خنجر، وأنطون سعادة، وسليم الحص، وعبد الحميد كرامي، وشهداء السادس من أيار 1916، وشهداء الانتفاضات والحركات المطلبية، ورواد المسرح والفن، ومدرسة الرحابنة عاصي وفيروز، ووديع الصافي ونصري شمس الدين ، وصباح وشوشو حسن علاء الدين وغيرهم الكثير من رواد من الزمن الجميل ...

كيف لبلد أعطى العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين والعلماء العظام في جبل عامل، بل كيف لبلد سطعت في سمائه مقاومة يفخر بها كل الأحرار ولازالت تشكل الأمل في الدفاع عن أرض الوطن وعرضه وحقوقه وسيادته، أن يصل الى هذا الدرك من الإنحطاط والفساد المعشعش في كافة اداراته ووسائل الحكم فيه؟ وهل يعقل أن إرث هؤلاء العظام الذين ذكرنا، والذين لم نذكر، والذين تركوا لنا إرثاً ينهض بأمة بل وأكثر، لم تستطع أن تستفيد من هذا الإرث العظيم، أن تنقذ شعباً قليلاً(خمسة ملايين نسمة). على مساحة صغيرة جداً(10452 كيلو متر مربع)؟ وعبر ماية عام لم تكفِ؟

الإنقاذ والنهضة و بناء الوطن مسؤولية تاريخية كيف؟...

صامدون الى الأبد صمود الأرز رمز الوطن

الأستاذة هدى فحص

الشباب اللبناني والمستقبل المظلم ؟؟!!!

الشباب هم صدى كل إنجاز كبير في الوطن... هم نور الوطن الذي يبزغ من عيونهم، لا بل زهرة الأمل الفوّاحة... هم قوس الرحمن في الأفق... والثروة والثورة التي تعانق الحرية و تلامس أطراف السماء...

بعد كل الكوارث التي استحكمت بلبنان في عصر 4 آب(2020)، بدأنا نلمس بأن الشباب بات الشهيد الحي في وطنه... وراح يعيش المخاض المضني، وكأن الشعب اللبناني لم يكتف بما حلّ به من كوارث لتكون ختامها كارثة الكوارث (إنفجار المرفأ)، و لتكون سبباً جديداً في إنهيار طموحاته وأهدافه... بل أعادت لبنان الى طور التكوين... وقضت على ما تبقى من آمال وطموحات الشباب التي دُفِنت قبل أن تتبلور...

وبالتالي هذا ما أدى الى تمزّق الهوايات وقتلها عمداً داخل وطن متعدد العقائد و الطوائف... ألم يؤدي ما حلّ بلبنان من كوارث الى تمزّق الهوية، بل والى قتلها تدريجياً لدى فئة الشباب تحديداً ؟!

الى أي مدى بات اللبناني متمسكاً بهويته، وانتمائه؟؟ هل الكوارث التي حلّت بوطنه أحدثت تصدّعاً كبيراً في هويته... باعتقادي نعم... لأن الهوية ليست مجرد أوراق ثبوتية... هي عقيدة و نهج وفكر، هي ذخيرة من مكنونات وطن(نمط حياة، سلوك، عمل، عائلة ...)، كل ذلك يساهم في تشكيل هوية الفرد وتبلورها... فالهوية تولد منذ ولادتنا، ولكنها لا تنتهي أبداً، وكم من عباقرة ومخترعين ماتوا ولكن هويتهم وبصماتهم بقيت خالدة، وستبقى خالدة في الزمان... فالهوية لا تموت... الهوية هي وطن ومجتمع وكيان ، تتعزز بالاقتصاد المزدهر وتأمين الإستشفاء والأمن الصحي للمواطن، لا بل هي سلوك شعب يرتبط بأرضه ووطنه... وكل هذه المقومات وصلت الى الهاوية في وطني...

لقد لاحظنا في الأسرة الواحدة و بعد كل هذا التصدّع للمجتمع، تعدد العقائد و الإنتماءات داخل الأسرة الواحدة، فكيف هو الحال داخل وطن متعدد الطوائف و الإيديولوجيات...

وتجدر الإشارة بأن الرابطة الاجتماعية شديدة الإرتباط بالواقع، والبيئة التي يجب أن تعزّز وتطوّر أحوال الشباب ولا سيما من ناحية تأمين حياتهم المعيشية وجهوزيتهم للزواج... ولبنان كغيره من الأقطار العربية لديه العادات والتقاليد ذاتها، ولاسيما من ناحية الزواج، حيث تقع المسؤولية الكبرى في تأسيس بيت الزوجية على الشباب (الذكور)، بالرغم مما نشاهده اليوم من التعاون بين الذكور والإناث في تكوين الأسرة.

إن ما نلاحظه اليوم وبسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي شهدها لبنان خلال مرحلة السابع عشر من تشرين الأول 2020، والأوضاع الصحية بسبب الوباء الذي ما إنفكّ عابراً للقارات والمدن والأشخاص، إذ كان عنصر الشباب أكثر عرضة للأخطار ولا سيما في هذه الظروف الصعبة... نعم لقد كانت الكارثة معنوية أولاً، واقتصادية واجتماعية وكذلك صحية و ثقافية، وكلنا يعلم أنه حين يُخذل الشباب داخل أوطانهم يكونون أكثر عرضة للتخلي عن الإنتماء والهوية...

وتجدر الإشارة الى أن كل عائلة تشكل السند الذي يمهّد للشاب حياته المستقبلية، وهنا تختلط طرق مساعدة الأهل لتأمين الظروف المناسبة لهم... فقد كان الشاب يرث قطعة أرض من أهله ليبني عليها مسكناً يستقر فيه، او كان يرث منزلاً مشيداً، والبعض يدّخر مبلغاً من المال من جراء العمل أو الإغتراب في الوطن العربي أو الدول الاوروبية والاميركية، يستغله لتأمين الاستقرار.

ولا شك بأن وباء كورونا قد أحدث هزّة عالمية على مختلف الصعد، فعقارات الأراضي لم تعد تجد من يشتريها بسبب الغلاء الفاحش، والشباب فقدوا أموالهم في المصارف غير الموثوق بها وباتوا عرضة للإنهيارات...

ويبقى السؤال ماذا سيحل بالشاب اللبناني بعد تعرضه لكل هذه النكسات؟؟؟ هل بات الشاب اللبناني آيلاً للضياع و الإنهيار؟؟؟ هل هُزم فعلاً أمام هذه الإنهيارات التي تعرّض لها؟؟؟

باعتقادي نعم...

فأسباب تأزمه تنقسم الى نوعين: سقوط ممنهج من جهة، وسقوط تلقائي عشوائي من جهة ثانية... وأقصد بالممنهج حيث ضاعت كل مدخراته في البنوك، وحيث فتك الفساد والفاسدين في الشعب كما يفتك الجراد... وبعد تجرد جيل الشباب من كل مكونات الإستمرارية والنهوض في الحياة يعترينا ذعرٌ جارف وكبير تجاه مجتمعنا بأكمله، وخاصة تجاه هؤلاء الشباب الهائمين في وطن أصبح كالسجن الكبير... لقد فقد الشاب أبسط حقوقه التي هي الوظيفة التي تمكنه من تأمين احتياجاته الخاصة... عاداك عن الذي يعيل أسرته أو يخطط لزواج قريب...

إن البطالة والفساد المتفشي والوباء جعلوه يشعر بأن عمره ذهب هدراً ودون جدوى، فالزمن غدر به دون أن يرّق له جفن... كانت آماله معلّقة بين الأرض و السماء في أوركسترا الثورة وذلك بأن تعيد رشد وطنه وتجعله يقف في وجه الصعاب، لكنها سرعان ما انجرفت بسيول التدخلات السياسية الداخلية و الخارجية التي جعلتها عرضة لأن تكون ثورة على الثورة... ناهيك عن ذلك الفراغ السياسي الذي غمر الوطن لبرهة من الوقت، الى أن تتشكل الحكومة الآتية، آملين أن تعمل جاهدة لإحياء الوطن من جديد، ريثما يستطيع الأرز الشموخ مجدداً، والإمساك بالنجوم لينير بها درب كل شاب، وأن يصحو الوطن من كابوسه... فالمحبة

والإنسانية والتكافل الجماعي الوطني، كان له إيجابياته المباشرة على عنصر الشباب والأسر بشكل مباشر... لكن الدور الأبرز يكمن في الدولة اللبنانية التي ما زالت خطواتها في هذا المجال خجولة وبعيدة المنال، آملين منها أن تمسك بيد الشباب و تنهض بالبلد اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً... ريثما يستطيع لبنان وشبابه الوقوف من جديد... ولا يسعنا سوى أن نتسلّح بالفعل على الواقع تحقيقاً للأمنيات المتعددة لنجاة الوطن من كل شرّ وأذى... ونجاة الشباب من الدائرة العنكبوتية التي إلتفّت حول عنقهم وتريد القضاء عليهم... ويبقى السؤال على عاتق من تقع المسؤولية الكبرى؟؟؟ والى أي مدى سيحافظ الشباب اللبناني على هويته الأصلية وإنتمائه؟؟؟!

الأستاذ الدكتور غسان الخالد

في مفهوم الحياد

يعتبر الحياد موقفاً سياسياً يُعبّر عنه بسلوكيات معينة، تفضي الى الهدف المعمول عليه، ومضمونه عدم التدخل في شؤون الآخر، لخلاف هذا الآخر، أي بخلاف من يكون وكيف يكون؟ وبخلاف العلاقة التي تربط لهذا الآخر، أكانت علاقة عداوة أم صداقة أو علاقة عادية لا مصالح فيها مشتركة. ولعلّ النظرة السريعة والقراءة الأولى لما ذكرت، توضح جيداً طبيعة أن الحياد ليس محلياً فقط، وإنما إقليمياً ودولياً، وهو ما يعني أن الحياد هو مفهوم خاضع لمبدأ النسبية، ومرتبط بعناصر مؤثرة، كما يفترض وجود عوامل، قد تكون ضرورية للحياد، وعدم توفرها ، يخضعه لعدم النجاح في تطبيقه، وهو ما سيوضح لاحقاً من خلال نماذج الحياد التي سوف أذكرها في مضمون هذا المقال ومن خلال العرض التاريخي للحياد.

إن القارئ والمهتم بهذا المفهوم، و اختصاصيو العلوم السياسية وخصوصاً مجال العلاقات الدولية، يعرفون جيداً أن هذا المفهوم قد ولد أوروبياً وتعاملت معه دولاً أوروبية خلال الأزمة الكبيرة التي عاشتها أوروبا في حروبها الداخلية، الدينية والسياسية منها، والتي استمرت لقرنين من الزمن تقريباً. إذن يعود المفهوم في أصله الى أوروبا، تلك القارة التي تحكّم بها دولتان أساسيتان هما فرنسا و انكلترا، إضافة الى دول عاشت طموحات توسعية بينية ومنها سويسرا التي بات نموذج حيادها مثل يُضرب في الحياد، ولعله من أبرز الأمثلة. وقد استطاعت دول أوروبية أخرى تخليص نفسها وفقاً لمبدأ الحياد من تداعيات الحربين العالميتين الأولى و الثانية ، في حين أن دولاً أخرى لم تستطع تجنيب نفسها تداعيات هاتين الحربين بفعل الموقع الجيوسياسي لها. وهو أيضاً ما سيتوضح لاحقاً.

أنواع الحياد

يختلف تحديد أنواع الحياد وفق العلم الذي يدرسه، فالحياد من وجهة نظر العلوم السياسية ، والعلاقات الدولية ينقسم الى نوعين: دائم و مؤقت.

- النوع الأول أي الحياد الدائم يعمل به في كل الظروف، أي أن من أهم خصائصه الإستمرارية، وهو غالباً ما يكون مشرّعاً في قوانين البلد الحيادي، وربما و على حد تعبير الدكتور خليل حسين، أنه مُقَر ومُعترف به دولياً كحياد النمسا. وقد يمسّ الحياد الدائم من سيادة الدولة و لو نسبياً، وخصوصاً إذا كان على شكل معاهدة بين دولتين. وخرق السيادة قد يكون أكثر وضوحاً ربما في السياسة الخارجية للدولة . لكن تصنيف الحياد وفق العلوم السياسية وفرع العلاقات الدولية خصوصاً وبهذا الشكل المذكور قد ينظر اليه على أنه جامد لجهة التحليل، إذ غالباً ما يعيدنا الى المواد القانونية التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة . فقراءة المواد القانونية فقط تشبه القراءة الرياضية أو الفيزيائية في العلوم البحثية .

أما من وجهة نظر علم الاجتماع السياسي فتصنيف الحياد يأخذ منحى آخر له علاقة بكل الحقول الاجتماعية والاقتصادية لاحقاً. ولذلك نرى مفردات التصنيف مختلفة كلياً تقريباً، حيث يصنف الحياد وفق علم الاجتماع السياسي الى ثلاثة أنواع هي: الحياد الإيجابي والحياد السلبي والحياد الناشط.

1- الحياد الإيجبي: لقد حاول بعض المفكرين فلسفة معنى الحياد الإيجابي، بإعطائه معنى أو وظيفة مناصرة القضايا العادلة في العالم، مع تبنيه عدم الإنحياز في حدة الصراع بين كتلتين كبيرتين من الدول. كما هو حال الحرب الأولى والثانية فيما عرف بدول المحور والحلفاء. أو كما عرف في ما سمي الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأميركية و الاتحاد السوفياتي في خمسينات و ستينات وسبعينات القرن الماضي.

أما مناصرة القضايا العادلة فقد بقي مفهوم القضية العادلة مفهوماً نسبياً،اختلفت مقاصده بين الدول، لكن مع المحافظة على قاسم مشترك تمثل في مسألة الاستقلال للشعوب المستعمرة أو المضطهدة في تلك الفترة.

إنبثق عن الحياد الإيجابي منظومة دولية عرفت بمنظومة دول عدم الإنحياز، شكلت الهند مع جلال نهرو، ومصر مع جمال عبد الناصر، ويوغوسلافيا مع جوزف بروس تيتو، أهم دول هذه المنظومة، مع العلم أن هذه الدول، كانت الدول الركيزة المؤسسة للمنظمة. ومن يتمعن جيداً في وضعية هذه الدول يدرك أن لكل منها مشاكلها الخاصة، أو قضيتها الخاصة. فالهند مثلاً كان لها مشاكلها مع الجارة باكستان، ولا تزال قضية كشمير المتنازع عليها محور الصراع بين هاتين

الدولتين النوويتين. كما أن مصر كان لها صراع مع الكيان الصهيوني، الذي انتهى بمعاهدة كامب ديفيد في أواخر سبعينات القرن الماضي، علماً أن مصر لم تكن محايدة في الإقليم العربي بالمطلق. هكذا إذن تحدد مفهوم الحياد الإيجابي لمنظومة دول عدم الإنحياز، بين الكتلتين في الحرب الباردة مع جردة مواقف هذه الدول تجاه القضايا الدولية الأخرى، وبالتالي فإن هذا الحياد لم يكن حياداً مطلقاً، بل خضع لمعطيات وعوامل جيوسياسية، كما خضع لمصالح هذه الدول.

2- الحياد السلبي: في الحقيقة لم يكتب عن هذا النوع من الحياد الكثير، ولم ينظر له كما الحياد الإيجابي. وقد ذهب البعض الى اعتباره ذو وجهة محلية أكثر منه إقليمية أو دولية. وقد منح هذا النوع من الحياد بُعداً محلياً، حيث اعتبر أنه حياد السلطة تجاه القوى السياسية المحلية. وعليه بات على السلطة المحايدة في هذه الدولة أو تلك مهمة تنظيم الخلاف السياسي بين هذه القوى، حيث يقتصر عملها على تشريع قواعد تنظم مسألة الإنتخابات والمشاركة السياسية، كما تنظم مسألة الإنتاج. وبالتالي يصبح من أولى مهمات السلطة العمل على إنتاج منظومة قيم وطنية تراعي دور الأقليات العرقية والمذهبية وتحافظ على مشاركته وعدم تهميشها،ومحاربة الفساد. وبما أن السلطة غالباً ما تعمل على إنتاج نفسها فإن الحياد السلبي لم يأخذ بعده ودوره الطبيعي في الدولة، وأصبحت السلطة منحازة بطبيعة الحال.

3- الحياد الناشط: هو نوع جديد من الحياد ارتبط المفهوم بما عرف بمذكرة البطريرك الراعي التي قدمها للأمم المتحدة مطالباً بتدخلها لحل الأزمة اللبنانية في آب من العام الجاري (2020)، وقد كُتب الكثير من المقالات حول هذه المذكرة والتي شبهتها بالمذكرة الاستراتيجية. وبين مؤيد ومنتقد لها، تبين أنها منحازة كل الإنحياز تجاه الكثير من المسائل التي يعاني منها لبنان، أو تجاه القضايا الخلافية في لبنان. وبعيداً عن كل ما كُتب سأركز في قراءتي لهذه المذكرة من وجهة نظر علم الاجتماع السياسي، ولا أدعي هاهنا عدم الإنحياز، بل الإنحياز الكامل تجاه المواضيع الوطنية والقضايا المركزية التي طرحتها المذكرة البطريركية.

قراءة في مذكرة البطريرك الراعي

أولاً: أعتقد أن هذه المذكرة سوف تكون مشروع قرار في مجلس الأمن وهي تطلب تلميحاً وتبطيناً الحماية الدولية بشكل أو بآخر، معتمدة على مقولة قوة لبنان في ضعفه التي سبق أن كُشف زيفها وعدم صحتها.

ثانياً: طرحت المذكرة حياداً مؤدلجاً بروايات تاريخية تكذبها الأحداث التي مرّ بها لبنان وخصوصاً في فترة ولاية الرئيس شمعون وما عرف بحلف بغداد. ثم تناسى تاريخيا الإعتداءات الإسرائيلية و الإجتياحات والإحتلال برمته، وتناسى دور المقاومة الوطنية أولاً و الإسلامية تالياً في التحرير. وهو يبرر الإحتلال الإسرائيلي بذريعة عدم التزام لبنان بالحياد.

ثالثاً: يدعو البطريرك الى عقد اجتماعي جديد من خلال اعتبار أن إعلان حياد لبنان هو فعل تأسيسي، وهو ما يطرح تساؤلات كثيرة وعلامات إستفهام كثيرة حول طبيعة هذا العقد ونوعيته وكيفيته. وهل المقصود به الفدرلة التي يروج لها البعض منذ عقود؟ مع العلم أن قوى مسيحية أخرى تطالب ومنذ نشأة الكيان بها. وبالتالي فإن المذكرة في هذه الحال هي لسان حال القوات اللبنانية وأطراف أخرى.

رابعاً : يحدد مفهوم الحياد وفق ثلاثة أبعاد :

- البعد الأول: يعني حياد لبنان الكلي والذي يعني عدم التفاعل مع محيطه. كما وينظر الى العدو النظرة ذاتها التي ينظر بها للمحيط العربي الذي ينتمي اليه لبنان.
- البعد الثاني هو شكلي بإمتياز إذ يطالب بالتعاطف مع الشعب الفلسطيني من غير أن يكشف عن هوية هذا التعاطف وعن شكله لأنه معطوف على تعاطف لبنان مع قضايا حقوق الإنسان وحرية الشعوب في العالم... وهو يتناسى أيضاً إحتلال الكيان الصهيوني لأراضي لبنانية. وهذا ما يتوضح في البعد الثالث.

- البعد الثالث: يطالب بتعزيز قدرات الجيش اللبناني بغية رد أي عدوان مساوياً بالرد على الكيان بسواها من الدول . فمن هذه السواها؟ وسرعان ما يقع في فخ ما في الفقرة ج من 3 وتحت عنوان نظام الحياد مصدر استقلال لبنان واستقراره. وتتوضح الأفكار أكثر فأكثر في خامساً.

خامساً: وتحت عنوان ما نحتاج اليه، إذ يعتبر أن لبنان بقي على الحياد حتى عام 1969 أي توقيع إتفاق القاهرة وهو ما يناقض التاريخ.

التركيز على النظام الديمقراطي الليبرالي وكلاهما أوصل البلد الى ما وصلّ اليه من ديمقراطية وليبرالية مشوهة جذرت الفساد و الهدر، وهو ما أسميه "قوطبة" على أي توجه اقتصادي نحو الشرق يركز على التعددية بدل التنوع. والتعددية هي مفهوم انقسامي بعكس التنوع الذي هو مفهوم اندماجي.

بإختصار إن مذكرة البطرك هي دعوة صريحة للتدويل والفدرلة معطوفة على مؤتمر بال عام 2004 والذي كتبت فيه وعنه مجلة الأفكار في عدد تشرين 2004 وخلاصته كيفية احتواء لبنان لسبعة ملايين مسيحي مشرقي من كل الدول المجاورة. وهو ما يعني تهجير من تبقى من المسيحيين في تلك الدول عمداً أو عن غير عمد لخدمة الكيان .

إن الدعوات التي أعقبت إنفجار المرفأ والهجمة الإنسانية إن هي الا تنفيذاً لأجندة سياسية بدأنا نسمع عنها حتى من بعض الحلفاء غير المختلفين مع الكيان ايديولوجياً، ومن مَنْ يرى أن لدينا مشاكل مع اسرائيل وربما لو حلّت هذه المشكلة لانتفت أسباب التطبيع. مع أني أرى أن لبنان قد خطا خطوات مهمة على الصعيد الرسمي كما على الصعيد الخاص . باختصار شديد المذكرة واضحة و الهدف واضح و المستهدف معروف ...

العوامل المساعدة على الحياد

الحياد كفعل سياسي لا يكتب له النجاح ما لم تتحقق شروط النجاح في الدولة التي تنتهجه كسلوك سياسي وكفعل سياسي. ولعل من أهم شروط نجاح الحياد للدولة هو تحقيقها لمجموعة متكاملة من الأمن الغذائي، والأمن الاجتماعي والأمن العسكري. ومن الملاحظ أن الدول التي انتهجت الحياد كانت دولاً صغيرة الحجم، أي لاحول ولاقوة لها. إنها محاصرة بدول أكبر وأقوى عسكرياً. ولذلك سقط الحياد البلجيكي باجتياح المانيا

لها ووصولها الى فرنسا، وكذلك سقط حياد قبرص في سبعينات القرن الماضي عندما كان يرأسها الأسقف مكاريوس بتدخل تركي، أدى الى تقسيم قبرص الى قبرصين، الى حد وصل الأمر به الى تعميم صفة القبرصة على كل الدول التي عاشت لحظات تقسيمية نتيجة حروب بينية في ما بين الجماعات المشكلة للدولة. وهو ما انطبق على لبنان خلال الحرب الأهلية . واستخدام مصطلح قبرصة لبنان...

ينبغي للدولة المحايدة أن تكون محققة للأمن الغذائي حتى لا يجعل منها عرضة لإبتزاز الدول الكبرى في تأمين حاجاتها الغذائية. كما ينبغي عليها أن تكون قد حققت الأمن الاجتماعي، من خلال إنتاج قيم وطنية عليا ومشتركة بين الجماعات المكوّنة لها ، بما في ذلك توفير فرص العمل وكل الخدمات الاجتماعية المرتبطة بالحقل الاجتماعي وتفرعاته. وينبغي أيضاً تحقيق شرط لايقل أهمية عن الأمن الغذائي والأمن الاجتماعي، ألا وهو الأمن الأمني، أي على الدولة المحايدة أن تمتلك عناصر القوة الرادعة لأي عدوان محتمل بخلاف الأطماع والأهداف وإلا سوف تكون لقمة سائغة في أي لحظة غير مناسبة أو مؤاتية .

يرى البعض أن القوة تكمن في الضعف. هي مقولة كثيراً ما وردت في لبنان بالقول:"قوة لبنان في ضعفه" والحقيقة أن هذه المقولة قد أثبتت فشلها وعدم صلاحيتها، إذ لم تمنع العدو الصهيوني من إجتياح لبنان مرات عدة وصولاً الى العاصمة بيروت . كما لم تنجح المقولة في الحياز على دعم دولي لتطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن المتعلقة بالصراع بين لبنان و الكيان الصهيوني. ولا زالت السماء اللبنانية حتى اللحظة عرضة للخروقات الإسرائيلية، لا بل مرتعاً لها، وتقتضي الحقيقة العلمية الإشارة الى امتلاك لبنان لعناصر المقاومة الوطنية والاسلامية لاحقاً قد أبطل مفعول هذه المقولة الرجاء، ولذلك يتعرض الآن الى هذا الحصار الجهنمي الأميركي الذي يخدم فقط الكيان. ومع ذلك، ولأن لبنان بمقاومته يمتلك التوازن الردعي فإنه من الملاحظ الندّية في المفاوضات حول ترسيم الحدود الجارية الآن . فالقوة هي الركن الأساس للحفاظ على الوجود وليس الضعف.

و بالمناسبة فإن الحياد السويسري لم يعد حياداً بفعل الضغط الأميركي والذي تجلى في إيقاف العمل في خط الغاز بين روسيا وأوروبا عبر بحر البلطيق، بفعل العقوبات الأميركية على روسيا وحظر التعاطي مع الشركات المتعاونة... مما يجعل كل حياد في هذا العصر، عصر العولمة آحادية القطب حياداً منحازاً، أي

بإختصار يفقد صفته الأساس و يبطل مفعوله. وبمعنى آخر لاحياد في العالم واللاموقف هو موقف بحد ذاته.

الحياد الدولي

الباحث في الشؤون الفضائية، عضو لجنة أصدقاء ناسا :الأستاذ نجيب

الكون

The Universe

تعريفه هو ذلك الفضاء الواسع اللامتناهي من الفراغ المطلق الذي يضم:

النظام الشمسي، مجرتنا، درب التبانة أو الطريق اللبنية وغيرهما من ملايين المجرّات والشموس والكواكب السابحة في الفضاء، الضاربة في الأعماق خلف حدود أبصارنا، وخلف قدرة ما عندنا من مناظيرومراصد وسابرات فضائيّة، ورغم كل ما توصلنا إليه من تقدم في هذا المجال خلال العقود القليلة الماضية.

نتصل بهذه الجزرالكونيّة الهائلة، عبرأنوارها المنبعثة إلينا خلال تلك المسافات الموغلة في أبعادها السحيقة.

هذا وأنت تنظرإلى مايُمكنك أن تنظرإليه منها ، فإنك تنظرفي الحقيقة إلى الماضي الغابر السحيق، لأنّ أنوارها الواصلة إلينا عبر تلك المسافات قد أمضت آلاف السنين حتى وصلت إلينا؛ ونحن عندما نراها الآن فإننا نراها في الحالة التي كانت عليها في ذلك الزمن؛ علماً بأنّ تلك الأنوار ليست هي كل ماتبعثه تلك الأجسام إلينا لأنّ القسم الأكبر منها يتبدّد عبر الفضاء.

هذا الكون يتألف في معظمه من الهيدروجين بصورة رئيسيّة ومن الهيليوم ومن ذرّات من الأوكسجين والكربون والأوزون والنيتروجين على شكل غبار كوني.

بداية الكون

إنّ معظم علماء الفلك اليوم متفقون على أنّ هذا الكون قد حدث بعد الانفجار الكوني العظيم (Big Bang) في زمن موغل في القدم قدّره العلماء بين 10 و15 مليار سنة، وعند انفجار تلك الطاقة الهائلة تشكّلت الغازات والغبارالكوني والنجوم والمجرّات والسُّدُم .

عمر الكون

في أواخرالعام 2001 تمكّن بعض العلماء الأوروبيين وبواسطة استخدام أجهزة قياس مثبتة على متن التلسكوب الفضائي **هابل** الذي يدور حول الأرض من تحديد عمر الكون بـ 13 مليار سنة، كما أكّد هؤلاء العلماء أنّ الانفجار العظيم لايزال مستمرّاً لأنَ الأرض وبقية الكواكب لاتزال تتباعد عن نقطة الانفجار الأولى ؛ وقد استخدم هؤلاء العلماء عمليّة بسيطة تقوم على معرفة كيف يبدو حجم أحد الأجرام السماويّة بالنسبة إلى حجمه الحقيقي والمسافة التي يبعدها.

وجرت قياسات دقيقة للغاية باستخدام نجوم تلمع ثم تختفي بإيقاع منتظم ؛ وخلص هؤلاء العلماء إلى نتيجة هي أنّ 13 مليار سنة هو أدق حساب لعمر الكون.

وكلٌّ في فلك يسبحون

إنّ كل ما في هذا الكون العظيم يتحرّك، فتجمّعات المجرّات تتحرّك وتدور، ويتباعد بعضها عن البعض الآخر ملايين السنين الضوئيّة، وداخل هذه التجمعات فإنّ كلّ مجرّة تتحرك وفق نظام معيّن بالنسبة لرفيقاتها. كذلك فإنّ تجمّعات النجوم تتحرّك وتدور، ويتباعد بعضها عن بعض. وداخل هذه التجمعات، فإنّ كل نجم منها يتحرّك ويدوروفق نظام معيّن بالنسبة لرفاقه ويبتعد عنها، كما أنّه يتحرك باندفاعه الذاتي أيضاً وكذلك السدم والسحب والغبار الكوني .

كلُّ شيء يتحرك وفق نظام غريب عجيب أحكمته يدُ الخلاّق العظيم

(**لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون**) فتبارك الله أحسن الخالقين

الكوازار Quasars والثقوب السوداء Black Holes

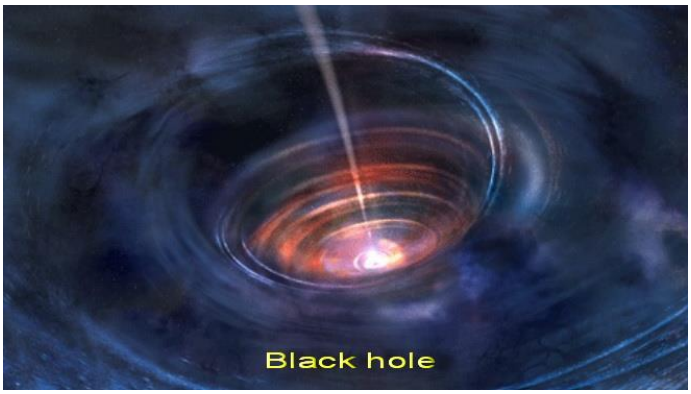

هي اختصار لـ quasi – stellar - radio sources وهو يعني أشباه نجوم ذات مصادر راديويّة غاية في الاضاءة وغاية في الاشعاع الحراري وبدرجة لايتصوّرها عقل.

يعتقد العلماء أنها نواة ناشطة لمجرّاتٍ هائلة السطوع ذات مقدار يفوق اشعاعات عشرات المجرّات مجتمعة، علماً بأنّ بعضها يختلف عن البعض الآخر من حيث قوّة هذه الاضاءة. تستمد الكوازارهذه القدرة الاشعاعيّة من كونها في قلب المجرّة التي تنشأ عنها؛ مشكّلةً من الغاز والغبارالمتولّد عن ذلك، واحداً أو أكثر من الثقوب السوداء، ويروح الثقب الأسود يشد النجوم إليه ويبتلعها كما يبتلع بقايا الغاز والغبار حتى القريبة من مركز المجرة.

بدأ اكتشاف أشباه النجوم هذه سنة 1963على يد M . Schmidt بمرصد بالومار. وقد تم رصد العديد منها حيث ظهرت على شكل نقاط مضيئة يبعد الواحد منها عن الآخر بعداً خيالياً يقدر بحوالي 400 مليون سنة ضوئية، وتدور على ارتفاع يتراوح بين 8 إلى 10 مليارات سنة ضوئية وبسرعة قدّرت بحوالي 244 ألف كلم في الثانية وقد أطلق على بعضها G 223 + 0305 اسم صليب أنشتاين، كما يعتقد بعض العلماء أنّ الكوازار هذه قد تشكلت إثر الانفجار الكوني Big Bang وقبل أن تولد المجرّات والسّدم .

حزام كويبر Kuiper belt

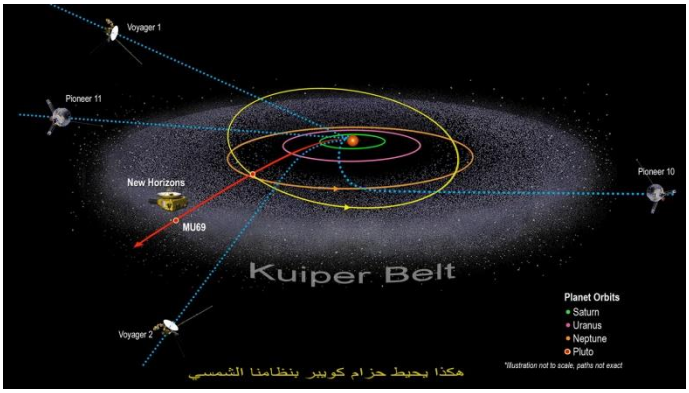

هو شريط من الأجسام الصغيرة خارج نظامنا الشمسي؛ ولاحقاً تم اكتشاف حوالي 400 جسم أضيفت إليه بفضل تلسكوبات حسّاسة جداً.

يُرجّح علماء الفلك أن تكون تلك الأجسام مكوّنة كغيرها من صخور وجليد.

تمكّن رصد وتصوير حوالي 100 بليون جسم منها، ما يبلغ قطرالواحد حوالي كلم تقريباً، كما أمكن رصد حوالي 100 ألف جسم قطرالواحد منها حوالي 100كلم.

اعتبر علماء الفلك أنّ حزام كويبر هو عبارة عن مجمّع أو أحجار بناء لتكوين الكواكب التي ابتدأ بناؤها منذ حواي 4،6 بليون سنة مضت

معظم هذه الأجسام تدور حول الشمس من خارج نظامها في مدارات دائريّة وبعضها بيضاويّ إهليلجي ومن خارج مدار نبتون بالتحديد. لبعضها مدارات شاذّة كمدار بلوتو .

تشرد بعض أجسام من هذا الحزام فتذهب إلى مقربة من الكوكب نبتون فتشدها جاذبيّته وتقذفها باتجاه الشمس فتمتص كثيراً من الحرارة فتتبخرأجزاء من الجليد الذي تتكوّن منه ويشتعل الغاز فتتحوّل إلى مذنّبات .

كوكب جديد في نظامنا الشمسي

تمكنت الآلات اللاقطة والحساسة جداً لبعض علماء من معهد هونولولو يعملون في أريزونا في إطار مشروع مراقبة الفضاء Space watch برئاسة السيرّ

د يفيد جويت من اكتشاف كوكب جديد في تشرين الثاني/نوفمبر من العام 2001 يقع هذا الكوكب في الغلاف الخارجي لنظامنا الشمسي وقد أطلق عليه اسم مؤقت (فارونا). لم تكتمل الدراسات بعد حول هذا الكوكب الجديد بشكل مفصّل، إلا أنّ قطره يبلغ حوالي 900كلم.

د. حسين ناهض قديح

دور الموسيقى في حياتنا

تمهيد:

إن الفنون تعكس المجتمع بكل تفاصيله؛ بقيمه وأخلاقه ومفاهيمه وأفكاره وعاداته وتقاليده. وهي "طريقة يعبّر بها الإنسان عن أحاسيسه ومشاعره، ويترجمها إلى أشكال عدة، مثل الدراما والموسيقى والفنون الخطابية والرسم وغيرها. وهي نابعة من أعماق الإنسان بوصفها رغبة للتعبير عن الفرح أو مكنونات النفس. وهذه الفنون إحدى ضرورات الحياة لا يمكن الإستغناء عنها"[32].

وهنا سنتناول فناً من هذه الفنون وهو الموسيقى، وذلك للتعريف بها، والكشف عن الأدوار التي تؤديها في حياة البشر.

ينطلق هذا البحث المتواضع من التساؤلات التالية:

- من أين أتت الموسيقى؟ ما هي أهميتها؟ وما هي أنواعها؟
- ما هي الموسيقى العربية وأنواعها ومميزاتها؟
- ما هي الموسيقى الغربية وأنواعها ومميزاتها؟
- تأثير الموسيقى في حياة الإنسان، وكيف؟
- من هم أشهر الموسيقيين العالميين والعرب؟

1- تعريف الموسيقى:

هي فن تأليف الألحان وإيقاعها وتوزيعها والتطريب بضروب المعازف. وهي أصوات تمتلك تناغماً وإيقاعاً. ومن المؤكد أن بداياتها "كانت تعتمد على الأصوات الخاصة بالطبيعة مثل: أصوات الأشجار والطيور والأنهار والحيوانات وغيرها من الأصوات الأخرى. ومن ثم لاحظ الإنسان وجود هذه الأصوات، فإستخدم النفخ بالأنابيب المصنوعة من القصب لإصدار الصوت. ومع مرور الوقت صارت الموسيقى

[32] إبراهيم الدوري، تعريف الموسيقى لغة وإصطلاحاً، موقع سطور الإلكتروني: www.sotor.com

جزءاً من حياة الإنسان. وهي فن يبحث عن طبيعة الأنغام من حيث الإتفاق والتنافر وتأليف الموسيقى وطريقة أدائها وحتى تعريفها بالأصل تختلف تبعاً للسياق الحضاري والإجتماعي"[33].

والموسيقى هي "عبارة عن فن مكون من السكوت والأصوات التي تصدر خلال فترة زمنية، وهي كلمة ذات أصول يونانية، وقد كانت سابقاً تعني مجموعة الفنون بشكل عام، إلاّ أنها مؤخراً أصبحت تقتصر فقط على لغة الألحان... وعرفت أيضاً على أنها فن الألحان الذي يبحث في تنظيم الأنغام، والروابط والعلاقات فيما بينها، كما يبحث في الإيقاعات وأوزانها، ويتم عزفها بإستعمال أنواع متنوعة من الآلات ومنها الآلات العضوية (التصفيق، صوت الإنسان)، الآلات الوترية (العود، الكمان، القيثارة)، وآلات النفخ (البوق، الناي)، والآلات الإلكترونية (الأورغ). والجدير ذكره أنها لا تقتصر فقط على العزف، وإنما تشمل أيضاً موسيقا الهرمونيكا وقرع الطبول"[34].

وإذا كانت الموسيقى من التراث الفني، الذي هو من مكونات الحضارة الإنسانية، فمن الطبيعي أن يكون لكل مجتمع نصيب منها مهما كانت درجة تطوره، ويمتلك تراثاً فنياً متراكماً. ولأهمية الموسيقى ألّف الفارابي كتاباً بعنوان "كتاب الموسيقى الكبير"، شرح فيه المبادئ الفلسفية المتعلقة بالموسيقى وخواصها العامة وتأثيرها... ومفهوم العلاج بها وآثارها الثقافية على الروح.

ظلت الموسيقى "ومنذ أبقراط وأرسطو والفارابي، ذلك البلسم الذي يروي الروح، وتطرب به النفس، ويبهج له القلب. فالرنات العذبة والنغمات السامقة التي إبتكرها مبدعو الموسيقى، ظلت على مر العصور معيناً أزلياً أبدياً يهوي إليه كل فرد مكلوم وتأوى إليه كل روح ظامئة أو نفس عليلة"[35].

2- أهمية الموسيقى:

لقد جعل أفلاطون الموسيقى والرياضة ركنان أساسيان في تربية أفراد المجتمع في جمهوريته المثالية. وهذان الركنان يشكلان عاملاً واحداً يساهم في تطور المجتمع، وبناء دولة يضمن لها الإستمرار طويلاً. فالموسيقى غذاء للنفس الإنسانية، تهذبها وتخليها من الشوائب والإضطرابات، وتعودها على الإنسجام والتوافق والتوازن والعدل، لأن صاحب المزاج المتناغم، لا يسعه إلاّ أن يكون عادلاً. ولذا كانت الموسيقى عميقة الأثر في توجيه السلوك الذي هو أساس الحياة الإجتماعية. والرياضة غذاء للجسم

[33] ما هي الموسيقى، موقع صحيفة الوطن الإلكتروني: www.alwatannews.net
[34] إسراء عبد القادر، أهمية الموسيقا، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com
[35] هشام أحناش، تأثير الموسيقى السحري على الإنسان يواصل تحيير العلماء، صحيفة الإتحاد عن واشنطن بوست 2013.

الإنساني، تقوّيه، وتجعله صحيحاً قوياً متناسقاً، فيه حيوية دائمة، ونشاط مستمر، وليونة جميلة، وربما إكتسب الجسم مناعة ضد بعض الأمراض[36].

3- أنواع الموسيقى:

سنقسم الموسيقى إلى: الموسيقى العربية، والموسيقى الأجنبية الغربية، ونذكر أنواع كل قسم:

أ- الموسيقى العربية:

تمتد جذورها إلى آلاف السنين قبل الميلاد، وقد كان على ضفاف النيل شعباً يرسل أغنياته، وعلى ضفاف الرافدين، وفيما حولها مدنيات موسيقية عالية هي مدنيات بابل وأشور، ثم تلاقت مع موسيقى غرب آسيا وشمال أفريقيا.

تعتبر المقامات الموسيقية هي الأساس اللحني والنغمي للموسيقى العربية. وقد تطورت في البيئة الأندلسية من خلال ظهور موسيقيين متميزين مثل زرياب الذي أضاف الوتر الخامس على العود. كما تأثرت الموسيقى العربية بالموسيقى الغربية منذ منتصف القرن العشرين وظهور موسيقيين كبار مثل السيد درويش، محمد عبد الوهاب، ورياض السنباطي، وفريد الأطرش، ومحمد فوزي، والأخوين الرحباني وغيرهم[37].

وهنا نود الإشارة إلى جهود العرب في تطوير الموسيقى؛ فنجد أن الموسيقيين العرب هم الذين عملوا "النوتة" الموسيقية وألّفوا كتباً عديدة في فن الموسيقى، لكن معظمها ضاع.

ويعتبر العرب أولى الشعوب التي توصلت إلى وضع سلّم موسيقي كامل، ويعتبر يعقوب بن إسحق الكندي (804 – 872 م) أول من كتب في الموسيقى العربية، وقدم إخوان الصفا (ظهروا في النصف الأول من القرن الرابع الهجري أو العاشر الميلادي) معلومات موسيقية قيمة وأسدوا للصوت والإيقاع العربي خدمة جُلّى...

ومن كتب الموسيقى المهمة كتاب "الشفاء" لإبن سينا (980 – 1037 م). لكن أعظم كتب الموسيقى العربية كتاب "الموسيقى الكبير" للفارابي (874 – 950 م)، الذي ظل يعتمده الأوروبيون مدة طويلة. كما أن كتابه "الإيقاعات" يتضمن معلومات واسعة[38].

---

[36] جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خباز، دار القلم، بيروت، طبعة ثانية 1980، ص 43 و76. وأنظر أيضاً: علي الخليل، محاضرات في تاريخ الفكر السياسي، غير منشور، الجامعة اللبنانية، كلية الحقوق والعلوم السياسية 1970 – 1971، ص 113.

[37] الموسيقى العربية – موسيقى، www.sites.google.com

[38] طلال المجذوب، من أمجاد الحضارة العربية، العرب والموسيقى، مجلة العرفان اللبنانية، المجلد 71، العدد 10، كانون الأول 1983، ص 40، 41.

أما أنواع الموسيقى العربية فهي:

- التخت الشرقي، أو الأوركسترا العربية.
- القصيدة أو الشعر الغنائي.
- الراي: عالمية بأصول عربية.
- موسيقى الشعبي: يعود أصلها إلى الأندلس.
- الطقطوقة: هي زجل يعتمد على إيقاعات واحدة.
- الموشح: هو شعر غنائي حديث مشتق من كلمة وشاح (الموشحات الأندلسية).
- الموال: شعر شعبي، وهو أنواع: الموال السداسي، السباعي، والثماني وغيره. ومن مواضيعه: المدح، العتاب، الحزن، الغزل وغيرها[39].

ب-أنواع الموسيقى الغربية:

- السيمفونية.
- الروك: خليط من موسيقى الفولك والريف والبلوز.
- الأوركسترا: يستخدم فيها الآلات الوترية والهوائية والإيقاعية.
- الراب: المقفى والسريع، ولا يلتزم بأي لحن.
- الكونشرتو: موسيقى تتكون من عدة آلات تحل محل صوت الإنسان.
- الجاز: تعود إلى أصول ثقافات غرب أفريقيا.
- البلوز: مأخوذة عن الموسيقى الأفريقية – الأميركية.
- السوناتا: يستخدم فيها البيانو[40].

4- الموسيقى عند الصوفية:

الصوفيون هم جماعات لهم طرقهم الخاصة في العبادة، لم تأتِ بها الشريعة. وسُميوا بهذا الإسم لأنهم كانوا يلبسون الصوف، وقيل إنها من الصفا، أي يعتنون بصفاء القلوب من كدر الذنوب وكسب الحرام، وقيل غير ذلك.

وسماع الموسيقى في تقليدهم هو الإستماع إلى الموسيقى بهدف بلوغ حالة من النشوة الروحية، أو تغذية الروح. والموسيقى الصوفية هي منبع يستقي منه الصوفي إلهامه.. وقيل عنها أنها رزينة ومهيبة

[39] هايل الجازي، ما هي أنواع الموسيقا، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com
[40] يوسف السيسي، دعوة إلى الموسيقى، عالم العرفة الكويتية، العدد 46، ص 161، 163.

ولها قدرة على إختراق الروح، وهي تتوجه لمستمعين قادرين على إستيعابها والإمساك بها بالحواس ونقلها إلى الروح، فتسمو بها إلى معارج الكمال ومراتب الصفاء[41].

والحقيقة أن الموسيقى العربية تدين في نهضتها الحديثة للأجواء الصوفية التي سيطرت على الغناء العربي في أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين؛ حيث قاد شيوخ الإنشاد الديني في مصر عملية تطوير الموسيقى العربية، أمثال: يوسف المنيلاوي (1850 – 1911)، وسلامة حجازي (1852 – 1917)، وإبراهيم القباني (1852 – 1927)، وأبو علاء محمد (1878 – 1927)، وسيد درويش (1892 – 1923)، وزكريا أحمد (1896 – 1961) وغيرهم. وقد عرفت الموسيقى والغناء لدى المتصوفة العثمانيين أحياناً بإسم "الفن الإلهي"[42].

تتجسدد أشكال الموسيقى الصوفية في حلقات من الذكر يجتمع فيها المنشدون والدراويش، مناجين ومتقربين إلى الله. جلسات لا تخلو من الرقص الصوفي لكبح شهوات النفس والرغبات الشخصية عبر الإستماع إلى الله والموسيقى والتدبر والدوران حول النفس الذي أتى مفهومها من خلال دوران الكواكب حول الشمس. وتعد دول أندونيسيا وأفغانستان وصولاً للمغرب المراكز الأساسية للموسيقى الصوفية وإمتداداً لممارساته، كما تعتبر موسيقى غناوة غرب أفريقيا شكلاً آخر من الصوفية[43].

5- تأثير الموسيقى:

قبل الحديث عن تأثير الموسيقى على البشر، أود الإشارة إلى تأثيرها على الحيوانات والنباتات:

أ- تأثير الموسيقى على الحيوانات:

قد يبدو هذا العنوان غريباً بعض الشيء، لكن علماء النفس يؤكدون أن للموسيقى تأثير على الحيوانات. فقد أشارت الدراسات إلى أن الأبقار تنتج حليباً أكثر لدى سماعها موسيقى هادئة وكلاسيكية. والتماسيح إزداد نشاطها العقلي بتأثير الموسيقى. وهناك موسيقى خاصة تتفاعل معها القطط والكلاب. كما أن الببغاوات تتزامن حركاتها بشكل أفضل على الإيقاعات[44].

ب-تأثير الموسيقى على النباتات:

---

[41] عبد الرفيع التيجاني، الموسيقى تهذب النفس، موقع ملامحنا على facebook.
[42] محمد كريم، الصوفية أصل حكاية الموسيقى العربية، الموقع الإلكتروني: www.alaraby.co.uk
[43] موسيقى صوفية، موقع ويكيبيديا الإلكتروني: www.ar.m.wikipedia.org
[44] جمال النشار، تأثير الموسيقى على الحيوانات، موقع عربي بوست الإلكتروني: www.arabicpost.net

تشير الدراسات والأبحاث المتعلقة بتأثير الموسيقى على النباتات، أن النبات ينمو بإتجاه مصدر صوت موسيقى الجاز والموسيقى الهندية والكلاسيكية، ويحاول الهروب من مصدر الضوضاء لموسيقى الروك. ويمكن القول بأن النبات كائن حي يتفاعل مع البيئة الخارجية وله القدرة على التمييز بين أنواع الأصوات التي يستقبلها[45].

ج- تأثير الموسيقى على الإنسان:

إستخدمت الموسيقى قديماً بأنها هبة من هبات الآلهة، فأبولو أحد آلهة الإغريق القدماء إلهاً للموسيقى والطب.. كما إستخدمت كعلاج لطرد الأرواح الشريرة، إعتقاداً بأنها تؤثر على العواطف بما ينعكس على طبيعة الفرد وتهذيب روحه. فهي تؤثر على الناحية الوجدانية لدى الإنسان، وأن أعصابه تتأثر عند الإستماع إلى الألحان، لذلك إستخدموها لعلاج بعض المصابين بالأمراض العصبية والعقلية. فأرسطو يقول لنا عن الموسيقى بأنها ربة التهذيب والذوق والجمال، هي لغة النفس والعاطفة. أما أفلاطون فقال: هي حركة أصوات للوصول بالروح للتربية والفضيلة. والكاتب الألماني هيرمن هسه (1877 – 1962 م) قال: الموسيقى هي جوهر الثقافة الغربية[46].

- أهمية الموسيقى للأطفال:

للموسيقى تأثير على الأطفال كما يلي:

- تنمي الإدراك الحسي للطفل، وتزيد قدرته على الملاحظة.
- تنمي وتحفز الذاكرة السمعية لديه، وتزيد من قدرته على الإبداع.
- تسهل عملية تعلم المواد التعليمية والدراسية.
- تنمي التوافق العضلي والحركي في جسمه.
- تنمي الذوق لديه.
- تخلصه من القلق والتوتر.
- تحفز وتثير الكثير من إنفعالاته، كالقوة والفرح والحزن والشجاعة.
- تنمي الجوانب الإجتماعية عنده.
- تقوي علاقته بأمه..[47]

---

[45] نورة المزروعي، النبات والموسيقى، أي تأثير؟ صحيفة الإتحاد على الموقع الإلكتروني: www.alittihad.ae

[46] وفاء ديبو، الموسيقى... ثقافة وعلاج، المؤسسة العربية للإعلان Arab Advertising Organization، الموقع الإلكتروني: www.info@elam.gov.sy

[47] إسراء عبد القادر، أهمية الموسيقى، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com

- تأثير الموسيقى على الإنسان:

الموسيقى تُشعر الإنسان بالسعادة، وتساعده على تنظيم عواطفه، وتدفع الدماغ إلى إطلاق مادة كيميائية تسمى الدوبامين، ذات التأثيرات الإيجابية على المزاج. كما تساعد الموسيقى على الشعور بالعواطف القوية مثل الحزن والخوف والفرح.. وهي تعزز قدرة الأطفال على فهم الكلمات وشرح معناها، وتطور قدراتهم البصرية، وتحسن درجاتهم الدراسية. والجدير ذكره أن الأبحاث أشارت إلى أن الإستماع للموسيقى تقلل مستويات هرمون الإجهاد، وهو هرمون الكورتيزول Cortisol، وهو المسؤول عن إضعاف جهاز المناعة لدى الإنسان، وضعف الذاكرة والتعلم، وزيادة خطر الإصابة بأمراض القلب وضغط الدم[48].

فالموسيقى غذاء للروح وشفاء للنفس، ملهمة الفنان، مفككة الأحزان، محركة للشعور، مهدئة الأعصاب، مقوية العزيمة، مبعدة الهزيمة، وعلاج المرضى. يتذوقها الإنسان في كل مراحل حياته[49].

تستعمل الموسيقى اليوم في العلاج، لأنها قادرة على تحريك المشاعر في أعماق الإنسان.

- تساعد على الإحساس بالآخر، لأنها وسيلة لترقيق القلوب.
- تعطي بعداً آخر لأي عمل تدخل فيه، لذلك تقترن بالقنوات والبرامج المتلفزة والأفلام.
- وسيلة من وسائل لفت إنتباه الناس إلى قضايا معينة؛ فالموسيقيين ينتجون مقطوعات موسيقية مؤثرة قادرة على التأثير بكل من يستمع إليها.
- هي وسيلة تحفز الناس على القيام بأعمالهم، لهذا فإن الناس في أحلك الأوقات يبدؤون بترديد الأناشيد المحفزة والتي تبث الهمة، والروح المعنوية العالية في النفس الإنسانية المتعبة[50].
- سماع الموسيقى يعمل على تحفيز المخ على إفراز مادة الإندروفين التي تخفف الإحساس بالألم والقلق. كما تعمل كمسكن للأوجاع، وأصبحت تعزف بعد النصر والهزيمة. وتعمل على زيادة التشويق، وتضع المشاهد في حالة المشهد كأنه جزء من سياقه[51].

6- عمالقة الموسيقى العالميين:

- بتهوفن، لود فيج فان (1770 – 1821): ألماني، ولد في مدينة بون.
- برامز، يوهانس (1833 – 1897): ألماني، ولد في مدينة هامبورج.

---

[48] غادة الحلاقة، أهمية الموسيقى في حياة الإنسان، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com
[49] تعريف الموسيقى ومفهومها عند العرب، الموقع الإلكتروني: www.yabeyrouth.com
[50] محمد مروان، كيف تؤثر الموسيقى في حياة الناس، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com
[51] هبة كامل، تأثير الموسيقى على الإنسان، موقع موضوع الإلكتروني: www.mawdoo3.com

- تشايكوفسكي، بيتر إيليش (1840 – 1893): بروسي، ولد في مدينة كامسكو بولاية فياتكا.
- دفورجاك، أنطونين (1841 – 1904): تشيكي، ولد في ضواحي براغ العاصمة.
- فرانزليست (1811 – 1886): مجري، ولد في قرية رايدنج.
- شوبان، فريديريك فرانسوا (1809 – 1849): بولندي، ولد في إحدى ضواحي وارسو.
- فاجنر، فيلهم ريتشارد (1813 – 1883): ألماني، ولد في مدينة ليبزج.
- دي فايا، مانويل ماريا (1876 – 1946): أسباني، ولد في مدينة كاديس.
- رافيل، موريس (1875 – 1937): فرنسي، ولد في بلدة سيبورن، بالقرب من مدينة سان جان دي لون.
- بارتوك، بيلا (1881 – 1945): مجري، ولد في مدينة ناغي سانت ميكلوس، وهي الآن تنتمي لرومانيا وتسمى سينيكولاو[52].

7- أشهر الموسيقيين والملحنين العرب:

سنقتصر على ذكر أهمهم وهم:

- سيد درويش (1892 – 1923)، مصري.
- محمد القصبجي (1892 -1966)، مصري.
- زكريا أحمد (1896 – 1961)، مصري.
- محمد عبد الوهاب (1904 – 1991)، مصري.
- بليغ حمدي (1931 – 1993)، مصري.
- سيد مكاوي (1928 – 1997)، مصري.
- عاصي ومنصور الرحباني (الأخوين رحباني)، لبنانيان.
- سهل عرفة (1935 – 2017)، سوري.
- حسن عريبي (1933 – 2009)، ليبي[53].

أما أشهر خمسة مؤلفين كلاسيكيين عرب في القرن العشرين فهم:

- سلفادور عرنيطة: فلسطيني.
- حليم الضبع: مصري.
- توفيق سكر: لبناني.

[52] يوسف السيسي، دعوة إلى الموسيقى، عالم المعرفة الكويتية، العدد 46، الفصل الثاني، ص 55 – 150.
[53] كلاسيكيات الموسيقى العربية – الخمسة الكبار، الموقع الإلكتروني: www.sitesgoogle.com

- صلحي الوادي: عراقي.
- ضياء سكري: سوري[54].

الخاتمة:

لقد أجاب هذا البحث عن التساؤلات التي إنطلق منها، فعرّف الموسيقى، وأظهر أهميتها وأنواعها، وتحدث عن الموسيقى العربية والغربية ومميزاتهما وأنواعهما، كما تناول الموسيقى عند الصوفية، وإنتقل ليبحث عن تأثير الموسيقى في حياة البشر؛ فذكر تأثيرها على الأطفال، ورأى أنها تنمي الإدراك لديهم، والتوافق الداخلي، والذوق وتخلصه من القلق. أما تأثيرها على الكبار، فرأينا أنها تشعرهم بالسعادة وتنظيم العواطف وتهدئ الأعصاب، كما أنها تستعمل اليوم في علاج بعض الأمراض.

أختتم البحث بلائحة أسماء أهم وأشهر الموسيقيين العالميين والعرب.

[54] يزن اللّجَمي، خمسة مؤلفين كلاسيكيين عرب من القرن العشرين، موقع حبر الإلكتروني: www.7iber.com

الكاتب والاعلامي الأستاذ واصف عواضة

الداء والدواء في النظام السياسي:هكذا نبني دولة!

لم تبلغ حالة اليأس تلك المرتبة التي يعيشها اللبنانيون اليوم ،على الرغم من الحروب والأزمات التي مرّ بها لبنان خلال العقود الخمسة الماضية ،لدرجة أن هجرة الشباب بلغت حدا غير مسبوق على الرغم من أن اللبناني بشكل عام مهاجر تاريخي منذ فجر البشرية.

منذ فجر الاستقلال يحلم اللبناني بوطن ودولة تؤمن له الاستقرار والطمأنينة، لكنه اليوم بات عاجزا حتى عن الأحلام، وإن كان بعض الحالمين ما زالوا يحاولون معاندة القدر، مع العلم أن الداء والدواء معروفان: الداء في نظامه السياسي المتخلف، والدواء في إصلاح هذا النظام وبناء دولة حقيقية تقوم على المواطنة وتحاكي متطلبات العصر. فلا دولة ولا وطن في ظل نظام طائفي، ولا يحلمن أحد ببناء دولة أو قيام وطن عادل في ظل هذا النظام.

فما هي شروط قيام الدولة،أي دولة في العالم؟

الدولة من حيث الشكل موجودة، وهي مؤسسات واجهزة ادارية وعسكرية وأمنية الخ.. وبالتالي شعب .لكن الدولة في النتيجة هي مضمون يتلخص في إدارة شؤون رعاياها بصورة منصفة وعادلة وسليمة بحيث تؤمن لمواطنيها المتطلبات السياسية والحياتية.فهل أن هذا الأمر قائم في لبنان؟

هناك ثلاثة شروط رئيسية لقيام الدولة يمكن تلخيصها كالآتي:

1- الأول تكافؤ الفرص بين المواطنين. وهذا الشرط ليس متوفرا في كل المجالات ،سواء على مستوى الوظائف في الإدارات العامة أم على مستوى المسؤوليات الأساسية في المؤسسات ،بدءا برئاسة الجمهورية ومجلس النواب والحكومة.فالمواطن اللبناني محكوم برؤساء ونواب ووزراء من طوائف معينة،ليس بحكم الدستور، وانما بحكم العرف الناجم عن النظام الطائفي .هذا على المستوى السياسي ،أما على المستوى الإداري فالمصيبة أعظم،حيث يحول التوزيع الطائفي والمذهبي دون توفير الفرص للكفاءات.ويعرف اللبنانيون جيدا كيف تتم التعيينات في مؤسسات الدولة،ألادارية والأمنية والقضائية

وغيرها.فكم من دورة أجراها مجلس الخدمة المدنية ما تزال مراسيمها مجمدة بحجة غياب التوازن الطائفي؟وكم من دورة في مؤسسة قوى الأمن الداخلي ألغيت للأسباب نفسها ؟

مثل هذا الأمر يؤدي الى انتعاش الواسطة والرشاوى للحصول على المراكز.فكيف نريد من الموظف على كل المستويات أن يكون عادلا في ممارسة وظيفته اذا كان محكوما بمن عيّنه؟

2- الشرط الثاني للدولة العادلة هو المحاسبة للمخطئين والفاسدين والفاشلين في الإدارة.وفي النظام الطائفي لا يمكن محاسبة حاجب في الدولة ،فكيف اذا كان الأمر يتعلق بمدير عام أو رئيس مصلحة أو رئيس دائرة ؟يكفي أن يكون هذا الموظف محميا أو مغطى من مرجعيته الطائفية .وثمة نماذج كثيرة حصلت لا مجال لتعدادها.

3- الشرط الثالث هو انتظام عمل المؤسسات.وهنا ندخل في الثغرات الدستورية.

ليس سرا أن دستورنا في مضمونه شبه علماني ،لكن ثمة ثغرا مميتة يتضمنها ،ويحول النظام الطائفي دون تصويبها أو تصحيحها ،وأبرز هذه الثغرات غياب المهل .لا مهلة لانتخاب رئيس الجمهورية ،ولا مهلة لتشكيل الحكومة ،ولا مهلة لتوقيع المراسيم من رئيس الحكومة والوزراء..الخ.وهكذا دواليك حيث تتعطل شؤون البلاد والعباد.

ثغرات دستورية

قبل سنوات أجريت دراسة للدستور اللبناني، فتبين أن هناك عشرين مادة مبهمة تتطلب التفسير أو التعديل .وهذه نماذج فاقعة منها:

- في مقدمة الدستور :

. الفقرة ج: "لبنان جمهورية ديموقراطية برلمانية..." .

. تعقيب: ينبغي بت اللبس القائم حول مفهوم الديموقراطية في لبنان. فالديموقراطية هي حكم الأكثرية، وهو ما يتنافى مع مفهوم «التوافقية» التي ابتدعها اتفاق الطائف. فلا توافق مع الديموقراطية، وإلا وجب القول بأن «لبنان جمهورية برلمانية توافقية .«

. الفقرة ي: «لا شرعية لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك .«

. تعقيب: لم يحدد الدستور ماهية ميثاق العيش المشترك وإن كان اللبنانيون متفقين على أنه «التمثيل العادل للطوائف في السلطات». وهنا يصح السؤال عن شرعية الحكومة، أي حكومة، يخرج منها ممثلو طائفة بكاملها وتستمر في ممارسة مهامها، كما حصل في حكومة الرئيس فؤاد السنيورة. ويصح السؤال في المقابل هل كلما خرجت طائفة من حكومة ما تفقد هذه الحكومة شرعيتها؟ وماذا لو استقال وزير الأقليات من هذه الحكومة؟ ومن هي الهيئة التي يفترض بها أن تحسم الجدل القائم في هذا المضمار ما دام ميثاق العيش المشترك موضع جدل في هذا المجال؟

- المادة 12: «لكل لبناني الحق في تولي الوظائف العامة لا ميزة لأحد على الآخر إلا من حيث الاستحقاق والجدارة، حسب الشروط التي ينص عليها القانون .«

. تعقيب: إن هذه المادة منتهكة باعتماد التوازن الطائفي في الوظائف العامة. وكثيراً، بل دائماً، يُطاح بميزان الاستحقاق والجدارة والكفاءة من أجل هذا التوازن، بما يعكس ميزة لمواطن على آخر .

- المادة 19: «ينشأ مجلس دستوري لمراقبة دستورية القوانين والبت في النزاعات والطعون الناشئة عن الانتخابات الرئاسية والنيابية .«...

. تعقيب: سبق أن تعطل المجلس الدستوري نحو سنتين. وفي غيابه أُجريت انتخابات نيابية، وقدّم بنتيجتها أحد عشر طعناً نيابياً، لم يجر البت بها . وصدرت عشرات القوانين التي لم تتوفر هيئة للمراجعة بها أمامها والبت بدستوريتها. وهذا الغياب يطرح اسئلة كبيرة من شأنها أن تهز بنيان الدولة بكامله. وهذه الاسئلة تطال شرعية مجلس النواب وتركيبة الأكثرية والأقلية فيه، وبالتالي شرعية الحكومة المنبثقة عن هذا المجلس، قبل استقالة الوزراء الستة. ومن هنا يفترض أن يلحظ المشترع بدائل للبت في الطعون والمراجعات في غياب الهيئة المنوطة بها هذه المهمة، حتى لا يظل عامل الشك قائماً في شرعية المؤسسات .

- المادة 34: «لا يكون اجتماع المجلس(النيابي) قانونياً ما لم تحضره الأكثرية من الأعضاء الذين يؤلفونه وتتخذ القرارات بغالبية الأصوات. وإذا تعادلت الأصوات سقط المشروع المطروح للمناقشة .«

. تعقيب: إن تعبير «الأعضاء الذين يؤلفونه» يحتمل التأويل، بين أن يكونوا عدد أعضاء المجلس او الأحياء منهم، وذلك لاعتماد النصاب القانوني. وقد توقف المجتهدون عند هذه النقطة يوم انتخاب الرئيس بشير الجميل والرئيس رينه معوض عامي 1982 و1989, وحسم الجدل باعتماد عدد الأحياء. وعليه يفترض توضيح هذه النقطة حسماً لأي جدل .

- المادة 41: «إذا خلا مقعد في المجلس يجب الشروع في انتخاب الخلف في خلال شهرين .«...

. تعقيب: ماذا لو امتنع رئيس الجمهورية عن إصدار مرسوم بدعوة الهيئات الناخبة لاختيار خلف للنائب الذي يخلو مقعده لأي سبب، كما حصل عند اغتيال النائب بيار الجميل(وكما هو حاصل الآن بعد استقالة ثمانية نواب)؟ ألا يفترض إيجاد بدائل دستورية لهذه الواقعة التي عطلت اختيار البديل حتى الآن؟ ولماذا لا ينوب مجلس الوزراء في هذا الأمر كما هو متبع في القوانين والقرارات والمراسيم؟

- المادة 52: «يتولى رئيس الجمهورية المفاوضة في عقد المعاهدات الدولية وإبرامها بالاتفاق مع رئيس الحكومة. ولا تصبح مبرمة إلا بعد موافقة مجلس الوزراء .«...

. تعقيب: لقد سبب الاجتهاد في هذه المادة كما هو معروف أزمة سياسية ما يزال لبنان يحصد نتائجها ، وذلك في موضوع المحكمة ذات الطابع الدولي لمحاكمة المتهمين باغتيال الرئيس الراحل رفيق الحريري ورفاقه كمعاهدة دولية. فالرئيس اميل لحود يصرّ على أنه لم يتول المفاوضة في هذه المعاهدة، وهو لم يبرمها حتى الآن، فيما تجاوزت حكومة الرئيس السنيورة هذا الاعتراض الرئاسي واعتبرت المعاهدة نافذة، بناء على اللبس القائم في هذه المادة. ومن هنا ينبغي توضيح صلاحية الرئيس في مثل هذه المعاهدات لتفادي الوقوع في المحظور مرة أخرى .

- المادة 53 (المتعلقة بصلاحيات رئيس الجمهورية) الفقرة 6: «يحيل مشاريع القوانين التي ترفع إليه من مجلس الوزراء إلى مجلس النواب .«

. تعقيب: وهذه الفقرة تطرح إشكالية تفترض التوضيح: ماذا لو امتنع رئيس الجمهورية عن إحالة مشاريع القوانين إلى المجلس النيابي؟ وهل يحق لرئيس مجلس النواب استقبال مشاريع قوانين غير محالة من رئيس الجمهورية؟.. لقد حصل ذلك وأغلق الرئيس نبيه بري أبواب المجلس أمام هذه المشاريع استناداً الى هذه المادة، وقامت قيامة الأكثرية النيابية ولم تقعد بعد .

- المادة 54: «مقررات رئيس الجمهورية يجب أن يشترك معه في التوقيع عليها رئيس الحكومة والوزير أو الوزراء المختصون ما خلا مرسوم تسمية رئيس الحكومة ومرسوم قبول استقالة الحكومة أو اعتبارها مستقيلة .«

. تعقيب: تفترض هذه المادة السؤال: ماذا لو امتنع رئيس الحكومة أو الوزير عن توقيع مقررات رئيس الجمهورية من دون تحديد مهلة لذلك، فيما الرئيس نفسه مرتبط بمهل معينة في هذه القرارات؟ ألا يستدعي ذلك إعادة النظر وربط رئيس الحكومة والوزراء بمهل معينة كي لا تتعطل أمور الدولة وشؤون الناس؟ وما هو البديل في هذه الحالة؟ صحيح أن الحكمة من وراء ذلك هي إشراك كل الطوائف في تسيير السلطة، ولكن ألم تظهر السنوات الماضية منذ اتفاقية الطائف مدى الضرر الذي تلحقه هذه المادة بالدولة والناس؟

- المادة 58: «كل مشروع قانون تقرر الحكومة كونه مستعجلاً بموافقة مجلس الوزراء مشيرة إلى ذلك في مرسوم الإحالة يمكن لرئيس الجمهورية بعد مضي أربعين يوماً من طرحه على المجلس، وبعد إدراجه في جدول أعمال جلسة عامة وتلاوته فيها ومضي هذه المهلة دون أن يبت فيه، أن يصدر مرسوماً قاضياً بتنفيذه بعد موافقة مجلس الوزراء .«

. تعقيب : صحيح أنه في هذه المادة المهمة جداً يكمن سر المشاركة لإحدى الطوائف الكبرى، وذلك بإعطاء رئيس مجلس النواب نوعاً من التأثير في قرارات السلطة التنفيذية، ولكن إذا ساءت نيات رئيس المجلس فمن شأن ذلك أن يعطل إقرار القوانين في المجلس الى أمد منظور، وقد يكون غير منظور، ما يستدعي إعادة النظر، ليس في هذه المادة فحسب، بل في الكثير من المواد الدستورية المتعلقة بالمشاركة، قبل الولوج إلى النظام الوطني البديل للنظام الطائفي الذي يبقى علة العلل .

- المادة 64: «... لا تمارس الحكومة صلاحياتها قبل نيلها الثقة ولا بعد استقالتها أو اعتبارها مستقيلة إلا بالمعنى الضيق لتصريف الأعمال .«...

. تعقيب: إن «المعنى الضيق لتصريف الأعمال» يحتاج الى تدقيق وتوضيح وحصر قبل الوقوع في المحظور. فماذا لو حصلت تطورات كبرى خلال تصريف الأعمال كالحرب والسلم والحاجة لاتخاذ قرارات كبرى ضرورية قبل نيل الثقة او بعد استقالة الحكومة؟.. إن العرف السائد للمعنى الضيق لا يمكن حصره إذا طال أمد الحكومة المستقيلة لعلة ما، وقد حصل ذلك في السابق. ومن هنا ينبغي تحديد هذه المسألة بدقة .

- المادة 72: «يكف رئيس مجلس الوزراء أو الوزير عن العمل فور صدور قرار الاتهام بحقه. وإذا استقال لا تكون استقالته سبباً لعدم إقامة الدعوى عليه أو لوقف المعاملات القضائية .

. تعقيب : لم يحدّد الدستور مَن ينوب عن رئيس مجلس الوزراء في حال كف يده عن العمل فور صدور قرار اتهامه. فهل تستمر الحكومة في ممارسة أعمالها بغياب رئيسها؟ ومن يتولى إدارة هذه الحكومة وفق ما تنص عليه صلاحيات رئيسها؟ وماذا لو صدرت براءة رئيس الحكومة، هل يعود إلى ممارسة عمله؟

- المادة 95: «على مجلس النواب المنتخب على أساس المناصفة بين المسلمين والمسيحيين اتخاذ الإجراءات الملائمة لتحقيق إلغاء الطائفية السياسية وفق خطة مرحلية وتشكيل هيئة وطنية برئاسة رئيس الجمهورية، تضم بالإضافة إلى رئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الوزراء شخصيات سياسية وفكرية واجتماعية .«

. تعقيب: لعل هذه المادة هي الأكثر أهمية وإلحاحية استوحيت من وثيقة الطائف، باعتبار أنها تحول الطائف من تسوية إلى حل دائم من خلال إنتاج وطن والخروج من النظام الطائفي. إلا أنه بعد ثمانية عشر عاماً على الطائف ما تزال هذه المادة حبراً على ورق، ولم يحاول اللبنانيون حتى تشكيل الهيئة الوطنية لدراسة واقتراح الطرق الكفيلة بإلغاء الطائفية التي هي علة لبنان الدائمة. ويمكن اعتبار ذلك تعدياً فاضحاً على الدستور وتخلياً عن أبرز بنود وثيقة الطائف، وضرباً للقيمة الوطنية لهذه الوثيقة .

وبرز الإخلال الفاضح في هذا الامر من خلال ما تنص عليه الفقرة ب من هذه المادة التي تقول: في المرحلة الانتقالية «تلغى قاعدة التمثيل الطائفي ويعتمد الاختصاص والكفاءة في الوظائف العامة والقضاء والمؤسسات العسكرية والأمنية والمؤسسات العامة والمختلطة وفقاً لمقتضيات الوفاق الوطني باستثناء وظائف الفئة الأولى فيها، وفي ما يعادل الفئة الأولى فيها وتكون هذه الوظائف مناصفة بين المسيحيين والمسلمين دون تخصيص أية وظيفة لأية طائفة مع التقيد بمبدأي الاختصاص والكفاءة .«

وتبعاً لتجاهل المادة 95 يجري تجاهل هذه القاعدة في الوظائف العامة بحيث ما زال التوزيع الطائفي يراعى عملياً في مختلف الوظائف .

في الخلاصة،ما هو الحل؟

لسنا طوباويين الى درجة القول ان التصحيح والاصلاح والتغيير يمكن ان يتم بعملية جراحية بين ليلة وضحاها.

العمليات الجراحية في الدول تتطلب عادة أحد مسلكين :إما بانقلاب عسكري يطيح بكل ما هو قائم ،أو بحاكم مطلق ديكتاتوري يغير الأنظمة والقوانين ويعدل الدساتير.في لبنان هذان الأمران مستحيلان بسبب النظام الطائفي .

جرت في السابق محاولتان عسكريتان وفشلتا فشلا ذريعا،الأولى في الستينات من قبل القوميين السوريين،والثانية في بدايات الحرب الأهلية من قبل اللواء عبد العزيز الأحدب.

وفكرة الحاكم المطلق أيضا فشلت بالممارسة قبل الطائف وبعده.

لذلك لا بد من إصلاح وتغيير متدرج،وليأخذ ربع قرن من الزمن،ولكن هناك خطوة في مسيرة الألف ميل لا بد من أن نبدأ بها.فالنظام السياسي الطائفي ما يزال قويا وقادرا على افشال أي خطوة تغييرية متسرعة ،وأكبر مثال على ذلك الحراك المدني الذي جرى خلال السنوات الماضية ولم يصل الى نتائج ،لأن النظام وأهله أقوى من أي حراك أو انتفاضة أو ثورة.

ومن هنا يأتي التركيز على قانون الانتخاب الذي لا بديل عنه لإحداث نقلة متدرجة في الحياة السياسية اللبنانية،تبدأ باعتماد النسبية ،أيا كان حجمها في البداية ،وصولا الى النسبية الكاملة على أساس أن يكون لبنان دائرة واحدة وخارج القيد الطائفي.

لماذا النسبية ،كشرط للتغيير والانتقال الى نظام وطني يعتمد المواطنة؟

لأن النسبية تنتج نظام مصالح مشتركا بين اللبنانيين ،سواء كانوا مسؤولين أم مواطنين عاديين.

مجلس النواب هو أم السلطات وأبوها في لبنان.ونحن اليوم ننتخب نوابنا على أساس مصالح ضيقة جدا بحجم الأقضية ،أو الدوائر المركبة.ونوابنا يتعاملون معنا على هذا الأساس.ولكن عندما تصبح مصلحة ابن صور وعكار وكسروان والهرمل وبيروت وجونيه وطرابلس وراشيا وشبعا ،مصلحة واحدة ومشتركة ،عندها يصبح الاختيار وطنيا وليس طائفيا ،وبالتالي يصبح النائب والوزير فعلا نائبا عن الوطن كله وليس عن دائرته بحيث يتركز اهتمامه فيها،ويتحول الى مشترع حقيقي للبلد كله.بهذا فقط يمكن أن يحصل التغيير والإصلاح ،وبهذا يمكن أن نبني وطنا حقيقيا لابنائنا وأحفادنا.

لا تكفي محاسبة الفاسدين واستعادة الأموال المنهوبة في بناء وطن ودولة.إن بناء الدولة من خلال نظام سياسي سليم هو الأولوية ،وفي ظل دولة عادلة من خلال نظام سليم لا مكان للفساد والفاسدين.

أخيرا قد يبدو هذا الكلام طوباويا في ظل طغمة سياسية ترى في النظام الطائفي ممرا ومعبرا لركوب صهوة الناس وتبرير ممارساتها ،ولكن لكل شيء نهاية ،ولسوف يأتي يوم يجد فيه لبنان نفسه أمام الحائط المسدود.ولعل هذا اليوم قد اقترب جدا.فثمة من يرى أن الإنهيار الشامل والكامل هو الحل.ولست أدري إذا كانت هذه النظرية تستند الى مكامن العاقل ،أم هي نتيجة لحافة اليأس.

الاستاذة جوانا مزهر

التّعلّم النّشِط

ظهر تغيُّر ملحوظ في العملية التعليمية في الربع الأخير من القرن العشرين، فبعد أن كان علماء النفس والاجتماع يُركّزون على تحقيق استجابات قابلة للقياس من قِبل التّلميذ، وتنظيم بيئة تعليمية تُشكّل استجابات محددةً لديه، أصبحوا في بداية السبعينات يُركّزون على العمليات العقلية الداخلية التي تُعبّر عن قدرة التلميذ على فهم المعلومات، واسترجاعها، واستخدامها في مواقف مشابهة، تقوم على تهيئة بيئة تعليمية توفّر مشكلات تتطلّب من التّلميذ التفكير فيها والاستفادة من خبراته في حلّها...

ومن هنا كان مفهوم التعلم النشط الّذي يعود إلى عام 490 ق.م؛ حيث ابتكر سقراط طريقةً جديدةً في تعليم تلاميذه، فكان يعرض المسألة عليهم ويطلب منهم البحث عن حلول لها، ممّا يؤدّي إلى التعمّق في فهم المسألة وطرح سلسلة من الأسئلة دون البحث عن أجوبة فردية فقط...

وبعد ذلك دعا المُفكّر والفيلسوف الصيني لاوتسي إلى التعلُّم بطريقة التجربة والاختبار.. **وبين أواخر القرن التّاسع عشر ومنتصف القرن العشرين**, شدّد الفيلسوف التربوي الفرنسي جان جاك روسو على ضرورة استخدام الحواس في التعلّم وتنشيط العقل والاستنتاج. كما ركّز عالم النفس والفيلسوف الأمريكي جون ديوي وهو من **أشهر أعلام التربية الحديثة**, على أهمية الخبرة الحياتية، وعلاقتها في تطوير عملية التعلّم، حيث أكّد أنّ المعرفة تأتي من الخبرة والتجربة، بالإضافة إلى أنّه أوّل مَن أطلق فكرة المشروع التي تسعى إلى تنمية شخصية المتعلّم؛ كثقته بنفسه، وقدرته على حلّ المشكلات، وانخراطه في العمل الجماعي، بالإضافة إلى تنمية مهاراته اللغوية والذهنية. وقد انتشر مصطلح التّعلّم النّشط في **ثمانينات القرن العشرين** إلّا أنّه أصبح شائعًا في التسعينات بسبب تقرير كلٍّ من **بونويل وإيسون عام 1991** إلى جمعيّة دراسات التعليم العالي الأميركيّة, والذي عرض أساليب مختلفة لتشجيع تطبيق التعلّم النّشط.

إستنادًا لما سبق, يمكننا تعريف التعلّم النشط على أنّه فلسفة تربوية تهدف إلى تفعيل دور التّلميذ في العملية التعليمية بشكل إيجابي، واعتماد التعلم الذاتي في الحصول على المعلومة،

واكتساب المهارات التعليمية من خلال البحث والتجريب، إذ لا يُركّز التعلم النشط على التعليم التلقيني؛ إنّما يكون تركيزه على تنمية التفكير والقدرة على حل المشكلات، وتعزيز روح التعاون.

إنّ التعليم النّشط يحتاج إلى معلّم يتمتّع بكفايات أكاديميّة وتربويّة عالية, يقوم بتطبيقها في المواقف الصفيّة واللاصفّيّة المختلفة...

أثناء تفاعل المعلّم مع الطّلبة, لا بدّ له من مبادئ أساسيّة حتّى يكون تعليمه نشِطًا, ومنها: مراعاة الخصائص النمائيّة للمتعلّمين, وتتعلّق هذه الخصائص بمظاهر النمو المختلفة لديهم كالنمو الجسمي, النمو العقلي ,النمو الإنفعالي والنمو النفس حركي... مثال ذلك خصائص التلميذ في المرحلة الأولى هي الحركة, إذ يصعب جلوسه على الكرسي لفترة تزيد عن خمس إلى سبع دقائق. لذا على المعلّم أن يسمح له بالحركة وفق أشكال مختلفة. أمّا المتعلّم في المرحلتين المتوسّطة والثانويّة فيتميّز بخاصيّة الحوار وإبداء الرأي الخاص به, هنا على المعلّم أن يتيح الجو المناسب لهذه السّمة.

كما ينبغي على المعلم أن يعي بأنماط المتعلّمين وذكاءاتهم التعلّميّة, ففي الصف الواحد النمط السمعي من المتعلّمين الذي يكتسبون الأهداف التعلّميّة عن طريق السمع, وهناك النمط البصري الذين ينجذبون للمرئيّات بواسطة حاسة البصر, إضافة إلى مَن يفضّل التعلّم عن طريق الإنغماس بالخبرة... من هنا, على المعلّم أن يُنوِّع في اختيار استراتيجيّات التّدريس.

ما تجدر الإشارة إليه هو أهميّة التخطيط الفعّال للحصّة التعليميّة, الذي يحدّد دور كلّ من المعلم والمتعلّم, وتوقيت المرحلة التعلّميّة وكيفيّة استخدام وسائل الإيضاح, والحرص على التسلسل في الأنشطة من مرحلة اكتشاف الهدف التعلّمي والتدرّب عليه والتطبيق حوله من ثم تقييمه, وذلك من خلال العمل التعاوني والثنائي والفردي... فكلّها تساهم في اكتساب المفاهيم التّعلّميّة.

لا شك في أنّ لمهارة طرح الأسئلة وتنويعها من قبل المعلّم دورًا في نجاح الطرق النشِطة, فيجب أن تتناول المستويات المختلفة من عمليات التفكير, كالأسئلة السّابرة بأنواعها المختلفة, وأسئلة التفكير المتمايز.

كما يمكن للمعلّم أن يوظّف التغذية الراجعة حول استخدامه لاستراتيجية تدريس, وذلك من خلال الحصول على معلومات عن أدائه ذاتيًّا, فيقوم بتصحيح الأداء أو المحافظة على نقاط القوة فيه.. ومثال على ذلك, إن وجد المعلم تلاميذه يتثاءبون أو ينظرون إلى ساعاتهم أويتهامسون أو يزعجون بعضهم بعضًا, فهي بمثابة معلومات يرسلها التلاميذ إلى المعلّم بطريقة غير مباشرة, عن أنّ أداءه ممل وغير نشِط.. وبالتالي عليه أن يوظّف هذه المعلومات في تعديل إجراءاته التدريسية بأخرى أكثر فاعلية.. أمّا إذا رأى المعلّم تلاميذه يتسابقون في متابعة إجراءات التدريس وينفّذون الأنشطة التعلمية بجدّ ونشاط, عندها يتزوّد منهم بتغذية راجعة عن حُسن أدائه, وضرورة متابعة مثل هذه الإجراءات...

إنّ لإثارة الدافعية لدى المتعلمين نحو التعلّم, دورًا هامًّا في تحريك السلوك التعلّمي وتوجيهه نحو موضوع التعلّم من أجل تحقيق الهدف المحدّد له, وبذلك يتحقّق إشباع الحاجة المرتبطة به... ومن طرق إثارة الدافعيّة: إعلان المعلم للأهداف التي يسعى إلى تحقيقها وجعلها أهدافًا مشتركة بينه وبين التلاميذ, إضافة إلى توظيف مهارة الصوت, ومهارة لغة الجسد, ومهارة طرح الأسئلة, وإبراز التقدّم الذي أحرزه التلاميذ في التعلّم.

ختامًا, نقول بأنّ المعلّم أصبح منظّمًا لعمليّة التعلّم وميسّرًا لها, أي أنّ المحور الأساسي فيها هو المتعلّم ومقياس نجاحه فيها بمدى توفير المعلّم لمستلزمات وشروط التعلّم الفعّال.

التعليم
عن بعد
E=mC²

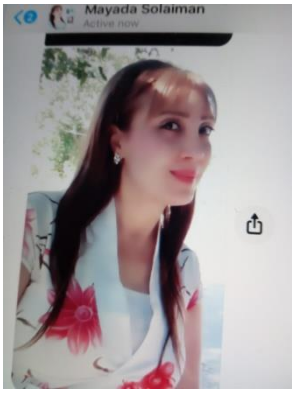

الأستاذة ميادة مهنا سليمان(الجمهورية العربية السورية)

عيدُ الميلادِ.. طقوسُهُ، رموزُهُ، وأغرب إحتفالاتِه

يحتفل العالم بعيد الميلاد المجيد، الذي يعد ثاني أهم الأعياد المسيحية بعد عيد القيامة، وتحتفل به الطوائف المسيحية بدءاًمن ليلة 24 كانون الأول (ديسمبر) وحتى 7 كانون الثاني (يناير)، حيث تزدان البيوت والمحلات بمظاهر العيد ورموزه

التي تعبّر عن الفرح والرغبة في أن يعمّ السلام، والحب سائر أرجاء المعمورة، فتُزيَّنُ البيوت بأكاليل من الأغصان دائمة الخضرة والتي تعلّق على النوافذ والأبواب.

أما في الساحات العامة، فتنتشر لافتات خاصة وسلاسل ضوئية، كما توضع شجرة الميلاد في أماكن بارزة، إلاّ أنه يقال بأن أول محل تجاري متخصص بزينة الميلاد افتتح في ألمانيا في عام 1860، ثم تزايدت المحلات، وتعددت، وتفننت في زينة الميلاد.

قصة ميلاد السّيد المسيح:

ورد في إنجيل لوقا: "إني أُبَشِّرُكُم بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَعُمُ الشَّعبَ كُلَّهُ: فَقَد وُلِدَ لَكُمُ اليَومَ فِي مَدينَة دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ".

تضمن إنجيلا متى ولوقا تفاصيل الميلاد، حيث جاء في إنجيل لوقا الذي تطرّق للميلاد، بالتفصيل، أن الملاك جبريل ظهر لمريم العذراء في مدينة النّاصرة مرسَلاً من قبل الله، وأخبرها أنها ستحمل بقوة الروح القدس بطفل "يكون عظيماً" ولن "يكون لمُلكه نهاية"، وعندما اضطرب يوسف النجّار – خطيب مريم – من روايتها ظهر له الملاك أيضاً في الحلم تصديقاً لرواية مريم وتشجيعاً له، ويتّفق إنجيلا متى ولوقا أن ميلاد المسيح كان في مدينة بيت لحم بفلسطين.

قدّاس عيد الميلاد.. صلوات خاصّة تمتد لساعات:

يبدأ الإحتفال بعيد الميلاد في ليلة الرابع والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر)، فيرتدي الناس ثيابهم الجديدة ليحضروا قُدّاساً بمناسبة عيد الميلاد، القدّاس عبارة عن صلوات خاصة بالميلاد قد تمتد لعدة ساعات، حيث يستذكر المسيحيون السّيد المسيح الذي يؤمنون بأنه تخلى عن حياته كي يحيوا هم، وبعد القداس يشعل الأطفال والناس جميعاً المفرقعات إحتفالاً بعيد الميلاد، ثم يذهبون للنوم، وفي صباح اليوم التالي، تجري التحضيرات لعشاء الميلاد، ويتم تقبل التهاني بالعيد، وتبادل الهدايا مع الأهل والأصدقاء.

ترانيم الميلاد في الدول الغربية:

يتميز الميلاد بموسيقاه التي تقسم إلى قسمين:

1- الموسيقى الدينية أو الكنسية: وضعها رجال الدين، حيث يعدّ أفرام السرياني من أوائل من وضع قصائد ملحنة للميلاد في القرن الرابع الميلادي حتى لقّب "شاعر الميلاد". ولا تزال الترانيم التي ألّفها في هذا الصدد متداولة حتى اليوم في الكنائس السّريانية، أما في أوروبا فيعدّ القديس أمبروسيوس (أسقف ميلانو) أول من وضع ترانيم خاصة بعيد الميلاد باللغة اللاتينية، مثل قصيدة Veni redemptor (نور الأمم). كما كتب الشاعر الإسباني برودنتيوس المتوفّى عام 413 للميلاد قصيدة باللغة اللاتينية أيضاً ما تزال مستعملة حتى الآن بعنوان Corde natus ex Parentis (من محبّة الأب أُنجب).

2- الموسيقى الشعبية غير الكنسيّة: ظهرت في القرن الثاني عشر، وضع الرّاهب آدم من رهبنة القديس فيكتور في باريس أول أغانٍ شعبية غير كنسية عن الميلاد، أما أقدم ترانيم وأغاني الميلاد التي ظهرت بالإنكليزية فتعود لعام 1426 على يد جون أودلاي، وهو قسّيس في شروبشاير كتب "ترانيم ميلادية" (بالإنكليزية القديمة: Caroles Cristemas، وهو عبارة عن كتاب يضم أغنية شعبية كانت تغنّى من قبل زائري المنازل خلال تبادل الهدايا عشيّة الميلاد.

ترانيم عيد الميلاد في الدول العربية:

وضعت ترانيم الميلاد باللغة العربية في القرن الثامن عشر، ومن أشهر من وضع هذه الترانيم المطران عبدالله القرالي المتوفّى في عام 1724، كما عُرّبت أناشيد أخرى مشتقة من أناشيد سريانية، مثل: "أرسل الله" و"سبحان الكلمة" وهما لا تزالان معروفتين بين المسيحيين العرب حتى اليوم. وفي عام 1992 قامت الفنانة اللبنانية فيروز بإصدار ألبوم يحوي أربع عشرة أغنية وترنيمة ميلادية، أغلبها كلمات

عربية لألحان عالمية، وهناك أيضاً ترانيم ميلادية خاصة بالعرب أمثال "ليلة الميلاد" التي وضعها الأب اللبناني منصور لبكي و"بضيعة زغيرة منسيّة" و"ضوّي بليالي سعيدة".

جدل حول عيد الميلاد:

يعدّ عيد الميلاد موضع جدل، حيث يرى المتشدّدون – كالمركز الأمريكي للقانون والعدالة – أن موعد ميلاد السيد المسيح غير محدد بدقة في كتاب الإنجيل المقدّس، وأن الإحتفال بالعيد في نفس يوم الإحتفال بالشمس عند الرومان غير مقبول بإعتبار الإحتفال بالشمس عادة وثنيّة، نتيجة ذلك حُظر الإحتفال بعيد الميلاد في بريطانيا في الفترة بين عامَي 1649 – 1660، كما حظر الإحتفال بعيد الميلاد في الإتحاد السوفياتي سابقاً كذلك في بعض الدول الإسلامية.

البلدان التي لا تعتبر عيد الميلاد عطلة رسمية تعتبر معظم دول العالم يوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) من كل عام عطلة رسمية بمناسبة عيد المسيح، بإستثناء الدول التالية: ليبيا، الجزائر، الكويت، السعودية، البحرين، المغرب، عمان، قطر، تونس، اليمن، الإمارات، موريتانيا، الصومال، أفغانستان، أذربيجان، كمبوديا، الصين (باستثناء هونغ كونغ وماكاو)، جزر القمر، إيران، (الكيان الإسرائيلي)، اليابان، جزر المالديف، منغوليا، كوريا الشمالية، باكستان، طاجيكستان، تايلاند، تركيا، تركمانستان، أوزبكستان، فيتنام.

رموز عيد الميلاد:

1- المغارة: تعد المغارة أقدم من شجرة الميلاد تاريخياً، وترجع إلى القديس فرنسيس الأسيزي، الذي قام عام 1223 بتشييد مغارة حيّة، وإنتقل هذا التقليد من إيطاليا إلى أوروبا ومختلف أنحاء العالم.
2- شجرة الميلاد: للشجرة قيمة كبيرة في الكتاب المقدّس (شجرة المعرفة) في قصة الخلق والتي أصبحت (شجرة الحياة) مع المسيح. وأول ذكر لها في المسيحية يعود لعهد البابا القديس بونيفاس (634 – 709) الذي أرسل بعثة تبشيرية لألمانيا.
3- النجمة: توضع النجمة في البيوت على رأس شجرة عيد الميلاد، أو زينة على سطح البيوت كإشارة ورمز سماوي للوعد. ونجمة بيت لحم كانت علامة الوعد؛ لأنها قادت المجوس إلى مكان ولادة المسيح فقدّموا هناك الهدايا الثّمينة.
4- الطّوق أو الإكليل: يرمز إلى الطبيعة الخالدة للحب الذي لا ينتهي ولا يتوقف، وتُذكر، بحسب الأدبيات المسيحية، بحب الله اللامحدود، وبالسبب الحقيقي والصادق لميلاد المسيح.

5- الرّبطة: تربط الهدايا بربطة دليل على رابطة الأخوّة التي تجمع المؤمنين.

6- العكازة: تمثل عصا الرّاعي، والجزء المعقوف أو الملتوي من العصا كان يستخدم لجلب الخروف الضّال.

7- الجرس: صوت الجرس يعني الفرح والبهجة، فهو يبشّر بالعيد ويحمل في طيّاته حنيناً يبعث الإرتياح في النّفس. أما دوره فمهمّ في الحياة المسيحية، إذ إستعمل الجرس للعثور على الخروف الضّال، كما يرمز إلى الهدايا.

8- الشموع: تمثل نور الرب، وهي تقدير الإنسان للنجمة. أما الآن فتستخدم الأشرطة الضوئية لذكرى ميلاد المسيح.

9- ألوان زينة الميلاد: يطغى على زينة الميلاد ثلاثة ألوان، وهي:

- اللون الأخضر: يرمز "للحياة الأبدية"، ولا سيما مع إستخدامه للأشجار دائمة الخضرة التي لا تفقد أوراقها.
- اللون الأحمر: يرمز لدم السيد المسيح الذي أُريق في صلبه (وفقاً لمعتقدات الديانة المسيحية).
- اللون الذهبي: لون مرتبط بعيد الميلاد، يرمز إلى هدايا المجوس التي قدموها لمريم العذراء بعد ولادة السيد المسيح.

10- بابا نويل: يعتبر الكثيرون بابا نويل شخصية وهمية. لكن للشخصية أساس واقعي مستمد من شخصية القديس نيقولاس أسقف ميرا المتوفّى سنة 341 م، والذي لقّب بصانع العجائب لكثرة الخير الذي جرى على يديه، ومن وحي سيرته وإهتمامه بالأحداث، إتّخذ كشخص وهمي يوزع الهدايا في عيد الميلاد، وإسم "سانتا كلوز" جاء من إسمه بالإنكليزية سانت نيكولاس، وأول رسم لبابا نويل كان سنة 1862 م وهو عبارة عن شخص صغير يبدو قزماً يلبس ملابس حمراء وقبّعة صغيرة، وله ذقن طويلة بيضاء. وهناك من يقول: تعود فكرة بابا نويل إلى قصيدة كتبها الشاعر الأمريكي كلارك موريس بعنوان "ليلة ما قبل عيد الميلاد"، حيث يقوم الأطفال بكتابة رسائل إلى مريم العذراء ويَضعونها في جراب الميلاد أو بقرب الشجرة قبل العيد، ويستيقظون صباح العيد فيجدون هداياهم المختارة.

<u>اللحوم طبق رئيسي في عشاء الميلاد</u>:

يعد عشاء الميلاد جزءاً من طقوس عيد الميلاد، حيث لا يوجد نوع محدّد من الطعام موحد يقدم لمناسبة العيد في مختلف أنحاء العالم، لكن يغلب على العشاء مثل:

- الأسماك: وهي طبق رئيسي في عشاء الميلاد في بعض الدول مثل: بولندا، إيطاليا، دول أوروبا الشرقية.
- الكبّة، ورق العنب، الدجاج المحشي، المقبلات كالتبولة، الفتوش، في الدول العربية (سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن).

بطاقات المعايدة:

تعتبر بطاقات المعايدة جزءاً من الإحتفالات التقليدية للعيد، تتضمن البطاقات صوراً مثل: صور مريم العذراء، السيد المسيح، رجال الثلج إلى جانب الشجرة، نجمة بيت لحم، الحمامة البيضاء رمز للسلام على الأرض، وللروح القدس.

طوابع عيد الميلاد:

بمناسبة عيد الميلاد تصدر الحكومات في دول العالم طوابع خاصة بالمناسبة، تبقى هذه الطوابع صالحة مدة عام كامل، ومن ثم تتغيّر. تصدر هذه الطوابع بين شهر تشرين الأول (أكتوبر) وبداية شهر كانون الأول (ديسمبر) من كل عام وبكميات كبيرة. أقدم الطوابع الخاصة بعيد الميلاد أصدرتها الحكومة الكندية في عام 1898.

أغرب إحتفالات عيد الميلاد:

- المسيحيون في الهند يحتفلون بعيد الميلاد مع قداس منتصف الليل مثل بقية العالم. ولكن مع عدم وجود أشجار السّرو أو الصنوبر للتزيين يتم وضع الزينة على أشجار الموز، أو المانجو بدلاً منها.
- يخلق السكان المحليون في كاتالونيا دميةً من القماش، ويرسمون عليها وجهاً ثم يقضون أسبوعين في حشوها بالفاكهة والمكسرات والحلويات، وفي عشيّة عيد الميلاد، يتجمّع جميع أفراد الأسرة حول الدمية ويقومون بضربها بالعصي مع غناء أغنية تقليدية تترجم إلى: "إذا لم تفلح جيّداً، فسأضربك بالعصا" حتى تفرغ الدمية كل ما فيها من أشياء.
- تقوم الأسر في فنلندا عادة بزيارة قبور أجدادهم وأقاربهم عشيّة عيد الميلاد ووضع الشموع على القبر. وحتى أولئك الذين ليس لديهم قبور أقاربهم يقومون بزيارة المقابر المجاورة ووضع الشموع تكريماً لأفراد أسرهم الذين دفنوا في مكان آخر، وبالتالي ستجد عشية عيد الميلاد جميع المقابر مضاءة بالشموع في فنلندا.

- يعتقد النرويجيون أن عشية عيد الميلاد تتزامن مع وصول الأرواح الشريرة والسّاحرات إلى البلاد لذلك تخفي الأسر النرويجية جميع مكانسها قبل النوم بسبب الأساطير القديمة التي تقول بأن الساحرات يسرقن المكانس، ويحوّلنها لمكانس طائرة، ويتنقلن بها.
- من الأمور التي ترتبط بعيد الميلاد في اليابان أيضاً كعكة العيد، حيث يتم تحضير الكعكة مع القشدة والشوكولا والفراولة على رأس الشهر. وتؤكل هذه الكعكة عشية عيد الميلاد. وأيّ كعكة لم يتم بيعها قبل 25 الشهر لا يتم أكلها أبداً، وللسبب ذاته يتم تسمية الفتيات اليابانات ممّن تجاوزن سن الـ 25 ولم يتزوّجن بعد (بكعكة عيد الميلاد).
- في إيطاليا تظهر ساحرةً قديمةً تسمّى لا بيفانا، وهي التي تقدّم هدايا للأطفال، حيث تقول الأسطورة إن الرّجال الحكماء الثلاثة، دعوا الساحرة لمرافقتهم لرؤية الطفل يسوع. وقالت إنها كانت مشغولة بإعطاء الهدايا للأطفال، وهكذا ولدت الأسطورة.
- بدلاً من تزيين الأشجار بالحلي والأجراس تغطّى أشجار عيد الميلاد في أوكرانيا بخيوط عناكب إصطناعية، فهو فلكلور قديم في اوكرانيا، حيث يقال إنه كان هناك إمرأة فقيرة لا تستطيع تزيين شجرة عيد الميلاد الخاص بأسرتها، فقامت بتزيين الشجرة بشبكة تشبه شبكة العنكبوت، وعندما إستيقظ أطفالها وجدوا الشجرة مغطاة بالشبكة وعند وصول أول شعاع من ضوء الشمس للشبكة تحوّلت إلى ذهب وفضة، وأصبحوا من أغنى الناس وقتها. لذا يعتقد أن رؤية العنكبوت في صباح يوم عيد الميلاد يجلب الحظ.
- في ألمانيا وفي مساء يوم 5 ديسمبر، يترك الأطفال الألمان حذاءهم خارج باب غرفة نومهم، وفي الصباح، إذا كانوا الأطفال مطيعين، فسوف يستيقظون ليعثروا على أحذيتهم مليئةً بالسكاكر والحلويات، وإذا لم يكونوا كذلك، فسيجدون فرع شجرة صغيرة فيها.
- في كل عيد ميلاد في غرينلاند، يقوم السكان المحليون بإعداد العشاء بوجبة الكيافيك، التي تتم عن طريق لف طائر صغير في القطب الشمالي في جلد حوتٍ صغيرٍ أو فقمة بشكل محكم الإغلاق، ويقومون بدفنها لعدة أشهر ويأكلون جسد الطائر المتحلل.
- في الأسبوع الذي يسبق عيد الميلاد، يحضر الفنزويليون إلى جلسات يومية في الكنيسة، تسمى Misa de Aguinaldo أي "قداس الصباح الباكر.
- في النمسا يوجد لدى بابا نويل نظيرٌ شريرٌ يدعى كرامبوس، وهو مخلوق لديه مهمة واحدة فقط، وهي معاقبة الأطفال المشاغبين قبل عشية عيد الميلاد، حيث يقوم رجالٌ بإرتداء ملابس الشيطان،

ويجوبون الشوارع حاملين معهم سلاسلاً وسلّةً لإختطاف الأطفال المشاغبين، ونقلهم إلى الجحيم، في عرضٍ مرحٍ للكبار.

- في الصين، يلف الناس التفاح بأوراق ملوّنة ويوزّعونها على الأطفال الجيّدين، والفحم والثوم على غير المطيعين.
- في التّشيك ترمي العزباوات أحذيتهنّ بإتجاه الباب، فإن بقيت بإتجاه مستقيم فلن يكون هناك زفاف في العام المقبل، وإن كان معكوساً، فعليهنّ المباشرة في التحضير للزفاف.
- في غواتيمالا، تعتبر النظافة شيئاً أساسياً كالتقوى والإيمان، حيث يعتقد السكان المحليون أن زوايا المنزل المظلمة والقذرة، لذلك يقضون أسبوع ما قبل عيد الميلاد في التنظيف، حيث يجمعون القمامة ثم يكدّسون كل ما يودّون رميه مع القمامة، في كومة كبيرة خارج المنزل، و يقومون بوضع دمية تشبه الشيطان في أعلى الكومة وتشعل النار فيها. يطلق على هذه العادة إسم " La Quema del Diablo" أي ما يعني "حرق الشيطان".
- في إسبانيا، من المعتاد إرتداء ملابس داخلية حمراء جديدة عشيّة رأس السنة الجديدة، حيث إتّخذت بلدة (لا فونت دو لا فيغيرا) الصغيرة خطوة تقليدية أخرى، ففي عشية رأس السنة الجديدة يخرج العديد من العدّائين إلى الشوارع، وهم يرتدون ملابس داخلية حمراء فقط.
- في اليابان لا يتناولون الديك الرومي كما هو معتاد في الدول الغربية على عشاء ليلة عيد الميلاد. فبالنسبة لكثير من اليابانيين، عشاء عيد الميلاد التقليدي هو كنتاكي.
- في بريطانيا أيضاً كل فرد من أفراد الأسرة، ولا سيما الأطفال، يقومون بتحريك عقارب الساعة عندما يطلبون أمنيتهم في ليلة عيد الميلاد، و من التقاليد المميّزة في بريطانيا لعيد الميلاد أنه يتم وضع عملة معدنية ضمن الحلوى أثناء تصنيعها، والشخص الذي يجدها في حصّته سيحصل على الثروة، أو يتم وضع خاتم لجلب الحظ السعيد للزواج.

ختاماً:

إن عيد ميلاد السيد المسيح من أهم الأعياد في العالم، تحتفل به معظم دول العالم من المسيحيين وغير المسيحيين، حيث يتميّز بطقوس خاصة به، تجعل الناس يتشوقون إليه، وينتظرونه من عام لعام، بل ويعدّون له ميزانيّة للإنفاق على طقوسه، فهذا العيد رسالة المحبة والسّلام، ولذلك يتصالح المتخاصمون ليحقق هذا العيد رسالته السامية، فهو عيد الأخوّة والتسامح، وهي الرسالة نفسها التي حملها

المسيح عند قدومه إلى هذه الأرض، إضافةً إلى ذلك يزور بعض المسيحيين دُور المسنين والأيتام ويقدمون لهم الهدايا بمناسبة عيد الميلاد، وبذلك تعمّ البهجة والسرور.

رئيس رابطة المتقاعدين المدنيين في النبطية: الأستاذ علي توبة

معالم الصراع بين أنصار الفصحى وخصومها

مقدمة

مذ كنت طالباً في دار المعلمين والمعلمات – بيروت عام 1958، شاءت الأيام أن يكون الأديب الشاعر سعيد عقل أستاذ اللغة العربية في السنة المنهجية الثانية... والحديث عن جميله يُلزمني أن أعترف بعبقرية الرجل، وأن أقرّ بنجاح أسلوبه في التعليم، فهو الى كونه شاعراً محلّقاً كان واسع الإطلاع والإلمام بمختلف المعارف والثقافات...

قلت أنني قد أُجلّ جهد أستاذي، وقد أُقدّر له براعته في التدريس ، كيف لا، وهو المتمكّن من عدة لغات قديمة وحديثة، لذا استطاع الأستاذ سعيد عقل أن يأخذ بمفاتن عقول تلامذته في كل ما كان يبسِّطه من شروحات ومقولات، عدا مسألة واحدة كنا نجد أنفسنا، ونحن ثلة من الطلاب المنحازين الى المد القومي العربي واللغة العربية الفصحى، لذلك دارت بين الأستاذ عقل وبيننا جولات من المناقشة الدائمة، والمواقف المضادة لطروحاته...

الكل يعلم أن الشاعر سعيد عقل كرّس جهوداً مضنية من خلال المحاضرات والندوات والمؤتمرات المتعددة، علّه يحظى باستمالة أقرانه من الكتّاب والأدباء، لكنه عاد خائباً فيما كان يسعى اليه من تشويه اللغة الفصحى، داعياً الى عدم صلاحيتها في الكتابة واستبدالها بأشكال جديدة من الحروف والتعابير العامية ...

منذ ذلك اليوم، كنت وما أزال أتساءل كيف يمكن أن يكون لي دور متواضع في التصدي لأولئك المغرّر بهم من أتباع هذه الدعوة الخبيثة وما أكثرهم في زماننا الحاضر...

ألم يعلم هؤلاء الحاقدون، الذين أخذوا ببريق هذه المحاولة الفاشلة، أن اللغة الفصحى هي التي حفظت لنا هذا التراث الهائل من العلوم و الآداب؟أليست الفصحى هي التي صمدت في وجه حملات الشعوبية والتتريك والتغريب؟

إن اللغة التي أثبتت قدرتها على الحياة بما اختصت به من مرونة في ألفاظها، وسهولة في الاشتقاق، وبساطة في الإيجاز، هي اللغة التي سوف تبقى الوسيلة الوحيدة في التخاطب والتفاهم والكتابة...

لذلك كله، وددت قبل أن يدركني الأجل أن أعبّر عن رأيي وأن أحدد موقفي مستعرضاً، على طريقتي، معالم الصراع بين أنصار الفصحى وخصومها، الذي اشتد أُواره في مطالع القرن العشرين المنصرم وما يزال..

لقد قسمت بحثي الى ثلاثة فصول وخاتمة:

- **في الفصل الأول** : عمدت الى عرض موجز للدراسات المختلفة التي تناولت ماهية كل من اللغة واللهجة، وكيف تفرعت اللغة الواحدة الى لغات... ثم كيف أصبحت اللغة ظاهرة من ظواهر العلم الحديث، لها قوانينها وأنظمتها ... ثم أنشأت استعراضاً لآراء بعض الباحثين في مجال الصراع اللغوي... وبعدها بيّنت الأغراض التي رمى اليها الخصوم من خلال أبحاثهم.
- **في الفصل الثاني:** لقد تناولت مظاعر الدعوة الى اعتماد"العامية"، وكشفت عن هوية الداعين اليها، واستعرضت أشكال هذه الدعوة من إحلال للعامية محل الفصحى، الى مشروع الكتابة بالحروف اللاتينية، الى اختراع حروف عربية جديدة ، الى ترك كل صلة بالأدب العربي القديم، الى صيحات داعية الى تبسيط القواعد وتسهيل الكتابة، ثم انتهيت الى تبيان الأفكار السلبية التي خلّفتها هذه الدعوة في العلم و الأدب.
- **الفصل الثالث** : تفرغت الى تنظيم الردود المنطقية المدافعة عن الفصحى، والمبطلة لإدعاءات أؤلئك الذين ألحقوا سوءاً بمصير الأمة ولغتها، ثم بيّنت المواقف المتناقضة التي لجأ اليها البعض تحت شعار" تطوير اللغة "!...
- **أما في الخاتمة** فقد أوجزت أهم المواضيع والنقاط الرئيسية التي دار حولها البحث...

الفصل الأول

1- المفهوم العلمي للغة : لم تَعُدْ كل من اللغة واللهجة مجرد اصطلاح، أو تفسير معجمي كأن يقال: اللغة هي الكلام المصطلح عليه بين كل قوم (المنجد في اللغة والآداب و العلوم ، ط خامسة ص 775). واللهجة هي اللسان أو طرفه(المنجد ص 776)، وإنما أضحت كلتاهما ظاهرة جديدة

أخضعها الدارسون في علم اللغة لقوانين خاصة، حتى غدت اللغة أو اللهجة من الأمور التي ينبغي إعادة النظر في مفهوم كل منهما. فهي أي اللغة الى جانب كونها أساس الفكر وطريق الانسان لإدراك الكون (أنيس فريحة، اللهجات و اسلوب دراستها، المقدمة ص 1)، مؤسسة أخرى لها ميّزاتها وخصائصها، عكف الدارسون على البحث في هذه الخصائص، فافترضوا لها نواميس وقوانين.

2- **تشعب الدراسات العلمية** : لقد تشعبت الدراسات وتعددت النظريات في تحليل الظواهر اللغوية ، ولعل الجامعات الأوروبية هي التي شهدت مثل هذا النشاط العلمي قبل غيرها، في بحث هذه الظواهر خلال القرنين التاسع عشر و العشرين(ابراهيم أنيس، اللهجات العربية، المقدمة ص 2و4). وتشير الدكتورة سهير القلماوي (مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، مجلد11 ص 173) الى اتساع نطاق هذه الدراسات، بحيث لم تعد دراسة اللغة في عصرنا الحديث وقفاً على طبقة خاصة من العلماء الذين يتدارسون نصوصها ويشتغلون بتعليمها والتأليف فيها، وإنما أصبح مجال دراستها أعم وأشمل: عُنيَ بها علماء الفلسفة وعلم النفس والاجتماع... بل إنها قد تعدتهم الى علماء الاقتصاد والسياسة ... ليس هذا حدثاً جديداً في عالم الدراسة ، فقديماً كان الفلاسفة كعلماء الكلام وعلماء الاجتماع العرب كإبن خلدون يكتبون ويؤلفون حول موضوعات اللغة.

3- **تعريف مستحدث للغة** : وقد أدى تشعب الدراسات في تحليل الظواهر اللغويّة الى استحداث تعريف آخر للغة بحيث أضحت أكثر من مجموعة أصوات، وأكثر من أن تكون أداة للفكر أو تعبيراً عن عاطفة، وإنما هي جزء من كياننا البسيكولوجي الروحي، وهي عملية فيزيائية اجتماعية بسيكولوجية على غاية من التعقيد(أنيس فريحة ، اللهجات واسلوب دراستها ، محاضرات 1955ص 9).

4- **العلاقة بين اللهجة و اللغة** : اما اللهجة فقد استأثرت بإهتمام نفر من الباحثين، فمالوا الى دراستها دراسة مستفيضة، بدوافع علمية صرفة، علماً بأن فريقاً منهم كان يبغي من وراء الدراسة الى النيل من اللغة العربية الفصحى، وذلك بإبدالها بلغة محلية، ولعل ذلك يسهل للمغرضين القضاء على أحد مقومات هذه الأمة.

لقد صرّح بعضهم بأن العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام و الخاص. فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميّزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات

اللغوية، و العادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات(اللهجات العربية ص 16).

أما الدكتور أنيس فريحة فقد لجأ الى عدم التفريق بين اللغة واللهجة، وغاب عن ذهته أنه لايجوز الخلط بينهما ، فاللهجة صفة من صفات اللغة. وفي هذا الشأن يترك الدكتور فريحة:"... الحقيقة التي لا مراء منها هي أنه لافارق جوهري بين لهجة ولغة، إنما الفارق هو أن لهجة ما، ولسبب خارجي، أو لظروف خاصة،تعتبر لهجة قومية رسمية ، بينما لهجة أخرى ربما أفضل منها لايعترف بها...(اللهجات واسلوب دراستها ص41). كأني بالدكتور فريحة يمهّد عبر هذا الرأي لتحقيق الغاية المنشودة في إحلال العامية التي هي في نظره لهجة، مكان الفصحى، ثم يمثل على ذلك : بأنه لو أن التوراة الألمانية ترجمت الى لهجة برلين الفصحى لا لهجة هانوفر، إذاَ، القضية قضية سلطة عليا وقضية اعتراف بهذه السلطة(اللهجات العربية ص 40).

5- **اهتمام الباحثين العرب والأجانب بالفصحى واللهجات العربية** : من الطبيعي جداً أن تكون اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية المحلية موضع اهتمام من قبل الباحثين العرب والأجانب معاً، فتناولوها بالدرس و التحليل، وبعد جهود في هذا المضمار ، مال أكثرهم الى التصريح: آراءهم ستظل في اللهجات القديمة مجال الجدل والنقد، وأحكامهم عليها أقرب الى الترجيح منها الى اليقين(اللهجات العربية ص 103).

ويشكو الدكتور ابراهيم أنيس من التقصير الفادح في دراسة اللهجات مستثنياً صيحة المرحوم حفني ناصيف بك ورسالته الصغيرة التي لم تحفز الهمم، والتي لم تشجع أحداً على البحث اللغوي فيقول :"...فها هو قد مضى على نشرها نحو 60 عاماً، دون أن نسمع لعالم آخر صوتاً، أو نرى له إنتاجاً في هذا الشأن الجليل" (ابراهيم أنيس ، اللهجات العربية المقدمة ص 3و4).

ثم أن الدكتور ابراهيم أنيس نفسه يعزو تكوّن اللهجات في العالم الى عاملين رئيسيين : أولهما الانعزال بين بيئات الشعب الواحد، و ثانيهما الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات. ويمثل على ذلك بأمثلة من التاريخ العربي و الأجنبي(علي عبد الواحد وافي، اللغة و المجتمع ص 120).

6- آراء **في طبيعة الصراع اللغوي:** يرى أحد الباحثين أن الطريق التي يسير فيها الصراع اللغوي لا يجري تبعاً للأهواء و المصادفات، ولا وفقاً لإرادة الأفراد، وإنما يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة

مطردة النتائج، واضحة المعالم، وفي نظره أن اللغة العربية لم يكتب لها النصر إلا في المواطن التي تقضي قوانين الصراع اللغوي بإنتصارها فيها...(علي عبد الواحد وافي ص 121). ثم يضيف هذا الباحث فيجد أن اللغة العربية كائن حيّ، وهي تؤمن موضوعاً من موضوعات علم الاجتماع، لها خصائص ومميزات ، وتتأثر بالعوامل الاجتماعية من حضارة و نظم وتقاليد وعقائد... كما تتأثر باللغات الأخرى التي تتعامل معها أو تحتك بها، فيجري التبادل بين اللغات كما حدث بين العربية والفارسية والتركية (علي عبد الوحد وافي ص 21).

ويأتي باحث آخر ليظهر ميله لإعتقاد أن من الواجب أن نفرّق بين اللغة و العرق والحضارة. وقد تكون اللغة الواحدة مشاعاً لأعراق جديدة وأداة لحضارات مختلفة (أنيس فريحة، اللهجات واسلوب دراستها ص22).

من هنا يظهر الخطأ الذي ارتكبه بعض الباحثين، فخلط بين اللهجة و اللغة لعلّهم يريدون من خلال أبحاثهم الإرتفاع بالعامية الى مقام الفصحى. وهذا ما دفع الأدباء و المعاصرين لتصحيح هذه المغالطة ، فرأى أن اللهجة عندنا لاتعني اللغة ولا تشكل خطراً عليها. وإنما اللهجة هي صفة أو صفات صوتية تتصف بها لغة منطقة من المناطق، وهذه الاختلافات الصوتية نسميها باللهجات (مازن مبارك، نحو وعي لغوي ص90).

نستنتج مما تقدم أن اللهجة وفي نظر الباحثين هي وصف لأصوات اللغة ، ومن هنا نرى أنه لابد لنا من التفريق بين اللهجة و اللغة العامية، فالعامية لغة فوضوية لا قاعدة لها وليس في منطقها ولا طبيعتها أن يكون لها قاعدة، و العامية ليست صفة من صفات العربية كاللهجة، ولكنها لغة ثانية تعيش على حساب الفصحى وتزاحمها(مازن مبارك، نحو وعي لغوي ص 29).

7- لغة الأدب ولغة الحديث: ونتيجة لبعض الدراسات اتجه بعض الباحثين الى التمييز بين لغة الأدب ولغة الحديث، فاعتبر الفصحى لغة الأدب والإنتاج الفكري عامة، واعتبر الثانية اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية ويجري بها الحديث اليومي(نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة الى العامية و آثارها في مصر ص3). وأن الأولى تخضع لقوانين تضبطها، وأن الثانية متغيرة تغير الأجيال والظروف، ثم إن وجود العامية بجانب الفصحى ظاهرة طبيعية في كل اللغات .

والجدير بالذكر أن الأجانب أبدوا حماسة شديدة لهذا النوع من الدراسة ، فأدخلوا تدريس اللهجات العامية في مدارسهم وجامعاتهم، وألفوا كتباً باللغة العامية، وقد استعانوا بادئ ذي بدء بمن يعلمون في بلادهم من المصريين أو السوريين(نفوسة زكريا سعيد ص 12).

هذه هي لمحة موجزة لبعض نواحي البحث الذي تناول اللغة واللهجات، ودرس خصائصها وتشعبها، فبدت العامية وكأنها لغة ثانية غير منضبطة، وهي تنمو على حساب الفصحى، لذا من الواجب أن نلم بسير هذه الأبحاث لنكشف الملابسات التي رافقت هذه الدعوات المغرضة ولنتبين الأخطار المحدقة بلغتنا الأم وبتراثهاالفكري.

الفصل الثاني

1- **الأجانب ودورهم في إدارة الصراع :** لقد عزّ على المستعمرين، وعلى من سار في فلكهم من دعاة الاقليمية، أن تكون للغة العربية الفصحى مثل هذه القوة في صمودها حيال حملات التتريك ، فبالرغم من المحاورت المتلاحقة التي لجأ اليها أعداء الدين والقومية من طمس لمعالم التراث العربي الاسلامي أدباً وعلماً وفناً وثقافة انسانية ، حيث انتهزوا فرص انهيار الدولة العربية، وعملوا على قيام الكيانات السياسية المتعددة، كأن لم يكفهم إنكفاء الشعوبيين، وفشل دعاة التتريك، فعمدوا الى ممارسة اللعبة الخبيثة من جديد وبأساليب حديثة.

ففي ظل الانتداب الأنكلو–فرنسي، شهد الوطن العربي محاولات خطيرة تهدف أول ما تهدف الى تكريس الكيانات الإنفصالية ... ولكن النبهاء من أدبائنا والمتيقظين من علمائنا، لم يسمحوا لهذه المؤامرة بأن تمر، فأعدوا العدّة للمواجهة الجريئة صوناً للغة و حفظاً للتراث. وهكذا سلمت الفصحى وعادت الى حيويتها وعافيتها تصل الماضي بالحاضر ، وتفي بمتطلبات المستقبل، ثم بقيت في حصنها المنيع، وهي أرفع من أن تنالها سهام المغرضين.

ولكي يباشر الهدامون خططهم، لجأوا الى الإعتماد على نفر من عرب مصر وسوريا يعملون في بلاد الأجانب . وكانوا قد عاشوا في مصر ، فدعوهم للتأليف في اللهجة المصرية. فكان كتاب "أحسن النخب في معرفة لسان العرب ، لمحمد عياد الطنطاوي" أول محاولة من هذا النوع في القرن

التاسع عشر، وكذلك كتاب "الرسالة التامة في كلام العامة " و"المناهج في أحوال الكلام الدارج لميخائيل الصبّاغ" (نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة الى العاميّة و آثارها في مصر ص 12).

2- **حجج الأجانب في تقديم العاميّة على الفصحى:** إن هذا الإهتمام بدراسة اللهجات العربية المحلية لم يكن من أجل البحث العلمي، ولا من أجل الحاجة الى معرفة لهجات البلاد العربية التي تقتضي مصالحهم أن يعيشوا فيها، ويتعاملوا مع أهلها، وإنما من أجل الولوج الى إحلال العاميّة مكان الفصحى ((نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة الى العاميّة و آثارها في مصر ص 12). وهكذا نراهم الى جانب ذلك يعممون تدريس اللهجات العربية منذ القرن التاسع عشر في مدارسهم وجامعاتهم، وخاصة في البلدان والدول الاوروبية كإيطاليا وفرنسا وانكترا وروسيا و النمسة (نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة الى العاميّة و آثارها في مصر ص9 و10). وقبل نهاية القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين بدأ الأوروبيون أنفسهم يتحفون المكاتب بمؤلفات ودراسات في العاميّة المصرية، وكان جُلّ الدارسين من أولئك الذين عاشوا في مصر ، وتولوا مناصب عالية فيها خلال الإنتداب البريطاني ومنهم : "ولهلم سبيتا" الالماني وكان مديراً لدار الكتب المصرية ، و" ولمور" الانكليزي وكان قاضياً في المحاكم الأهلية بالقاهرة، و" وليم ولكوكس" الانكليزي وكان مهندساً للري في القاهرة ((نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة الى العاميّة و آثارها في مصر ص 17).

فسبيتا يدافع عن العاميّة موضحاً أنها تنطوي على بساطة في التركيب وقواعد نحوية، وقابلية للتشكّل في صيغها الفعلية.

أما وليم ولكوكس فقد دعا في محاضرة له الى اعتماد اللسان العامي الذي هو اللسان العلمي ، وإن عجز المصريين عن الإختراع ، ناتج عن عدم اعتمادهم على اللغة العاميّة . وينتهي الى اقتراح بتعميم التعليم بها، لأنها كفيلة بتخليص المصريين من السخرة الثقيلة التي يعانونها من جراء الكتابة بالعربية الفصحى ((نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة الى العاميّة و آثارها في مصر ص 35-41).

وقد أخذت المحاولة شكلاً عملياً ، إذ قام بعض الأجانب بتسجيل ونشر أدب العاميّة من أزجال ومواويل وقصص من نوع (الاحدوثة) و المعروفة عند عامة الشعب (بالحدوثة).

3- صدى دعوة الأجانب في الوطن العربي: قبل هذه الدعوة الصريحة من قبل الأجانب، كان في الوطن العربي من نادى باستخدام العاميّة في مواضيع مخصوصة للترفيه عن عامة الشعب حيناً، وتهذيبهم حيناً آخر. على أن تظل للفصحى مكانتها كلغة للأدب الرفيع والثقافة الاسلامية عامة ، وكان في مقدمة المصريين الذين اتبعوا هذا المنهج رفاعة الطنطاوي (نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر ص 75 -77).

الا أن الصراع لم يتخذ طابع الحدّة ، ولم تظهر بوادره بشكلها الواضح الا بعد أن دفع الأوروبيون بدراسات مستفيضة في اللهجة المصرية ، ودعوا الى اعتمادها كوسيلة فريدة في الكتابة .

4- دور الصحافة في تسجيل مظاهر الصراع : لقد انقسم المهتمون بهذه القضية الى مؤيد ومعارض ، وأخذت الآراء تذاع عبر أجهزة الاعلام، وفي مقدمتها صفحات الجرائد، والمؤلفات والأبحاث.

فلدى ظهور كتاب "سبيتا" عام 1880 اقترح "المقتطف" على قرائه في السنة التانية كتابة العلوم العاميّة ، ثم دعا رجال الفكر الى دراسة هذا الرأي المقترح ومناقشته، بعد أن أبدى "المقتطف" تأييداً واضحاً لدعوة " سبيتا"(نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر ص 95 – 97). وبالفعل لبى دعوة "المقتطف" كثير من الدارسين، منهم المعارض أمثال الشيخ خليل اليازجي والجمعية الأدبية الدمشقية. ومنهم المؤيد أمثال الدكتور أسعد داغر، وكاتب آخر لم يصرّح باسمه وسمى نفسه " الممكن "(نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة الى العاميّة وآثارها في مصر ص 97 و98 و99).أما الشيخ اليازجي فقد أبدى معارضة في الكتابة بالعاميّة، لأنه رأى في ذلك هدماً لبناية التصانيف العربية بأسرها، وبالتالي لا يمكن الإعتماد على اللهجات بالعاميّة لتباينها واختلاف أوضاعها.

وأما من سمى نفسه " بالممكن" وخوفاً من غضب الناس ، فقد دعا الى الإعتماد على اللغة العاميّة ، و بالتالي الى نقل المصنفات العربية اليها، ثم يوجه دعوة اطمئنان الى أنصار الفصحى ، فيصرّح بأن اللغة القومية لا تتلاشى إذا ما اعتمدنا على العاميّة.

أما القاضي " ولمور" فقد دعا الى الإقتصار على العاميّة كأداة للكتابة والحديث، لأنها في رأيه لغة حيّة غنية متطوّرة على عكس الفصحى الصعبة الجامدة ، وأضاف الى سابقيه من الأجانب، بل الى زملائه في الدعوة اقتراحاً جديداً يقضي بكتابة العاميّة بالحروف اللاتينية ، واستنباط قواعد لضبطها حتى تصبح صالحة للكتابة

(محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص 318). ثم ناشد " ولمور" أصحاب الصحف أن يباشروا الكتابة بالعاميّة .

ولقد تجاوب بعض المؤيدين لهذه الدعوة الأجنبية ، فكتب اسكندر المعلوف (نفيسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة الى العاميّة وأثارها في مصر ص 114– 115) مقالاً يعجب فيه من معارضة دعوة "ولمور" ولم يخفِ ايمانه بصحة هذه الدعوة معللاً أسباب تأخرنا الى الإختلاف الواضح بين لغة الحديث و لغة الكتابة، وهو لا يتردد في تصريحه بأن لغة عاميّة واحدة كافية لإزالة البلبلة في أذهاننا وليس هذا فحسب بل إن وضع قواعد للعاميّة وإقرار الكتابة بها يحتاج الى همّة عالية وتفان مستمر، لنتحرر من رق اللغة الفصيحة التي بددت صعوبتها جهودنا ، واستغرقت ثلاثة أرباع أوقاتنا المدرسية.

وكانت الهُدَنْ تعقب المعارك، فتارة يغصّ الميدان بالمتحاربين، وتارة تهدأ الحالة، فلا نرى لاداعياً لعاميّة ولا محارباً لفصحى، الى أن أثيرت المسألة من جديد. و في سنة 1926 (محمد محمد حسين ، الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص 361) ، دعا " ولكوكس الى هجر اللغة العربية الفصحى في رسالته : (سوريا ومصر وشمال أفريقيا ومالطة تتكلم البونيّة لا العربية)". هذه الرسالة التي لاقت استحساناً في نفس سلامة موسى فامتدح السير وولكوكس مبيناً أن ما شعر به "ولكوكس" ليس حديثاً، وإنما يرجع الى ما قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم أمين على الفصحى صعوبتها وقال كلمته المشهورة : " إن الاوروبي يقرأ لكي يفهم ، أما نحن فنفهم لكي نقرأ "(نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة الى العاميّة و آثارها في مصر ص 118).

والحديث عن سلامة موسى واتجاهه يقودنا الى التذكير بموقف الشاعر سعيد عقل وأقرانه من دعاة الاقليمية الانعزالية. لقد نجح الاستعمار في إيجاد الآذان الصاغية لدعوته، وفي اختيار العناصر التي تفانت في خدمة أغراضه. فكما أثرت الحركات الانفصالية في الدعوة الى ما يسمى بتمصير الأدب(نفوسة زكريا سعيد، تاريخ العوة... ص 123 – 124)، كذلك نرى سعيد عقل يدعو الى "لبننة " الإنتاج الفكري من طريق اعتماد العاميّة في الكتابة واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، ثم قطع الصلة بالأدب القديم، والإقبال على الغرب، والأخذ منه في جميع ميادين الثقافة .

لقد بذل هؤلاء محاولات مستميتة في هذا السبيل بغية حث الناس على الأخذ بما يدعون اليه . فدفع سعيد عقل بمؤلفاته الى الساح، تارة باللهجة العامية اللبنانية، وتارة بالحرف اللاتيني، وهو لا ينفك يدعو لمبدئه، مبرراً ذلك بالحجج الملفقة، وهو لا يتورع عن كتابة بعض المقدمات، للمؤلفات التي تصدر، باللغة العاميّة إرضاء لرغبة اقليمية، وتنفيذاً لخطة غادرة، هدفها النيل من وجود الأمة بأسرها (أسعد سابا، من قلبي، ط 1 ص 7 – 8– 9 – 10) .

وشبيه بمواقف سلامة موسى وسعيد عقل تلك التي نادى بها أحمد لطفي السيّد الذي كتب في تمصير اللغة سبع مقالات في صحيفة الجريدة عام 1913، وقد كان جُلّ المؤيدين لهذه الفكرة من الأدباء و الكتاب والناشئين ومنهم محمد تيمور الذي بيّن اعتزازه بلغته الحيّة التي تميز المصري عن السوري و الغربي(نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة ... ص 124 – 128).

5– موقف مجمع اللغة العربية: بعد أن استهوت هذه الدعوة جماعة من دعاة (التجديد)، إتخذت اللهجة السوقيّة في المسرح الهزلي، ثم انتقلت الى المسرح الجديد، بل لقد استطاعت الدعوة أن تتسلل الى الحصن الذي أنشئ لحماية الفصحى، والذي يسمى بمجمع اللغة العربية، و ظهرت في مجلته سلسلة من المقالات عن اللهجة العربية العاميّة ، ودعت الى اتخاذ أي لهجة عاميّة لغة للكتابة كالمصرية أو الشامية (محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية.. ص 362 – 363). وهنا لابد من الإشارة الى بعض الأبحاث التي تناولتها مجلة مجمح اللغة العربية .

لقد دعا عيسى اسكندر المعلوف الى اعتماد أي لهجة عاميّة لغة للكتابة، ثم تقدم عبد العزيز فهمي ،وهو أحد أنصار المجمع، باقتراح دعا فيه الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية، و شغل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات ، و تضمن الإقتراح ميلاً شديداً نحو إقصاء الفصحى، لكنه أبدى أسفه لعدم تمكن اللهجات المحلية من أن تحل محلها (علي عبد الواحد وافي ، اللغة و المجتمع ص179).

وقد تحمس لإقتراح عبد العزيز فهمي أحد الدارسين وهو الدكتور علي عبد الواحد وافي ورأى أن تطبيق هذا الإقتراح كفيل بالقضاء على جميع عيوب الرسم العربي، و لكنه لا يخفي الضرر البالغ

الناجم عن تطبيق الإقتراح الذي سيفصل بين الأجيال القادمة و التراث المدوّن بالرسم الحاضر (علي عبد الواحد وافي اللغة والمجتمع ص 179).

و للدكتور علي عبد الواحد وافي آراء في اصلاح الرسم العربي يتوخى من تسهيل القراءة و الاقتصاد في النفقات وتيسير الكتابة (علي عبد الواحد وافي اللغة والمجتمع ص 182 -183 -184).

وفي رأينا أن اتبّاع مثل الطريقة سيؤدي الى تعقيد أساليب القراءة و الكتابة وبالتالي سنجد أنفسنا مضطرين لإيجاد حروف جديدة تضاف الى الحروف الأصلية . وهذا ما يزيد في نفقات الطباعة، وهو ما لايريده صاحب الإقتراح.

وزاد في اهتمام مجمع اللغة العربية في القاهرة بهذه المسألة : مسألة تيسير الكتابة العربية ، حتى بلغ به الأمر الى وضع جائزة مقدارها ألف جنيه لأحسن اقتراح لتيسير هذه الكتابة (نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة ص 207)...وتوالت الإقتراحات من قبل عبد العزيز فهمي، وأحمد لطفي السيّد الذي يسميه سلامة موسى (منشيء الوطنية المصرية الحديثة)، وعلي الجارم، ومحمود تيمور ... وكل هذه الإقتراحات لم تلق نجاحاً مرضياً، فها هي مجلة الهلال تستجوب في سنة 1932 ثلاثة من المشتغلين بالدراسات اللغوية حول تغيير الحروف العربية ، فأنستاس الكرملي بدأ برفض الكتابة بالحروف التي هي غير حروف الفصحى، لكنه لا يلبث أن يقع في التناقض فيقترح وضع الحركات في صلب الكتابة ، ثم يقترح أشكالاً جديدة للحركات (محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص 376 - 377).

وكتب المستشرق"تلّلينو" عن الحروف اللاتينية، فأبدى معارضته لها، وبنى هذه المعارضة على أن الخط العربي الحالي موافق لطبيعة اللغة العربية ، وهو يمتاز بالإختزال، وأن استبداله يستتبع نتائج خطيرة منها فقد الكنوز العظيمة التي خلفتها الآداب الاسلامية في شتى العلوم(محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية ... ص 381).

ويطل علينا أحد أعضاء مجمع اللغة العربية محمد فريد أبو حديد بنغمة جديدة مفادها أن اللغة العربية منذ استقرت فقدت كثيراً من مرونتها، لا سيما في الحياة اليومية، فحصل الإنفصال بين لغة الثقافة و الفكر والأدب، وبين لغة الحديث والأسواق و المعاملات اليومية وما شابه...ثم يعود فيؤكد أن البعد بين العربية الفصحى وبين العاميّة لم يكن مثل البعد بين إيطالية اليوم ولاتينة الأمس ، بعد أن يبيّن

ما حدث باللغة اللاتينية وما نشأ عنها من لغات اسبانية ولاتينية مختلفة (مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة العدد 7 تاريخ 1953 ص 205 – 207). ثم انه لا يشك في أن مصير العربية الفصحى صائر في نفس الطريق التي سارت فيه اللاتينية وأن مصيرهما واحد في النهاية، وهو بالتالي يعترف بصمود هذه اللغة ومكانتها المقدسة فيقول :" فلو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، ولو لم تكن كنوزنا القديمة هي أكبر ما تملك من ثقافة انسانية، لكان من الهيّن علينا أن نُقبل على هذه العاميّة بكل جهودنا" (مجلة اللغة العربية ... ص 214).

أما محمود تيمور فقد رأى وبعد الإطلاع أن أنصار العاميّة يكتبون بالفصحى وأن خصوم العاميّة يتكلمون بها(مجلة مجمع اللغة العربية عدد 13 1957 ص 123).

6- **أبحاث مجلة الآداب اللبنانية:** وأمامجلة الآداب اللبنانية فاتسمت المجال عبر صفحاتها أمام المقالات التي تناولت قضايا اللغة ، فأطلعتنا على أبحاث ودراسات ، أرسل بها أصحابها الى المجلة من مختلف الأقطار العربية .

فالبعض أعار " الشعر العامي " إهتماماً زائداً لا بدافع الدعوة الى العاميّة وإنما لإنبثاق هذا الشعر من النفوس، ومن القلوب وهو بالتالي " صورة حيّة نابضة راقصة ملوّنة" (مجلة الآداب اللبنانية عدد آب 1953 ص 4). ويؤكد أحدهم أن العاميّة هي لغة دف ومزمار ودربكة وناي ولغة عاطفة و حسب...

وكتب الأستاذ فؤاد حنا ترزي المدرس بثانوية العمارة في العراق مقالاً علّق فيه على العمل الذي قام به أنيس فريحة لجهة تبسيط قواعد اللغة العربية ، فأبرز أن سياسة بتر القواعد وحذف الصعب منها هي سياسة لا تساعد على تبسيط القواعد ذاتها، ولكنه لا يلبث أن ينوّه بعمل الأستاذ فريحة قائلاً:" وليس في نيّتي في كل ما ذكرت التقليل من أهمية العمل الذي قام به الأستاذ فريحة ، فأقل ما يقال فيه أنه محاولة جديّة مخلصة لدراسة القواعد على نهج منطقي جديد ..." (مجلة الآداب اللبنانية آب 1953 ص 72).

وهذا كاتب آخر يعرّف اللغة الحيّة واللغة الميّتة، ويفيض بالشرح حتى ينتهي الى التساؤل(مجلة الآداب اللبنانية 1956 العدد 4 ص 20). "هل تعتبر اللغة العربية التي نكتب فيها ونخطب بها أحياناً لغة حيّة كالفرنسية و الانكليزية ؟ أو هي لغة ميّتة كاللاتينية و اليونانية القديمة ؟" و بعدها

يبدي عجبه الشديد من ذلك الذي يضطر لعرض مقال أو أثر قبل نشره أو اذاعته على متخصص في النحو مضهراً أن من يلجأ لهذا الأسلوب هو غير مؤدٍ لوظيفته أداء كاملاً لأن معنى ذلك في نظره أنه يكتب في لغة غير لغته.

وأما الدكتور عبد العزيز الأهواني فقد أبدى تضايقاً كبيراً من القصّاص و الشعراء الذين لا يزالوا يكتبون إنتاجهم في الصحف والمجلات باللغة العربية الفصحى ، منوهاً بدور الغربيين الذين اعتبروا اليوم أن الخير كان في موت اللاتينية ، وفي رأيه أن يوم يقظة العرب قريب وأن اختفاء الإعراب ونون النسوة صائر لا محالة ، ثم يدعو بعد ذلك الى اعتماد التطور في اللغة قبل أن نسمع الكلمة التي تؤذي الآذان "ماتت اللغة العربية"(مجلة الآداب اللبمانية العدد 4 1956 ص 24).

7- **موقف طه حسين:** إن المناداة بطرح الفصحى من قبل الأجانب ومن سار في أفلاكهم من الكتّاب الناشئين لها ما يبررها، فالأجانب كانوا يهدفون الى فك عرى الوحدة، واللغة الفصحى هي احدى دعائمها ، والناشئون من كتّابنا اصيبوا يومها بنوع من البلبلة في الأذهان ولربما اندفعوا لتأييد الأجانب عن طريق القاعدة" خالف تعرف"... أما أن ينبري كاتب مشهور وأديب رفيع المستوى كطه حسين فينضم الى لوائح المعارضين ، فهذا ما لا يغفر له.

لقد بطن طه حسين دعوته بتطوير أساليب التدريس، وهو يخشى أن تموت العربية كما ماتت اللاتينية من قبل وخلفت بناتها "فالتخلي عن القديم صعب للغاية"(مجلة الآداب اللبنانية العدد 11 1956 ص 60).

إن هذه الدعوة التي اتخذت طريق المداراة والمسايرة للغة الفصحى تذكرنا بموقف الكاتبة نصرة سعيد (مجاة الآداب اللبنانية العدد 12 1956 ص 53 – 54) التي امتدحت الفصحى ، واعتبرت أن التحوّل من الفصحى تطور فاسد، وأن العاميّة لا تصلح للإستعمال نظراً لتعدد لهجاتها ، ولكنها تعود فتنادي بتطوير اللغة العزيزة عن طريق اصلاح الكتابة، وتبسيط قواعد الصرف والنحو، واهمال المفردات المماتة، وإيجاد مصطلحات جديدة وتوحيدها في جميع البلدان العربية .

8- **تسلل العاميّة الى أدب الفصحى وفكرها :** بعد هذا العرض لأشكال الدعوة الى اعتماد العاميّة، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وتغيير في صور الحروف، الى التبسيط في القواعد والأخذ

بالمصطلحات العلمية الحديثة الى دعوة التوسط بين أنصار الفصحى وخصومها... يمكننا أن نقرر النتيجة التالية:

أنه رغم الآراء المدافعة عن الفصحى والمعارضة للدعوات الهدامة ، فقد تمكنت العاميّة من التسلل الى المؤلفات خاصة في كتب المفاكهة والمسامرة، وفي المسرحية و القصة والزجل، و.. الملاحظ أيضاً أن الفصحى والعاميّة كانتا تتناوبان على التعبير في القصة والأقصوصة و المسرحية، ففي قصة " زينب" لمحمد حسنين هيكل تبدو الفصحى قريبة من لغة الحياة، وفي " عودة الروح " لتوفيق الحكيم تجربة واسعة في استخدام العاميّة المصرية (نفوسة زكريا سعيد تاريخ الدعوة الى العاميّة... ص 386– 455). وبإختصار كان دعاة العاميّة اذا فشلوا مالوا الى دراسة اللهجات الإقليمية ، لأنهم وجدوا في هذه الدراسة متعة علمية صرفة ، ورأوا في العاميّة أدباً شعبياً غنياً إزدرته الأرستقراطية الفكرية ، وهم قد يعثرون في العاميّات على مظاهر صرفية و نحوية فيها إغناء للغة الفصحى.

هذا مجمل الصراع الذي دار بين دعاة العاميّة وأنصار الفصحى منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وحتى أواخر الخمسينات من القرن العشرين. وبعد أن عظم الشعور القومي، وهبّ الشعب العربي للخلاص من شتى صور الإستعمار ، ها هم الإقليميون يعودون من جديد ليثيروا ، كأسلافهم، مشاكل اللغة العربية وصعوبة تعلّمها. إنهم يعملون في السر و الجهر لتحويلها الى لغة عاميّة، فكرسوا في بعض الأنظمة العربية إلزامية التدريس بإحدى اللغات الأجنبية في معاهدنا ومؤسساتنا ، لينصرف طلاب العلم عن الإهتمام بلغتهم الأم فيسهل عليهم الإنقضاض، وإن آجلاً، على التراث وأهله.

وأرى لزاماً عليّ أن أصطحب القارئ الى الفصل الثالث من هذا البحث لنطلع معاً على آراء أولئك الأدباء و الكتّاب الأوفياء الذين أبدوا مقاومة شريفة ومواقف عالية ، ودحضوا خطأ نظريات العابثين بمصير اللغة ، واستطاعوا بالتالي أن يفشلوا مخططات الشعوبية الحديثة.

الفصل الثالث

تمه: إزاء هذه الحملات الصريحة التي استهدفت دحر اللغة العربية الفصحى وإقصاءها ، لم يقف المؤمنون بقدسية لغتهم وحقيقة استمراريتها وقفة المتفرجين ، فالأمر يعنيهم، و القضية قضيتهم، لذا انبرى العقلاء من أدبائنا و مفكرينا الى كشف مواطن هذه الدعوة وتعرية أصحابها.

أما الجماهير التي كادت تقع ضحية لمغريات الخطة الخبيثة، فقد استهوتها بعض أساليب المشعوزين، فالنداء بتسهيل الكتابة العربية، والقول بتسهيل القواعد وغير ذلك من اقتراحات مموهة، اجتذبت كثيراً من الخاصة والعامة. ولو لم يسارع أولو الأمر الى الوقوف في وجه الهجمة المسعورة لكنا اليوم سائرين في دروب النسيان لتراثنا العربي الاسلامي، مقبلين على ثقافة الغرب، معتمدين على أساليبه المخادعة ، وبالتالي نكون قد حققنا الهدف الأول والأخير للأجنبي المستعمر.

ومن الجلي أن أساليب الإلتواء في بحث القضية ، وضروب اللف والدوران في معالجة الموضوع ، مكّنت المدافعين عن الفصحى من تسليط أنوارهم الكاشفة على دقائق الخطة و نوايا أصحابها ، وقد تنبّه أحد الأدباء الى الغاية التي تكمن وراء أقوال الإصلاح، ووجد أنها تستهدف العرب أصحاب اللغة و القرآن (مازن مبارك ، نحو وعي لغوي ص 9).

وهكذا فلا مناص من دحض هذه الحجج الداهية عبر الرد العملي والمنطقي والمنظم الذي لا يترك مجالاً للريبة ، لذا نظم المصريون ردودهم المستمدة من تاريخ اللغات وتطورها، معددين مميزات الفصحى، موضحين حقيقة العامية.

1- الردود على دعوة " سبيتا" و" ولكوكس" و"ولمور": بعد دعوة "سبيتا" لاعتماد العامية أبدى الشيخ خليل اليازجي معارضة شديدة لاقتراحات " سبيتا" ، وتصدى لدعوة "ولكوكس" كل من ابراهيم مصطفى وأحمد سليمان والسيد الزمزمي، وتوالت ردود القراء المعارضة لاقتراحات "ولمور" و بيّنت بطلان إدعاءاته حين قاس العربية ومصيرها على اللاتينية .

2- موقف الشعراء من الصراع : إنقسم الشعراء كغيرهم بين معارض للدعوة و مؤيد لها، و حسبنا أن ننوّه بدور الشاعر حافظ ابراهيم حيث نعى الحالة التي وصلت اليها الأمة ، بعد الضجة التي أحدثها كتاب "ولمور(نفوسة زكريا سعيد تاريخ الدعوة الى العاميّة ص 362- 366). فنظم قصيدة حمل فيها على أعداء اللغة.

وأما شوقي فقد أشاد بالفصحى في قصائد الفخر بالعروبة، وخليل مطران رغم نزوعه الشديد الى التجديد فقد صرّح بثراء العربية في مفرداتها وآدابها وكفايتها للتعبير عن حاجاتنا.

وقد حرصت مدرسة عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني على اللغة والتمسك بمراعاة القوانين اللغوية.

وقد اختلف العقاد مع ميخائيل نعيمة حول الأصول في اللغة التي تساهل فيها، كما تساهل في مراعاة قوانينها شعراء المهجر(نفوسة زكريا سعيد تاريخ الدعوة الى العاميّة.. ص 374).

3-مارون عبود وموقفه من الصراع: وهكذا استمر إرتفاع الأصوات الشريفة لإحقاق الحق، فمارون عبود رغم حماسه الشديد للشعر العامي، فإنه أخذ على الشاعر سعيد عقل دعوته وبدعته في اعتماد اللغة العامية في الأدب و الكتابة عامة ، مؤكداً أن العاميّة لاتصلح الا للزجل، وهذه اللغة متى تخطت تخوم الزجل بدت ضعيفة وهزيلة، وعن محاولة سعيد عقل يقول:" إن سعيد عقل شاعر من الطراز الأول " ولكنه يريد أن يكون زجالاً وشاعراً فرنسياً، وأنا خائف عليه من هاتين النكبتين... وسعيد عقل لا تأتيه الملكة العامية إلا بعد اصطدامها بأختها الفصحى..." (مارون عبود الشعر العامي ص 116 – 119). ثم يقرر موقفه الأخير بقوله:" كنت ولا أزال و سأظل عدو الإثنين : الداعي الى إحلال العاميّة محل اللغة الفصحى ، والقائل بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية (مارون عبود ، الشعر العامي ص 39)".

4-مبدأ الأخذ عن الغرب : لقد عرف الغرب كيف يستعبد النفوس بلجوئه الى تصدير الثقافة التي تنطوي على أفكار معادية للدين و القومية، فغلّف هذه الثقافة بمظاهر براقة ومغرية. من هنا نرى أن جمهور العلماء والأدباء والمفكرين انقسم حيال مبدأ الأخذ من الغرب الى فريقين : فريق يرى أن الغرب قد سبقنا الى مخترعات كثيرة لها أسماء ومصطلحات جديدة، ولا مانع من إدخاله في سياق اللغة الفصيحة، وإخضاعها لقوانين الأمة و قواعدها، فلفظة (تلفون) و(تَلْفَنَ) و(تلفنتُ)، هي أكثر فائدة في رأيهم من استعمال (هاتف) و (هَتَفَ)و(هَتَفْتُ). ويرى الفريق الآخر أن يكون التعليم باللغة الأجنبية في بلادنا ، لأن أهلها سبقونا في ميدان العلوم . ويُبدي الدكتور مبارك رفضه لهذه المقولة ثم يتساءل :" هل ذكر تاريخ أمة في الدنيا أن غربياً واحداً نادى يوم كان الغرب يقصد من الشرق مقصد التلميذ من أستاذه بأن تكون العربية لغة التعليم في الغرب؟ إننا لم نسمع شيء من هذا ..."(مازن مبارك ، نحو وعي اغوي ص 30- 32 – 33 – 34).

وقد أظهر الدكتور كمال الحاج عجز اللغة العربية عن تأديتها لكل ما تحتاجه المكتشفات العلمية الحديثة ودعا الى تنظيم التعليم العالي (كمال الحاج دفاعاً عن اللغة العربية ص 75). وقد فاته ما تمتع به النص من مرونة في طبيعتها وخاصتها الإشتقاقية، مما يمكنها من الوفاء بمتطلبات العصر، فالإعرابي بل العامي يفهم من كلمة "مذياع" معنى الذيوع والإنتشار (مازن مبارك ، نحو وعي لغوي ص 32). وأن الجمهور العام يهفو الى الفصيح من الألفاظ ، ويعمل على اشاعته طوقاً.

لقد وردت علينا كلمات (البسيكليت) و (الأوتوموبيل) و(التلغراف)، وغيرها من الكلمات الدخيلة ، فتصدّت لها كلمات عربية تحاول إجلاءها ف(البسيكليت) زاحمتها العجلة والدراجة، وكلمة (الأوتوموبيل) زاحمتها العربة و السيارة ، وكلمة (التلغراف) زاحمتها البرقية ، ولن يكون مصير هذه الكلمات الأجنبية الثلاث إلا الجلاء (مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة العدد 11 ص 69).

5-ردود مختلفة على دعاة العاميّة : وفي معرض دفاعه عن الفصحى يرى الدكتور مازن مبارك " أن العربية قد أثبتت في حروفها الحاضرة الوفر المنشود لأن الإيجاز هو من سمات الحرف العربي، وقد تستغني أحياناً عن الحركات، وأحياناً كثيرة عن كتابة الحروف بكاملها بواسطة اللإدغام"... وتأكيداً لتلك الحقيقة نرى أنه إذا ترجمنا الى العربية كلاماً مكتوباً بلغة أوروبية مثلاً كانت الترجمة العربية أقل من الأصل بنحو الخمس أو أكثر. (مازن مبارك نحو وعي لغوي ص 62- 72).

ثم نراه بعد ذلك يحذّر من اعتماد العاميّة في الكتابة لأن ذلك يحول دون التفاهم بين الناس " فالمصري لا يمكن أن يفهم عاميّة السوري، وهي من الوجهة الاسلامية دعوة الى هجر القرآن و إنشاء جيل مسلم من غير قرآن، وعربي من غير عربية .(محمد محمد حسين الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص 384).

6-توصيات مؤتمر المجاميع العربية: إذا ما اطلعنا على توصيات مؤتمر المجاميع العربية في 29 سبتمبر الى 4 أكتوبر 1956 ، يتضح لنا مدى خطورة الصراع الذي احتدم بين الفصحى وأنصارها من جهة والعاميّة ودعاتها من جهة أخرى ، و لقد حُسم الصراع في مجمله لمصلحة الفصحى عبر التوصيات التالية (مجلة الآداب العدد 11 1956 ص 18):

- إيجاد وسائل لترقية اللغة العربية.
- إلتزام الإذاعات العربية اللغة الصحيحة في الأغاني و التمثيليات.
- الترجمة بالفصحى.
- إلتزام (الشكل) في الكتب المدرسية الإبتدائية .
- تيسير النحو ، ووضع المعاجم وتحقيق المخطوطات.

ومهما يكن من أمر فإن الفصحى صمدت في وجه هذه الحملات المسعورة، وإن لم تسلم هذه اللغة من أصوات تدعو الى إضعافها والإساءة الى مكانتها، إننا لن نعدم من وجود النالهين من علمائنا الذين يبدون جهوداً مشرّفة لصون وحدتنا اللغوية و الفكرية.

من خلال هذه الدراسة الموجزة لكينونة اللغة وخصائصها، وبعد استعراض للبعض من أشكال الدعوة لإحلال العاميّة مكان الفصحى ، وإنطلاقاً من الآراء المدافعة عن الفصحى وسلامتها يمكننا استخلاص النتائج التالية :

- إن اللغة غير اللهجة، وأن اللهجة صفة من صفات اللغة، وليست اللهجة لغة ثانية . وأن العاميّة هي لغة تزاحم الفصحى.
- إن اهتمام الأوروبيين بدراسة اللغة العربية واللهجات المحلية لم يكن الا بدافع القضاء على الفصحى وإحلال العاميّة مكانها ليسهل القضاء على العرب و تراثهم.
- إن وجود العاميّة الى جانب الفصحى هي ظاهرة طبيعية في معظم اللغات .
- إن القول بأن العربية الفصحى لغة ميتة ، وأنها كاللاتينية قول باطل، فإن الإختلاف بين الفصحى العربية و العاميّات أقل بكثير من الإختلاف بين اللاتينية و بناتها.
- إن العالم الذي كان يتكلم اللاتينية قد انقسم الى قوميات مختلفة ، تعتمد كل منها على لغة خاصة بها ، وأما العالم العربي اليوم فهو متجه نحو الوحدة في اللغة.
- إن اللغة العربية الفصحى قادرة على الوفاء بمتطلبات العصر ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وذلك لما تتصف به من مرونة، ومن قوة اشتقاقية.
- إن الدعوة الى العاميّة اقترنت بالدعوة الى الإقليمية.

- القول بأن الحروف اللاتينية توفر الجهد والمال وتسهل القراءة زعم باطل، وأن في استبدال الحروف العربية الحاضرة بحروف وحركات إضافية دعوة مشوهة، ترمي الى قطع الصلة بين الأمة العربية وتراثها.
- إن الغرب استطاع أن يقنع بعض أولي الأمر من علماء وأدباء وحكام بتعليم اللغة الأجنبية في المعاهد والجامعات ليبقي على سلطاته السائدة في بلادنا .
- إن مصر والبلاد الشامية شهدت القسط الأوفى من حدة الصراع المحتدم بين الفصحى والعاميّة.
- لقد صمدت اللغة العربية الفصحى في وجه العاصفة الهوجاء وبقيت لغة الأدب و العلم.
- لم تسلم المجاميع العربية من استخدامها كأداة فاعلة لتحقيق أغرض الدعوة المشبوهة .

الدكتور قاسم مطر

إرادة الإنسان وأفعاله بين الجبر والإختيار

<u>تمهيد</u>

لقد دأب الإنسان، منذ أن عرف نفسه كموجود له مكانته في هذا العالم، أن يحل إشكالية كبيرة راودته و أقضَّت مضجعه، وأثارت في نفسه زوبعة فكرية ونفسية، وجدلاً مريراً وكبيراً بين أبناء جلدته، انبثقت هذه الاشكالية من خلال اعتبار نفسه كائناً يتمتع بالقدرة والإرادة ، استطاع بهما أن يشعر بفعاليته ودوره في تغيير مجريات الأمور في حياته، ولعل النجاح الذي أحرزه في تحقيق ذاته، والتغلب على مصاعب الحياة على مر التاريخ، هو الذي جعله يشعر بأنّه موجود، ويملك الإختيار في تحديد مصيره مترافقاً مع نوع من النّشوة والغرور .

ومن ناحية أخرى واجه الإنسان ظروفاً قاسية، كدَّرت له صفو العيش وأذاقته مرارة الحياة مما جعله يشعر بأنّه موجود ضعيف لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع أن يقدم أو يؤخر في حياته، وأنّه مسلوب القدرة والإختيار والإرادة ، ليس بإمكانه أن يُحدث تغييراً في واقعه القاسي الذي فرض عليه أشياء وأموراً كان يعتقد حتى اللحظة الأخيرة، أنّه لا يريدها ولا يسعى إلى تحقيقها، لأنّه خطط ورسم طريقاً يعاكس هذا الإتجاه الذي فرضته عليه هذه الأشياء.

ولعل هذين الشعورين المتضادين، المنبثق أحدهما من حقيقة وجدانية أدركها الإنسان بفطرته السليمة، وبعقله الذي آمن بقانون العلِّية الساري في جميع ظواهر الكون الشاسع ، وثانيهما من ظروف معقدة أخفت عليه سماء الحقيقة في فكره وعقله وزلزلت قدرته وإدارته ، كل هذا دفع بالبعض أن يتّجه إتجاهاً جبرياً، يخضع فيه الإنسان وأفعاله جميعاً إلى الله، وينفي أي دور له في أفعاله ، وأخذ البعض الآخر إلى فكرة انطلقت من رؤية ساذجة عجِزت أن تحلل واقع القدرة المحسومة في داخله ، مما أفضى إلى تبعات خطيرة، تجسدت في ظهور فِرق ونِحل كالمجبرة والقدرية والمعتزلة وأهل الحديث والأشاعرة وغيرهم ، وبدأت معركة الآراء ، معركة الجبر والإختيار التي لم تُحسم نتيجتها حتى الآن، ولم يخرج منها من يحمل راية النصر ، ولا من يحمل وصمة الهزيمة .

وهناك رؤية جبرية فلسفية عامة، ترى أنّ حدوث كل شيئ محاط بمجموعة من الشروط، يستحيل بافتراضاتها أن يكون ذلك الشيئ شيئاً آخر ، وهناك عدة قراءات لهذه الرؤية ، انعكست على مجالات فكرية مختلفة ، ظهرت على شكل جبر أخلاقي في فكر سقراط، حيث ذهب إلى أنّ الإنسان يختار ما هو أفضل في رأيه، وليس بإمكان أي إنسان أن يختار ما يراه سيئاً أو شراً . واستدل أفلاطون الذي آمن هو الآخر بهذا الرأي، بأن الإنسان الذي عرف ما هو الأفضل والحَسَن لن يختار غيره إطلاقاً . واستنتج الإثنان بأن الفعل السيئ أو القيام بالعمل الخطأ ينتج عن اللا إختيار أو عن الجهل ، ومن هنا نشأت الفكرة السقراطية " العلم فضيلة والجهل رذيلة " .

وكان ديكارت قد رأى أن الذي يعلم بهدفه وغايته الحقيقية أو الخير الأعلى، لا يستطيع أن يرفضه لصالح شيئ آخر أقل خيراً أو نفعاً. لذلك يعتقد بأن الإختيار هو عبارة عن العلم بالخير ، ووافقه بذلك توما الأكويني .

رفض أرسطو هذه النظرية الجبرية الأخلاقية، لأنّها تخالف الحقيقة البديهية حسب رأيه، المتمثلة في مبدأ عدم التعفف أو اللا تعفف ، إذ أنَّ من الواضح في رأيه أن الإنسان قد تتعارض رغباته وميوله مع عقله، فتراه يميل إلى الرذيلة بالرغم من علمه بها ، وأخذ جون لوك بهذا الرأي ، فالمدمن على شرب الخمر يواصل شربها رغم معرفته بمضارها.

وهناك رأي في التراث الفلسفي اليوناني، يؤمن بأنّ المنطق بحد ذاته يوجِد شعوراً بأن إرادة الإنسان مقيّدة ومقهورة وليس بإمكانها إيجاد التغيير ، وأما على مستوى الفكر الإسلامي فقد اتخذت مسألة الجبر والإختيار طريقاً من نوع آخر، واختلف المسلمون بعد فترة طويلة من وفاة النبي (ص) حول اختيار الإنسان وجبره في أفعاله بعد أن دخلت أفكار أجنبية على الإسلام والمسلمين تحمل نظرات هي حصيلة تراث يمتد إلى حضارات أخرى .

ويُطرح البحث حول الجبر والإختيار من ناحيتين :

- **<u>الأولى :</u>** الناحية الكلامية التي اشتعل فتيلها بين الأشاعرة والمعتزلة، حيث ذهبت المدرسة الأولى إلى عدم وجود الإختيار لدى الإنسان، وأنّه مقهور ومجبور في أفعاله، والفاعل الحقيقي هو الله سبحانه. والثانية ذهبت إلى كون الأفعال كلها تصدر عن الإنسان محضاً ولا دخل لله فيها ، وقد اتخذ الشيعة مذهباً وسطاً بين الرأيين وهو ما يمتثل في العبارة المشهورة القائلة : لا جبر ولاتفويض بل أمر بين أمريين . وقد فُسِّر الأمر بين الأمرين بعدة تفاسير ومنها :

1. أن يكون لكل من الإنسان والله تعالى نصيب من الفعالية، حيث تكون هناك علاقة طولية بين فاعلية الله تعالى، الذي هو الفاعل المباشر بما يتمتع به من قدرة على الأفعال، والله تعالى هو الفاعل المباشر من حيث أنّه جلّ وعلا هو الذي خلق القدرة، وهي مخلوقة حدوثاً وبقاءً، وتُفاض منه لحظة بلحظة .
2. أن يكون الفاعل المباشر هو الله تعالى غير أنّ الإرادة البشرية ومبادئها مقدمات إعدادية لصدورها منه تعالى .
3. أنّ للهِ نصيبٌ في الوجود حدوثاً وبقاءً، غيرأنّ القدرة على إيجاد الفعل وتركه راجعة للإنسان، حيث أن الوجود هو الأساس الذي لولاه لما كانت للإنسان القدرة على الفعل وتركه، إلا أن هذه القدرة هي في اختيار الإنسان وأنّ الفعل فعله.

وهناك وجوه أخرى لتفسير الأمر بين الأمرين بحاجة إلى بحث خاص بها ربما تسنح لنا فرصة ثانية للتعمق بها واقتناء الأصوب منها .

❖ **الثانية :** الناحية الفلسفية وينصبّ البحث فيها على أن الفعل الصادر سواء من الله أو من الإنسان هل صدر اختياراً أو من غير اختيار ؟.

لا نرى حاجة في المزيد من البيان حول أهمية موضوع الجبر والإختيار ، بل يكفينا أن نعلم بأنّه لم نجد مفكِّراً قط له معرفة بالطبيعة البشرية وخصائصها، ولم يتعرض لهذا الموضوع وضرورة معالجته ، أو لم يلفت انتباهه على أقل تقدير ، بل إذا ألقينا نظرة دقيقة يمكننا القول : أنّه لا يوجد إنسان عاقل لم يفكّر في أنّ أموره الحياتية المادية منها ، أو المعنوية خصوصاً ذات الأهمية ، وسأل هل صدرت منه بمحض إرادته وإختياره ، أو أنّه أُجبر على القيام بها ؟.

وقد يتصور الإنسان عندما يتأمل عميقاً بأنّه قد يجب البحث عن سر الطبيعة البشرية في موضوع الجبر والإختيار ، وقد كشف (جان جاك روسو) عن هذه الحقيقة قائلاً :

" ذلك أن أكبر فرق بين الإنسان والحيوان ليس هو الفهم والفكر ، بل هو الإرادة والإختيار ". [55]

وإذا أردنا أن نجيب بدقة عن هذه المسأله، كما تُطرح مع تطور الحضارة يوماً بعد يوم بنفس تلك الجدية وهي : أننا لِما ولدنا ؟ ولأي شيئ نعيش ؟ وإلى أين نذهب ؟ فإنّه يتحتم علينا بحث موضوع الجبر والإختيار بإسلوب أكثر جديّة .

[55] جان جاك روسو ، العقد الإجتماعي ، ص 3

وإنّ اتّباع المنهج الفلسفي والتلاعب بالمفاهيم التجريدية فيما يتعلق بهذا الموضوع كما كانت عليه الحال في الماضي، غير كافٍ وسيجعل مجهولنا أشدّ ظلمة يوماً بعد يوم ، ولذا يجب علينا أن نبذل قصارى جهدنا في الدراسات ذات الصلة بهذا الموضوع ، ذلك أنّها كانت وما تزال على الشريط الفاصل بين الطبيعة وما بعد الطبيعة ، بمعنى أنّنا لا نجد في تاريخ البشرية أحداً ليس له مع هذه المسألة بشكلها الطبيعي تعاطي خاصاً ، مضافاً إلى جانبها الميتافيزيقي (ما وراء الطبيعة).

وأعتقد أن هذه المشاكل والتساؤلات هي التي أقضّت مضجع (ألفرد نورث وايتهد) وأمثاله ، وأثارت روحه الهادئة بحيث دعاه ذلك إلى إعادة النظر في مفهوم الحرية الإجتماعية ، فقد صرّح قائلاً " لم يَحَلْ شيئ من الخلافات من وجهة النظر السياسية للعالم القديم حتى هذه اللحظة ، فكل القضايا التي كان قد عرضها أفلاطون ما زالت مطروحة على بساط البحث في العصر الحاضر أيضاً ، على الرغم من وجود اختلاف أساسي بين النظريات القديمة والحديثة ، فنحن نختلف مع القدماء في موضوع اتفق جميعهم عليه ، فقد كانت العبودية آنذاك تشكل محور استدلالات المفكرين السياسين ، واليوم الحرية هي الأساس في استدلالاتهم واستنتاجاتهم . فقد واجهت العقول المفكرة قديماً صعوبة في التوفيق بين مبادئ الفكر العبودي وبين الحقائق الأخلاقية البسيطة والمنهج الإجتماعي ، وتواجه مناهج بحثناً الإجتماعي صعوبة في هذه الأيام من أجل التوفيق بين مبادئ الحرية وبين مجموعة أخرى من الحقائق .

وأما الإستدلال الطبيعي لمدرسة الجبريين ينحصر في تطبيق قانون العلة والمعلول الذي يرى ضرورة أن جميع ظواهر العالم ومنها الأفعال البشريّة التي هي جزء من العالم، خاضعة لقانون العلّية التي تُثْبِتْ أن الإنسان مجبرٌ مطلقاً ، وليس له اختيار في أفعاله .

<u>الإطار التاريخي لبحث الجبر والإختيار</u>

كان موضوع الجبر والإختيار محط اهتمام الفلاسفة والمفكرين منذ أمدٍ طويل، ويمكن من خلال تقصّي تاريخ البحث في هذه المسألة التوصل إلى أن هناك العديد من النظريات التي تتفرع عن تلك النظريتين الرئيسيتين .

ولا يمكن تحديد التاريخ الواقعي لبحث هذه المسألة، بيد أنّ أشهر شخصية علمية وفلسفية أدركت أهمية هذا البحث وأشبعته عرضاً وتحليلاً بصورة منتظمة هو أرسطو.وإذا كانت هناك دراسات سبقت أرسطو، فهي لم تكن منتظمة بالمستوى المطلوب . وعلى أية حالة فقد خصص أرسطو في

كتاب " الأخلاق إلى نيقوماخوس " في الجزء الثالث إثني عشر فصلاً لبحث مسألة الإرادة والإختيار ، وقد بذل قصارى جهده في توضيح الفرق بين الأفعال الإرادية والإختيارية .

وبعد أن غابت شمس الثقافة اليونانية دخلت هذه المسألة، حالها حال بقية المسائل الفلسفية والعلمية في الأرشيف، إلى أن أشرقت شمس الثقافة الإسلامية على المجتمعات البشرية ، فخرجت هذه المسألة كغيرها من المسائل من حيّز النسيان إلى بساط البحث بصورة أكثر دقة وشمولية ، وقد أُلفت الكتب والرسائل المتعددة لمعالجتها، و يجب التأكيد على أن بحث المسألة ودراستها الأولي، ةقد تمّ ضمن إطار بحث العقائد الفلسفية والكلامية ، فظهرت نتيجة ذلك نظريات كثيرة بين الفلاسفة والمتكلمين الإسلاميين . وفي هذا البحث سوف نعالج مسألة الجبر والإختيار من الناحية الميتافيزيقية (الفلسفة الإلهية) ، على أمل البحث بهذا الموضوع من الناحية الطبيعية في أبحاث أخرى ، كونها مسألة على جانب كبير من الأهمية ، وحيث لا يتسع بحثنا هذا لهذا الموضوع الشائك والمتشعب، والذي يحتاج إلى المزيد من الدرس والتمحيص.

<u>الجبر والإختيار من ناحية ما بعد الطبيعة</u>

بإمكاننا القول أن الأهمية التي يوليها طلاب العلم والعلماء لبحث مسألة الجبر والإختيار من ناحية ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقية) في هذا العصر ، هي أكثر أهمية من دراستها من الناحية الطبيعية ، وكأن الناس لا يقبلون مناقشة حكم وجدانهم في إثبات الإختيار ، ولكن بما أنّ التضادات الفردية والإجتماعية تزعجهم، فهم يريدون أن يعلموا ما هو تأثير الخالق المطلق على ظاهرة النظام الكوني ؟ .

من هنا نريد أن نبحث نسبة العمل إلى الله " عز وجل" ، وهل أن جميع الأعمال الصادرة من البشر مخلوقة لله تعالى ، وليس الإنسان فيها أكثر من أداة ، أم أن أعمالهم الإختيارية تحتوي على نسبتين ، نسبة إلى الله ونسبة إلى الذات الإنسانية ؟ وما هي تلك النسبة ؟ وهل أنّ الله ليس له أي تدخل في الأعمال البشرية ؟.

سوف نتعرض لبعض النظريات المنقولة حول الجبر والإختيار من الناحية الميتافيزيقية ، ثمّ نقوم بدراسة أدلتها ، ومنها :

1- <u>نظرية الجبريين المطلقة :</u>

يقول هؤلاء:إن انتساب العمل إلى الإنسان كانتسابه إلى الجمادات والنباتات والحيوانات ، فكما أن هذه الموجودات المذكورة لا تملك أدنى اختيار في أعمالها وحركاتها، كذلك الإنسان لا يملك اختياراً بأي وجه

من الوجوه ، فهو ليس أكثر من أداة وإن لم يشعر بذلك ، وأن الله تعالى، وبسبب كونه خالقاً لجميع الأشياء، ولكون أعمال الإنسان جزءاً من تلك الأشياء ، فهو خالق لأعمال الإنسان ولا وجود للإختيار ، وأنّه مجبر في جميع أفعاله ، ولعلّ هذا القانون عمدة أدلة الجبريين، حيث عبّروا عنه بأساليب مختلفة ، مستفيدين من الآية الكريمة :

" والله خلقكم وما تعملون " .[56]

لكن هذا الإستدلال ضعيف ولا أساس له كسائر الإستدلالات الأُخرى ; وذلك أن هذه الآيه بصدد بيان عظمة الله، وأنّه خالقٌ لجميع الموجودات ، فإن كانت هذه الآية تدل على أنّ الله خلق أعمال البشر الإختيارية أيضاً ، فما هي العظمة التي يمكن أن نتصورها في حقّه تعالى إذا كان خالقاً للظلم والفساد والشرك بذاته المقدسة ؟.

2- <u>مدرسة الوحدويين:</u>

لا يعتقد أصحاب هذه المدرسة بوجود تغاير بين الله وبين الموجودات ، بل أنّ الله هو الصورة الإجمالية للموجودات ، ويجب ألاّ نبحث في هذه المسألة ، إذ ليس هناك من خالق ولا مخلوق لكي نرى كيف يتم تدخل الصورة الإجمالية (الله) في أعمال الصورة التفصيلية (الموجودات)؟.

وإذا كانت لهذه المدرسة حقيقة موجودة في عالم الإنسان، فلا يمكن لها أن تبحث في مسألة الجبر والإختبار ، وإذا تناولتها كما فعلت المدارس الأخرى ، فلن يكون ذلك في الحقيقة خالياً من الأفكار الإعتباطية ، لأنّها إذا فَرضت أن الله متَّحدْ مع الموجودات التي يكون الإنسان جزءاً منها، سيكون كل عمل يقوم به الإنسان صادراً من الله ، ولن يكون لمسألة الجبر والإختيار أية موضوعية كي نعلم أن الإنسان مجبر أو فاعل مختار .

3- <u>نظرية الكسبين :</u>

هؤلاء أتباع أبي الحسن إسماعيل الأشعري ، ودعوى أصحاب هذا الإتجاه أن الإنسان يمتلك قدرة وإدارة تتعلقان بالعمل الإنساني ، ولكن ليس لأي واحدة منهما تأثير في عمله ، أي أن قدرة الإنسان وإرادته ليست السبب في العمل بل السبب الحقيقي هو الله ، وأن الإنسان يحصّل العمل .

وقد فُسِّر الكسب الأشعري بتفاسير مختلفة ، ولكن لم يتم تقديم معنى واضحاً له إلى الآن ، لكي نفهم مراد الأشعري منه ، فهو يريد الهرب من الجبر المحض بهذه الفكرة، ولكننا لا نظن أن للكسب صورة أخرى غير الجبر ، لأنّه لو كان عمل الإنسان مسبباً عن قدرة الله وإرادته ، فلن يكون حينئذٍ إلا قناة تمر

[56] القرآن الكريم ، صورة الصافات ، الآيه 96 .

من خلالها تلك القدرة والإرادة ، وأنّ الأعمال التي تصدر من الإنسان هي في الحقيقة أعمال أوجدها الله فيه ، فأين الإختيار ؟.

4- نظرية المعتزلة :

أصحاب هذه النظرية يقولون بأنّ عمل الإنسان يصدر بتأثير من قدرته ، ولا تؤثر قدرة الله في عمله ، كما أنّ إرادته (أي الإنسان) لا تحتاج إلى غرض (داعي) في القيام بالعمل .[57]

وهناك نظرية ثانية للمعتزلة وهي لأبي الحسين محمد بن علي البصري، حيث يذهب إلى نفس ما تقوله النظرية الأولى للمعتزلة، مضافاً إليها بضرورة وجود الغرض (الداعي) للإدارة .[58]

5- نظرية المتصوفة :

وهي أن للعمل الإختياري نسبتان ، نسبة ذاتية ونسبة اعتبارية ، فأما النسبة الذاتية للعمل فهي ارتباط العمل بالله تعالى ، بمعنى صدور الفعل من الله ، وأما النسبة الإعتبارية فهي ارتباط العمل بالإنسان ، لأنّ كل سبب أساسي يظهر في الإنسان كعلَّة للعمل هو مظهر من مظاهر الله ، أو معلول حقيقي له تعالى ، وعليه فنسبة العمل إلى الإنسان هي نسبة اعتبارية .

6- نظرية الإمامية : الأمر بين الأمرين :

" إن أصل القدرة في جميع الأمور التي هي عوامل طبيعية للعمل من الله تعالى ، وأنّ للإنسان الإستفادة الإختيارية من تلك القدرة والأسباب " .

وقد أخذوا هذا المعنى من أهل بيت العصمة عليهم السلام ، إذ ثبت أنّ عبارة " لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين ، أو لا جبر ولا تفويض بل منزلة بين المنزلتين " . وما يشابهها قد صدرت عن الأئمة عليهم السلام .

وقد وردت هذه العبارة مفصّلة في الخبر التالي : " لا جبر ولا تفويض ، ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحة الخلقة ، وتخلية السرب ، والمهلة في الوقت ، والزاد والراحة ، والسبب المهيّج للفاعل " . بحيث لو نقصت إحدى هذه الأشياء كان العمل جبرياً . والمثير للعجب أن المذاري يقول : " الحق هو أنّ المؤثر في أفعال الإنسان هو قدرة الله والإنسان في آن واحد ، وقد أُخذ هذا الأصل من أهل بيت النبوة ، وفي رواية نقلها الشافعي ، والحافظ ابن عساكر والسيوطي ، عن عبدالله ابن جعفر عن علي بن أبي طالب (رضي الله تعالى عنهم) أن سائلاً سأله عن القدر، فقال : سرُّ الله فلا تتكلفوه ، وحيث أن السائل

---

[57] تحف العقول ،ص 46 نقلاً عن الإمام محمد بن علي الهادي (عليهما السلام).
[58] المرجع نفسه ،ص 46 .

ألحّ كثيراً ، قال الإمام في جوابه : " فإن أبيت إلاّ أن تعلم فإنّه أمر بين أمرين ، ولا جبر ولا تفويض " . ثم يقول : " هكذا قال محمد بن علي : لا جبر ولا تفويض . [59]

وقد اتبَّع أحمد أمين في كتاب الأخلاق ، وآخرون في الفترة الأخيرة منهج الأمر بين الأمرين ، غير أنّهم وللأسف لا يذكرون لمن هذا المبدأ ؟ ولأية مدرسة هو ؟ . وعلى أية حال ، الهدف هو كشف الحقيقة واتّباعها سواء نسب الكاشف ذلك إلى منشأه الحقيقي ، أو لم ينسب فإنّه لا يضر بالواقع . [60]

ثمّ إن هناك اختلاف حدث في العصور المتأخرة بين فلاسفة الإمامية ومتكلميهم في تفسير مبدأ الأمر بين الأمرين، وأفضل عرض في هذا المجال هو ما قدمه العلّامة المرجع آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي (قدس سره) في دروسه ، حيث قال ما حاصله : " وذلك كما افترضنا أن للمولى عبداً مشلولاً غير قادر على الحركة فربط المولى بجسمه تياراً كهربائياً ليبعث في عضلاته قوة ونشاطاً نحو العمل ، وليصبح بذلك قادراً على تحريكها ، ثم أخذ المولى رأس التيار الكهربائي بيده وهو الساعي لإيصال القوة في كل آن إلى جسم عبده ، بحيث لو رفع اليد في آن عن السلك الكهربائي انقطعت القوة عن جسمه ، وأصبح عاجزاً ، وعلى هذا فلو أوصل المولى تلك القوة إلى جسمه وذهب باختياره وقتل شخصاً ، وكان المولى يعلم بما يفعله ، ففي مثل ذلك يستند الفعل إلى كلٍّ منها ، أمّا إلى العبد فحيث أنّه صار متمكناً من إيجاد الفعل وعدمه بعد أن أوصل المولى القوة إليه وأوجد القدرة في عضلاته ، وهو قد فعل باختياره وإعمال قدرته ، وأما المولى فحيث إنّه كان معطياً للقوة والقدرة له حتى حال الفعل والإشتغال بالقتل مع أنّه متمكن من قطع القوة عنه في كل آن شاء وأراد ، وهكذا الأفعال الصادرة عنّا ، فإن القدرة من الله يفيضها الفياض المطلق في كل لحظة ، ويستطيع أن يمنعها في كل لحظة أيضاً ، ونحن نملك إختيار الإستافادة منها بصورة تامة ، وعليه فعندما نقوم بأفضل عمل فإن القدرة من الله واختيار الإستفادة من الإنسان ، وهذا معنى لا حول ولا قوة إلاّ بالله " .

كان هذا ملخص قسم من النظريات المعروفة في مسألة الجبر والإختيار من الناحية الميتافيزيقية ، حيث لا يتسع المجال لذكر جميع النظريات لأنّها متعددة كثيراً ، وفي بعضها تشابه في الأفكار والآراء . وأما الذي ينبغي بيانه هو ملاحظة الأعمال الصادرة من الإنسان مع ملاحظة ارتباطها بالله الخالق ، ولهذا ينبغي التعرض لبيان :

<u>إرادة الله وأعمال الإنسان الإختيارية :</u>

[59] تحف العقول ،ص 46 نقلاً عن الإمام محمد بن علي الهادي (عليهما السلام)
[60] المرجع نفسه ،ص 46

يقدم الجبريون استدلالاً على جبر الإنسان وهو الإرادة الإلهية ، فإنهم يقولون في استدلالهم أنّ الله تعالى : إما أن يريد حركات الإنسان وسكناته أو لا يريدها ، فإن أرادها فلا بد من أن تتحق هذه الأعمال وفق إرادته تعالى ، وإن لم يردها فلا بدّ ألاّ تتحقق ، لأنّه من المستحيل أن تحدث حادثة في هذا العالم من دون إرادة الله ، إذن لا يملك الإنسان اختياراً في أعماله وفقاً لهذا الدليل وسيكون مجبراً فيها .

إلا أنّ هذا الدليل ليس له أساس مُحكم ، لأن إرادة الله التكوينية لا تتعلق بأفعالنا الإختيارية ، ولتوضيح هذه المسألة يجب أن نعلم أنّ لله تعالى نَحوَين من الإرادة :

- **الأولى - الإرادة التكوينية :** وهي عبارة نفس المشيئة التي إذا تعلقت بحادثة ما لا يمكن أن تتخلف عن تلك الإرادة مهما كان الأمر ، فعندما أراد الله أن يوجد عالم الطبيعة، بدءاً بأصغر ذراته وانتهاءً بأعظم المجرات، فإنّه من المستحيل ألاّ يوجد هذا العَالَم وفقاً لإرادته .
- **الثانية - الإرادة التشريعية :** وهي الإرادة التي تم إبلاغنا بها عن طريق الأنبياء العظام " عليهم السلام ". فهمّ عرفونا بالإرادة التشريعية من خلال إبلاغنا بالأوامر والنواهي ، وبهذه الطريقة ثَبُتَ لبني الإنسان أن الله يريد لنا الفضيلة والسعادة بهذه الإرادة ، فهي خالية من أي نوع من الإجبار فيما يتعلق به ، بل مفاد هذه الإرادة هو أننا نكتسب الفضيلة الدنيوية والأخروية باختيارنا ، فلو كان للإرادة التشريعية أدنى درجة من الإجبار لما كان هناك معنى للسعادة والفضيلة ، لأن العمل الذي يتحقق بالإجبار لن يكون مصدراً للحُسن والقُبح ، وبالتالي ستكون السعادة والفضيلة غير مفهومَين ، ويكون انكار الحُسن والقُبح الوجدانيين أو العقليين إحياءً لأشلاء السفسطائيين المتلاشية .

وأمّا القرآن المجيد ففيه ما يقارب (43) آيه تسند كلمة الإرادة ومشتقاتها المختلفة إلى الله تعالى ، و (94) آيه تربط الإرادة بذات الإنسان . وأن الآيات التي تناولت الإرادة الإلهية تنقسم إلى عدة مجموعات

- **المجموعة الأولى :** وهي التي تبين حتمية الإرادة في مسألة التكوين ، أي أن الله إذا أراد أن يخلق شيئاً ، فإن إرادته سوف تؤثر قطعاً بحيث لا يمنع من تأثيرها مانع ، كقوله تعالى : " إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون " [61] ومن الواضح أنّه لا حاجة إلى كلمة (كن) في تأثير إرادته ، وإنما استُعملت في الحقيقة من أجل إدراك العقول البشرية ، وهذه الطائفة من الآيات – كما هو واضح – لا تقول لنا أي شيئ يريده الله ، وأي شيئ لا يريده .
- **المجموعة الثانية :** وهي الآيات التي تذكر بعض المصاديق المشار إليها آنفاً ، مثل قوله تعالى " قُل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يُهلك المسيح ابن مريم وأمّه ، ومن في الأرض جميعاً " [62]

[61] القرآن الكريم ، سورة ياسين ، الآيه 82 .
[62] سورة المائدة ، الآيه 17 .

و قوله : " قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً، بل كان الله بما تعملون خبيرا " .[63] ومن الواضح أن هذه المجموعة من الآيات إنّما تشير إلى السلطة الإلهية فقط ، وتَذْكُر الموارد الخاصة التي تُشكل أهمية للمخاطبين ، وهي لا تدل على أنّ الله قد أراد جميع حركات الإنسان حتى أفعاله الإختيارية .

- **المجموعة الثالثة:** وهي الآيات التي تعرض عاقبة الإرادات البشرية نحو قوله تعالى : " مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُومًا مَّدْحُوراً* وَمَنْ أَرَادَ الآخرةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً* كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاءِ وَهَـؤُلاءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً " [64]

فهذه الآيات الثلاث تؤكد على مسألتين هما في غاية الأهمية :

1- **المسألة الأولى :** إن الإنسان ليس مجبراً في كل ما يطلبه ويريده ، وأن إرادة الله تعالى تتعلق بنتيجة إرادته ، وهي الوصول إلى اللّذات والشهوات الدنيوية أو السعادة الأبدية ، وبتعبير أوضح إن الذي يختار بإرادته سلوك طريق معيّن، سوف تقع نتيجة اختياره وبطبيعة الحال مورداً لإرادة الله تعالى دون إرادة الإنسان .

2- **المسألة الثانية :** إنّ كلا الفريقين من الناس، سوف يستفيد من عطاء الله عزّ وجل (العوامل الذاتية والموضوعية). وكما لاحظنا أن هذه المجموعة من الآيات أيضاً لا تدل على الجبر فقط، بل تسند إرادة البشر إلى أنفسهم ، فهي تكشف من خلال ذلك عن اختيارهم .

- **المجموعة الرابعة :** وهي الآيات التي تتضمن معنى كون الإرادة الإلهية في التكاليف على وفق طاقة البشر ووسعهم ، مثل قوله تعالى :"... يُريد اللهُ بكُم اليُسر ولا يُريد بكم العسر ..." [65]
- **المجموعة الخامسة :** وهي الآيات التي تسلب الظلم عمَّا تعلقت به الإرادة الإلهية مثل قوله تعالى " .... وما اللهُ يُريد ظلماً للعالمين " [66]

نخلص إلى القول بأنّه لا يوجد في آية واحدة من هذه المجموعات الخمس أدنى إشارة إلى أنّ الله يريد قرن أعمالنا الإختيارية بالإرادة التكوينية .

---

[63] سورة الفتح ، الآيه 11 .
[64] سورة الإسراء ، الآيات 18-19-20 .
[65] سورة البقرة – الآية 185 .
[66] سورة آل عمران – الآية 108

أما الآيات التي تربط الإرادة بذات الإنسان فهي كثيرة جداً كما مر، وسنرى أن الله تعالى قد نسب، وبعبارات مختلفة، أعمال البشر الإختيارية إليهم أنفسهم ، ونزه نفسه من الظلم في كثير من الموارد ، كما في قوله تعالى :

1-" كل نفسٍ بما كسبت رهينة " [67]

2-" فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من ذكاها وقد خاب من دساها " [68]

3-وردت كلمة العمل ومشتقاتها المختلفة في القرآن المجيد بما يقرب من (300) مرة ، وقد نسبت جمع هذه الآيات العمل إلى ذات الإنسان، حيث يشير بعضها إلى أن الله يريد تذكيرهم بعذاب الدنيا ومصائبها وبأن هذا العذاب بما قدمت أيديهم . وفي البعض الآخر منها تضع جميع نتائج عمل البشر على عاتقهم ، ويسند قسم ثالث منها العذاب الأخروي إلى أعمالهم في الدنيا .

4-نفي مجموعة أخرى من الآيات الظلم عن الله تعالى مثل قوله " إنّ الله لا يظلمُ مثقال ذرةٍ " [69]

5-يوجد ما يقارب (80) آية في القرآن المجيد تسند الظلم إلى ذات الإنسان نظير قوله تعالى " ... فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " [70]

6-هناك مجموعة كبيرة من الآيات تنسب السلوكيات المستقيمة والمنحرفة إلى ذات الإنسان نحو قوله تعالى : " إنا هديناه السبيل إماً شاكراً و إما كفورا " . [71]

خاتمة

إن إسناد العمل إلى الله تعالى من جميع الجهات أمر مرفوض من وجهة نظر القرآن الكريم ، لأنّه لا يمكن أن يجبر الله الناس على المعصية ثم يعذبهم بعدها وهذا يعتبر من أعظم الظلم ، وحاشى لله أن يكون ظالماً . وقد ثبت بالأخبار الموثوقة وبالدليل العقلي تنزيه ساحته المقدسة من الظلم وإثبات الإختيار للإنسان في جميع حركاته وسكناته . وإن الإنسان في جميع أفعاله الظاهرية والباطنية سيكون محاسباً ولن يستثني أي واحد منهم من ذلك ، فإن كان محسناً فسيحصل على ثواب أعماله من الحسنات ، وإن كان مسيئاً يستحق العقاب على معاصيه ، ولكن بما أن رحمانيته واسعة جداً ، فله الحق في أن يغفر لمن يشاء .

---

[67] سورة المدّثر – الآية 38 .
[68] سورة الشمس – الآيات 8-9-10.
[69] سورة النساء – الآية 40 .
[70] سورة التوبة – الآية 70 .
[71] سورة الإنسان – الآية 3 .

وباختصار أن عدم إثابة الصالحين سيكون مستحيلاً في المشيئة الإلهية ، غير أن غفران ذنوب العصاة الذين ظلموا أنفسهم ولم يظلموا الآخرين ، ولم يكن ظلمهم شركاً سيكون أمراً ممكناً . وبذلك لا يمكن إثبات أدنى دلالة على جبر الإنسان .

الدكتور مصطفى بدر الدين

"عودة الى الحكمة"

نعلم جميعاً أن التطور العلمي في سباق مستمر مع الزمن، و إن حاولنا التوقف ثانية واحدة لأخذ حفنة من الأوكسجين لإلتقاط الأنفاس، يفوتنا قطار التكنولوجيا ويتركنا على قارعة رصيف هزيل نتصارع مع الجهل والفشل والندم...

اليوم وفي هذا الوقت بالذات حيث أنني أعيش لحظات الختام من عمل وقد صنف بالانساني، أرى بأن المرء لايمكن أن يتوقف عن التخزين العلمي اليومي بجعبته المهنية إن أراد أن يحافظ على مُثله وقناعاته وحسن الأداء في مهنته لكي تبقى الرسالة ، رسالة تضحية كشجرة وارفة بثمرة يستفيد منها من جرّب طعم ثمارها...

نعم، اليوم وفي كل يوم نستيقظ على دروس جديدة لنتعلمها في حياتنا و لن نتوقف ما دام العلم باق والأبحاث جارية و التطبيق يمارس... تطور علمي، معدات حديثة، تكنولوجيا، ولكن تبقى كلمة السر!! وهي الانسان... ونحن امام نوعين منه:

- الأول الانسان الطيب الخادم الأمين، صاحب الضمير وصاحب المعرفة.
- والثاني الانسان المطلوب أن نقدم له أفضل الخدمات. وهذا واجب...

والتجربة تقول وكيف تطورت المهنة في هذا الخضم العصري؟ وما هي الأمثولة التي جمعت في مسار أربعين سنة من ممارسة الطب ضمن هذه المعركة مابين الفكر الانساني و التطور التقني...وهنا لابد أن نلقي الضوء على الطبيب ومهنة الطب مع ما رافقهما من تطورات لتبقى الحكمة.

الطبيب ذو أهمية كبيرة لكثير من الناس في جميع أنحاء العالم، وهو الفارق بين الحياة والموت، ويمكن للتقنيات الطبية الحديثة جنباً إلى جنب مع رعاية الطبيب للمرضى، أن تمنح المصابين بالأمراض المزمنة الأمل في العيش لمدة أطول.

فالطبيب هو ذلك الشخص الذي لا تتوافر فيه فقط مقومات مهنة الطب البشري، بل إنّه قبل كل ذلك يقوم بعمل أكثر أهمية وهو عمل أخلاقيّ، إذ يغرس المعاني والعبارات الإنسانية والجميلة بين أفراد المجتمع، وهو في طبيعته إنسان في النهاية . وعلاقته مع المريض على مستوى رفيع من الأهمية. إنها تتسم بالثقة و الأمان اللذان هما أساسها، وهذه العلاقة تعد جزءاً من العلاج . لذلك التزام الطبيب في عمله يجب أن يقابله التزام المريض بواجبات أيضاً على قدر و أهمية كي نصل الى الهدف المنشود. بمعنى أوضح التزام الطبيب بإتقان عمله ومتابعة التطور الحاصل في ميدان اختصاصه والمحافظة على شرف المهنة و القسم ...بالمقابل واجبات المريض تعتمد على احترامه للطبيب والإفصاح عن المعلومات التي تتعلق بحالته الصحية بدقة، ويصرح عن الادوية التي يتناولها، ومن ثم التزام نصائح الطبيب والارشادات التي يقدمها له.

وهنا في هذه العجالة من التحقيق ، ومن خلال ممارستي لمهنة الطب خلال ما يقارب الاربعين سنة يمكنني أن استنتج ما يلي :

- أولاً: أهمية الطنيب

- الطبيب هو الشخص القادر غلى تشخيص أمراض البشر وعلاجها و التخفيف من أوجاع الناس وآلامهم.
- للطبيب دور بارز في نهضة المجتمع وتقدمه، وذلك من خلال اكتشافه للأمراض وحمايته لاساس المجتمع الذي هم البشر.
- يقوم الطبيب بغرس المعاني الانسانية الثمينة بين أفراد المجتمع من خلال تعميمه لمفهوم التكامل و التكاقل الاجتماعي، ومساعدة الآخرين، والتعب من أجل راحتهم، فيعطي المثل البناء في البذل في سبيل أبناء جلدته و مجتمعه.
- ما يقدمه الطبيب من علاجات ومقاومة للأمراض ينعكس على حياة الناس ويصبحون أكثر قدرة على مواصلة حياتهم والقيام بواجباتهم وأعمالهم بالصورة السليمة ، مما يعود بالفائدة على المجتمع و يساهم في عملية التنمية .

وهنا لا تتعجب أيها القارئ العزيز أن قلت لك أن الطبيب اليوم يفقد قيمته وانسانيه إن فقد الحكمة في التصويب ، أو لم يسارع بالإستجابة الدقيقة لشكوى ألم من سائل يسعى للشفاء، مع ابتسامة تطمئن القلب وكلمة تشفي العليل...

أيها القارئ العزيز

بين كل تلك البنية المحصنة والمسلحة بمعداتها الفعّالة، هناك "شخص واحد" وقد جمع المعلومات وبأسرع الأوقات، وبذهن وقّاد ومستفيد من محيطه الطبي التقني، ليخرج حكمته لتقود الشخص وتحضر العقار الناجع بأقل ضجة إعلامية أو مادية ليقدم ما لديه وليرفع الضيم عن حامله....

وما بين الاختصاصات ليس بإختصاص نافع إن لم يوجهه انسان قريب على مريضه أم بسكنه، إن كان بأخلاقه أو بعلمه، يعلم كيف يقرأ الماضي والحاضر مع المستقبل.

لم يبق سوى ذاك الطبيب وباعتراف الدول المتطورة، ذاك الانسان الانساني الذي هو صلة الوصل ما بين كل العصور، وفي أي عصر أو زمان عاش هذا الطبيب الذي سيحتاجه كل مجتمع متقدم أوروبي كان أو في أي بلد من العالم الثالث...

لأنه سيبقى الملاذ الأول والأخير ليس فقط للانسان بل أيضاً للعلم الذي يريد الجميع تطبيقه، ولكن دائماً يقع الجميع في أخطائه ومساوئه وعواقبه، حين ينسى المجتمع مكانة الطبيب وعواقبه.

وأخيراً وللفت النظر للطرق الحديثة في تطبيق الطب الصحيح ، لجأت الدول الى إقامة "مراكز التشخيص الاولي " في كل بلدة ودسكرة وحتى في أحياء المدن الكبيرة المشهورة في العالم ، وقد لجأت الى الاطباء الذين يقدمون الخدمات الطبية الاولية وخصوصاً التشخيص، وقد وضعت الدول أهم التقنيات المطلوبة لتسهل عمل الطبيب الذي عاش ويعيش في أهله وفي مجتمعه القريب، حتى أصبح هناك تنافس بين القطاع الخاص والعام في هذا التطبيق العملي لدرجة أن المرضى أصبحوا لا يأبهون للكلفة المطلوبة ، إذ أن الخدمات والفعالية و النوعية هي المطلوبة، مع طريقة الخدمة التي تجعل الطبيب يعوض عما فاته من فعالية يوم كان الاعتماد على آلة أو

معدات ، وباتت المجتمعات تركز لكل أطيافها في الميدان الصحي على الرأي الذي يعتمد أن الحكمة هي مع رجل وامرأة " يدعى طبيبك".

العميد الدكتور علي فاعور

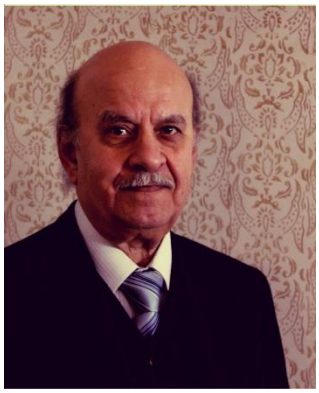

مزارع شبعا في الجغرافيا والتاريخ

الإطار الجغرافي

الأطماع الإسرائيلية في حرمون

هناك إعتقاد سائد بأن قمم جبل حرمون (أو جبل الشيخ)، تمثل في التاريخ الجيولوجي أول الأراضي اللبنانية التي ظهرت فوق المياه، وذلك في أواخر الطور الجيولوجي الثاني وأوائل الطور الثالث، يبلغ إرتفاعه حوالي 2839 متراً، وهو "يشرف على الشام وباديتها شرقاً، وعلى البحر المتوسط وجميع جبل عامل غرباً، ومن جبل الكرمل حتى أقاصي حوران والجولان جنوباً، وعلى أكثر لبنان والبقاع شمالاً، وهو يدعى أيضاً جبل حرمون الكبير، وقد سماه الأشوريون "سانيرو Saniro " والعبرانيون " شانير Chenire " والفينيقيون "سيريون Sirion"، وهذه الأسماء معناها راية أو علم وذلك لإرتفاعه عما حوله من الجبال، كما دعاه العرب جبل الشيخ، لأن الثلج يغطي قممه، وقد كان هذا الجبل مقدساً عند الأقدمين... وقد عبده الأقدمون لأنه مجتمع الغيوم بسبب علوه، فكانوا يعتقدون أنه واهب الخيرات ومحيي البلاد..."

جبل الشيخ: أبو المياه الحقيقي لفلسطين

"...إن جبل الشيخ (حرمون) هو ابو المياه الحقيقي لفلسطين، ولا يمكن فصله عنها دون توجيه ضربة قاسمة غلى جذور حياتها الإقتصادية بالذات، وجبل الشيخ لا يحتاج فقط إلى إعادة تحريج وتشجير، بل وايضاً إلى أعمال أخرى قبل أن يصبح مؤهلاً ليكون خزان مياه البلاد، لذلك يجب أن يخضع كلياً لسيطرة أولئك الذين تحدوهم الرغبة الشديدة أو يملكون القوة الكافية لإستغلال إمكاناته إلى اقصى الحدود...

كما يجب التوصل إلى إتفاق دولي تحمى بموجبه حقوق المياه للشعب القاطن جنوبي الليطاني (أي اليهود في فلسطين الكبرى) حماية تامة"...

من مذكرة تقدم بها الوفد الصهيوني إلى مؤتمر الصلح الذي إنعقد في باريس عام 1919.

موقع مزارع شبعا

تقع مزارع شبعا في السفوح الجنوبية الشرقية لجبال حرمون التي يصل إرتفاعها في قمة جبل الشيخ إلى 2814م، وهي تضم مجموعة هضاب تبدأ من قمة الزلقا، وهي ثاني أعلى قمة في جبل حرمون، وتنتشر في

منطقة جبلية يتراوح إرتفاعها بين 2000م في الشمال، و 250م في الجنوب، حيث تطل في الشمال والغرب على جبل الروس وجبل السُماق، وتشرف في الجنوب على مجرى نهر الوزاني ووادي الحاصباني، كما تتوزع في التخوم المشرفة على منخفض بحيرة الحولة في فلسطين، ويحدها في الشرق والجنوب الشرقي وادي نهر العسل، وذلك إبتداء من النقطة 39 (علامة على إرتفاع 320م) الواقعة في الجهة الغربية على الطريق المؤدية إلى بانياس (قرب جسر بانياس)، وهو الطريق الوحيد الذي يصل لبنان بسوريا (من مزرعة المجيدية اللبنانية حتى بانياس السورية)، والتي تلتقي فيها الحدود بين فلسطين وسوريا ولبنان. وهي تضم عدة مزارع يزيد عددها على 15 مزرعة كبرى، كانت تسكنها أكثر من 1000 عائلة، يبلغ عدد المنازل فيها 1200، ويُقدر عدد سكانها بحوالي 15 الف نسمة، وهي تشكل إمتداداً طبيعياً للقرى المنتشرة في إقليم العرقوب، وذلك إبتداءً من بلدة شبعا الواقعة على إرتفاع نحو 1300 متراً، تليها كفرشوبا وكفر حمام، ثم مزارع حلتا والدحيرجات، وخربة الدوير، والمجيدية، والوزاني.

كما انها تتوزع في منطقة هضاب واودية تمتد بطول يبلغ 25 كم، على طول وادي النهر المسمى وادي العسل بين الشمال والجنوب، وعرض يتراوح بين 13 و14كم، بحيث تزيد مساحتها على 250 كم2، وهي تشمل عدة مزارع، أهمها: مزرعة النخيلة: وتقع على إرتفاع 220م، يليها مغر شبعا (300م) في الجنوب، ثم خلة غزالة (600م)، ومزرعة فشكول (650م)، ومزرعة قفوة (850م)، ومزرعة زبدين (900م)، والرمتا (1000م)، ثم مزرعة برختا (1200م)،هذا بالإضافة إلى مزارع أخرى في الشمال، مثل: كفر دورة وبيت البراق، وبسطرة ومراح الملول، والربعة، وجورة العقارب، وحربتا، وهي تضم أراض زراعية واسعة، خصوصاً في ضهر البيدر ومشهد الطير.

ترتبط هذه المزارع ببلدة شبعا حيث تقيم العائلات المالكة للأرض، والتي كانت تستخدم الجرود العالية، والتلال الجبلية لرعي قطعان الماعز، حيث تم بناء حظائر تحولت لاحقاً إلى منتجعات للإقامة الشتوية، ثم سرعان ما نشأت المزارع العائلية، مع توسع زراعة الحبوب والزيتون، حيث يؤكد الأهالي أن مزارعهم، تقع في أراض لبنانية منذ إنشاء دولة لبنان الكبير عام 1920م، وحتى عام 1958م كانت قوى الأمن الداخلي اللبناني تتولى مراقبة الأوضاع الأمنية، وتسيير الدوريات مع مأموري الأحراج لضبط الأمن ومراقبة أعمال التهريب.

بعد ذلك، وفي أعقاب الحرب العربية الإسرائيلية عام 1948، فقد توسع العدوان الإسرائيلي ليشمل مساحات واسعة من الأراضي المتاخمة لسهل الحولة، كما إنتشرت مخافر الأمن السورية في هذه المزارع للحفاظ على الأمن، ومواجهة الأطماع الصهيونية والدفاع عن المناطق الحدودية المتاخمة لفلسطين المحتلة، وفي المقابل

إنقطعت دوريات قوى الأمن الداخلي اللبناني عن تأدية مهامها، ومع بداية الستينات بدأت علاقة أهالي شبعا تخف بأراضيهم، حيث إقتصرت العلاقة على مواسم قطاف الزيتون ورعي قطعان الماعز.

ويتبيّن من بعض المصادر أن هذه المزارع، وبنتيجة موقعها الإستراتيجي المشرف على منخفض الحولة ، قد جرى إستخدامها من قبل القوات السورية بموجب إتفاق تم في العام 1952، حيث أقامت فيها عدة مراكز لمراقبة التحركات الإسرائيلية وأعمال التسلل.

ومع إطلاق حرية العمل الفدائي الفلسطيني من أراضي العرقوب، ثم إنتشار المقاومة الفلسطينية وتمركزها في قرى المنطقة عام 1968، حيث بدأت القوات الإسرائيلية بالإستيلاء على مزارع شبعا، كما إقتطعت مساحات واسعة من أراضي كفرشوبا، وهجرت أهاليها حتى وصلت إلى قمم جبل الشيخ (قصر شبيب 2814م)، فأقامت مراصد عسكرية (مثلاً في قمة الزلقا على إرتفاع 2969م) ومراكز أمنية ودفاعات ومنعت الأهالي من العودة إلى مزارعهم.

أما بالنسبة لأهمية مزارع شبعا، فهي تعتبر الشريان الإقتصادي الحيوي لبلدة شبعا خاصة ولمنطقة العرقوب عامة، وهي تشكل نحو 80 في المائة من خراج بلدة شبعا التي لا تملك أراضي إلا في هذه المزارع، كما تعتبر إمتداداً طبيعياً لخزان المياه الجوفية في المثلث اللبناني– السوري– الفلسطيني، ويصلح القسم الشمالي منها لناحية السفح الغربي لجبل الشيخ للتزلج على الثلوج، ويؤكد أبناء البلدة أن ترسيم الحدود العام 1923، لم يشمل المزارع بإعتبار أنها تقع في الجهة الشرقية بين لبنان وسوريا، أي ضمن خط الإنتداب الفرنسي، وبالتالي لم تشملها إتفاقية "بوليه نيوكومب"، التي رسمت حدوداً بين خطي الإنتداب الفرنسي والإنكليزي (بين لبنان وفلسطين وبين سوريا وفلسطين)، لكن فقد تم إستدراك الأمر في الأربعينات، وتكرس ذلك في إتفاقية الهدنة عام 949، وكذلك في سلسلة إتفاقيات لبنانية سورية وضعت لاحقاً..

- كما يؤكد أهالي المزارع رواية تعود إلى العام 1952، عندما "قام المواطن عبدالله ديب صعب بقتل اخويه الإثنين من غير أمه وخالته بتحريض من والدته، الجريمة وقعت في مزرعة قفوة، وعلى الفور جاءت فرقة من الدرك اللبناني والقت القبض على القاتل، وكشفت على مكان الجريمة وجرت المحاكمة في مدينة صيدا، وأعدم القاتل في ساحة البرج، ويستند محمد ديب خطار إلى الرواية للقول مجدداً بأن المزارع لبنانية، والسلطات اللبنانية كانت تقوم بواجباتها على أكمل وجه فيها".
- وبحسب رأي بلدية شبعا، فإن المزارع لبنانية، وبلدية شبعا تدير شؤونها وتقوم بتعيين نواطير الأحراج وتتولى "الحسبة"، أي عمليات بيع وشراء أراضي أو منتوجات زراعية طيلة سنوات الخمسينات والستينات، كما كان العدادة يتولون إحصاء قطعان الماعز والماشية من أجل إلزام أصحابها بدفع

الضرائب التي كانت تصب في خزينة الدولة اللبنانية. كما أن مخفر درك شبعا كان يتولى تنظيم مجاضر الضبط بقطع الأحراج وباقي المخالفات، وفي العام 1954 حضر أحد القضاة العقاريين من صيدا إلى المزارع وقام بمسح بعضها بناء لطلب أصحابها، لكن معظم المزارع لا مساحة فيها بل "طابو" إختياري، ومن جملة من قاموا بمسح أراضيهم يوسف عيسى الذي باع الأرض.

- ويقول نائب رئيس بلدية شبعا المنحلة في العام 1968، أن بلدية شبعا قد تقدمت بطلب إلى وزارة الداخلية (الشعبة الثانية) عبر القائمقام والمحافظ للطلب من سلطات الإحتلال عبر لجنة الهدنة اللبنانية – الإسرائيلية، الحصول على إذن للسكان لقطف موسم الزيتون وكان الرد إيجابياً، وأعطونا مهلة ثلاثة اسابيع. بعدها طلبت السلطات اللبنانية من المزارعين عدم دخول المزارع بحجة الحفاظ على حياتهم، وبعد بضعة أشهر قدمت لنا مساعدات رمزية لمدة شهرين، ثم فتح مخفر شبعا أبوابه على مدى ثلاثة شهور، بناء لأوامر وزارة الداخلية وسجل الأهالي ممتلكاتهم التي إحتلت في حزيران عام 1967.

الأطماع الإسرائيلية: قضم الأراضي وإحتلال مزارع شبعا

مع بداية حرب حزيران 1967، وبالرغم من عدم مشاركة لبنان فيها، فقد شملت الأطماع الإسرائيلية التوسعية الأراضي اللبنانية، حيث تم إحتلال مزارع شبعا وتهجير أهلها. وقد بدأت عملية الإحتلال على مراحل، كما يلي:

- **المرحلة الأولى:** بدأت في الخامس عشر من شهر حزيران 1967، حيث تم إحتلال عدة مزارع، منها: مغر شبعا، خلة الغزالة، ضهر البيدر، رويسة القرن، جورة العقارب، وفشكول، وقد هجّرت قوات الإحتلال الإسرائيلي الأهالي وأجبرت المزارعين على إخلاء مزارعهم.
- **المرحلة الثانية:** بدأت في 20 حزيران، حيث وسعت القوات الإسرائيلية إحتلالها ليصل إلى مزارع قفوة، زبدين، والرمتا، و تم طرد أصحاب هذه المزارع بعد مصادرة مواشيهم ومحاصيلهم.
- **المرحلة الثالثة:** بدأت في 25 حزيران، حيث إجتاحت القوات الإسرائيلية ما تبقى من مزارع شبعا، أي الربعة وبيت البراق، وبرختا التحتا، وبرختا الفوقا، ومراح الملول، ولقي أهالي هذه المزارع نفس مصير إخوانهم المهجرين قبلهم.
- **المرحلة الرابعة:** شملت الإعتداءات تدمير المنازل وإحراق المزارع، وذلك وفق الآتي:

- بتاريخ 26 حزيران 1967، دمرت قوات الإحتلال الإسرائيلي جميع المنازل والآبار وزرائب المواشي في كل المزارع من مغر شبعا في الجنوب، إلى مراح الملول في الشمال.
- وفي آب 1967، أحرقت قوات الإحتلال الحقول والبساتين وأجزاء واسعة من الغابات، ودمرت "مشهد الطير"، وهو يمثل مقام النبي إبراهيم عليه السلام.
- في صيف 1972، أحاطت قوات الإحتلال هذه المزارع بالأسلاك الشائكة، وزرعت الألغام في المناطق الأخرى، مما أودى بحياة العشرات من أبناء شبعا وقتل الآلاف من رؤوس المواشي، كما أنشأت المراصد العسكرية في جبل الشيخ.

- **<u>المرحلة الخامسة:</u>** في عام 1985، أنشأت قوات الإحتلال مستوطنتين، وإستقدمت قوات الفالاشا وأسكنتهم في مزرعتي رويسة القرن وزبدين (600م عن سطح البحر)، حيث توجد تربة خصبة ومناخ دافئ لزراعة الحبوب والأشجار المثمرة، وقد وضع حجر الأساس لهاتين المستوطنتين الحاخام الإسرائيلي مائير كوهونا، كما أنشأت مجتمعاً سياحياً للتزلج في منطقة مقاصر الدود، ثم أقامت شبكات طرق جديدة، وحوّلت المنطقة إلى إستراحات سياحية للتزلج والترفيه في منطقة تمتد بطول خمسة كيلومترات، وهي تعتبر اليوم من اهم مراكز التزلج الإسرائيلية في سفوح جبل حرمون الغربية.

وفي نيسان 1989، أنذرت قوات الإحتلال الإسرائيلي سكان مزرعة بسطرة (60 عائلة)، التي كانت لا زالت خارج شريط المزارع المحتلة، وطلبت منهم إخلاءها، فرفض الأهالي، إلاّ أن قوات الإحتلال ابعدتهم بالقوة وهدمت المنازل، وأحاطت هذه المنطقة بالشريط الشائك، وضمتها إلى المزارع الأربع عشرة المحتلة عام 1967.

- في هذا الوقت، بقيت عائلة تسكن في مزرعة بسطرة هي عائلة "محمد عبدالله زهرة"، الذي توفيت زوجته قبل حوالي عشرة أيام، وقام بدفنها في مدافن بلدة شبعا، حيث يقوم جنود الإحتلال بفتح الشريط الثالث لتأمين مروره إلى بسطرة. وفي خريف العام 1995، سمح الإسرائيليون لحوالي ثمانين مزارعاً بالدخول إلى المنطقة الواقعة بين الشريطين الثاني والثالث (قفوة، فشكول، جورة العقارب، ضهر البيدر، وخلة الغزالة)، وذلك بموجب تصريح من أجل قطف مواسم الزيتون، لكن الأغلبية وجدت الاشجار محروقة وإكتفت بالزيارة التفقدية، ولم تكررها منذ ذلك الحين.
- ويشير البعض إلى إقدام الإحتلال الإسرائيلي على سرقة تربة ورمول المزارع، وخاصة من بسطرة، و"باب الحد" في كفر حمام، فضلاً عن إستمرار خطواتهم الإستيطانية في مزارع رويسة القرن، وزبدين ومراكز التزلج في مقاصر الدود.

- ويقول أحد ابناء بلدة شبعا، بأن محمد علي سرحان قد زار المزارع في العام 1976، عن طريق دخوله الأراضي المحتلة بواسطة جواز سفر أميركي، وتبيّن له أن معظمها مزروعة بالأشجار المثمرة وخاصة كروم العنب، فضلاً عن الإستفادة من زيتونها الروماني المعمّر.

كذلك فقد إعتمدت دولة الإحتلال الإسرائيلي سياسة قضم الأراضي، حيث تابعت إحتلال مساحات واسعة من أراضي كفرشوبا، وتوسعت إلى وادي الخنسا، البحاصير، ورويسة السمّاق، الجبل الأحمر وجبل الروس، بالإضافة إلى منطقة مشهد الطير التابعة للأوقاف الإسلامية، وهذه المناطق تمتد من خراجات كفرشوبا، وكفر حمام، وشبعا، وفي غمرة المواجهة الإسرائيلية السورية عام 1973، فقد إقتطع الإحتلال الإسرائيلي من مرتفعات جبل الشيخ العديد من المواقع اللبنانية، أهمها في خراج بلدة شبعا: وتشمل جورة العليق، الشحل، بركة النقار، السواقي، وتلة السدانة الواقعة بين شبعا والهبارية، وتتميز بموقعها الإستراتيجي المهم الذي يطل على القطاع الشرقي كله، وصولاً إلى محيط قلعة الشقيف ومنطقة النبطية.

- وتقدر مساحة الأراضي المقتطعة من العرقوب خارج مساحة المزارع بطول ثمانية كيلومترات وعرض بين ثلاثة وأربعة كيلومترات، وتمتد من تلة السمّاقة، حتى مزرعة شانوح، مروراً بالبيادر جنوبي شرقي كفرشوبا.

مستندات ثبوتية: مزارع شبعا أراض لبنانية

يتبيّن بالرجوع إلى بعض الوثائق والمستندات، ثبات لبنان بملكية مزارع شبعا، وتؤكد لبنانية هذه المزارع سندات التمليك التي لا زالت بحوزة الأهالي، فضلاً عن وثائق وقيود لتصنيف الأراضي ودفع الضريبة وجواز المرور، وهي تضم محاضر ووثائق قيد صادرة عن الجمهورية اللبنانية في محافظة الجنوب، وتابعة لدائرة صيدا العقارية، كما أنها تابعة لبلدة شبعا في قضاء حاصبيا، ويمكن ذكر بعض هذه المستندات كعناوين لوثائق متعددة، وفق الآتي:

- **مستند رقم "1":** شهادة قيد ملكية للسيد "على حسين هاشم" في مزرعة برختا صادرة عن الجمهورية اللبنانية، ومسجلة في الدوائر العقارية في صيدا عام 1956.

- **مستند رقم "2":** محضر تصنيف الأراضي للسيد "علي بنوت"، صادر عن الجمهورية اللبنانية في محافظة الجنوب من قرية شبعا في قضاء حاصبيا، حول ملكية أراضي في مزارع برختا وكفر دورة، وحاربية، عام 1954.

- **مستند رقم "3":** سند تمليك للسيّد "قاسم حسين هاشم"، في مزرعة "خلّة الغزالة"، صادر عن الجمهورية اللبنانية، المكتب العقاري في صيدا، والمنطقة العقارية في شبعا، عام 1942.

- **مستند رقم "4":** شهادة قيد لملكية في مزرعة برختا، صادرة عن الدوائر العقارية في صيدا، للسيد "حسين قاسم الخطيب"، عام 1949.

- **مستند رقم "5":** سند طابو للسيّد "إ. ح. خ."، حول ملكية أراضي في مزرعة برختا (التابعة لقرية شبعا في قضاء حاصبيا)، صادر عن الدوائر العقارية في صيدا عام 1922.

- **مستند رقم "6"**: سند تمليك في مزرعة قفوة، للسيد "إسماعيل مصطفى صادر"، عن السجل العقاري في صيدا، وتابع للمنطقة العقارية في شبعا، عام 1987.

- **مستند رقم "7":** سند تمليك أراضي في خلّة الريحانية، في موقع زبدين في خراج بلدة شبعا، للسيد "مصطفى العبدالله".

- **مستند رقم "8":** قرار قضائي صادر عن المحكمة الشرعية للطائفة السنية في بيروت، بتاريخ 31-3-1945، وذلك حول إمتلاك أراضي ومقام النبي إبراهيم علية السلام في المزارع، المسمّاة "مشهد الطير".

- **مستند رقم "9":** قرار مجلس الوزراء اللبناني المنعقد في 16-1- 1948، والذي يبلغ فيه المحكمة الشرعية للطائفة السنية في بيروت، عدم صلاحيتها بامتلاك أراضي (بموجب حكم قضائي صادر عن المحكمة بتاريخ 31-3-1945)، وذلك في مزرعة "مشهد الطير" حيث يوجد مقام النبي إبراهيم عليه السلام، وذلك بإعتبار هذه الأراضي أملاكاً لبنانية تعود للدولة، ولا يحق لمحكمة دينية إمتلاكها دون ترخيص من الدولة.

وهذا كله يؤكد أن سيادة الدولة اللبنانية على هذه المزراع تعود لما قبل العام 1945.

- **مستند رقم "10":** سند خاقاني قديم حول ملكية أراضي في موقع مزرعة حربيا في قرية شبعا التابعة إلى قضاء حاصبيا، وباسم "علي بن وهبي"، وحدود قطعة الأرض السادة محمد منصور ومحمد أبو حويلة وأولاد حسين حمود... وهذا ما يؤكد أن مزرعة حربيا تابعة إدارياً وعقارياً إلى قرية شبعا في قضاء حاصبيا منذ القديم.

- **مستند رقم "11" و "12":** وهي وثائق سندات قديمة "سند خاقاني"، وتؤكد بشكل قاطع تبعية المزارع العقارية والإدارية لقرية شبعا في قضاء حاصبيا.

يستدل من هذه المستندات بصورة مؤكدة، أن أراضي شبعا هي أراض لبنانية تاريخياً وجغرافياً، وهي تابعة من مختلف النواحي لأبناء العرقوب، وخصوصاً أهالي بلدة شبعا، بموجب قيود وسجلات قيد المقيمين، كما أن مزارع شبعا المذكورة تابعة من الناحية العقارية إلى بلدة شبعا، التابعة بدورها إدارياً إلى قضاء حاصبيا، والتابعة أيضاً للدائرة العقارية في صيدا (وذلك قبل استحداث محافظة النبطية وفصلها، حيث أصبح القضاء يتبع لها). وهي ملكيات عقارية ممسوحة وثابتة بموجب سجلات مدوّنة في محاضر تصنيف أملاك وأحكام قضائية، وسندات طابو صادرة جميعها عن الجمهورية اللبنانية، والرسوم المالية المستوفاة عنها في مراحل تاريخية مختلفة، أثناء الإنتداب الفرنسي وبعد الإستقلال، وحتى ما قبل إحتلالها عام 1968، وهي تؤكد بوضوح الإنتماء الجغرافي والإداري والقانوني لهذه المزارع إلى الدولة اللبنانية بحدودها المعروفة والمعترف بها دولياً.

توزيع مزارع شبعا: عدد المنازل وأسماء العائلات المالكة

إسم المزرعة	عدد المنازل	عائلات مالكيها
المغر (مغر شبعا)	200 منزل	آل سرحان، ماضي، من شبعا
زبدين 0الفوقا والتحتا)	200 منزل	آل عبدالله، وحمدان، ونصار ، من شبعا

النخيلة	200 منزل	آل شهاب، والأميوني من حاصبيا، وآل الزغبي من شبعا
فشكول	40 منزل	آل حمد من شبعا
البراق (أو بيت البراق)	15 منزل	آل السعدي وآل حمدان، من شبعا.
رمتا	40 منزل	آل هاشم، من شبعا
بسطرا	15 منزل	آل الحناوي وآل ناصر من شبعا
برتعيا	30 منزل	عموم أهالي شبعا
كفردورة	20 منزل	آل صعب من شبعا
الربعة	15 منزل	آل الحناوي وآل ناصر من شبعا
خلة الغزالة	15 منزل	آل هاشم، وآل الخطيب، من شبعا
مراح الملول	20 منزل	آل صعب، وآل كنعان، من شبعا
برختا (الفوقا والتحتا)	60 منزل	آل منصور، وآل غادر، من شبعا
قفوة	200 منزل	غموم أهالي شبعا
حربيا	أراض زراعية	عموم أهالي شبعا

هذا بالإضافة إلى مزارع اخرى ، منها الآتية:

النقار والمرج	أراض زراعية	عموم أهالي شبعا
رويسة القرن	90 منزل	
جورة العقارب	78 منزل	
ضهر البيدر	15 منزل	
مشهد الطير	أراض زراعية	آل خيرالله من شبعا.

ملاحظة:

- نصّ القرار رقم 3066 الصادر في 9 نيسان (إبريل) 1925، والذي يختص بتنظيم دولة لبنان الكبير إدارياً، على ان محافظة مرجعيون تتألف من مركز المحافظة مرجعيون وفيها (32 قرية) ومديرية حاصبيا وفيها (26 قرية) ومنها قريتا شبعا والنخيلة،
- وكذلك المرسوم رقم 2489 لسنة 1944 الذي تمّ من خلاله إدخال منطقة شبعا ومزارعها والنخيلة ضمن حدود صلاحية حاكم صلح حاصبيا،
- والمرسوم رقم 152 لسنة 1939 الذي يذكر فيه خربة النخيلة وشبعا ومزارعها عن تقسيم قضاء مرجعيون من الوجهة الطبيعية الى منطقتين.

خلاصة عامة

يتبيّن من دراسة وضع مزارع شبعا وترسيم الحدود الدولية الجنوبية اللبنانية أن هذه المزارع لبنانية منذ القدم، ومن مختلف النواحي التاريخية والإدارية والسكانية والقانونية، وذلك إستناداً إلى المعطيات التي ذكرناها، والملاحظات الأتية:

الإتفاقات والمعاهدات الدولية:

- إستند ترسيم الحدود الجنوبية في لبنان، إلى الحد الفاصل بين المنطقة الشمالية الواقعة تحت الإنتداب الفرنسي، والمنطقة الجنوبية الواقعة تحت الإنتداب الإنكليزي، ويمتد هذا الحد حسب إتفاق الحكومتين المنتدبتين (في 23 كانون الأول 1920) من "رأس الناقورة على البحر، حتى بانياس الباقية ضمن المنطقة الأولى". ويتبيّن من هذا الإتفاق أن جبل حرمون قد أُبقي بكامله ضمن الأراضي اللبنانية والسورية.
- وبموجب إتفاقية بوليه– نيوكومب (17 آذار 1923)، فقد تم ترسيم الحدود بين لبنان وسوريا (الإنتداب الفرنسي) من جهة، وبين فلسطين (الإنتداب البريطاني) من جهة ثانية، وقد تم وضع العلامات الحدودية من الناقورة على البحر المتوسط حتى بانياس في الشرق، حيث تم

وضع 39 علامة حدودية رئيسية بحيث تبدأ الحدود السورية – الفلسطينية من النقطة 40 على مجرى نهر بانياس.

- وعند ترسيم الحدود لم توضع علامة رئيسية في نقطة الحدود عند "جسر الغجر"، على نهر الحاصباني، وهي تقع بين العلامتين الرئيسيتين "38" ، عند موقع المطلة، و "39" قرب بانياس، والتي تعتبر خط النهاية في الحدود الجنوبية بين لبنان وفلسطين المحتلة.

- وبنتيجة الخلاف الذي وقع بين لبنان وكيان العدو في تطبيق إتفاقية بوليه– نيوكومب عند ترسيم مكان الحدود، خصوصاً بين النقطتين |38" و "39"، فقد حصل في كانون الأول عام 1949، ترسيم للحدود بين لبنان وأراضي قلسطين المحتلة بإشراف الأمم المتحدة، حيث تم إحياء وتمركز أماكن النقاط ال "39" على طول المنطقة الحدودية الجنوبية من الناقورة إلى بانياس بشكل واضح.

- إتفاقية الهدنة بين لبنان وكيان العدو الإسرائيلي في 23 أذار 1949: بعد الموافقة على إنضمام دولة الإحتلال إلى الأمم المتحدة، وتعهدها تنفيذ القرارات الدولية المتعلقة بالحدود، قامت لجنة الهدنة اللبنانية – الإسرائيلية بعملية مسح جديدة لتثبيت نقاط الحدود على الخرائط، وذلك بعد إعلان دولة الإحتلال موافقتها على أن يتبع خط الهدنة الدائمة الحدود الدولية بين لبنان وفلسطين، وهي الحدود التي تم ترسيمها في الإتفاق السابق، وقد تم المسح الجغرافي على الأرض بين 5 و 15 كانون الأول عام 1949، حيث جرى تركيز العلامات المحددة على الخرائط.

- وقد نصت إتفاقية الهدنة عام 1949 في المادة الخامسة، الفقرة الأولى منها، على التالي: يتبع خط الهدنة الحدود الدولية بين لبنان وفلسطين، وقد كرست لجنة الهدنة في إجتماعاتها المتتالية نقاط الفصل الأساسية (وعددها 38)، وفق إتفاقية بولية – نيوكومب (7 آذار 1923)، بالإضافة إلى النقطة "39" بين الحدود المشتركة السورية – اللبنانية –

الفلسطينية، وإستحدثت نقاط ثانوية ما بين النقاط الأساسية، لتثبيت الخط الفاصل وتحديده بدقة، لا سيّما أن المسافة بين نقطتين أساسيتين كانت تتعدى مسافة 2 كيلومتراً أحياناً.

الحدود اللبنانية – السورية:

- بموجب الإتفاقات الدولية السابق ذكرها، وبعد ترسيم الحدود اللبنانية السورية خلال عهد الإنتداب، فقد إعتبر المسؤولون اللبنانيون ومالكو الأرض آنذاك، أن خطأ فنياً حصل اثناء إصدار الخرائط، وترسيم الحدود الدولية القائمة على السفوح الجنوبية الغربية لجبل الشيخ، حيث وقعت غالبية هذه المزارع اللبنانية داخل الحدود السورية، بينما هي في الواقع كان يجب أن تكون داخل الأراضي اللبنانية، نظراً لثبوت ملكيتها من أصحابها اللبنانيين، من خلال المستندات والإفادات العقارية وأوراق الطابو التي يملكونها.

- وفي عام 1946، أعلنت الخارجية السورية جواباً على مذكرة لبنانية في هذا الشأن، بأن ما حصل هو عمل فني بحت، لم يكن يُقصد منه تعديل حدود أو إدخال مزارع، وذلك بموجب مذكرة رقم ق. 574 (124/53)، تاريخ 29-9-1946.

- وفي عام 1949، وبعد نيل سوريا ولبنان الإستقلال، فقد شُكلت لجنة لبنانية – سوريا لترسيم الحدود بين البلدين، وتألفت اللجنة من الجانب اللبناني، من: المير مجيد إرسلان، الرئيس تقي الدين الصلح، وعبد الحميد بيضون، وقد توصلت اللجنتان إلى الإتفاق حول ترسيم الحدود بين البلدين، فجاءت لتؤكد أن مزارع شبعا جزءًا من لبنان يحدها من الشرق الوادي المعروف بوادي العسل الذي يمتد بين أعالي جبل الشيخ في الشمال، أما في الجنوب فهو يمتد حتى نقطة إلتقاء وادي العسل بالطريق الدولية الممتدة بين بانياس ومزرعة المغر (حيث توجد العلامة رقم "39").

- كما تؤكد لبنانية مزارع شبعا محاضر اجتماعات اللجان الحدودية اللبنانية – السورية، والتي تمت في عامي 1964 و 1967، وذلك بموجب محضر بتاريخ 1964/2/27، وآخر بتاريخ 20 و 1967/2/21، وهي تبيّن أن الحدود الدولية بين البلدين هي حدود المسح

العقاري بينهما، مما يؤكد أن حدود الأملاك العقارية التابعة للقرى الممسوحة من الجمهورية اللبنانية هي الحدود الدولية بين لبنان وسوريا.

- بعد ذلك، وفي أيار من العام2000، فقد تم الإنسحاب الإسرائيلي بطريقة أحادية من جنوب لبنان وبلدة شبعا، بينما بقيت مزارع شبعا تحت الإحتلال، بعد ذلك، فقد أعاد فريق أممي برعاية الأمم المتحدة، رسم خط الإنسحاب الذي سُمّي بالخط الأزرق، وأعلن أنه تم الإنسحاب من كامل الأراضي اللبنانية وفقاً للقرار الدولي رقم 425 (الذي يُطالب دولة الإحتلال بالإنسحاب من الأراضي اللبنانية)، وهكذا فقد أكّدت المنظمة الدولية بإعلانها هذا أن مزارع شبعا سورية، وخاضعة لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة بالجولان المحتل (قرار مجلس الأمن الدولي ذي الرقم 242)، لكن لبنان رفض ذلك وطالب بالإنسحاب الكامل من كافة الأراضي اللبنانية، بما فيها مزارع شبعا بإعتبار أنها أراض لبنانية لا زالت محتلة، وهذا ما دفع مجلس الأمن لاحقاً لإصدار القرار 1680، في جلسته المنعقدة بتاريخ 17 ايار 2006، مطالبة لبنان وسوريا بت الحالة القانونية للحدود بين الدولتين "بتحديد حدودهما المشتركة، وخاصة في المناطق التي تعتبر فيها الحدود غير مؤكدة أو محل نزاع"، وإيداع الأمم المتحدة الوثائق ذات الصلة.

حدود مزارع شبعا: الأرض والسكان والإدارة

تؤكد كافة المستندات التي ذكرناها، أن مزارع شبعا لبنانية وهي تضم الأراضي التابعة لآبناء العرقوب، وخصوصاً بلدة شبعا، وذلك بموجب المعطيات الآتية:

1. **السكان وسجلات النفوس:** الثابت في سجلات القيد للمقيمين ، أن أهالي هذه المزارع هم لبنانيون، وغالبيتهم من بلدة شبعا التي تقع في قضاء حاصبيا، أي أن تعداد السكان في قضاء حاصبيا كان يشمل أهالي المزارع، حيث توجد عائلات (أكثر من 100 عائلة) معروفة منذ القدم.

2. **<u>الأرض والسجلات العقارية:</u>** تؤكد ملكيات الأراضي بشكل ثابت، كما يتبين في المستندات المذكورة، أنها تابعة عقارياً لقرية شبعا وأبناء العرقوب في قضاء حاصبيا، ومسجلة لدى السجل العقاري في صيدا، وأن معاملات بيع وشراء ومسح الأراضي، كان يتم في الدوائر العقارية اللبنانية، مما يؤكد أن هذه المزارع تابعة للبنان.

3. **<u>ممارسة السلطات الإدارية:</u>** إن ممارسة السلطات الإدارية والأمنية دورها وصلاحياتها في المزارع والأراضي التابعة لها، من قوى أمن، ونواطير أحراج، وجباية مالية، وأحكام قضائية، تؤكد ثبات سيادة الدولة اللبنانية على هذه المزارع، مما يؤكد لبنانيتها بشكل ثابت.

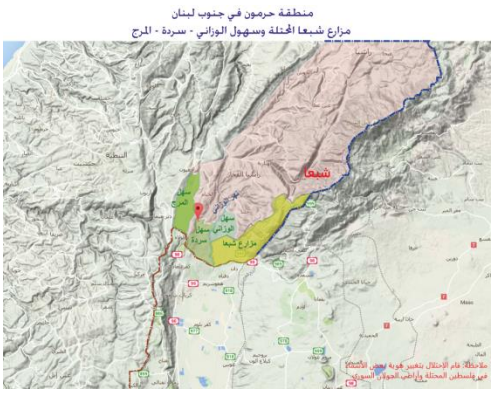

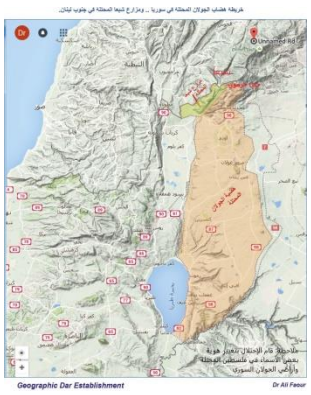

الأستلذة نرجس حيدر عمران (الجمهورية العربية السورية)

الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي

مما لا شك فيه أن الحياة ماضية قدماW، وأنها خلال مسيرتها تلك مرت بعدة تطورات ومتغيرات، تبعا لاختلاف الظروف والأوضاع العامة والخاصة السائدةK سواء البيئية أو البشرية . وثبات هذه المعطيات كان يعطي سمة عامة للفترة الزمنية أو العصر، لذلك كان يطلق عليه اسماً مناسباً لها.

وريثما كانت تتغير هذه السمات ينتهي عصر ويبدأ عصر أخر، مثل اكتشاف الأبجدية كان بداية لعصور جديدة، وليس بالضرورة أن يكون الحدث الفاصل بين عصرين هو إختراع او إكتشاف، فقد يكون انتصار أو احتلال أو حكم مثل العصر العباسي أو الأموي أو غيره...

فكان ثباتها ولو أن لكل عصر من العصور معطياته وسماته، وطابعه الخاص الذي يميزه عن عصر أخر، وحتى إن وجد تشابهاً بين عصر وأخر في ناحية من النواحي، فهذا لا يعني عدم التفرد والتميز للعصر الواحد.

لقد تعاقبت على البشرية عصور مختلفة، تميز كل منها بخصوصيته، كالعصر الحجري والعصر الجاهلي والعصر الإسلامي و.. و..

هكذا تعاقبت العصور حتى وصلت إلى عصرنا هذا، عصر التكنولوجيا والمعلومات، عصر السرعة وعصر الإنترنت، تختلف مسمياته، لكنه يتطابق بنقطة واحدة وهي أنه عصر الإنترنت الذي أصبح ثورة في حياة البشرية، لدرجة أنه في هذا العصر يعتبر جاهلا من لا يتقن كل أو بعض علوم الإنتريت والتعامل مع وسائله وأدواته تماماً كما كان يسمى جاهلاً من لا يعرف القراءة والكتابة.

لا يختلف اثنان عن مقدار الحداثة التي يشهدها هذا العصر، من حيث الوسائل والطرق والأساليب المتبعة في الحياة العامة، والمختلفة طبعاً من بلد إلى أخر، وفي نفس البلد من سوية مجتمعية إلى سوية أخرى . وبين العصر والعصر الأخر اختلفت حسب مقدار ما شهد من تطور وتقدم في علومه وثقافة أبنائه وبالتالي سوية المعيشة والرغد، وذلك تبعا لدرجة

التقدم والتطور، ومواكبة العلوم، ومسايرة الحداثة والاختراعات، وأيضا الحالة المادية التي تفرض نفسها بقوة و بكل الأزمنة والأمكنة.

وهذا التطور ليس فقط في وسائل النقل والحياة اليومية كالسيارات والطائرات والأفران والمعامل والألبسة والزراعة والآلات... بل أيضا تعداها إلى الرقميات، نعم ليصبح عالمنا عالماً رقمياً، وبوسعنا أن نجوب العالم بجهاز بحجم الكف، وأن نتواصل مع الأصقاع المختلفة، وأن نحصل على أية معلومة نريد، وأن نواكب الأحداث، ونعلم بمختلف التطورات، ونراها أيضا بأم العين صوتاً وصورة.

فالعلم لا حدود له أبداً ويظهر هذا من خلال قوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا).

مثلا وسائل الإعلام، ويقصد بالإعلام تزويد الناس بالأخبار والمعلومات التي تساعدهم على تكوين آرائهم، ورفع مستوى وعيهم وثقافتهم، وتحملهم للمسؤولية، حيث تقوم به جهة رسمية أو غير رسمية، وللإعلام أربعة عناصرهي:

- أولا المرسل :هو الجهة التي تصدر منها المعلومات والأخبار سواء كانت رسمية أم غير رسمية.
- ثانيا المتلقي : هو الجهة التي توجه إليها المعلومات.
- ثالثا الرسالة: هي المعلومات والأخبار التي يريد المرسل تقديمها للمتلقي من خلال الوسيلة للتأثير على آرائه وأفكاره.
- رابعا الوسيلة: وهي الأداة التي تستخدم لإيصال الأخبار والمعلومات سواء كانت مقروءة (صحف ومجلات)، ومسموعة (مذياع)، ومرئية (تلفاز)،وكذلك إلكترونية (حاسوب– جوال).

طبعا هذه الوسائل شهدت تطوراً كبيراً بين بدايتها وتقدمها مع السنوات، فأصبحت تقريباً كلها إلكترونية، وأهم وسائل الإعلام الجديد : مواقع التواصل الإجتماعي ، الصحف الإلكترونية ، صفحات الإنترنت... وذلك لسهولة استخدامها وسرعتها في تأدية الغاية المرجوة منها ومتطلباتها المتاحة وهي:١ وجود جهاز إلكتروني، و شبكة إنترنت ، و بريد إلكتروني وحساب بأحد مواقع التواصل الإجتماعي...

هذا ما جعل الإعلام إعلاماً تفاعلياً، أي هو عملية اتصال تفاعلية ناتجة عن الإندماج بين الحاسوب والشبكات والوسائط المتعددة والأجهزة الذكية... ومن أبرز خواصه: التفاعل بين المرسل والمتلقي، وتحويل المتلقي إلى مرسل متى أراد، وسهولة استخدامه وهو متاح في أي وقت وفي أي مكان، ويلزمنا دوماً الإنتفاح في التعامل مع هذه التكنولوجيا ليس فقط من أجل مواكبتها بل لتفادي مساوئها.

فكم هو هذا العقل الذي حبانا الله أياه من نعمة كبيرة، استطعنا من خلاله بالجهد والتفكير والدأب والحلم

والطموح أن نختصر مسافات وأزماناً. بما هو لصالح البشرية والإنسانية جمعاء. حتى الحروب ماعادت حروباً في ساحات المعارك أو السلاح الأبيض، بل أصبحت إلالكترونية توجه صواريخها إلى أي بقعة تريد وكذلك العلم أصبح متاحا عبر الشبكات الزرقاء، بوسع طالب للعلم التخرج من أية جامعة عبر النت.
حتى التسوق بوسع الشخص أن يتبضع وهو جالس في منزله...فالحمد لله على نعمة العقل هذه.
ولكن يجب أن لا ننسى أن لكل شي أو لكل جانب او أمر أو موضوع وجهان، وعلينا أن نحسن الإستفادة من الجانب الإيجابي، وتفادي الجانب الأخر، أو المحاولة قدر المستطاع من التقليل من الإنعكاسات السلبية له، وأبسطها هي الجلوس لساعات طويلة خلف وسائل التواصل الاجتماعي.بغية العمل أو العلم، فهي ذات أثار سيئة على صحة الجسد، وهذا أمر بسيط من مضارها الكثيرة. فكلنا يعلم أن الإستخدام السيء ينجم عنه نتائج لاتعد عقباها، فبقدر ما تحقق لنا هذه التقنيات من إيجابيات، وبقدر ما هي سهلة في الإستخدام، بقدر مايتوجب علينا الحذر والحرص منها وعليها.
بعضنا يستخدمها لغرض التعلم والعمل والمعيشة والتطور والتواجد ونشر المواهب وإبداء الرأي والعمل الإنساني وطرح الأفكار والتشافي وال.. وال...
أي الغاية الإيجابية إلا أن البعض يقصدها لغايات غير نبيلة، او أنه قد لا يكون واعياً لدرجة كافية، فيتورط بما لا شأن له به مثلا:
لأنه عالم واسع ومجهول، وبابه مفتوح بمصراعيه على كافة العقول والعقليات، وعدم الحرص الكاف... قد يورط الشخص في شبكات احتيال وجريمة أو انهيار أخلاقي أو خسائر مادية ومعنوية و ... لأنه كما سبق وأسلفنا الباب مفتوح بمصراعيه أمام كل العقليات والأفكار، فالبعض وجد في هذا العالم الأزرق وسيلة للنصب والاحتيال والكسب غير المشروع، سيما وأن الجريمة الإلكترونية لم تكن مقرة قانوناً بعد، وأن القانون لا يحمي المغفلين...
والجانب الاكثر خطورة هو أولادنا الصغار حين لانكون قد أمنا طرقاً سليمة أمامهم لمتابعة ماهو سليم فقط، ومناسب لأعمارهم، عدا عن أن البعض اعتمد هذه الوسائل لنشر برامج تشوه عقول صغارنا، وتزرع فيها أفكارا بعيدة عن تربيتنا. أفكاراً ملؤها العنف والقوة بعيدة عن التسامح والمحبة والتعاون والإخوة. لذلك انقسم العالم بين مؤيد لهذه التكنولو جيات ومعارض لها،
منهم من يراها أخذت الإنسان من حياته وواقعه وجعلته رهينا لها، واضعفت الروابط الأسرية... ومنهم من يرى العكس تماما . أما أن نرى أنها كأي أداة أو وسيلة حسب استخدامها تنعكس علينا.
السكين في المطبخ مثلا تكاد تكون بل هي كذلك، أهم أداة في المطبخ نطهو ونحضر الطعام وكل الوجبات بالسكين، فلولاها كم كنا سنعاني وقتاً وجهداً في التقطيع والتحضير، إلا أن وجودها واستخدامها لهذا الغرض

جعلها إيجابية جداً في حياتنا، وأيضا هي ذاتها السكين تقلب لتصبح أخطر أداة حين نستخدمها لأغراض سيئة كالقتل مثلا..وعندها تصبح أشنع اداة. وهكذا فإن استخدامنا للسكين هو من حدد لنا اهميتها وقيمتها.
وكذلك الحال في مواقع التواصل الإجتماعية فإن طريقة استخدامنا لها هي التي تحدد لنا قيمتها وفؤائدها ومضارها. فقط بالعقل والعقل وحده نتدارك كل المساوىء لتنعكس إيجابا على مجتمعنا وأبنائنا، وبالعقل أيضا سياتي زمن تصبح فيه هذه الحداثة أمراً لايذكر تجاه مخترعات جديدة تبدو لنا حالياً كالحلم، كما كان الحديث والتواصل مع أناس مسافرين بالصوت والصورة حلما لأهلنا .
فكل ماهو لصالح البشرية علينا أن نطوره ونهتم به لأننا نحن هي البشرية ..

الأستاذ الدكتور يحيى شامي

تطور الصورة النجومية في الشعر العباسي

بنات نعش الكبرى، والصغرى، سهيل، الزُّهرة، أو "نجمة الصباح" إن شئت، وسواها من النجوم والكواكب، منفردة ومجتمعة، ما كان أجملها في النظر، وأشدّ تأثيرها في النفس وهي تلمع بعيداً في السماء، موحية بالجلال، حافزة إلى التصور والخيال: فبنات نعش[72]، على سبيل المثال، وقبل الاهتداء إليها في قبة السماء الشمالية، لطالما حفز مجرد التلفظ باسمها، إلى جعل المرء يتصورها نجمات متلفعات برداء من نور، متهاديات وراء نعشين اثنين، أحدهما أكبر من الآخر، وقد جُلّل النعشان بالسواد، يطوف بهما "السادة المشيعون" من النجوم، ولسان "حالهم" يقول لبني البشر من علٍ:

"أيها الناس، كما في الأرض، كذلك في السماء..على أنّ حزننا، نحن، لدائم، ومصابنا لماثل، وما نحن بخالعي ثوب الحداد إلى يوم تبعثون[73]...!"

أجل، ما أسهل على المرء أن يتصور مثل هذا في ذهنه، لأن الأمر من السهولة بمكان.. خذ من الوهم خطوطاً، ثم صلْ تلك الخطوط بهاتيك النجوم، ولا تهمل عمل الخيال في إضافة ما يناسب من الظلال والألوان... وهل صور البروج، وقد جعلوا لكل منها اسماً، وأعطوه رسماً وشكلاً، إلّا ثمرة هذا الضرب من التخيّل، افتنّ فيه القدامى حينما لاحظوا انتقال الشمس، وحلولها في كل واحد منها شهرا، وهي تزاور عن النجوم ذات اليمين، وذات الشمال!؟

النجوم البارزة من برج العقرب، ما أيسر أن تأخذ القلم لترسم به خطوطاً مستقيمة، حيناً، ومتعرّجة، حيناً آخر، واصلاً ما بينها، ليتبدّى لناظريك العقرب تماما، بشولته وقلبه وزبانه إن لم نقلْ بلحمه... وما قولك ببرج

---

[72] النعش: سرير الميت. وبنات نعش الكبرى سبعة نجوم تشاهد جهة القطب، وبالقرب منها سبعة نجوم تدعى وبنات نعش الصغرى، أحدها يدعى النجم أو النجمة القطبية.

[73] تقول الأسطورة إن "نعشاً" قتل على يدي "الجدي" النجم المعروف، فبنات نعش تدور به، تريده.أنظر: مجمع الأمثال، للميداني ج2. ص407. مكتبة الحياة. بيروت 1961

الأسد إذا ما وصلت بين نجومه بالخطوط ذاتها، وعلى النسق نفسه، أفلا يستوي في المخيّلة أسداً سويّاً مثل بقيّة الآساد، بزبرته، وجبهته ونثرته، وما يعوزه بعدُ إلا التزآر!؟ وقل الأمر عينه فيما يخص سائر بروج السماء، وما تشتمل عليه هذه، من نجوم وكواكب... ومن ذا الذي يغفل عن جمال الثريا، فلا يتصوّرها ضفيرة نفيسة من الجمال، أو قرطاً بديعاً لو ترصّع به آذان الحسان!؟

مثل هذه التصورات اللذيذة، والتخيلات الجميلة راودت المجتمعات البشرية في طفولتها منذ القديم، فكان ثمة أساطير وصور للأبراج والكوكبات، مثلما راودت كل انسان في طفولته.

ولو أننا انتقلنا من عالم الطفولة والأسطورة إلى عالم النضج العقلي، والإبداع الأدبي والشعري، لشعرنا أيضاً باللذة نفسها، تولدها فينا، إن لم نقل تضاعفها، لغة الشعر التصويرية والمجازية، ومقدرتها التعبيرية على إيجاد "مجموعة من التأثيرات الانفعالية التي تضفي على المضمون الجمالي لأي عمل فني، دلالة وجدانية خاصة تختلف باختلاف الذكريات والارتباطات المتولدة في ذهن المتذوق[74]"، فكيف بك إذا كان هذا العمل مرتبطاً بما في السماء من نجوم، وما تثيره هذه، شكلاً ولوناً وتألقاً، في النفس من صور وإيحاء وتأثير... حتى العميان ما كان انعدام البصر ليحول دون تطلعهم إلى آفاق السماء ليروا تلك اللآلئ الباهرة، والنجوم الحائرة، يهتدون إليها بنور العقل، ويبصرونها بعين الخيال، ليفيضوا عليها من مشاعر، ويخلعوا عليها من مجال، فإذا الصورة خلق جديد أين منه ما تجلوه أحياناً أعين المبصرين! ألم يقل أبو العلاء قديماً:

ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان
وكأن الهلال يهوى الثريا فهما للوداع معتنقان [75]

صورة حية تنمّ عن فارط إحساس بالجمال، وعن انفعال به، قدمها لنا الشاعر فحرك فينا فيضاً من الإحساس والانفعال. أو ليس الفنان العظيم كما يقول برغسون Bergson هو الذي يصدر في عمله عن انفعال جديد أصيل، بحيث يولد في أنفسنا أحاسيس جديدة أو عواطف لم يكن لنا بها عهد، أو انفعالات لم تكن لنا في الحسبان[76].

[74] هذا الرأي للفيلسوف الاسباني G. Santayana (1863-1952) أنظر: فلسفة الفن في الفكر المعاصر، لزكريا إبراهيم. ص86. مكتبة مصر 1966
[75] شرح ديوان سقط الزند من القصيدة رقم 9 ص 45. شرح وتعليق نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت 1965
[76] فلسفة الفن في الفكر المعاصر ص27

مما لا شك فيه أن ثمة أشياء جميلة بطبيعتها، وفي ذاتها، إلا أن للخيال دوراً في إكسابها معظم هذا الجمال. ونقصد بالخيال، هنا، خيال الملهمين من الشعراء، وغير الشعراء من الفنانين الذين عرضوا كيف يخلعون على هذه الأشياء سر جمالها، وكيف يستلبونها لأنفسهم، ويحيلون إلى ذواتهم، ليضفوا عليها قيمتها، ويبرزوا جانب الجمال فيها. ولولا ذلك، الطبيعة لنا خلواً من كل جمال، مفتقرة تماما إلى كل تعبير، إن لم نقلْ عديمة الاكتراث، وإن كنا لا ننكر أن العمل الفني، وكما يرى Diderot إنما هو العمل الذي ينبع من الواقع، ويستمدّ منه عناصر وجوده العامة[77].

ولا يخفى أن جمال المنظر، وأنت تبصره حقيقة، أحيانا، هو دونه بكثير وأنت تنظر إليه بعين الخيال من خلال الصورة الشعرية التي تبدعها مخيلة الشاعر إبداعا، وتخلقها خلقا جديدا[78]. ذاك أن الشاعر أو الفنان، لا يقف عند حدود الظاهرة الجمالية، كما تبدو للعيان، وحسب، بل قل إنه لا يقتصر على رسم الواقع المباشر لظواهر الأشياء، ولكنه يعبر عما هو جوهري فيها، فهو يجمل الطبيعة أو المشهد، ويتغلغل إلى أعماقه، ويفيض عليه من رهافة الحس، وهذا ما يجعله أشد فتنة، وأكثره إثارة... وإذا سهيل على لسان أبي العلاء، يكاد يخرج عن كونه جرما يشع بالنور، ليكون قلبا خافقا معنّى، تغشى وجهه صفرة وجوه العاشقين:

وسهيل كوجنة الحبّ في اللون وقلب المحبّ في الخفقان[79]. سهيل هذا، وسواه من النجوم أو الكواكب التي مهما تكبر فإن حجم واحدها باستثناء الشمس والقمر، فلن يزيد على قبضة الكف، أو الدينار، بالنسبة إلى العين المجردة، سهيل هذا، أوحى، على صغره، في القديم، إلى الشعراء ما أوحى، فكيف بهؤلاء لو استشرفوا مواقع النجوم، كما هي فعلاً، ورنوا من خلال أبسط منظار فلكي، إلى المشتري، أكبر الكواكب السيارة، أو الى زحل، أشرف الكواكب داراً؟.

وما عساهم كانوا يقولون لو أنهم امتلكوا ناصية المرقب الإلكتروني الحديث فشاهدوا، أو شهدوا أرتال السّدم والمجرات ، بنجومها الملايين، وهي تزحف في مجاهلها السحيقة، وما يقبضهنّ إلا الله؟ أفلا يتحوّل المشهد، كواقع طبيعي محض، وبنظر الشاعر الملهم، إلى مشهد من الخلق الفني، حافل بالرؤى، غني بالإيحاء والإبداع؟ أولم يكن ذلك قديماً منذ أن انبرت "سافو" Sappho ، الشاعرة اليونانية القديمة، وعلى استحياء، لتتغنى بجمال "نجمة المساء" المسكونة بالأرواح؟

ولرب سائل يسأل فيقول أين هي النجوم في الشعر العربي الذي ما عرفناه إلا معرضاً للمدائح والأهاجي والمراثي والمفاخر؟ من المعروف أن الشعر العربي ينحصر، أو يكاد، في الشعر الغنائي، حيث عواطف الشاعر، و مشاعره من حب و مدح و فخر ورثاء وهجاء. معانٍ وأغراض تكاد تكون هي ذاتها لدى معظم

---

[77] النقد الأدبي الحديث، لمحمد غنيمي هلال. ص 269. دار العودة. بيروت. 1973

[78] يقول مالرو :Malraux "إن غروب الشمس الذي يستشير إعجابنا في فن التصوير ليس هو غروب الشمس الجميل، بل هو غروب الشمس الذي صوره فنان عظيم" انظر: فلسفة الفن في الفكر المعاصر. ص 159

[79] سقط الزند ص 45

الشعراء، ولعهود طويلة. لكن ثمة حقيقة يجب أن لا تغرب عن بال الدارس، وهي تداخل بعض الأغراض الشعرية ببعضها الآخر، ولعل فن الوصف بالذات، فضلاً عن استقلاله أحياناً، يأتي في مقدمة هاتيك الأغراض الشعرية المتداخل بعضها في بعض.

خذ الغزل أو المدح أو الطلل، على سبيل المثال، تجد مظاهر الوصف ماثلة لك محاسن حبيبة، وصفات ممدوح، وتقلب رمال .. وأنت لو كلفت نفسك البحث عن شعر وصفي متخصص بمظاهر الطبيعة فلن تجده قائماً بنفسه، منسلخا عن غيره، إلا بعد عناء، فكيف لو رحت تبحث عن شعر متخصص بالنجوم.

كان هذا سمة العهود الأدبية الأولى المغرقة في القدم، لكن هذه السمة سرعان ما تبدلت ونمت على مر الزمان إذ أننا نلاحظ، في العصر العباسي خاصة، أن ثمة شعراء راحوا يعطون للوصف قيمته الفنية، ونزعته الاستقلالية، ملتفتين إلى الطبيعة، متقصين جوانبها الفتانة، ولا سيما تلك المتعلقة بالسماء والنجوم. وإننا لنجد ذلك واضحاً كل الوضوح في شعر العديد من شعراء عصر بني عباس، كالصنوبري، وابن المعتز، وأبي هلال العسكري، على سبيل المثال. ولا يعني هذا أبداً أن شعراء البادية والحواضر العربية في القديم قد انصرفوا عن مثل هذا اللون من الشعر، كلّا، وأنّى ذلك؟ ولو كانوا من أبناء تلك الأمم النائية عن كبد الصحراء ممّن ينعقد الضباب فوقهم، أو السحاب والغمام، لغفرنا لهم جهلهم بخبر ما في السماء؛ لكنهم كانوا من الصحراء في الصميم، ومن الصفاء ورقة الطبع وسرعة التأثر والانفعال بمكان... وأنت لو اطّلعت على علوم العرب ومعارفهم في الجاهلية لوجدت في مقدمتها علمهم بالنجوم والأنواء... وأنت لو رجعت الى أدبهم: شعره وأمثاله وأسجاعه، لما أعوزك الدليل والشاهد على صحة ما نقول... كل هذا صحيح، ولكن الأصح أن هذا النوع من الشعر ما كان ليقوم بنفسه إلا نادراً، ولم يكن تعبيراً مرتبطاً بتجربة الشاعر الذاتية مباشرة بقدر ما كان مرتبطاً بتجربته العامة من خلال بقية الأغراض الشعرية... وما حدث مثل هذا التطور قط إلا في العصر العباسي.

[1]فلسفة الفن في الفكر المعاصر ص27

[1]النقد الأدبي الحديث، لمحمد غنيمي هلال. ص 269. دار العودة. بيروت. 1973

[1]يقول مالرو :Malraux "إن غروب الشمس الذي يستشير إعجابنا في فن التصوير ليس هو غروب الشمس الجميل، بل هو غروب الشمس الذي صوره فنان عظيم" انظر: فلسفة الفن في الفكر المعاصر. ص 159

[1]سقط الزند ص 45

الدكتورة فاطمة دقماق(اختصاصيّة في علم النّفس المدرسيّ)

الإدارة التّحفيزيّة

مقدمة

إن إيجاد فريق العمل المحفّز والمتحمّس لأداء مهامه وأدواره، يعتبر من أولى المهمات المنوطة بشخص المدير، سواء أكان هو الذي يدير المؤسسة ككل، أم أنه مسؤول عن إدارة قسم معين أو مجموعة من الأفراد، كما وتعد هذه المهمة من التحدّيات الرئيسية التي من شأنها أن تبرز وجود الكفاءة العالية، والإتقان للمهارات والفنون الإدارية المتنوعة في إدارة العمل والفريق عند شخص المدير أو عدمها، ومن شأنها أن تحدّد أيضًا ما إذا كانت الإدارة تنتهج مسارًا تربويًا حديثًا في عملها، ترتكز من خلاله على أنها تدير وتتعامل مع أناس وبشر، لهم حاجاتهم ودوافعهم، أمزجتهم وطباعهم، ميولهم واتجاهاتهم، وهم ليسوا كالآلات، إنما يحتاجون إلى الأجواء المفعمة بالإحترام والتقدير، والتي من شأنها أن تعزّز من انتمائهم للمؤسسة التي يعملون فيها، وتجعل قدرتهم على العطاء تتسامى بلا حدود .

1. تعريف الإدارة : Administration

الإدارة هي عبارة عن تنظيم جهود الأفراد وتنسيقها واستثمارها بأقصى طاقة ممكنة، للحصول على أفضل النتائج بأقل جهد ووقت ممكنين، ومن التعريفات فيها :

عرّفها " بيرسي بوراب " بأنها " حصيلة العمليات التي يتم بواسطتها وضع الإمكانيات البشريّة والمادية في خدمة أهداف عمل من الأعمال " (البوهي، 2001 : 13) .

كما تعرف "بأنها المعرفة الدقيقة لما تريد من الأفراد أن يعملوه ،ثم التأكّد من أنهم يقومون بعمله بأحسن طريقة وأرخصها" (Taylor,1903: 21) .

وتعرّف أيضا بأنّها تنسيق الموارد البشريّة والمادية من أجل تحقيق أهداف العمل. ودور الإدارة مختلف عن غيره من الأعمال، فهي بخلاف عمل الطبيب مثلًا، لأنها يجب أن تتم داخل مؤسسة، أي داخل نسيج من العلاقات الإنسانية، لذلك فإن المدير دائمًا هو المثال الأهم في أعماله (بن حبتور، 2004م، ص 29).

مـن خـلال تناولنـا لهـذه التعريفـات يمكننـا اسـتخلاص تعريـف الإدارة بأنـه مجموعـة العمليـات والجهود المنسقة التي يقودها شخص المدير للموارد البشريّة وغير البشريّة، إضافة إلى المتابعة لكل ظروف العمل، بما في ذلك من توجيه وتحفيز للفريق العامل بأجمعه، في سبيل تحقيق كافة الأهداف المنشودة للمؤسسة، والفعّالة في تطوير المجتمعات، بأقل كلفة وأكثر جودة .

2. تعريف التّحفيز : Stimulus

تعـدّدت التعريفـات التـي تناولـت موضـوع الحـوافز والتّحفيـز، واختلفـت بـاختلاف آراء البـاحثين والنظريات التي ينطلقون من خلالها ويعتبرونها ركيزة لتعريفاتهم، من هذه التعريفات :

عرفت بأنها العملية التي تشجّع وتوجّه السلوك (إيجرت، 1998 :1) .

كما عرفت الحوافز بأنها الوسائل المادية والمعنوية المتاحة لإشباع الحاجات والرغبات المادية والمعنوية للأفراد (القريوني 2004 : 301) .

يعرف التّحفيز أيضًا بأنه المحرّك الأساسي الذي يدفع الأفراد لتحقيق وإرضاء رغباتهم، والإجابة على كل ما يطلب منهم (عبد الرحمن، 2005، ص194) .

كما تعرف بأنها الوسائل أو العوامل الخارجية التي تشبع حاجات العامل وتوجه سلوكه على نحو معين (المجدوب 2002 : 342) .

يمكننـا اسـتخلاص أن التّحفيـز هـو القـوة الدافعـة التـي تسـتثير الأفـراد وتوجـه سـلوكهم للعطـاء الأفضل على كافة المستويات، بشكل يشبع حاجاتهم للإنجاز ويزيد في إنتاجية عمل المؤسسات من خلال المواقع الوظيفية التي يشغلون فيها على اختلاف أنواعها .

3. أهمية التّحفيز في زيادة الفعالية :

يعتبر التحفّز أو الإندفاع في العمل مظهر حيوي من مظاهر العمل الجيد، فهو يعالج قضية التزام الأشخاص بعملهم واضطلاعهم بأعباء وظيفتهم أو عملهم بجد وهمة ونشاط، وبالتالي تحقيق ما يصبون إلى تحقيقه من أهداف، في الحصول على الحوافز المختلفة (كينان، 1995، ص 9).

كما تتّجه الإدارة المتقدّمة إلى التنمية والمحافظة على رفع مستوى الروح المعنوية بين العاملين، إذ تفترض الإدارة الحديثة أن الروح المعنويـة المرتفعة تؤدي إلـى إنتاجيـة أفضـل من جانـب العـاملين وتكاليف عمل أقل، لذلك يسعى المديرون الناجحون إلى رفع الروح المعنوية كوسيلة للحصول على إنتاجية أكبر وأداء أفضل، والنمو والإستمرارية في العمل والربح الوفير (حسان والعجمي، 2007 م، ص 359).

وقد أثبتت الأبحاث أن الموظفين يعملون بكفاءة تعادل فقط 60 % مما يستطيعون تقديمه للعمل، وعن طريق التقنيات التّحفيزيّة الفعالة، يمكن تعديل هذه الإحصائية، وطرق باب 40% من الطاقة الكامنة بداخلهم (بروس، 2003، ص 173).

فمن المعروف أن الإنسان يختزن الحجم الكبير من الطاقات الكامنة بداخله، وهو لا يعمل بها بالدرجة الكافية والفعالية المطلوبة، إلاّ إذا أحيط بالأجواء التي تستفزّ طاقاته وتثير تلبية حاجاته، وتدفع بسلوكه نحو تحقيق أهداف يرغب بها، ونقصد بها الأجواء المحفّزة التي تعمل على تلبية مجموعة من الحاجات الفطرية المتداخلة لدى البشر، حيث أن استخدام الحوافز وأهميّتها يرتكز على حاجة الفرد إلى التقدير والاعتراف بأهمية إنجازاته وما يقوم به من أعمال، فتقدير الآخرين وأرباب العمل لهذه الجهود عن طريق الحوافز، يعتبر من الأمور المهمة، التي تسهم في إشباع الحاجة إلى التقدير، كما تسهم في تلبية الحاجة إلى تحقيق الذات، التي تصنّف في أعلى هرم الحاجات الإنسانية التي تكلّم عنها العالم النفسي ماسلو، حيث أن عملية التّحفيز تفيد في دفع الإنسان كي يستخدم كل طاقاته، ويبلغ ذروة إمكاناته، وهذا ما يسهم في إحرازه لمستوى عال من تحقيق الذات .

- ويمكن تلخيص أهمية استخدام التّحفيز والحوافز بأنها تسهم في تحقيق ما يلي

1. رفع معنويات العاملين وزيادة الطاقة المحركة لديهم .
2. زيادة الإنتاجية على مستوى كمية العمل .
3. تطوير الإنتاجية على مستوى نوعية العمل .
4. تقديم الأداء الأرقى والأفضل من قبل الأفراد .
5. نسج علاقات إيجابية فيما بين الإدارة وجميع العاملين .
6. تنمية روح الولاء والإنتماء لدى العاملين للمؤسسة .
7. تلافي الكثير من مشاكل العمل كالغيابات وقلة الدافعية للعمل عند الأفراد العاملين وغيرها .
8. خلق الشعور بالرضا الوظيفي لدى جميع العاملين .
9. خلق الشعور بالأمان والراحة النفسية لدى الأفراد .
10. تشجيع الأفراد من أجل التطوير المهني المستمر .
11. إتاحة الفرصة لمشاركة العاملين في حل المشكلات واتخاذ القرارات المتعلقة بمؤسسة العمل .

4. كيف يكون المدير محفزا :

إن قدرة الشخص المدير أو المسؤول على خلق الأجواء المحفّزة داخل مؤسسته لهي مهارة عالية، وهي المفتاح الأساسي الذي يوصله لتحقيق أفضل الأهداف في عمله، ومن المؤكّد أن تفعيل استخدام التّحفيز بكافة أوجهه من قبل شخص المدير، هو وسيلة ناجحة لزيادة الإنتاج والفعالية لدى الأفراد العامين، إضافة إلى كونه يكسبه سلطة تربوية مطلقة في التعامل معهم، ويجعل قدرته على التأثير عالية في عقولهم وقلوبهم، وهذا يساعد في تذليل الصعوبات والمشكلات التي تعترضه، وفي اختصار المسافات أمامه في طريقه لتحقيق الأهداف والنتائج المطلوبة .

ولكي يكون المدير شخصاً محفّزًا لمن حوله وللأفراد العاملين في مؤسسته، عليه أن يحرص على تطوير قدراته الفنية والشخصية بشكل دائم، وعلى امتلاك الكثير من المهارات في التواصل والتعامل بإيجابية مع الآخرين، وفيما يلي جملة من التوجيهات والنصائح المفيدة لكل مدير في كيفية إدارة عملية التّحفيز :

1. من المهم أن تتمثّل عملية التغيير في سلوك المدير، قبل الآخرين :

فكما قال تشاندلر في كتابه (100 طريقة لتحفيز الآخرين) : ليس هناك أمرًا أكثر تحفيزًا للموظفين من الإدارة أو القيادة التي تبدأ فيها من نفسك كقائد : إذا بدأت بنفسك فإنك سوف تحفّز الآخرين عندما تتواجد معهم، وسيكون من الموحى والمحفّز لهم أن تفعل ما تتمنى منهم أن يفعلوه، كن محفّزًا بالإيحاء، فالآخرون يفضلون أن تلهمهم بأن تكون قدوة لهم بدلًا من أن تقوم بمجرد تعديل أدائهم وتصحيحه، لأن ذلك أفضل من أي شيء آخر، كما أنه يحقّق نتائج مبهرة، لذا، كن أنت ما تتمنى أن تراه في الآخرين : فإذا أردت أن يكون موظفوك أو مرؤوسوك أكثر إيجابية مثلًا، كن أنت أكثر إيجابية (تشاندلر، 2006م، ص 30- 31) .

وهذا ما يمكننا تسميته الإدارة بالقدوة، كما التعليم بالقدوة، فبدلًا من كثرة الخطابات التي يحصر بعض المديرين أدوراهم فيها، بحيث لا يطلّون على موظفيهم وعلى العاملين لديهم إلاّ في مواقف الخطاب وإلقاء النظريات، من المهم أن تتجسّد الأهداف التي يبغيها المدير في أفعاله وممارساته، أن يعمد إلى إيصال الفكرة بالموقف أكثر من القول، وهذا أشدّ تأثيرًا في نفوس الآخرين وعقولهم .

2. أهمية الاستماع الجيد :

إنّ الناس جميعًا يرغبون ويتمنون أن يتم الإستماع إليهم، فإذا قمت كمدير بالتوقّف والإستماع إلى موظّفيك، فإنهم سوف يخبروك بكل الأشياء التي تعد على قدر كبير من الأهمية بالنسبة إليهم، بما فيها الأشياء التي تتسبّب في إثارة حماسهم وتحفيزهم للعمل، ويأتي دورك كمدير في تلبية

احتياجاتهم، فيكون الإستماع والإستجابة هنا، من أعظم الطرق التي هي في متناول يد المدير، والتي بإمكانها إثارة الحماس والتّحفيز للعمل (الفقي، 2011م، ص 6)

ولكي يكون الإستماع مؤثّرًا فعّالًا في تحفيز الآخرين للتعبير عما لديهم، من المهم أن يلتفت المدير دائمًا إلى المصداقية في الكلام حين يقطع وعوده لهم وقت استماعه، فلا تبقى هذه الوعود عالقة دون التطبيق إلى ما لا نهاية، ويكون تأثيرها سلبي في انقطاع هذه الرغبة لدى الموظّفين في استماع المدير إليهم، لطالما أن هذا الإستماع غير فعّال وغير مجد في تلبية احتياجاتهم ومطالبهم في العمل .

3. توسيع دائرة المشاركة في العمل :

إن المدير الناجح هو من يكون حاضرًا مع موظّفيه في كل المواقف، مشاركًا في لحظات أفراحهم وأحزانهم، متواجدًا في مواقف العسر واليسر أثناء تأدية مهامهم وأدوارهم، فلا يحصر وجوده داخل حجرة مكتبه، ويحدّد دوره بعلاج المشكلات وحل النزاعات التي ترفع إليه، لأن حضوره على أرض الواقع وتماسه مع فريق العمل، كفيل بحد ذاته أن يحدّ من نشوء المشكلات، ويكون حافزًا فعّالًا لهم لإعطاء أفضل ما لديهم .

4. إكتشاف ما يحفّز الموظفين بشكل مباشر :

إن ملاحظة المدير المباشرة لأداء الأفراد العاملين في مؤسسته، ومشاهدته لهم في مواقع وظائفهم وفي المواقف العملية المختلفة، له دور رئيسي في اكتشافه للمحفّزات التي تثيرهم،

ولحاجات كل فرد منهم في ذلك، وبالتالي فإن ذلك يفيده ويزوّده بتغذية راجعة حول تعديل أنظمة الحوافز والمكافآت الموضوعة داخل المؤسسة عند الضرورة، حسب مقتضى حاجات الموظفين وما يثير دوافعهم، والإكتشاف عن طريق الملاحظة يكون أفعل منه عن طريق الإستماع .

5. التعرّف على مواطن القوة لدى الموظّفين :

تدعو هذه الفكرة شخص المدير للإنتقال من الجيد إلى العظيم، وتنطبق أيضًا على الأشخاص الذين يقومون بتحفيزهم، فمن المؤثّر والفعال أن تعمل على بناء مواطن القوة داخل مرؤوسيك بدلًا من القلق المفرط بشأن مواطن الضعف لديهم، وأفضل الطرق الإبداعية والإنتاجية المحفّزة، تقوم باكتشاف ما يميّز كل شخص، ثم نقوم بعد ذلك بتوجيه هذا التميّز نحو الهدف فينتقل إلى مرحلة العظمة (تشاندلر، 2006م، ص 106 – 109).

6. تشجيع الموظفين على التفكير بحلول للمشكلات :

إنها تقنية تحفيزية هامة، تستثير المهارات الفكرية عند الأفراد للعمل بأقصى ذروتها وتقديم أفضل ما لديها، حيث يشعر الموظّف أنه هو الشخص المعني والمسؤول عن الموضوع أو المشكلة المطروحة عليه، وهذا الشعور يدفعه بحماس للتفكير في إيجاد ما يثري الموضوعات المطروحة ويغنيها بالحلول المبدعة .

7. الحرص على طرح الأسئلة المثيرة والتّحفيزيّة :

من أهم الطرق التّحفيزيّة الفعالة مع الموظفين، إشراكهم في مناقشة أمور العمل وفي اتخاذ القرارات المرتبطة بشؤونهم، وهذا يعني أن يعقد المدير جلسات حوارية مع موظفيه، يطرح خلالها الموضوعات الخاصة بأعمالهم، ويتيح لهم فرصة المشاركة في النقاش والمساهمة في تقييم أمور العمل واتخاذ القرارات المناسبة، وهذا من شأنه أن يشعرهم بأهمية ذواتهم وينمي لديهم حس المسؤولية تجاه أعمالهم.

في هذا المجال، يختلف المديرون في مدى امتلاكهم للمهارات الخاصة في إدارة الإجتماعات والجلسات، وكذلك في كيفية ونوعية الأسئلة التي يركّزون عليها ويطرحونها على موظفيهم خلال هذه الجلسات، مع الإشادة بنمط المديرين الذين يهتمون بطرح الأسئلة التي تستفزّ الأفكار وتنمي التفكير الإبداعي، وهذا يعكس قدرتهم العالية على التّحفيز، فبدلًا من التركيز فقط على الأسئلة الروتينية والمحدّدة بإجاباتها، كالسؤال عن سير العمل، وعن النتائج وعن المعوّقات ... وغيرها من الأسئلة التي تحدّ من عملية التفكير، وتوجّهه في إطار محدّد فقط، فإنهم يحرصون على طرح الأسئلة المفتوحة، التي من شأنها تحفيز الأفراد على التفكير في مجالات مختلفة، وعلى توليد أفكار إبداعيّة بخصوص الموضوعات التي تطرحها الإدارة، وبالتالي فإن ذلك يعود بالفائدة على تحسين وتطوير مجالات العمل داخل المؤسسة.

8. التعامل بثقة كبيرة مع الموظفين :

فمن المهم أن يخبر المدير موظفيه بأنه يتوقّع منهم أداء أفضل ما لديهم، فمعظم الأشخاص يميلون إلى أن يصلوا إلى أقرب درجة ممكنة مما هو متوقّع منهم، فعندما يعلم الأفراد أنك تتوقّع منهم أداء ممتازًا، وأن لديك ثقة كاملة في قدرتهم على ذلك، فمن المؤكّد أنهم سيعطونك هذا الأداء (الفقي، 2011 م، ص 37).

فالتوقعات العالية التي يتوخّى المدير الحصول عليها من قبل موظّفيه، تدل على الثقة بهم، وهي تضفي أثرًا إيجابيًا على مستوى استثارة طاقاتهم وإمكاناتهم المختلفة، سيما إذا كانت بالتحاور والنقاش

معهم وليس بالفرض : كأن يجلس المدير في لقاء حواري مع موظفيه، ويطرح الأهداف والطموحات التي يرسمها للمؤسسة، مع الأعمال والمهام المطلوبة لتحقيقها، ثم يستمع لكل منهم حول مدى استعداده وإمكاناته وميوله في تحقيق هذه المهام، مع الأسلوب الإيجابي الذي يعزّز الروح المعنوية ويقوي الثقة بالقدرات، ومن ثم يترك لهم فرصة الإختيار من بين عدة بدائل في المهمات والأعمال، حتى لا يكون الأسلوب فرضي وقمعي، لأن في ذلك تأثير سلبي على النتائج.

9. التخفّيف من المراقبة المباشرة على الموظّفين :

فصحيح أن المرؤوسين يفضلون أن يجدوا المدير جاهزًا لتقديم النصيحة والمشورة عند احتياجهم له، إلاّ أنهم يمتعضون من الإشراف الزائد عن الحد والمضايقة المستمرة، فروح المبادرة الفردية تتطوّر بشكل أفضل، عندما يمكن للأفراد استخدام قدرتهم على التخيّل في تطوير طرق وأساليب خاصة بهم لأداء أعمالهم (الفقي، 2011م، ص 38) .

وهذا من شأنه أيضًا أن يعزّز ثقة الموظفين في قدراتهم، وينمي لديهم الشعور بالمسؤولية تجاه المهمات المنوطة بهم، بعيدًا عن أجواء الرقابة العسكرية التي تنتهجها بعض الإدارات أسلوبًا رئيسًا في متابعتها للموظفين وسير العمل داخل مؤسساتها .

إنّ كل ما تم ذكره من خطوات وأساليب تحفيزية هي مهمة وفعّالة كي تجعل المديرقادرًا على القيام بتأدية رسالته على أكمل وجه، فهو العنصر البشري الذي يمتلك القرار، والمحرّك الرئيسي الذي بإمكانه أن يأخذ الأمور إما باتجاه إيجابي، أو سلبي داخل مؤسسته، من خلال استثمار الطاقات وتفعيليها، أو طمسها وإحباطها، والحد من إبداع ذوي الأفكار والكفاءات الفذّة، كما أن المدير الناجح والمحفّز هو من يحدّد أهدافًا وخططًا واضحة للعمل بالتعاون والمشاركة مع العاملين داخل مؤسسته، ومن ثم يهيّئ لهم كل الظروف الداعمة والمساعدة لوصولهم إلى تلك الأهداف، كي لا يكونوا متخبّطين في سعيهم وأعمالهم، دون أن يدركوا إلى أين المسير، وذلك كما ورد في حديث الإمام الصادق (ع): "العامل على غير بصيرة لا تزيده سرعة السير إلاّ بعدا".

5. تقنيات تحفيزيّة مفيدة للمديرين في جعل العاملين أكثر إنتاجا:

سواء كنت ترأس فريق عمل، أو تدير مؤسسة كبيرة، فإنه من الطبيعي أن تواجه الكثير من التحديات في كيفية التعامل مع الأجناس المختلفة من البشر، والتنوّع في أمزجتهم وطرق تفكيرهم، ومن الطبيعي أيضًا أن تلحظ الفروق فيما بين موظّفيك بخصوص إقبالهم على العمل، وهمّتهم على مستوى الأداء والإنتاج، وما يساعد المديرين على التعامل الصحيح حيال هذه المواقف هو التنوّع في الأساليب

المعتمدة، والتركيز على ما يثير ويحفّز الطبائع المختلفة التي يتعاملون معها، وهناك جملة من التقنيات المفيدة في هذا الصدد سنذكر أهمها :

1. جعل كل فرد يشعر أنه جزء لا يتجزّأ من المؤسسة :

إنها تقنية إدارية تحفيزية، ذكية وفعالة في آن معًا، فمتى ما حصل الشعور لدى الأفراد العاملين بأنّهم جزء من المؤسسة، هذا يعني شعورهم بأنهم مسؤولون تجاه الأعمال المنوطة بهم، فسواء كانت الرقابة موجودة عليهم من قبل المدير أثناء العمل أم لا، فإنهم سيقدمون على أداء واجباتهم بأمانة ورسالية، لما يشعرون به وينعكس على إدراكهم، بأن مصلحتهم ومصلحة العمل هي واحدة، والفائدة التي تتحقّق للمؤسسة تعمّ عليهم أيضًا.

فشعور العامل أنه جزأ من المؤسسة التي يعمل بها، نجاحها يعني نجاح له وفشلها فشل له، فهي جزء من وجوده وكيانه، إذا استطاع المدير أن يوصل تلك المفاهيم إلى العاملين معه، فسيكون قد وضع يده على أكبر حافز لهم، فهم لا يعملون لصالح المدير بل يعملون لصالح المؤسسة ككل التي هم جزء منها والمدير فرد فيها (حسان والعجمي، 2007م، ص 366).

2. تجنّب استخدام الحافز نفسه مرات عديدة :

إن التنويع والتغيير في الحوافز التي تمنح للموظفين هو عامل مهم يضفي جوًا متجددًا على صعيد استعادة نشاطهم وإثارة فعاليّتهم وحماسهم في العمل، حيث أن الإبقاء على إستخدام نفس النوع من الحوافز بشكل دائم يخلق جوًا من الروتين بشكل يضعف من فعالية تأثيرها، من هنا أهمية التغيير ومواكبة الجديد، فحضور أنواع جديدة من الحوافز بشكل دائم في جعبة المديرين، يجعل من أساليبهم أكثر تشويقًا، ويغني أداء الموظفين دائمًا بشحن من الطاقات الزائدة، والأفكار المبتكرة .

3. الحرص على إيجاد مساحة للإختيار :

إن المدير الناجح هو من يترك مساحة لاختيار العاملين معه، فيطرح عليهم المشكلة مثلًا ويطرح بدائل لحلها، ويستشير العاملين معه حتى إذا وقع اختيارهم على بديل من البدائل المطروحة تحمّلوا مسؤليته مع المدير، وأصبح لدى كل واحد منهم الحافز القوي على إتمام نجاح ذلك العمل (حسان والعجمي، 2007م، ص 367).

هذه تقنية تشعر الموظفين بأنهم شركاء في العمل وليسوا أجراء فقط، ومن شأن الشريك أن يحرص ويسعى دائمًا لرفع مستوى الإنتاج وتحقيق الفائدة الكبرى على مستوى المؤسسة .

4. إسناد المهمة المناسبة إلى الشّخص المناسب :

فمن أهم الأسباب التي تؤدي إلى الإخفاق والفشل في العمل على مستوى المؤسسات، هو وجود أشخاص في مواقع وظيفية لا تتناسب مع قدراتهم، سواء على مستوى القدرات الشخصية أم العلمية، وذلك لأسباب قد ترجع إلى وجود الوساطة في التعيين والتوظيف، أو إلى ضعف الإمكانات المادية للمؤسسة، أو إلى الإفتقار للإدارة الحكيمة التي تقوم باختيار وتعيين موظّفيها بطريقة عبثية وغير مدروسة، وكذلك الإفتقار للتدريب والتوجيه اللازم للعاملين، مما يؤدي إلى الخلل وسوء الإنتاج في المواقع التي يشغلونها.

وكما يقول (الفقي، 2011م، ص 8) : من أولى المهام التي تساعد على التّحفيز للعمل، هي أن نتأكّد من إسناد المهمة المناسبة للشخص المناسب، بمعنى آخر يجب أن نتأكّد أننا قمنا باختبار المهمة بعناية وقمنا بتدريب العاملين عليها بالقدر الكافي وأمددناهم بما يحتاجون إليه من معدات، إضافة إلى زرع الثقة بداخلهم حتى يكونوا مؤمنين بقدرتهم على القيام بأداء تلك المهمة .

5. الواقعية مع الموظفين :

من الأمور التي تساعد المدير على كسب احترام وتقدير موظّفيه من جهة، وعلى تفعيل دافعيّتهم وحماسهم نحو العمل والعطاء الأفضل من جهة أخرى، هي الواقعية في توقّعاته منهم وفيما يطلبه من مهام وأعمال، بخلاف ما إذا كانت توقّعاته خيالية لا تتناسب مع قدراتهم ومع الإمكانات المتاحة، فإن ذلك سيخلق لديهم الشعور بالإحباط والفشل، وسيشعرهم بتدني القدرات وضعف الثقة بالنفس، وهذا لا يعني عدم تشجيع المدير على توليد الأفكار الإبداعية وتنمية القدرات لدى الموظفين، ولكن بحدود الواقعية التي لا تفوق الطاقات المتوافرة .

6. إ شراك المرؤوسين أنفسهم في القرارات وفي تقييم نتائج العمل :

حيث أن مشاركة الموظفين في تقييم الأعمال وفي اتخاذ القرارات الخاصة بمهامهم، يساعد على تبنّيهم لهذه القرارات، ويكون حافزًا لهم من أجل الإلتزام وحسن التطبيق، فيجعلهم يقبلون على تنفيذ ما جاء فيها بطواعية ومبادرة ذاتية، دون الحاجة إلى متابعة أو رقابة الشخص المسؤول لأنهم قد كانوا جزءًا في عملية القرار، ولهذا تأثيرات إيجابية على مستوى حسن الإنتاج .

7. مفهوم الإدارة والتّحفيز في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة :

على الرّغم من كون مفهوم الإدارة كعلم قد برز حديثًا في القرن العشرين، وقد شغل الباحثين والعلماء، في حين كان (فريدريك تايلور) أول من تصدّى لدراسة موضوع الإدارة بشكل علمي، ثم تتالت بعده المدارس التي تناولت البحث في موضوع الإدارة، إلاّ أن آيات القرآن الكريم والأحاديث

الشريفة قد سبقت في الإشارة إلى أهمية موضوع الإدارة وأكّدت على ضرورته في حياة البشريّة، فإذا أبحرنا بحثًا في قرآننا، نجد فيه العديد من الآيات الشريفة التي تشكّل أسس الإدارة والقيادة، وتركّز على أهمّيتها، سنورد بعضًا يسيرًا من هذه الآيات المباركات :

يقول تعالى في كتابه الكريم : ﴿ أفمن يمشي مكبًا على وجهه أهدى أمّن يمشي سويًا على صراط مستقيم ﴾ سورة الملك : آية 22 .

ويقول عز وجل : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ سورة الجمعة : آية 2 .

وفي قوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ : سورة الشورى: آية 38 .

ويقول جل وعلا : ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله ﴾ : سورة آل عمران : آية 159 . كما أن كتاب الله سبحانه وتعالى الجامع لكل شيء، قد تضمّن بين طيّاته سمات الأفراد الذين يصلحون لإدارة شؤون الأفراد والمؤسسات، سنورد أهم هذه الصفات مع بعض الآيات القرآنية التي تشير إليها :

1. العلم مع الخبرة : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ الزمر: آية 9
2. العدل : ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ الطلاق: آية 2 .
   ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ المائدة : آية 42
3. الأمانة : ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ الشعراء : آية 107 .
4. الشورى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ آل عمران : آية 195 .
   ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ الشورى : آية 38 .
5. الحزم : ﴿ فإذا عزمت فتوكّل على الله ﴾ آل عمران : آية 159 .
6. اللين : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضًا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ آل عمران : آية 159 .
7. العفو : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ آل عمران : آية 134
   ﴿ فاعفو عنهم واستغفر لهم ﴾ آل عمران : آية 159 .
8. القدرة على التفويض والتنفيذ والمتابعة والمحاسبة الدائمة : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ الصافات : آية 24 .
9. القدرة على التفاوض والإقناع : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ النحل : آية 125 .

﴿ فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكّر أو يخشى ﴾ طه : آية 44 .

10. السخاء والجود والإيثار : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ الحشر: آية 9

وإذا نظرنا في الروايات والأحاديث الشريفة عن أهل البيت (ع)، نستطيع أن نستلهم أيضًا الكثير من العبر والدروس حول أهمية دور الإدارة والقيادة، وحول أهم الصفات التي يجب أن يتّصف بها المديرون والقادة، سنورد بعضًا منها: يقول الرسول الأكرم (ص): "ما أخاف على أمّتي الفقر ولكن أخاف عليهم سوء التدبير" (الإحسائي، 1983، ص 29).

كما يقول (ص): " الله الله في نظم أمركم ". ويقول الإمام الصادق (ع) : " العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا تزيده سرعة السير إلاّ بعدًا " (الكافي، 1365 هـ) .

وفي وصايا الإمام علي (ع) لمالك الأشتر :

1. " أشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم " .
2. " أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلاّ تفعل تظلم " .
3. "وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية "

وفي حديث له (ع) : " ومكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فإذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب ثم لم يجمع بحذافيره أبدًا " (نهج البلاغة، الخطبة 146) .

مثلما يعتبر القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ركيزة أساسية لعلم الإدارة، نجد أن لمفهوم التّحفيز أيضًا حظًا وفيرًا فيها، إذ يعتبرالتّحفيز منهجًا ربَّانيًا ورد ذِكْرُه في العديد مِن الآيات القرآنية، مفاده دَفْع الناس إلى الخير والأعمال النبيلة، وتحذيرهم مِنَ الشرِّ والأعمال الباطلة، إذ ورَدَت في كتاب الله تعالى العديد من الآياتٌ التي تحثُّ على التّحفيز بشَتَّى أنواعه :

يقول تعالى في كتابه العزيز : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل: 97.

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف : 30.

كما ظهر التّحفيز جليًا في قوله عز وجل ﴿ مثل الذين ينفقون أعمالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ البقرة : 261 .

وفي قوله تعالى ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا كبيرًا ﴾ الإسراء : 9 .

كما أن الأحاديث الشريفة قد ركزت أيضًا على جانب التّحفيز في العمل، حيث نلحظ أن الرسول الأكرم (ص) قد أكد على ضرورة عدم تأخير منح الأجور للعاملين، لما لذلك من أثر فعال في رفع الروح المعنوية لديهم، حيث يقول (ص) : " أعط الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه "، وفي وصية الإمام علي (ع) لمالك الأشتر، نلحظ أنه قد كرّس العديد من الأسس والقواعد الإدارية الهامة التي استنارت من نهجها الإدارات الحديثة اليوم، ومن هذه القواعد كان التأكيد على موضوع التّحفيز وطرقه، فمن كلام الإمام علي (ع) لمالك الأشتر: "ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاّ منهما ما ألزم نفسه" (نهج البلاغة، تحقيق الميلاني، 2012م، ص 481) .

إنّ الإنسان بطبيعته وفطرته يحتاج إلى من يشجّعه ويحفّزه من أجل إعطاء أفضل ما لديه، وفي ميدان العمل تقع هذه المهمة بشكل كبير على عاتق شخص المدير أو المسؤول المباشر، الذي يجب عليه معرفة جميع القابليات والآمال والإمكانات المختلفة الموجودة في الأشخاص والجماعات الموجودين تحت إمرته، وأن ينسّقها ويستثمرها جميعًا لغرض الوصول إلى الأهداف المشتركة .

من خلال هذه الآيات المباركات والأحاديث الواردة عن أهل البيت (ع)، نلحظ تأكيد القرآن الكريم والسنة الشريفة على جانب التّحفيز المتمثّل بأسلوب الثواب الذي فطر عليه الإنسان بطبيعته، حيث أن منهجية الترغيب في العمل أسلوب ديني ينطلق من فطرة الإنسان على حاجته للثناء والتقدير، وهذا ما تم التأكيد عليه وتكريسه في قرآننا الكريم وديننا الحنيف منذ آلاف السنين، كما نستخلص أيضًا أن موضوع الإدارة قد حظي من خلالها باهتمام كبير، حيث يضيء القرآن الكريم بشكل واضح وشامل على الصفات والمهارات والوظائف المتعدّدة، التي ينبغي أن يتحلّى بها كل مسؤول وكل مدير من موقع مسؤوليته، كي يستطيع إشاعة أجواء الراحة والأمان لدى الأفراد الذين يرأسهم ويدير أمورهم، في ظروف تسودها العدالة والمساواة في التعامل، والتّحفيز الفعّال الذي يعطي كل ذي حق حقه، بشكل يزيد من انتماء الأفراد لبيئة العمل، ويثير فيهم الدافعية للعطاء والإنتاج الأفضل دائمًا .

خلاصة :

نستخلص من خلال هذا البحث، أن الإدارة هي عملية تنسيق لكافة الجهود والموارد المتاحة المادية والبشريّة بهدف إعطاء أفضل النواتج في العمل كماً ونوعًا، وهي ليست غاية بحد ذاتها إنما وسيلة لتحقيق أهداف وغايات المؤسسات والمجتمعات، وأن مفتاح النجاح الأساسي للإدارات يكون

بتفعيل استخدام الحوافز على أنواعها بهدف إطلاق أفضل الطاقات و شحذ الهمم لدى الأفراد العاملين إلى أعلى ذروتها، بشكل يسهم في تحويل الأداء إلى مستوى رائع من الإتقان والتميّز في العمل، وفي رفع مستوى الإنتماء والولاء للمؤسسة بشكل يشعر فيها العاملون أنهم جزء لا يتجزأ من مؤسسة العمل، وأن الإدارة هي علم وفن، يحتاج معها شخص المدير إضافة إلى الخبرات على المستوى النظري، العديد من الفنون والمهارات على المستوى الشخصي، والتي تؤهله لخوض مهامه وتحقيق أهدافه تاركًا بصماته الإيجابية على مستوى الأفراد الذين يدير شؤونهم، وأن ديننا الحنيف وقرآننا الكريم قد سبق كل العلوم الحديثة في الإضاءة والتركيز على مفهومي الإدارة والتّحفيز، وفي ترسيخ مسارهما السليم .

المصادر والمراجع :

أ. العربية :

1. القرآن الكريم .

2. إيجرت، ماكس إيه، التّحفيز، ترجمة مكتبة جرير والرياض، 1998 م.

3. الأحسائي، ابن أبي جمهور، غوالي اللئالي، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، قم، مطبعة سيد الشهداء، 1983 م، الطبعة الأولى.

4. بن حبتور، عبد العزيز صالح، الإدارة الإستراتيجية، إدارة جديدة في عالم متغيّر، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2007 م، الطبعة الثانية.

5. بروس، آن وبيبتوني، جيمس، فن تحفيز العاملين، ترجمة زكي مجيد حسن، عمان، بيت الأفكار الدولية، 1999 م.

6. البوهي، فاروق شوقي، الإدارة التعليمية والمدرسية، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001 م.

7. تشاندلر، ستيف، 100 طريقة لتحفيز الآخرين، كيف يمكن للقادة العظام أن يحققوا نتائج خارقة دون أن يدفعوا مرؤوسيهم للجنون، المملكة العربية السعودية، مكتبة جرير، حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير، 2006 م .

8. حسان، حسن محمد ابراهيم والعجمي، محمد حسنين، الإدارة التربوية، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2007 م .

9. القريوني، محمد قاسم، مبادىء الإدارة (النظريات، العمليات، الوظائف)، عمان، الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع، 2004 م .

10. كينان، كيت، ترشيد وتحفيز الموظفين، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، ناجي حداد، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم، 1995 م .
11. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، من باب من عمل بغير علم، طهران، إيران، دار الكتب الإسلامية، 1365 هـ .
12. المجذوب، فاروق، الإدارة العامة، العملية الإدارية والوظيفية العامة والإصلاح الإداري، بيروت، لبنان، منشورات الحلبي الحقوقية، 2002 م .
13. عبد الرحمن، إيمان، المرجع المختصر في الإدارة، حلب، شعاع للنشر والعلوم، 2005 م، الطبعة الأولى .

ب. الأجنبية :

1. Taylor, G. &Trumbull, M, Major Similaritiers and Differences Between Paradigms, in Integrating Quantitative and Qualitative Methods in Research, Edited by G.R. Taylor, Lanham: Univercity Press of America, 2000 .

السيد الدكتور عباس فتوني

السَّيِّد عَبْد المُحْسِن فَضْل الله (قُدِّسَ سِرُّهُ)

عَلَّامَةٌ مِنْ عامِلةَ

سِيرَته

هُوَ السَّيِّدُ عَبْدُ المُحْسِنِ بْنِ السَّيِّدِ صَدْرِ الدِّينِ بْنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّيِّدِ مُحْيِي الدِّينِ فَضْلِ اللهِ؛ عالِمٌ فَقِيهٌ، أُصُولِيٌّ، أَدِيبٌ مُرْهَفٌ، وشاعِرٌ وِجْدانِيٌّ، عُرِفَ بِالتُّقَى، والوَرَعِ، والزُّهْدِ، دُونَ أَنْ يَذْهَبَ في ذَلِكَ مَذْهَبَ الرُّكُونِ إِلَى الدَّعَةِ، والانْزِواءِ عَنِ الحَياةِ العامَّةِ، بَلْ باشَرَها بِهِمَّةٍ، حَمَلَتْهُ في كُهُولَتِهِ إِلَى أَنْ يَرْكَبَ مَرْكَبَ الجِهادِ الصَّعْبِ، فصاغَ، بِإِرادَةٍ ووَعْيٍ، مَلْحَمَتَهُ النَّادِرَةَ بَيْنَ أَقْرانِهِ، في مُواجَهَةِ الاحْتِلالِ.

يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الأَمِيرِ قَبَلان، في مُقابَلَةٍ أَجْرَيْتُها مَعَهُ، حَوْلَ سِيرَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِن فَضْلِ اللهِ:

"السَّيِّدُ عَبْدُ الْمُحْسِنِ فَضْل اللهِ، نَمُوذَجٌ مِنْ عُلَمائِنا الأَخْيارِ وَالأَتْقِياءِ، الَّذِينَ باعُوا دُنْياهُمْ مِنْ أَجْلِ آخِرَتِهِمْ؛ لِذَلِكَ الْتَزَمَ بَيْتَهُ، وَلَمْ يَطْلُبْ دُنْيا، وَلا وَجاهَةً، وَلا زَعامَةً، بَلْ كانَ يَسِيرُ عَلَى نَهْجِ الْعُلَماءِ السَّابِقِينَ، وَخُصُوصًا على نَهْجِ والِدِهِ الْمَرْحُومِ الْمُقَدَّسِ السَّيِّدِ صَدْرِ الدِّينِ فَضْلِ اللهِ، الَّذِي عُرِفَ بِالصِّدْقِ وَالْعِلْمِ وَالأَدَبِ.

كانَ مُحافِظًا عَلَى القِيَمِ وَالآدابِ وَالتُّراثِ، وَابْتَعَدَ عَنِ الضَّوْضاءِ وَالارْتِجالِ. وَكانَ سُلُوكُهُ سُلُوكَ الْعُلَماءِ الصَّالِحِينَ، مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى؛ لَمْ تَغُرَّهُمُ الدُّنْيا، مِنْ أَيِّ طَرِيقَةٍ كانَتْ، بَلْ كانَ هَمُّهُمُ الْوَحِيدُ هُوَ رِضا اللهِ تَعالَى. وكانَ يَتَمَتَّعُ بِخاصِّيَّةِ عَدَمِ التَّدَخُّلِ فِي شُؤُونِ الآخَرِينَ؛ وَهَذا يَعْنِي أَنَّ هَمَّهُ الْعِلْمُ وَالْفَضِيلَةُ وَالطَّرِيقُ السَّوِيُّ؛ كَما كانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ الْمُمَيَّزِينَ بِسَمْتِهِ وَأَخْلاقِهِ، وَسَعَةِ صَدْرِهِ". (– أَجْرَيْتُ هَذِهِ المُقابَلَةَ بِتارِيخ: 8 أَيَّار (5) 2007 م).

نَسَبُهُ

يَنْتَسِبُ إِلَى عائِلَةِ آلِ فَضْلِ اللهِ، الَّتِي تَنْتَهِي سِلْسِلَةُ نَسَبِها إِلَى الحَسَنِ المُثَنَّى ابْنِ الإِمامِ السِّبْطِ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ (ع)؛ ومِنْ جِهَةِ الأُمِّ، يَنْتَسِبُ إِلَى فاطِمَةَ بِنْتِ الإِمامِ الحُسَيْنِ (ع)، زَوْجَةِ الحَسَنِ المُثَنَّى.

وقَدْ عَرَفَتْ هَذِهِ العائِلَةُ عَلَى مَرِّ تارِيخِها ثُلَّةً مِنَ العُلَماءِ، مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ المِثالِ: السَّيِّدُ مُحْيِي الدِّينِ (قده)، الَّذِي عاصَرَ الشَّيْخَ الأَنْصارِيَّ (قده)، ولَهُ مَعَهُ مُراسَلَةٌ تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ، كَما ذَكَرَ السَّيِّدُ مُحْسِنُ

الأَمِينِ (قده) في أَعْيانِهِ؛ ويَعُودُ تارِيخُ هَذِهِ العائِلَةِ، في قَرْيَةِ عَيْناثا، مِنْ جَبَلِ عامِلَ، إِلَى القَرْنِ الخامِسَ عَشَرَ المِيلادِيّ، والتَّاسِعِ الهِجْرِيّ. (السَّراب ص 21)

والِدُهُ

الحُجَّةُ السَّيِّدُ صَدْرُ الدِّينِ (قده)، كانَ مِنْ فُقَهاءِ جَبَلِ عامِلَ؛ وهو ذُو رُوحانِيَّةٍ مُؤَثِّرَةٍ، تَرَكَتْ بَصَماتِها في جِيلِهِ وما بَعْدَهُ؛ وهُوَ واحِدٌ مِنْ قَلائِلَ، تَعَدَّتِ اهْتِماماتُهُ الفِقْهَ، لِتَشْمُلَ الفَلْسَفَةَ الإِسْلامِيَّةَ.

يَحْمِلُ خَمْسَ إِجازاتٍ مِنْ مَراجِعِ زَمانِهِ، مِنَ الشَّيْخِ الغَرَوِيّ النَّائِينِيّ، والآغا ضِياءِ الدِّينِ العِراقِيّ، والسَّيِّدِ أَبي الحَسَنِ الأَصْفَهانِيّ، والشَّيْخِ كاظِمٍ اليَزْدِيُّ، والشَّيْخِ مُحَمَّد حُسَيْن كاشِف الغَطاء (رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِمْ)؛ تَشْهَدُ كُلُّ هَذِهِ الإِجازاتِ بِأَنَّهُ أَحْرَزَ مَلَكَتَيِ: العَدالَةِ والاجْتِهادِ المُطْلَقِ، وحَصَلَ عَلَى عِلْمَيِ: الفِقْهِ والأُصُولِ، وعِلْمِ المَعْقُولِ.

سَكَنَ قَرْيَةَ عَيْناثا.

مِنْ مَواقِفِهِ في الثَّلاثِينِيَّاتِ، فَتْواهُ المَشْهُورَةُ في المِنْطَقَةِ بِحُرْمَةِ بَيْعِ الأَراضِي لِلْيَهُودِ.

تُوُفِّيَ في سَنَةِ 1941 مِيلادِيَّةً – 1360 هِجْرِيَّةً، ودُفِنَ في قَرْيَتِهِ.

والِدَتُه

الحاجَّةُ فاطِمَةُ شَمْس الدِّينِ، كَرِيمَةُ الشَّيْخِ عَلِي شَمْسِ الدِّينِ، الشَّاعِرِ والأَدِيبِ المَعْرُوفِ، ابْنِ الشَّيْخِ مَهْدِي، صاحِبِ المَدْرَسَةِ المَشْهُورَةِ بِاسْمِهِ، والَّتِي يَذْكُرُها السَّيِّدُ الأَمِينُ في أَعْيانِهِ (السَّراب ص22).

وِلادَتُهُ ونَشْأَتُهُ

وُلِدَ السَّيِّدُ عَبْدُ الْمُحْسِنِ فَضْل اللهِ في النَّجَفِ الأَشْرَفِ، وبِحَسَبِ بَعْضِ القَرائِنِ، في سَنَةِ 1350هـ.–1932م. ذَلِكَ أَنَّ والِدَهُ اسْتَقَرَّ في بَلْدَتِهِ عَيْناثا، بَعْدَ تَرْكِهِ النَّجَف في سَنَةِ 1351 هـ. وعُمْرُهُ حِينَذاكَ، كَما تَقُولُ والِدَتُهُ: سَنَةٌ أَوْ تَزِيدُ قَلِيلًا.

عاشَ اليُتْمَ والفَقْرَ في طُفُولَتِهِ.

وقَدْ وُجِدَتْ عَلَى وَرَقَةٍ بِخَطِّ يَدِهِ مُحاوَلَةٌ مِنْهُ لِروايَةِ سِيرَتِهِ الذَّاتِيَّةِ، أَنْقُلُها كَما هِيَ:

قالَ (قده) مُتَرْجِمًا نَفْسَهُ:

"وُلِدَ في النَّجَفِ الأَشْرَفِ، في سَنَةِ 1350هـ.–1932م. وعادَ بِهِ والِدُهُ إِلَى بَلْدَتِهِ عَيْناثا، وعُمْرُهُ، عَلَى رِوايَةِ والِدِهِ، أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ.

تُوُفِّيَ والِدُهُ، ولَهُ مِنَ العُمْرِ تِسْعُ سَنَواتٍ.

بَعْدَ أَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ مِنْ وَفاةِ والِدِهِ، تَوَلَّدَ فِيهِ إِحْساسٌ، كانَ يُدْرِكُ أَنَّهُ يَفُوقُ عُمْرَهُ؛ إِحْساسٌ مُلِحٌّ لِلْخُرُوجِ مِنْ قَرْيَتِهِ، لَمْ يَمْلِكْ تَعْلِيلًا لَهُ، أَوْ أَنْ يُحَدِّدَ لَهُ هَدَفًا.

وهُوَ في هَذا الشُّعُورِ الضَّاغِطِ، دَخَلَ "الكُتَّابَ" لِتَعَلُّمِ القِراءَةِ والكِتابَةِ والقُرْآنِ الكَرِيمِ؛ وكانَتِ المُعَلِّمَةُ فِيهِ امْرَأَةً مُتَقَدِّمَةً في السِّنِّ مِنْ عائِلَتِهِ، لَها مِراسٌ طَوِيلٌ في تَعْلِيمِ الكِتابِ الكَرِيمِ؛ وقد قَرَأَ عَلَيْها والِدُهُ، ومَنْ تَقَدَّمَهُ. (السَّراب ص 23)

في بِدايَةِ دُخُولِهِ "الكُتَّابَ"، كانَ يَسْهَرُ السَّاعاتِ الطِّوالَ؛ يَقْرَأُ عَلَى مِصْباحِ زَيْتٍ، لِحِفْظِ الدَّرْسِ المَطْلُوبِ مِنْهُ في صَبِيحَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ؛ وسُرْعانَ ما نالَ ثِقَةَ الشَّيْخَةِ، وأَصْبَحَتْ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ "بِالتَّسْمِيعِ" لِزُمَلائِهِ؛ أَمَّا هُوَ فتَكْتَفِي مِنْهُ بِإِخْبارِهِ لَها، أَنَّهُ حافِظٌ دَرْسَهِ.

ولَمْ يَطُلْ مُقامُهُ عِنْدَها أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ، خَتَمَ فِيها القُرْآنَ الكَرِيمَ، لِيَدْخُلَ "مَكْتَبًا" آخَرَ لِتَعْلِيمِ الخَطِّ؛ وكانَ المُعَلِّمُ فِيهِ مِنْ سادَةِ آلِ جَعْفَرَ، جَمِيلَ الخَطِّ، أَدِيبًا، شاعِرًا، ساخِرًا، ناقِدًا، مُنْطَوِيًا، شَدِيدًا عَلَى طُلَّابِهِ، سَلْطَ اللِّسانِ في تَأْنِيبِهِ؛ وهَذا أَهْوَنُ ما يُعامِلُ بِهِ المُتَخَلِّفِينَ مِنْ طُلَّابِهِ؛ ومِنْ حُسْنِ الحَظِّ أَنَّ خَطَّ الفَتَى السَّيِّدَ، كانَ يُقارِبُ خَطَّهُ، فنالَ رِضاهُ في مُدَّةٍ لا تَزِيدُ عَلَى السِّتَّةِ أَشْهُرٍ (السَّراب ص 24).

وكما جَرَتِ العادَةُ عِنْدَ انْتِهاءِ تَعَلُّمِ القِراءَةِ والكِتابَةِ، خَرَجَ المُعَلِّمُ مَعَ لَفِيفٍ مِنْ زُمَلائِهِ بِأَهازِيجَ وأَناشِيدَ، مُعَلِّمًا إِيَّاهُ وزُمَلاءَهُ أَبْياتًا مِنَ الشِّعْرِ، يُرَحِّبُ بِها عِنْدَ الوُصُولِ إِلى دارِهِ؛ ولا يَزالُ يَحْفَظُ مِنْها هَذِهِ الأَبْياتَ:

أَهْـــــلًا بِـــــأَيْمَنِ مَقْـــــدَمٍ أَبْـــــراجُ طالِعِـــــهِ السُّـــــعُودْ
عَـــــمَّ السُّـــــرُورُ وُجُـــــودَكُمْ فكَأَنَّـــــهُ فـــــي النَّـــــاسِ عِيـــــدْ
هَـــــذِي مَـــــآثِرُ فَضْـــــلِكُمْ عَـــــدَد الكَواكِـــــبِ أَوْ تَزِيـــــدْ

وعِنْدَ انْتِهائِهِ مِنْ تَعَلُّمِ الخَطِّ، دَخَلَ المَدْرَسَةَ الرَّسْمِيَّةَ، في بِنْتِ جُبَيْل، بَقِيَ فِيها ثَلاثَ سَنَواتٍ، تَحَدَّدَتْ فِيها أَبْعادُ ذَلِكَ الشُّعُورِ، وتَوَلَّدَ فِيهِ شَوْقٌ مُلِحٌّ، لِيُعِدَّ نَفْسَهُ إِلَى النَّجَفِ الأَشْرَفِ، لِطَلَبِ العِلْمِ الدِّينِيِّ، مُرْتَسِمًا خُطَى أَبِيهِ وأَجْدادِهِ؛ فخَرَجَ مِنَ المَدْرَسَةِ، ولَهُ مِنَ العُمْرِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً؛ وما أَنْ بَلَغَ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ، حَتَّى تَوَجَّهَ إِلَى النَّجَفِ الأَشْرَفِ، بَعْدَ أَنْ لاقَى مُعارَضَةً شَدِيدَةً، أَشارَ إِلَيْها في قَصِيدَة: "صَفْحَة مِنْ حَياتِي"، وهِيَ مُثْبَتَةٌ في دِيوانِهِ، مَطْلَعُها:

صـــــارَعْتُ دَهْـــــرِي، ولَمَّـــــا صَـــــرَعْتُهُ بِاقْتِـــــدارِ (السَّـــــراب ص 236)

إِلى أَنْ يَقُولَ مُشِيرًا إِلى تِلْكَ المُعارَضَةِ: (السَّراب ص 237)

طَلَبْـــــتُ مَجْـــــدًا، وَعُمْـــــرِي سِـــــتٌّ وَعَشْـــــرُ سِـــــنِينِ
وَلَـــــيْسَ لِـــــي مِـــــنْ كَفِيـــــلٍ سِـــــوَى زَمـــــانٍ خَـــــؤُونِ
قَصَـــــــدْتُ أَرْضَ الأَمـــــــانِي لِرَحْـــــــبِ رُكْـــــــنٍ مَكِـــــــينِ
لِصِـــــــنْوِ طَـــــــهَ، عَلِـــــــيٍّ ومَعْـــــــدِنِ التَّـــــــأْمِينِ
فَقـــــــامَ حَـــــــوْلِي ضَـــــــجِيجٌ مِـــــــنْ مُشْـــــــفِقٍ يُثْنِينِـــــــي
وَحاسِـــــــدٍ فِـــــــي فِعْلِـــــــهِ مُحـــــــاوِلًا يُغْرِينِـــــــي
فَمـــــــا أَبِهْـــــــتُ، وَلَكِـــــــنْ خَطَـــــــوْتُ خَطْـــــــوَ رَصِـــــــينِ

أَجَلْ، تَوَجَّهَ إِلَى النَّجَفِ الأَشْرَفِ بِصُحْبَةِ ابْنِ عَمِّهِ المُقَدَّسِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّطِيفِ فَضْلِ اللهِ، الَّذِي يَكْبُرُهُ سِنًّا، وذَلِكَ بِالسَّيَّارَةِ عَنْ طَرِيقِ حَلَبٍ، في 22 صَفَر في سَنَةِ 1366 هِجْرِيَّةً، فوَصَلَ النَّجَفَ في أَوائِلِ رَبِيع الأَوَّل، مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، وابْتَدَأَ بِدِراسَةِ المُقَدِّماتِ والسُّطُوحِ، عَلَى يَدِ ابْنِ عَمِّهِ آيَةِ اللهِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ فَضْلِ اللهِ (قده)، اِبْتَدَأَ مِنَ "القَطْرِ" وانْتِهاءً بِالرَّسائِلِ والمَكاسِبِ؛ وحَضَرَ قِسْمًا مِنْ شَرْحِ مَنْظُومَةِ السَّبْزَوارِيِّ (ومِمَّا يَذْكُرُ السَّيِّدُ هُنا؛ عِنْدَ ذَهابِهِ مِنْ جَبَلِ عامِلَ إِلَى النَّجَفِ الأَشْرَفِ في العامِ 1366 هـ.؛ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى السَّيِّدِ الشِّيرازِيِّ في قِمَّةِ مَرْجَعِيَّتِهِ؛ وعِنْدَما تَعَرَّفَ إِلَيْهِ، رَحَّبَ بِهِ تَرْحِيبًا خاصًّا، بِاعْتِبارِ أَنَّهُ قَرِينُ والِدِهِ السَّيِّدِ صَدْرِ الدِّينِ، حَتَّى أَنَّهُ ذَكَرَ، أَنَّهُما سَكَنا في أَوَّلِ حَياتِهِما في مَنْزِلٍ واحِدٍ.
) في الفَلْسَفَةِ، عَلَى يَدِ الشَّيْخِ مُحَمَّد تَقِي صادِق (قده)؛ ومِنْ أَساتِذَتِهِ خارِجًا في بَعْضِ أَبْوابِ الفِقْهِ،

المَراجِعُ: السَّيِّدُ عَلِي الفانِي، والشَّيْخُ عَبَّاسُ الرُّمَيْثِي، والسَّيِّدُ مُحْسِنُ الحَكِيم بُرْهَةً قَصِيرَةً؛ وكانَ الحُضُورُ المُسْتَمِرُّ، والفائِدَةُ التَّامَّةُ عَلَى يَدِ أُسْتاذِهِ السَّيِّدِ أَبي القاسِمِ الخُوئِيُّ، فِقْهًا، وأُصُولًا، في مُدَّةٍ تَنُوفُ عَلَى العَقْدَيْنِ مِنَ الزَّمَنِ".

حَتَّى هُنا، هَذا ما وُجِدَ عَلَى وُرَيْقاتٍ بِخَطِّهِ، وهِيَ تَدُلُّ عَلَى نُبُوغِهِ المُبَكِّرِ، وعَلَى صِدْقِ المَقُولَةِ، الَّتِي تَرَدَّدَتْ بَيْنَ أَهْلِهِ، وهِيَ أَنَّ والِدَهُ كانَ يَتَنَبَّأُ لَهُ بِمُسْتَقْبَلٍ عِلْمِيٍّ زاهِرٍ، فيُنادِيهِ، على الرُّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ، بِالعَلاَّمَةِ، ولَمَّا يَبْلُغِ التَّاسِعَةَ مِنْ عُمْرِهِ.

في النَّجَفِ الأَشْرَفِ، ومَكانَتُهُ العِلْمِيَّةُ

وَصَلَ النَّجَفَ الأَشْرَفَ في العامِ 1366 هـ. 1947 م. في وَقْتٍ كانَ عَدَدُ العامِلِينَ فِيها دُونَ العِشْرِينَ لُبْنانِيًّا، تَغْلُبُ عَلَيْهِمُ الفَضِيلَةُ والتَّحْصِيلُ، فكانَ تَعامُلُهُ وانْخِراطُهُ في جَوِّ مَنْ هُمْ أَكْبَرُ مِنْهُ، وكما كانَ يَقُولُ:

"وَصَلْتُ، وانْخَرَطْتُ في جَوٍّ عِلْمِيٍّ مُتَحَرِّكٍ، آخُذُ مِنْهُ، وأُعْطِي".

فَقَدْ عاصَرَ في هَذِهِ المَرْحَلَةِ – إضافَةً إلى ابْنِ عَمِّهِ المُقَدَّسِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ، وشَقِيقِهِ المُقَدَّسِ السَّيِّدِ مُحَمَّد سَعِيد فَضْلِ اللهِ – الشَّيْخَ مُحَمَّد تَقِي
الفَقِيه (قده)، والسَّيِّدَ حُسَيْن مَكِّي (قده)، وغَيْرَهُمْ مِنْ هَذا الجِيلِ؛ وعاصَرَ مِنَ المَراجِعِ: السَّيِّدَ عَبْدَ الهادِي الشِّيرازِي (قده)، الَّذِي قَلَّدَهُ قَبْلَ بُزُوغِ نَجْمِهِ العِلْمِيّ، والسَّيِّدَ مَحْمُودَ الشَّهْرُودِيّ (قده)، والسَّيِّدَ مُحْسِنَ الحَكِيم (قده)، والسَّيِّدَ أَبا القاسِمِ الخُوئِيَّ (قده)، الَّذِي كانَتْ جُلُّ دِراسَتِهِ عَلَيْهِ، وغَيْرَهُمْ مِنَ الطَّبَقَةِ الأُولَى، الَّتِي كانَتْ تَزْدَهِرُ بِهِمْ مَدِينَةُ النَّجَفِ؛ وقَدْ تَرَكَتْ هَذِهِ البِيئَةُ الأَثَرَ الإيجابِيَّ في تَنْشِئَتِهِ العِلْمِيَّةِ.

ومِنْ حِينِ انْتِقالِهِ إِلَى النَّجَفِ، أَكَبَّ عَلَى تَحْصِيلِ عُلُومِهِ انْكِبابًا، شَغَلَهُ عَنْ تَعاطِي أَنْشِطَةٍ جانِبِيَّةٍ، لَمْ يُشَجِّعْهُ عَلَيْها تَقَدُّمُهُ بَيْنَ زُمَلاءَ لَهُ، بَلْ حاذَرَ عَلَى طُمُوحِهِ العِلْمِيّ، مِنَ الانْجِرافِ المُبَكِّرِ في أَمْواجِ الحَياةِ؛ ولَمْ يُثْنِهِ عَنِ انْقِطاعِهِ هَذا ضِيقُ ذاتِ اليَدِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ سَبَبًا لَها.

كانَ لِلتَّحْصِيلِ العِلْمِيّ عِنْدَهُ، آدابٌ كَثِيرَةٌ، تَتَّفِقُ مَعَ التَّفَرُّغِ النَّفْسِيّ والذِّهْنِيّ الَّذِي أَرادَهُ، بِحَيْثُ لا تَشُوبُهُ شائِبَةٌ، مِنْ شَأْنٍ خاصّ، أَوْ غَرَضٍ عامّ، تَكْسِرُ انْصِرافَهُ إِلى مَباحِثِهِ وكُتُبِهِ وكِتاباتِهِ؛ فالوَقْتُ بِحَسَبِ ما دَأَبَ عَلَى تَرْدادِهِ لِجُلَسائِهِ ومُحِيطِيهِ، "كَالسَّيْفِ، إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ قَطَعَكَ". فتابَعَ دُرُوسًا إِضافِيَّةً في أَيَّامِ عُطَلِهِ، ولَمْ يُغادِرِ العِراقَ طَوالَ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ سَنَةً، إِلَّا مَرَّتَيْنِ، فُصِلَتْ بَيْنَهُما سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً (السَّراب ص 26).

ومُنْذُ بِدايَةِ تَرَعْرُعِهِ العِلْمِيّ، اِتَّخَذَ سَبِيلَ المَشَقَّةِ في دِراسَتِهِ؛ ونُسِبَ إِلَيْهِ، أَنَّهُ في بَعْضِ عُهُودِهِ، كانَ يَقْضِي سَحابَةَ يَوْمِهِ، سَبْعَ عَشْرَةَ ساعَةً، أَوْ يَزِيدُ، لا تُشْغِلُهُ عَنْ مَباحِثِهِ، إِلَّا أَوقاتُ العِبادَةِ، فِيما تَنْتابُهُ الدَّهْشَةُ مِمَّنْ يَجِدُ وَقْتًا لِلأَحادِيثِ غَيْرِ المُفِيدَةِ، بَعْدَ مَجْلِسِ الدَّرْسِ، وقَبْلَ تَحْرِيرِ ما سَمِعَ. وهُوَ الَّذِي تَشَدَّدَ إِلى حَدِّ مَنْعِ تَلامِذَتِهِ، عَنْ مُراجَعَتِهِ في مَسْأَلَةٍ، أَوِ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ بِطَلَبٍ، أَوِ اسْتِفْسارٍ، في أَيَّامِ التَّحْصِيلِ، مُرْجِئًا إِيَّاهُمْ إِلى أَيَّامِ التَّعْطِيلِ.

وفي مَجْرَى انْهِماكِهِ هَذا، ومَعَ بُزُوغِ نَجْمِهِ، رَفَضَ عَرْضًا لِلْوَكالَةِ في بَعْضِ نَواحِي العِراقِ، مِنَ المَرْجِعِ الكَبِيرِ السَّيِّدِ مُحْسِنِ الحَكِيمِ (قده)، وكانَ يَعْرِفُهُ عَنْ كَثَبٍ، مُعْتَذِرًا بِسببِ ضِيقِ الوَقْتِ، فما كانَ مِنَ السَّيِّدِ الحَكِيمِ إِلَّا أَنْ قال: "اُتْرُكُوهُ، إِنَّهُ عاشِقٌ لِلْعِلْمِ، ولَهُ مُسْتَقْبَلٌ زاهِرٌ".

حازَ مَرْتَبَةَ الاجْتِهادِ في مَرْحَلَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنْ حَياتِهِ، كَما تَنْطِقُ بِذَلِكَ كِتاباتُهُ العِلْمِيَّةُ، الفِقْهِيَّةُ والأُصُولِيَّةُ، بِحَيْثُ أَصْبَحَ في وَقْتٍ قِياسِيّ، مِنَ الوُجُوهِ البارِزَةِ في النَّجَفِ، ويَعْرِفُ ذَلِكَ كُلُّ مَنْ واكَبَهُ، أَوْ تَتَلْمَذَ عَلَى يَدَيْهِ، كَما يَشْهَدُ لَهُ مُعاصِرُوهُ.

لَقَدْ شاعَتْ هَذِهِ الثِّقَةُ العِلْمِيَّةُ والرُّوحِيَّةُ، الَّتِي تَمَتَّعَ بِها، في أَوْساطٍ نَجَفِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، فتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ أَنْظارُ بَعْضِ أَهْلِها، وخُصُوصًا في الحَيِّ، الَّذِي أَقامَ بِهِ، وتَرَكَ فِيهِ الأَثَرَ الطَّيِّبَ.

وقَدِ التَزَمَ الصَّلاةَ في مَسْجِدِهِ، بِدَعْوَةٍ مِنْ أَبْناءِ المَحَلَّةِ، وباتَ مُعْتَمَدًا في قَضاياهُمُ الشَّرْعِيَّةِ، وهِيَ خُطْوَةٌ غَيْرُ مَعْهُودَةٍ، في مَدِينَةٍ عُرِفَتْ بِعُلَمائِها، وازْدَحَمَتْ بِهِمْ.

ويُحْكَى عَنْ وُجَهاءَ نَجَفِيِّينَ، إِلْحاحهُمْ عَلَيْهِ بِالبَقاءِ الدَّائِمِ في النَّجَفِ، طَمَعًا بِتَبَوُّئِهِ فِيها، مَنْزِلَةً مَرْمُوقَةً، تَضَعُهُ في مَصافِّ طَبَقَتِها الأُولَى (السّراب ص 27).

عاصَرَ بِداياتِ الحَرَكَةِ الإِسْلامِيَّةِ في العِراقِ، عِنْدَ تَأْسِيسِ "جَماعَةِ العُلَماءِ"، الَّتِي قامَتْ في وَجْهِ المَدِّ الشُّيُوعِيِّ، وانْتَسَبَ إِلَيْها بَعْضُ رُفَقاءِ دَرْبِهِ؛ لَمْ يَنْخَرِطْ فِيها مُباشَرَةً، رَغْبَةً بِاسْتِقْلالِيَّةٍ مَقْصُودَةٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يُخْفِ دَعْمَهُ لِكُلِّ عَمَلٍ إِسْلامِيٍّ، يُؤَدِّي إِلَى قِيامِ دَوْلَةٍ إِسْلامِيَّةٍ، يَنْشُدُها كُلُّ عامِلٍ في سَبِيلِ اللهِ، عَلَى ما يُعَبِّرُ.

شَكَّلَتِ النَّجَفُ الأَشْرَفُ مَحَطَّةً أَساسِيَّةً مِنْ حَياتِهِ، وقَدْ مَكَثَ فِيها زُهاءَ ثَلاثَةٍ وعِشْرِينَ عامًا، كَرَّسَها لِبِناءِ خُصُوصِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ، تَطَوَّرَتْ بِهِ، لِيَغْدُوَ مَحَلًّا لِثِقَةِ كِبارِ عُلَمائِها، فمارَسَ في حَوْزَتِها تَدْرِيسَ كِتابَيِ: الرَّسائِلِ والمَكاسِبِ؛ ولَمْ يَكُنْ قَدْ تَخَطَّى بَعْدُ أَواسِطَ عَقْدِهِ الثَّالِثِ؛ وأَنْجَزَ حِينَها تَقْرِيرَ، مَباحِثِ الخارِجِ وتَحْرِيرَها، والَّتِي اسْتَعانَ بِها كَثِيرٌ مِنْ زُمَلائِهِ، فِيما اعْتادَ آخَرُونَ عَلَى مُراجَعَتِهِ، في شُؤُونِ الدِّراسَةِ، واسْتِيضاحِ ما خَفِيَ مِنْها.

يَقُولُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ حُسَيْن فَضْل الله (ره)، في مُقابَلَةٍ أَجْرَيْتُها مَعَهُ، حَوْلَ سِيرَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِن (ره):

"عِنْدَما أَنْفَتِحُ عَلَى شَخْصِيَّةِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِنِ فَضْلِ اللهِ، الَّذِي كانَ الأَخَ والزَّمِيلَ والرَّفِيقَ والعالِمَ والشَّاعِرَ والمُجاهِدَ، إِنَّنِي أَعْتَقِدُ أَنَّ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ نُلَخِّصَ حَياتَهُ، أَنَّهُ كانَ يَعِيشُ عِلْمَهُ في رِسالَتِهِ، وكانَ يُحاوِلُ أَنْ يَسْتَزِيدَ مِنْ ثَقافَتِهِ فِيما يَقْرَأُ، وفِيما يَسْمَعُ، وفِيما يُعْطِي. وكانَ يَعِيشُ الرُّوحِيَّةَ الإِيمانِيَّةَ الإِسْلامِيَّةَ في المُسْتَوَى الَّذِي تَشْعُرُ فِيهِ بِأَنَّهُ الإِنْسانُ، الَّذِي يَعِيشُ مَعَ اللهِ في عالَمِ الحُبِّ، كَما يَعِيشُ مَعَ اللهِ في عالَمِ الطَّاعةِ.

ومِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّ العَلاقَةَ النَّسَبِيَّةَ هِيَ أَنَّ والِدَهُ المَرْحُومَ العَلاَّمةَ السَّيِّدَ صَدْر الدِّينِ فَضْلِ اللهِ، هُوَ ابنُ عَمِّ المَرْحُومِ الوالِدِ، لأَنَّ السَّيِّدَ صَدْر الدِّينِ هُوَ ابنُ السَّيِّدِ مُحَمَّد فَضْلِ اللهِ، الَّذِي كانَ أَخًا لِلْمَرْحُومِ جَدِّي السَّيِّدِ نَجِيب فَضْلِ اللهِ. وَقَدْ عِشْتُ مَعَهُ مُنْذُ أَنْ جاءَ إِلَى النَّجَفِ، فَكانَ زَمِيلِي في الدِّراسةِ عِنْدَ السَّيِّدِ الوالِدِ، مُدَّةَ سِنِينَ، حَيْثُ كُنَّا نَدْرُسُ مَعًا، وكانَ مَعَنا أَيْضًا المَرْحُومُ الشَّيْخُ مُحَمَّد مَهْدِي شَمْسِ الدِّينِ في هَذِهِ الدِّراسَةِ. وَقَدْ كانَ بالنِّسْبَةِ إِلَيَّ أَكْثَرَ مِنْ قَرِيبٍ، وأَكْثَرَ مِنْ رَفِيقٍ. كانَتِ العَلاقَةُ رُوحِيَّةً بَيْنِي وَبَيْنَهُ، تُمَثِّلُ عَلاقَةً لا نَشْعُرُ فِيها بِالتَّعَدُّدِيَّةِ، الَّتِي تَجْعَلُ إِنْسانًا يَخْتَلِفُ عَنْ إِنْسانٍ آخَرَ. كانَ هُناكَ شَيْءٌ مِنَ الانْدِماجِ الرُّوحِيِّ فيما بَيْنَنا، ولا سِيَّما أَنَّ هَذِهِ العَلاقَةَ، الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْ خِلالِ القَرابَةِ، ومِنْ خِلالِ الزَّمالَةِ، تَجَدَّدَتْ وانْفَتَحَتْ مِنْ خِلالِ المُصاهَرَةِ، بِاعْتِبارِ أَنَّهُ تَزَوَّجَ شَقِيقَتِي، أُمَّ السَّيِّدِ عَبْدِ الصَّاحِبِ؛ ولِذَلِكَ كُنَّا نَعِيشُ هَذِهِ العَلاقَةَ الحَمِيمَةَ، الَّتِي تَتَحَرَّكُ في المَعانِي الحَمِيمَةِ، وتَنْفَتِحُ عَلَى التَّواصُلِ الدَّائِمِ، مِنْ خِلالِ أَنَّ بَيْتَهُ أَصْبَحَ بَيْتِيَ؛ ولِذَلِكَ كُنْتُ في كُلِّ سَفَراتِي. يَعْنِي كُنَّا في النَّجَفِ نَعِيشُ في بَيْتٍ واحِدٍ، يَعْنِي كانَ هُوَ يَعِيشُ في جانِبٍ مِنْهُ، وكُنْتُ أَعِيشُ في

جانِبٍ آخَرَ. وهَكَذا عِنْدَما انْتَقَلَ إِلَى "خِرْبَةِ سِلْمَ"، كانَ بَيْتُهُ هُوَ المَحَطَّةَ الَّتِي أَمُرُّ عَلَيْها، وأَجْلُسُ فيها. كُنَّا نَتَحَدَّثُ في كُلِّ الشُّؤُونِ الَّتِي تَهُمُّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ" (أَجْرَيْتُ هَذِهِ المُقابَلَةَ بِتارِيخ: 27 آب (8) 2007 م).

مَلامِحُ مِنْ شَخْصِيَّتِهِ العِلْمِيَّةِ والفِقْهِيَّةِ

يَنْتَمِي السَّيِّدُ عَبْدُ المُحْسِنِ فَضْل اللهِ، إِلَى مَدْرَسَةٍ مُجَدِّدَةٍ في الانْتاجِ العِلْمِيّ، قِياسًا إِلَى البِيئَةِ، الَّتِي تَخَرَّجَ مِنْها؛ فغَلَبَتْ عَلَيْها مِيزَةٌ فِقْهِيَّةٌ مَرْمُوقَةٌ، وتَلَوَّنَتْ بِرَغْبَةٍ في إِحْداثِ تَغْيِير، ما يُوافِقُ الأُطُرَ الحَدِيثَةَ.

وعَلَى هَذا المِنْوالِ، كانَتْ مُقارَناتُهُ في أَكْثَرَ مِنْ مِضْمارٍ، بَيْنَ التَّشْرِيعِ الإِسْلامِيّ، والتَّشْرِيعاتِ الوَضْعِيَّةِ؛ وسَعْيِهِ إِلَى تَرْمِيمِ الهُوَّةِ بَيْنَ الأَدَواتِ التَّقْلِيدِيَّةِ المُتَداوَلَةِ، والأَسْئِلَةِ المُسْتَجِدَّةِ (السَّراب ص 39).

كانَ ذا مِزاجٍ فِكْرِيّ مُعْتَدِلٍ، يَقِفُ – كَما يَظْهَرُ مِنْ كِتاباتٍ مُتَناثِرَةٍ لَهُ – بَيْنَ اتِّجاهَيْنِ مُتَناقِضَيْنِ، أَنْكَرَهُما مَعًا، هُما: الجُمُودُ المُطْلَقُ عَلَى التَّقْلِيدِ والتُّراثِ، الَّذِي يَنْفُرُ مِنْ كُلِّ فِكْرٍ وافِدٍ، بِاعْتِبارِ أَنَّ التُّراثَ لِهَذا الاتِّجاهِ، كَالجِسْمِ الواحِدِ، لا يَتْرُكَ بَعْضُهُ دُونَ بَعْضِهِ الآخَرِ؛ واتِّجاهٌ آخَرُ، مُفارِقٌ، يَدْعُو إِلَى التَّحَرُّرِ المُطْلَقِ، لأَنَّ الحَضارَةَ بِرَأْيِ أَدْعِيائِهِ، كَالجِسْمِ الواحِدِ أَيْضًا.

ويُؤَيِّدُ مَوْقِفُهُ الوَسَطِيُّ بَيْنَ الاتِّجاهَيْنِ، بِتَكامُلِ العَقْلِ والإِيمانِ في المُسْلِمِ، كَعامِلٍ في تَكْوِينِ الحَضارَةِ، والتِزامِ خَطِّ الاعْتِدالِ.

وفي كِتاباتِهِ المُتَفَرِّقَةِ – ومُعْظَمُها قَبْلَ عُقُودٍ – حَثٌّ لِلْعُلَماءِ عَلَى العَمَلِ، والتَّصَدِّي لِلشُّؤُونِ العامَّةِ، والإِقْلاعِ عَنِ العُزْلَةِ، أَوِ التَّرَفُّعِ عَنِ العامَّةِ؛ ويَقْتَرِبُ مِنْ تَحْمِيلِهِمُ الشَّطْرَ الأَكْبَرَ مِنَ المَسْؤُولِيَّةِ، عَلَى ما آلَتْ إِلَيْهِ أَحْوالُ الأُمَّةِ، بِاعْتِبارِهِمُ القادَةُ؛ فبِأَيْدِيهِمُ المُبادَرَةُ والخُطَّةُ، وعَلَى كاهِلِهِمْ يَقَعُ العِبْءُ الأَكْبَرُ، وعَلَيْهِمْ وَحْدَهُمْ رَدْمُ الهُوَّةِ بَيْنَ الأُمَّةِ ورِجالِها.

تَرَكَتْ حاضِرَةُ النَّجَفِ الأَشْرَفِ، أَعْظَمَ الأَثَرِ في نَفْسِهِ، وظَلَّ طَوالَ حَياتِهِ عَلَى حَنِينِهِ لَها؛ وقَدْ وَهَبَها – كَما يَقُولُ – : رُبْعَ قَرْنٍ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِهِ؛ ووَهَبَتْهُ أَفْضَلَ إِخْوانِهِ وخِلاَّنِهِ.

مارَسَ التَّدْرِيسَ رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ، في نِطاقٍ، لَمْ يُنافِسْ شَغَفَهُ بِالكِتابَةِ والبَحْثِ؛ ومالَ إِلى الشِّعْرِ مَيْلًا، لاحَظَهُ فِيهِ المُحِيطُونَ بِهِ؛ وقَرَضَ مِنْهُ ما يَرْفَعُهُ إِلَى مَرْتَبَةِ الشُّعَراءِ المَعْدُودِينَ. وفي نَظْمِهِ وِجْدانِيَّاتٌ غالِبَةٌ، تَنُمُّ عَنْ أَلَمٍ كامِنٍ، وتُفْصِحُ عَنْ رُوحٍ حانِيَةٍ ساجِيَةٍ (السَّراب ص 40).

يَقُولُ السَّيِّدُ هانِي فَحص (ره)، في مُقابَلَةٍ أَجْرَيْتُها مَعَهُ، حَوْلَ سِيرَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِن (ره):

"كُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ تُلِحَّ عَلَيَّ ذاكِرَتِي، لأَسْتَحْضِرَ السَّنَواتِ الجَمِيلَةَ، الَّتِي قَضَيْتُها في النَّجَفِ صَدِيقًا، وتِلْمِيذًا لِلسَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِنِ. وفي كِلْتا الحالَتَيْنِ: الصَّداقَةِ والتَّلْمَذَةِ، أَتاحَ لِي أَنْ أَكُونَ شَرِيكًا.. وأَباحَ لِي دَفاتِرَهُ، لأَقْرَأَ شِعْرَهُ، مُسْتَمْتِعًا، وناقِدًا...

ولَمْ نَتَّفِقْ، لأَنّي كُنْتُ نازِعًا في النَّقْدِ إلى حَداثَةٍ حارَّةٍ وحادَّةٍ، مِنْ دُونِ أَنْ أَغْمِطَ أَحَدًا إبْداعَهُ، أَوْ طُمُوحَهُ إلَى الإبْداعِ.. في حِينٍ كانَ السَّيّدُ كَرَعِيلِهِ، مُقِيمًا في كلاسِيكِيَّةٍ غَنِيَّةٍ في النَّصّ، وحَداثَةٍ مُتَأَنّيَةٍ في الفَهْمِ.. ولَكِنَّ عَصَبِيَّتي الحَداثِيَّةَ، لَمْ تَمْنَعْنِي مِنَ الإصْغاءِ المُتَبَصِّرِ، والمُتَدَبِّرِ لِكَثِيرٍ مِنْ قَصائِدِهِ، أَوِ الطَّرَبِ الحَلالِ لِكَثِيرٍ مِنْ أَبْياتِهِ... بَيْنَ الكلاسِيكِيَّةِ الَّتي لا تَخْلُو

مِنْ نَوافِذَ عَلَى الحَداثَةِ، ومِنْ أُنْسِهِ بِالحَداثَةِ، والحَدِيثِ عَنْها، عِنْدَما يَكُونُ المُتَحَدِّثُ عاقِلًا، ونِسْبِيًّا، مِنْ دُونِ أَحْكامٍ، أَوْ إطْلاقٍ، أَوْ تَعْمِيمٍ، يَقَعُ شِعْرُهُ حاشِدًا بِالأَحْزانِ عَلَى مَواعِيدَ غامِضَةٍ أَوْ مُبْهَمَةٍ مَعَ الأَفْراحِ.. فإنْ لَمْ يُواتِهِ فَرَحٌ كَبِيرٌ، تَعَمَّدَ الفَرَحَ بِالتَّفاصِيلِ، وشَكَرَ اللهَ عَلَى نِعَمِهِ، مارًّا بِالرَّسُولِ (ص)، وأَهْلِ بَيْتِهِ (ع) إلى الدُّنْيا، لَعَلَّها عَلَى مَقاساتِهِمْ، تَتَّسِعُ لِلْمُؤْمِنِ العائِفِ العافِي.. ومِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ يَشْتَقُّ، أَوْ يَسْتَعِيرُ مُفْرَداتِ الحُبُورِ، وعَلَى أَحْزانِهِمْ يُسْقِطُ أَحْزانَهُ، فيَخِفُّ حِمْلُهُ، ويَسْتَرِيحُ مِنْ وَعْثاءِ السَّفَرِ بَيْنَ عَناءٍ وعَناءٍ، بَيْنَ مَرَضٍ ومَرَضٍ، بَيْنَ احْتِلالٍ وتَحْرِيرٍ.. وُصُولًا إلى المَرَضِ الَّذِي أَمْرَضَنا.. رَيْثَما يُكْمِلُ مِشْوارَهُ إلَى جِوارِ الصِّدِّيقِينَ.. لِيَكْتُبَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً، طُولُها كَطُولِ الجَنَّةِ، وعَرْضُها كَعَرْضِها، طُولَ وعَرْضَ شَوْقِنا إلَى لُقْياهُ هُناكَ" (أَجْرَيْتُ هَذِهِ المُقابَلَةَ، بِتارِيخ: 14 نَيْسان (4) 2010 م).

في لُبْنانَ

طالَتْ إقامَتُهُ (ره) في النَّجَفِ الأَشْرَفِ، وتَوَغَّلَ في دُرُوبِها، عالِمًا ومُتَعَلِّمًا؛ ولَمْ يَكُنْ قَدْ رَسَمَ بَعْدُ، خُطَى عَوْدَتِهِ إلَى الوَطَنِ، يَحْدُوهُ طُمُوحٌ، لَمْ يُراوِدْ أَحْلامَ الكَثِيرِينَ؛ فالعَوْدَةُ إنَّما تَقْطَعُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الانْغِماسَ الفَرِيدَ، في بِيئَةٍ عِلْمِيَّةٍ، عَشِقَ غِناها، وأَحَبَّ وُعُودَها، وتَوَسَّمَ مِنْها رُتْبَةً، رُبَّما حازَ مِنْها دَرَجَةً، لَكِنَّها لَمْ تَمْلَأْ بَعْدُ، قَلْبَ ذَلِكَ الشَّغُوفِ مُنْذُ الصِّغَرِ، بِأَنْ يَسْتَأْنِفَ مَجْدَ آبائِهِ، أَوْ يُدْرِكَ غَرَضًا رَسَمَتْهُ مُخَيِّلَةُ الصِّبا، فَلَمْ تَسْتَدْرِجْهُ السُّهُولَةُ، أَوْ يُغْرِيهِ العَرْضُ القَرِيبُ، فأَطالَ إلى قَصْدِهِ السَّبِيلَ.

هَذا الطُّمُوحُ المُتْرَفُ، زَيَّنَ لَهُ التَّمَنُّعَ، وأَحْبَطَهُ عَنِ اغْتِنامِ الفُرَصِ السَّانِحَةِ، مَعَ أَنَّ إقامَتَهُ في النَّجَفِ، حَتَّمَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُعانِيَ ضَنْكَ الحَياةِ، ومَشَقَّةً في العَيْشِ، قَدْ تَكُونُ في واحِدَةٍ مِنْ هاتِيكَ العُرُوضِ، الَّتِي رَفَضَها، مَنْدُوحَةً مِنْها.

قاوَمَ رَغَباتٍ عَدِيدَةً، حَمَلَها لُبْنانِيُّونَ إلَيْهِ، تَطْلُبُهُ لِلْعَوْدَةِ، فيَكُونُ بَيْنَهُمُ العالِمَ والمُرْشِدَ، بَعْدَ أَنْ شاعَ بُرُوزُهُ العِلْمِيُّ: واحِدَة مِنْ قُرًى عامِلِيَّة، وغَيْرِها... وعِنْدَما أَوْفَدَتْ إلَيْهِ إحْدَى ضَواحِي بَيْرُوتَ، جَماعَةً مِنْ أَهْلِها، رَفَضَ، واعْتَذَرَ مُتَعَلِّلًا، بِأَنَّ "الثَّمَرَةَ لا تُقْطَفُ قَبْلَ يَناعِها" (السَّراب ص 28).

وكَذَلِكَ هُوَ حالُهُ، حَتَّى وَصَلَتْهُ تِلْكَ الرِّسالَةُ، الَّتِي وَقَعَتْ في نَفْسِهِ مَوْقِعَ الحَيْرَةِ، وأَصابَتْ ضَمِيرَهُ الدِّينِيَّ بِحَرَجٍ؛ وقَدْ صِيغَتْ بِلُغَةِ التَّوَسُّلِ، وطُبِعَتْ بِلَهْجَةِ الاسْتِصْراخِ والرَّجاءِ، أَنْ "أَنْقِذْ دِينَ جَدِّكَ"، وتَوَلَّ قَوْمًا،

سَفِينَتُهُمْ بِلا رُبَّانٍ، يَتَهَدَّدُها مَوْجُ الانْحِرافِ، وحَبائِلُ الفِتْنَةِ؛ فتَرَدَّدَ فَيْنَةً بَيْنَ طُمُوحِهِ المُتَوَقِّدِ، وما ظَنَّهُ تَكْلِيفًا شَرْعِيًّا حاسِمًا، لِيَتَغَلَّبَ هَذا التَّكْلِيفُ؛ فقَرَّرَ إجابَةَ الدَّعْوَةِ، مُتَّخِذًا أَحَدَ أَكْثَرِ قَراراتِ حَياتِهِ إيلامًا، وهُوَ مُغادَرَةُ النَّجَفِ الأَشْرَفِ، الَّذِي ظَلَّ عالِقًا في وِجْدانِهِ؛ فيَمَّمَ شَطْرَ وَطَنِهِ، قاصِدًا بَلْدَةَ خرْبَةِ سِلْمَ اللُّبْنانِيَّةَ، العامِلِيَّةَ، في عامِ 1389 هـ. 1969 م. وهِيَ الَّتِي أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ رِسالَتَها "الذَّكِيَّةَ"، كَما كانَ يَقُولُ، حامِلَةً مَعَها سَبْعَةً وثَلاثِينَ تَوْقِيعًا مِنْ وُجَهائِها.

وخرْبَةُ سِلْمَ بَلْدَةٌ جَمِيلَةٌ مِنْ أَعْمالِ قَضاءِ بِنْتِ جُبَيْلَ، تَبْعُدُ عَنِ العاصِمَةِ بَيْرُوتَ مِئَةَ كلم تَقْرِيبًا، وتَفْصِلُها كِيلُو مِتْراتٍ قَلِيلَة، عَنِ الحُدُودِ الجَنُوبِيَّةِ، مَعَ فِلَسْطِينَ المُحْتَلَّةِ.

نَشاطُهُ في جَبَلِ عامِلَ

عادَ (ره) إِلَى جَبَلِ عامِلَ، وفي جُعْبَتِهِ بَرْنامَجُ عَمَلٍ شامِلٍ، تَجِدُ مُقْتَطَفاتٍ مِنْهُ في مُدَوَّناتِهِ، تَحَدَّدَتْ في هَذا البَرْنامَجِ، أَوْلَوِيَّاتٌ وخُطُوطٌ عَرِيضَةٌ، تَنُمُّ عَنْ وَعْيٍ مُبَكِّرٍ، بِأَهَمِّيَّةِ العَمَلِ العامِّ، وعَنْ عَقْلٍ مُتَنَوِّرٍ مُنَظَّمٍ، يُولِي عِنايَةً إِيجابِيَّةً بِمُحِيطِهِ، إِزاءَ نَمَطٍ تَقْلِيدِيٍّ، غَيْرِ مُتَفاعِلٍ، هَيْمَنَ عَلَى المُجْتَمَعِ الدِّينِيِّ، آنَذاكَ (السَّراب ص 29).

وفي أَوْراقِهِ المُتَناثِرَةِ، مَلامِحُ إِحْساسٍ بارِزٍ، بِضَرُورَةِ بَلْوَرَةِ اتِّجاهٍ عُلَمائِيٍّ فاعِلٍ، دَعا إِلَيْهِ مُنْذُ بِدايَةِ سَبْعِينِيَّاتِ القَرْنِ الماضِي؛ وفي مُذَكَّراتِهِ، وإِفاداتِهِ أَيْضًا، حِواراتٌ عَدِيدَةٌ حَوْلَ أَفْكارِ هَذا المَضْمُونِ، جَمَعَتْهُ إِلَى أَقْرانٍ لَهُ، تَمَثَّلَ مُعْظَمُها، فِيما ذَكَرَهُ، بِأَمْرَيْنِ:

الأَوَّلُ: مُقاسَمَتُهُ الطَّبَقاتِ الشَّعْبِيَّة هُمُومَها، ومُشارَكَتُهُ فِيها، مُشارَكَةً تَصِلُ حَدَّ الانْخِراطِ الكامِلِ؛ ولَطالَما رَدَّدَ دَعْوَةً لِلْعُلَماءِ والقِياداتِ، بِأَنْ تَنْزِلَ مِنْ بُرْجِها العاجِيِّ.

الثَّانِي: الاهْتِمامُ بِاللَّوْنِ الإِسْلامِيِّ لِلْعَمَلِ؛ وفي بَعْضِ كِتاباتِهِ المُتَفَرِّقَةِ، نَماذِجُ تُطابِقُ بَعْضَ ما هُوَ مَعْمُولٌ، ومُتَّبَعٌ في النَّشاطِ الإِسْلامِيِّ، في أَيَّامِنا الحاضِرَةِ.

في بِدايَةِ السَّبْعِينِيَّاتِ، باشَرَ عَمَلِيَّةً واسِعَةً في مُحِيطِهِ، لِنَشْرِ الوَعْيِ الإِسْلامِيِّ في صُفُوفِ الفِئاتِ الشَّابَّةِ، ودَخَلَ في نِقاشاتٍ هادِفَةٍ مَعَ الشَّرِيحَةِ المُثَقَّفَةِ، لَكِنَّ انْتِشارَ الأَيْدِيُولُوجِيَّاتِ اليَسارِيَّةِ، وتَصاعُدَ المَدِّ القَوْمِيِّ آنَذاكَ، أَحْبَطَ آمالَهُ، الَّتِي عَقَدَها عَلَى الجِيلِ المُثَقَّفِ، في أَنْ يَنالَ مُساندَتَهُ، ويَكُونَ إِلَى صَفِّهِ؛ ومَعَ ذَلِكَ أَصَرَّ عَلَى المُحاوَلَةِ، فحَرَّضَ أُولَئِكَ عَلَى التَّحَلِّي بِرُوحٍ نَقْدِيَّةٍ، تَنْأَى بِهِمْ عَنِ الاسْتِسْلامِ الأَعْمَى، لِما يُرَوِّدُونَهُ مِنْ أَفْكارٍ، بَعْضُها جاهِزٌ مُسْتَوْرَدٌ، فِيما يَتَنَكَّبُونَ طَرِيقَ المَوْضُوعِيَّةِ، والتَّجَرُّدِ في النَّقْدِ، لَوِ اتَّصَلَ الأَمْرُ بِالدِّينِ، والتُّراثِ الخاصِّ (السّراب ص 29).

بَعْدَ ذَلِكَ، اِنْصَرَفَ إلى الجِيلِ الطَّالِعِ، يُولِي عِنايَةً خاصَّةً بِاليافِعِينَ، مِمَّنْ لَمْ يَجُوزُوا بَعْدُ إلى سِنِي الشَّبابِ؛ فاجْتَذَبَهُمْ إلى مَجْلِسِهِ، وتَحَمَّلَ صُنُوفَ عَبَثِهِمْ وشَقاوَتَهُمْ، واحْتَضَنَهُمْ أَيَّما احْتِضانٍ؛ أَثْمَرَ ذَلِكَ بَعْدَ زَمَنٍ، ثُلَّةً مَعْرُوفَةً مِنَ العامِلِينَ، كانَ لِبَعْضِها شَأْنٌ مَشْهُودٌ، أَوْ عُرِفَتْ لَهُ الرِّيادَةُ، عَلَى صُعُدٍ إِسْلامِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، ثَقافِيَّةٍ، ودِينِيَّةٍ، وسِياسِيَّةٍ... وجِهادِيَّةٍ، في أَوْقاتٍ لاحِقَةٍ.

شَهِدَ مَنْزِلُهُ في المَراحِلِ الأُولَى، لِظُهُورِ المَدِّ الإِسْلامِيِّ في لُبْنانَ، في النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنْ عَقْدِ السَّبْعِينِيَّاتِ، لِقاءاتٍ عِدَّةً مُهِمَّةً، جَمَعَتْهُ إلى عُلَماءَ عامِلِيِّينَ، مِمَّنْ آلَتْ إِلَيْهِمُ القِيادَةُ الرُّوحِيَّةُ والسِّياسِيَّةُ، في آوِنَةٍ أُخْرَى؛ وقَدْ أَثْبَتَتْ مُساهَماتُهُ فِيها، مُواكَبَتَهُ الجادَّةَ لِلإِرْهاصاتِ الأُولَى، لِلصُّعُودِ الشِّيعِيِّ، ولِبِداياتِ تَرَسُّخِ التَّيَّارِ الدِّينِيِّ فِيهِ.

ولَطالَما تَكَرَّرَتْ في هَذِهِ الاجْتِماعاتِ – بِحَسبِ ما أَوْرَدَ في مُذَكَّراتِهِ – آراؤُهُ عَنْ أَهَمِّيَّةِ: الدِّقَّةِ في تَحْدِيدِ الأَهْدافِ، واخْتِيارِ القادَةِ، وتَوْحِيدِ الجُهُودِ، ونَبْذِ الأَنا... واعْتِبار ذَلِكَ مِنْ أَرْكانِ النَّجاحِ والاسْتِمْرارِ؛ ورُبَّما كانَ لِحَزْمِهِ في التَّقَيُّدِ، بِمَعاييرَ واضِحَةٍ، ما باعَدَ بَيْنَهُ، وبَيْنَ الانْخِراطِ المُباشِرِ، في أُطُرِ العَمَلِ وتَنْظِيماتِهِ، الَّتِي بَدَأَتْ بِالبُرُوزِ آنَذاكَ، على الرُّغْمِ مِنْ عَدَمِ مُعارَضَتِهِ لَها، ومَحْضِها التَّأْيِيدَ، في كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيانِ (السَّراب ص 30).

عاصَرَ أَحْداثًا عِدَّةً مُنْذُ دُخُولِهِ إِلَى لُبْنانَ، مِنْها ما كانَ لَهُ رَأْيٌ فِيها، أَوْ نَصِيحَةٌ، أَوْ تَوْجِيهٌ، ومِنْها ما أَعْرَضَ عَنْهُ، لِتَعارُضِهِ مَعَ قَناعاتِهِ المَبْدَئِيَّةِ.

وإِنَّ أَوَّلَ ما صادَفَهُ في هَذا الصَّدَدِ، انْقِسامُ السَّاحَةِ الشِّيعِيَّةِ في العامِ 1969، حَوْلَ تَأْسِيسِ المَجْلِسِ الإِسْلامِيِّ الشِّيعِيِّ الأَعْلَى، حِينَ تَوَزَّعَتِ الآراءُ بَيْنَ مُؤَيِّدٍ، ومُعارِضٍ، وشاجِبٍ؛ فعَرَضَ وَساطَتَهُ، إِنَّما قَبْلَ أَنْ يُفاجَأَ، بِأَنَّ ما ظَنَّهُ تَبايُناتٍ جَوْهَرِيَّةً، هُوَ جُزْءٌ مِنْ مُناوَراتٍ سِياسِيَّةٍ، لَمْ يَتَوَقَّعْ لِرُوحانِيِّينَ الانْخِراطَ فِيها.

وفي السَّبْعِينِيَّاتِ أَيْضًا، بادَرَ إِلَى اقْتِراحِ صِيَغٍ أُخْرَى لِلْعَمَلِ العُلَمائِيِّ، مِنْها: تَشْكِيلُ مَجْلِسٍ مُسْتَقِلٍّ لِلْعُلَماءِ المُسْلِمِينَ، وتَأْسِيسُ بَيْتِ مالٍ مُوَحَّدٍ لِلْمُسْلِمِينَ، تُجْمَعُ فِيهِ الحُقُوقُ الشَّرْعِيَّةُ، وتُشْرِفُ عَلَيْهِ لَجْنَةٌ مَوْثُوقَةٌ، مِنْ أَجْلِ تَحْرِيرِ العُلَماءِ وطُلَّابِ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ، مِنْ تَبِعاتِ تَدَبُّرِ أُمُورِ المَعِيشَةِ، فِيما كانَ أَوَّلَ الشَّاجِبِينَ والمُعارِضِينَ، لِرَبْطِ المُؤَسَّسَةِ العُلَمائِيَّةِ، بِالسُّلْطَةِ السِّياسِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ.

ولَمْ تَكُنْ تَجْرِبَتُهُ تِلْكَ، حَتَّى ذَلِكَ الحِينِ، بِمَنْأًى عَنِ الصِّعابِ؛ فَقَدْ حالَتِ الحِزْبِيَّةُ الضَّيِّقَةُ، أَوِ الفَرْدِيَّةُ المُغْرِقَةُ، دُونَ اسْتِغْلالِ النُّخْبَةِ لأَغْراضٍ شَعْبِيَّةٍ.

ويَذْكُرُ أَنَّهُ قادَ بِنَفْسِهِ، في العامِ 1972، حَمْلَةً لِتَهْيِئَةِ أَسْبابِ الصُّمُودِ في بَعْضِ مَناطِقِ الجَنُوبِ، المُهَدَّدِ آنَذاكَ، بِعُدْوانٍ صِهْيُونِيٍّ مُتَواصِلٍ، مِنْها: إِعْدادُ مَلاجِئَ آمِنَةٍ لِلْمَدَنِيِّينَ، وقَدْ عَبَّأَ لِذَلِكَ رَهْطًا مِنَ الشَّبابِ النَّاشِطِ

في حِينِهِ، لَكِنْ مالِكِي زِمام تِلْكَ المَرْحَلَةِ، كانُوا أَوَّلَ مَنْ أَعاقَها، وهُمْ مَنْ باشَرَهُمْ بِالرِّهانِ، أَنْ يَنْتَقِلُوا مِنَ الصِّراعاتِ النَّظَرِيَّةِ العَقِيمَةِ إِلى النِّضالِ المَيْدانِيِّ المُثْمِرِ (السَّراب ص 31).

ومِمَّا يَذْكُرُهُ (ره) أَيْضًا، أَنَّهُ باشَرَ اتِّصالاتٍ واسِعَةً لِلإِعْدادِ، لِتَحَرُّكٍ واسِعٍ، يُطالِبُ بِرَفْعِ الحِرْمانِ عَنْ جَبَلِ عامِلَ، ويَدْعُو إِلى مُعالَجَةِ أَوْجُهِ القُصُورِ المُزْمِنِ، الَّتِي تُصِيبُ، فِيما تُصِيبُ، القُدْرَةَ عَلَى الثَّباتِ والبَقاءِ في الأَرْضِ؛ رُبَّما كانَ ذَلِكَ في أَعْقابِ اجْتِياحِ 1972، وقَدْ أَحَسَّ لِمُبادَرَتِهِ وَقْعًا فاتِرًا، في أَسْماعِ مَنْ حَمَلَها إِلَيْهِمْ في بَيْرُوتَ، لَكِنْ لَمْ يُضِرْهُ، وإِنْ أَدْهَشَهُ، أَنَّ ما طَرَحَهُ نُفِّذَ فِعْلًا، دُونَ تَنْسِيقٍ مَعَهُ.

نَشاطاتُهُ العامَّةُ

أ – بِناءُ مُقَوِّماتِ الصُّمُودِ

شَغَلَ حِرْمانُ جَبَلِ عامِلَ، قَلْبَ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِنِ وعَقْلَهُ، فتَحَوَّلَتِ الدَّعْوَةُ إِلى إِنْمائِهِ، ونَفْضِ غُبارِ الإِهْمالِ عَنْهُ، لازِمَةً في قَوْلِهِ وعَمَلِهِ.

وكَمْ بَلَغَ مِنْهُ الأَسَفُ حَدًّا، وَقْتَ كانَتْ تَرْتَدُّ نِداءاتُهُ عَنْ آذانٍ صَمَّاءَ، وعُقُولٍ مُعْرِضَةٍ؛ وحِينَ كانَ يَقِفُ عَلَى مُفارَقاتٍ بادِيَةٍ بَيْنَ القَوْلِ والفِعْلِ!

مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَخَلَّ يَوْمًا عَنْ مَقُولَتِهِ المِحْوَرِيَّةِ، مُذْ وَفَدَ إِلَى لُبْنانَ، بِأَنَّ الجُهُودَ، كُلَّ الجُهُودِ، يَنْبَغِي أَنْ تَلْتَقِيَ عَلَى بِناءِ مُقَوِّماتِ صُمُودِ الإِنْسانِ الجَنُوبِيِّ، ورَبْطِهِ بِأَرْضِهِ؛ فالمُعادَلَةُ الَّتِي عَرَفَها، قامَتْ عَلَى أَنَّ تَحْرِيرَ ابْنِ الجَنُوبِ مِنَ الفاقَةِ، يَمْنَعُهُ مِنْ إِخْلاءِ أَرْضِهِ، ويُوصِدُ أَبْوابًا دُونَ العَدُوِّ، الَّذِي يُرِيدُ الأَرْضَ خالِيَةً لَهُ (السَّراب ص 39).

ب – إِنْشاءُ جَمْعِيَّةِ التَّضامُنِ الإِسْلامِيِّ

لَمْ يَكْتَفِ بِهَذا الاسْتِنْهاضِ الدَّائِمِ لِلْقِياداتِ، وأُولِي الأَمْرِ، بَلْ جَنَّدَ ما أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، وطاقَةٍ ذاتِيَّةٍ؛ فأَنْشَأَ في العامِ 1976 رابِطَةَ الشَّبابِ المُؤْمِنِ، ثُمَّ جَمْعِيَّةَ التَّضامُنِ الإِسْلامِيِّ، الَّتِي تَحْمِلُ رُخْصَةً عامَّةً بِالنَّشاطِ، عَلَى كامِلِ الأَراضِي اللُّبْنانِيَّةِ.

وحاوَلَ مِنْ خِلالِها تَعْبِئَةَ المَوارِدِ، لانْطِلاقَةٍ ذاتِ خُطُواتٍ مَحْسُوبَةٍ، نَحْوَ مَشْرُوعاتٍ ثَقافِيَّةٍ، واجْتِماعِيَّةٍ عَدِيدَةٍ؛ فأَنْجَزَ ما أَنْجَزَ: مَكْتَبَةً عامَّةً، بِئْرًا ارْتِوازِيَّةً، تَعاوُنِيَّاتٍ زِراعِيَّةً، مَعاهِدَ حِرَفِيَّةً...؛ وخَطَّطَ لِمَشْرُوعاتٍ أُخْرَى، كَبِناءِ مَساكِنَ تَعاوُنِيَّةٍ، وإِنْشاءِ مُسْتَشْفًى...، لَكِنَّ الظُّرُوفَ حالَتْ دُونَ اسْتِكْمالِها.

ج – تَأْسِيسُ حَوْزَةٍ عِلْمِيَّةٍ

أَسَّسَ، في بِدايَةِ الثَّمانِينِيَّاتِ، حَوْزَةً عِلْمِيَّةً، طَمِحَ مِنْ خِلالِها، لِتَكْوِينِ نَواةٍ لِنَهْضَةٍ عِلْمِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، في جَبَلِ عامِلَ؛ وقَدْ أَفْرَغَ وُسْعَهُ لإِنْجاحِها؛ فاسْتَمَرَّتْ لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ سَنَواتٍ، وانْخَرَطَ فِيها رَهْطٌ مِنَ الطُّلَّابِ، الَّذِينَ

تَأَلَّقَ بَعْضُهُمْ، وقُدِّرَ لِهَذِهِ الحَوْزَةِ مُسْتَقْبَلٌ مُزْدَهِرٌ، لَوْلا أَنْ مَنَعَتِ التَّطَوُّراتُ الأَمْنِيَّةُ والسِّياسِيَّةُ القاهِرَةُ، اسْتِمْرارَها (السّراب ص 39).

صِفاتُهُ

عُرِفَ بِالتَّقْوَى والوَرَعِ، وبَساطَةِ العَيْشِ، ونُزُوعٍ مُعْتَدِلٍ إلى الزُّهْدِ، وبِتَحَفُّظٍ، مُفْرِطٍ أَحْيانًا، في إِنْفاقِ الحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فصارَ إلى ما دُونَ الوَسَطِ مِنْ حَياةِ أَهْلِ زَمانِهِ؛ وقَدْ أَضْفَى كُلُّ ذَلِكَ عَلَى شَخْصِيَّتِهِ، مَسْحَةً خاصَّةً، شَدَّتْ إِلَيْها أَنْظارَ المُؤْمِنِينَ، وجَعَلَتْ لَهُ العَدِيدَ مِنَ المُرِيدِينَ، مِمَّنْ قَصَدُوهُ التِماسًا لِعِلْمِهِ، وتَيَمُّنًا بِسِيرَتِهِ.

كانَ أَيْضًا، كَثِيرَ الأَناةِ، مَوْفُورَ الوَقارِ، شَدِيدَ الاهْتِمامِ بِمَصالِحِ النَّاسِ؛ صَبُورًا عَلَى الأَذَى، ورُبَّما مِنْ أَقْرَبِ المُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ؛ وقَدْ عَرَفَ فِيهِ مُرِيدُوهُ وعارِفُوهُ إلى هَذِهِ الفَضائِلِ، فَضائِلَ يَسْتَرْجِعُونَها، كُلَّما اسْتَعادُوا ذِكْراهُ، وتَلَمَّسُوا أَثَرَهُ، ورُبَّما اخْتَصَرُوها بِالصِّدْقِ، حَتَّى شَجاعَةٍ ظاهِرَةٍ؛ وعُمْقِ نَظَرٍ، حَتَّى الحِكْمَةِ؛ وصَفاءِ سَرِيرَةٍ، حَتَّى غايَةِ الإِخْلاصِ (السَّراب ص 40).

يَقُولُ الشَّيْخُ حَسَن حُسَيْن عَوَّاد، في مُقابَلَةٍ أَجْرَيْتُها مَعَهُ، حَوْلَ سِيرَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِن (ره):

"لَقَدْ عَرَفْتُ المُقَدَّسَ السَّيِّدَ عَبْدَ المُحْسِنِ فَضْلِ اللهِ عَنْ كَثَبٍ، فَكانَ يَسْتَوْقِفُنِي طَوِيلًا بِتَواضُعِهِ، وتُرابِيَّتِهِ؛ كَما كانَ يَسْتَوْقِفُنِي طَوِيلًا بِتَعَبُّدِهِ، ورَوْحانِيَّتِهِ، آناءَ اللَّيْلِ وأَطْرافَ النَّهارِ. كَما كانَ يَسْتَوْقِفُنِي بِزُهْدِهِ، وتَرَفُّعِهِ عَنِ المادِّيَّاتِ، حَتَّى عَنْ بَعْضِ حَلالِها، ناهِيكَ بِما هُوَ عالَمُ الشُّبُهاتِ؛ ولا نَذْكُرُ هُنا المُحَرَّماتِ؛ لأَنَّ سَماحَتَهُ كانَ بِعَيدًا عَنْها؛ يَعْصِمُهُ عِلْمُهُ، وتَعْصِمُهُ تَقْواهُ، وتَعْصِمُهُ روحانِيَّتُهُ وعِرْفانُهُ. وقَدْ كانَتْ تِلْكَ الصِّفاتُ، صِفاتٍ تَمَيَّزَ بِها، وعُرِفَ بِها في أَرْقَى مَصادِيقِها.

لا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نُؤَرِّخَ لِسَماحَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِنِ فَضْلِ اللهِ (رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِ)، لأَنَّهُ كانَ مَدْرَسَةً، وظاهِرَةً في عالَمِ القِيَمِ، بِمَنْطِقِهِ، بِنَظَراتِهِ، بِمشْيَتِهِ، بِمَجْلِسِهِ، في جِهادِهِ، في أَمْرِهِ بِالمَعْرُوفِ، ونَهْيِهِ عَنِ المُنْكَرِ.

كانَ أُمْثُولَةً صالِحَةً لأَهْلِ العِلْمِ، وكانَ تَجْسِيدًا حَيًّا لِمَسْلَكِ الأَنْبِياءِ، والأَئِمَّةِ، ومَنْهَجِيَّتِهِمْ" (أَجْرَيْتُ هَذِهِ المُقابَلَةَ بِتارِيخ 9 حَزِيران (6) 2010 م).

ويَقُولُ الشَّيْخُ عَلِي كَوْرانِي، في مُقابَلَةٍ أَجْرَيْتُها مَعَهُ، حَوْلَ سِيرَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِن:

"عَرَفْتُهُ لِبِضْعِ سَنَواتٍ، وكانَتْ فِيهِ مِيزاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ، لافِتَةٌ. مِيزاتُهُ (قده) أَنَّهُ كانَ طَبِيعِيًّا، لَيْسَ مُعَقَّدًا. البَساطَةُ في الشَّخْصِيَّةِ، وأَنْ لا يَكُونَ مُعَقَّدًا، هَذِهِ نِعْمَةٌ، إِمَّا تَكْوِينِيَّة، أَوْ بِإِرادَةِ الإِنْسانِ. وبَعْضُ النَّاسِ تَراهُمْ

مِنْ بَساطَتِهِم شَلالَ ماءٍ صافٍ نَقِيّ، وخَطًّا مُسْتَقِيمًا. بَعْضُهُمْ تَجِدُهُمْ مِثْلَ شِلَّةِ الخِيطانِ، الَّتِي لا تَعْرِفُ طَرَفَ الخَيْطِ مِنْها، مِنْ وسَطِهِ، مِنْ آخِرِهِ، تَعْقِيد؛ الحَمْدُ للهِ هُوَ مِنْ هَذِهِ النَّوْعِيَّةِ، مِنْ أَصْحابِ الشَّخْصِيَّاتِ الصَّافِيَةِ. وكانَ بِطَبْعِهِ يُحِبُّ الآخَرِينَ، بَشُوشًا، خَلُوقًا، يَهْتَمُّ بِهِمْ. نَحْنُ كُنَّا أَصْغَرَ مِنْهُ سِنًّا؛ إذا جاءَ السَّيِّدُ عَبْدُ المُحْسِن إلى المَدْرَسَةِ نَجْتَمِعُ حَوْلَهُ، نَأْنَسُ بِهِ، ويَسْأَلُ عَنْ أَحْوالِنا، وعَنْ أَوْضاعِنا، ونَسْتَفِيدُ مِنْهُ أَخْلاقِيًّا" (أَجْرَيْتُ هَذِهِ المُقابَلَةَ مَعَ سَماحَةِ الشَّيْخ عَلِي كَوْرانِي في مَمْلَكَةِ البَحْرَيْنِ، في 16 آذار 2010 م).

مُعاناتُهُ مَعَ أَبْناءِ طَبَقَتِهِ

هَذا الاتِّجاهُ الرُّوحِيُّ العامِلُ، الَّذِي تَحَلَّى بِهِ، حَتَّمَ عَلَيهِ، في تِلْكَ الآوِنَةِ، الابْتِعادَ عَنِ الأَضْواءِ، وتَحاشِي المُنافَسَةِ؛ فَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ السَّلامَةِ في أَمْرِ الآخِرَةِ، ما دامَتْ أَيُّ مُنافَسَةٍ، في عُرْفِهِ، شَأْنًا مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيا.

ولَطالَما آذَتْهُ أَحْوالٌ مِنَ التَّزاحُمِ، غَيْرِ المَشْرُوعِ، وأَوْدَتْ بِهِ إِلَى انْكِفاءٍ نِسْبِيٍّ، مَوْسُومٍ بِالأَسَفِ والحُرْقَةِ، وافْتِقادِ المَنْدُوحَةِ؛ وأَكْثَرُ ما عابَ عَلَى بَعْضِ أَبْناءِ العِلْمِ، إِقْبالهُمْ عَلَى الدُّنْيا، وإِيغالهُمْ في دُرُوبِها، وطَلَبهُمْ مَغانِمَها بِكُلِّ يَدٍ؛ وقَدْ أَضَرَّتْ بِهِ ضُرُوبُ المُزاحَمَةِ تِلْكَ أَيَّما ضَرَرٍ، وأَلْقَتْ في سَبِيلِهِ عَوائِقَ وعَثَراتٍ، آثَرَ أَنْ يحِيدَ عَنْها، فلا يَتَمادَى في خُصُومَةٍ، أَوْ يَخُوضَ في نِزاعٍ عَلَى مَكانَةٍ، أَوْ رُتْبَةٍ، أَوْ مَنْفَعَةٍ، مَهْما كانَتْ، كَيْ لا يَنْحازَ إِلَى فِئاتِ المُتَنازِعِينَ، أَوْ يُذْكَرَ بَيْنَهُمْ.

وفي أَحادِيثِهِ رِواياتٌ مُخْتَلِفَةٌ عَنْ مَراراتِ العَلاقَةِ مَعَ أَبْناءِ طَبَقَتِهِ، طَبْعًا ما خَلا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُفْسِدْ خِلافُ الرَّأْيِ وُدَّهُمْ، وعَقَدَ العَزْمَ عَلَى أُخُوَّتِهِمْ، أَبَدَ العُمُرِ.

لَكِنْ لَمْ تَنْهَزِمْ فِيهِ رَغْبَةٌ كامِنَةٌ، في الانْخِراطِ بِمَجْرَى الحَياةِ العامَّةِ، حالَ دُونَها ظُرُوفٌ غَيْرُ مُؤاتِيَةٍ، حَتَّى أَعادَها فَجْرُ الثَّوْرَةِ الإِسْلامِيَّةِ في إِيرانَ، إِلى تَوَثُّبِ البِداياتِ.

الثَّوْرَةُ الإِسْلامِيَّةُ في إِيرانَ، وفِلَسْطِينَ

خَلَّفَتِ الثَّوْرَةُ الإِسْلامِيَّةُ في إِيرانَ، عَمِيقَ الأَثَرِ في وِجْدانِهِ، لَكَأَنَّهُ عَلَى وَعْدٍ مُسْبَقٍ مَعَها، أَوْ أَنَّها جاءَتْ عَلَى طِبْقِ ما ارْتَسَمَ في سَرِيرَتِهِ، ودارَ في خَلَدِهِ، في أَنْ يَسْتَعِيدَ الإِسْلامُ مَجْدَهُ، وتَعْرِفَ الأُمَّةُ هُوِيَّتَها ومَكانَتَها؛ فتابَعَ أَحْداثَها بِلَهْفَةٍ وشَغَفٍ، وعَرَفَ فِيها، إِثْرَ انْتِصارِها، نَمُوذَجًا يُحْتَذَى، يَصِحُّ القِياسُ عَلَيْهِ، لا المُطارَحَةُ فِيهِ؛ وهَذا ما تَمَثَّلَهُ، وجَمَعَ خُيُوطَهُ في مُواجَهَتِهِ اللَّاحِقَةِ مَعَ الاحْتِلالِ الصِّهْيُونِيِّ لِجَنُوبِ لُبْنانَ. (السَّراب ص 32).

وقَدْ أَيَّدَ بِقُوَّةٍ – مُنْذُ اللَّحَظاتِ الأُولَى، ومِنْ مَوْقِعِهِ الفِقْهِيِّ المَعْرُوفِ – قِيادَةَ الإِمامِ الخُمَيْنِيِّ (قده)، وتَصَدِّي الفَقِيهِ العادِلِ لإِمامةِ الأُمَّةِ.

وقَدْ عُرِفَ عَنْ مَجالِسِهِ، أَنَّها كانَتْ مَحَلًّا لِلدِّفاعِ عَنِ الثَّوْرَةِ الإِسْلامِيَّةِ، والمُحاجَجَةِ في أَحَقِّيَّتِها وشَرْعِيَّتِها، إِزاءَ أَوْساطٍ دِينِيَّةٍ، تَنَكَّرَتْ لِلثَّوْرَةِ بَعْدَ انْتِصارِها؛ بَلِ اسْتَهْجَنَتْ أَنْ تَقُومَ قائِمَةُ الدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ، فتَتَصَدَّى لأَفْعالِ السُّلْطَةِ، وتُمارِسُ كُلَّ صَلاحِيَّاتِ الحاكِمِ، في الإِصْلاحِ والجِهادِ، وبِناءِ الشَّأْنِ العامّ.

يَقُولُ نَجْلُهُ السَّيِّدُ عَبْدُ الصَّاحِب:

"كانَ (قده) وَرِعًا فِي حَياتِهِ، مُخْلِصًا للهِ فِي مَواقِفِهِ، لا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ. كانَ يُرَدِّدُ – حَتَّى عَلَى فِراشِ الْمَرَضِ – :

"إِلَهِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ غَضَبٌ، فَلا أُبالِي".

وَما مَواقِفُهُ الْجِهادِيَّةُ الْمُؤَيِّدَةُ، عِنْدَ انْتِصارِ الثَّوْرَةِ الإِسْلامِيَّةِ، بِقِيادَةِ الْقائِدِ الْمُلْهَمِ، وَالإِمامِ الْمُقَدّسِ، السَّيِّدِ رُوحِ اللهِ الْمُوسَوِيِّ الْخُمَيْنِيِّ (نَوَّرَ اللهُ ضَرِيحَهُ)، إِلَّا دَلِيلًا عَلَى نُصْرَةِ الْحَقّ، وَرَفْعِ رايَةِ الْمَظْلُومِينَ.

وَما ثَباتُهُ فِي جِهادِ الْعَدُوّ الصِّهْيُونِيّ، وَتَعَرُّضِ الْعَدُوّ لَهُ، بِمُحاوَلاتٍ عِدَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ رَأَى، مِنْ مَوْقِعِهِ الْفِقْهِيّ، أَنَّ الْفِرارَ مِنْ جِهادِهِ، كَالْفِرارِ مِنَ الزَّحْفِ.

وَمِمَّا يُذْكَرُ هُنا: جاءَهُ بَعْضُ أَقْرانِهِ مِنَ الْعُلَماءِ، عِنْدَ اشْتِدادِ الأَمْرِ، وَزِيادَةِ الضَّغْطِ مِنْ قِبَلِ الْعَدُوّ الْمُحْتَلّ، وَمَعَ ما يُسَمَّى: "الْقَبْضَةُ الْحَدِيدِيَّةُ" . قائِلًا لَهُ بِمَحَبَّةٍ وَإِخْلاصٍ:

"أَلا تَرَى إِشْكالًا شَرْعِيًّا فِي بَقائِكَ هُنا تَحْتَ الْخَطَرِ ؟!".

فأَجابَهُ (قده): "أَلا تَرَى إِشْكالًا شَرْعِيًّا بِالْخُرُوجِ مِنْ هُنا ؟!

إِنَّ الْقِيادَةَ تَبْقَى فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ مَوْقِفًا داعِمًا وَمُوَجِّهًا، وَالأَعْمارُ بِيَدِ اللهِ سُبْحانَهُ".

بَنَى (قده) ذاتَهُ، بِناءً ذاتَ أَبْعادٍ عِلْمِيَّةٍ، وَأَدَبِيَّةٍ، وَتارِيخِيَّةٍ، وَفَلْسَفِيَّةٍ، وَرُوحِيَّةٍ، وَجِهادِيَّةٍ. سَعَى لإِنْقاذِ السَّاحَةِ الَّتِي أَقامَ فِيها. رَبَّى بِإِخْلاصٍ وَصَبْرٍ، بِرُوحٍ أَبَوِيَّةٍ صادِقَةٍ. صَبَرَ فِي طَرِيقِ ذاتِ الشَّوْكَةِ. جاهَدَ بِمَواقِفَ قَلَّ مَثِيلُها.

وَالْجِيلُ الَّذِي رَعاهُ، لَهُ الْيَوْمَ مَواقِعُ فِي ساحَةِ الْعَمَلِ وَالْجِهادِ، وَكانَ مِنْهُمُ الشُّهَداءُ، فَضْلًا عَنْ رُجُوعِ بَعْضِ الْقِياداتِ الْمَيْدانِيَّةِ إِلَيْهِ، مِنْ عُلَماءَ وَغَيْرِهِمْ، فِي بِداياتِ الصِّراعِ، لِلاسْتِنارَةِ بِرَأْيِهِ فِي قَضايا مَصِيرِيَّةٍ، فِي وَقْتٍ عَزَّ فِيهِ الرُّجُوعُ، فِي السَّاحَةِ الْجِهادِيَّةِ، إِلَى أَصْحابِ الرَّأْيِ وَالْمَسْؤُولِيَّةِ؛ حَتَّى أَنَّ بَعْضَ الْقِياداتِ الْمَيْدانِيَّةِ، هَمَسَ فِي أُذُنَيَّ، بَعْدَ وَفاتِهِ، قائِلًا:

"أَتَمَنَّى أَنْ أَجِدَ مَنْ يُعْطِينِي نِصْفَ ما كانَ يُعْطِي، أَوْ نَأْخُذَ مِنْهُ"." (مِنَ الْكَلِمَةِ الَّتِي أَلْقاها السَّيِّد عَبْد الصَّاحِبِ فَضْلِ اللهِ، فِي الاحْتِفالِ التَّكْرِيمِيِّ لِوالِدِهِ، السَّيِّدِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ فَضْلِ اللهِ (طابَ ثَراهُ)، بِمُناسَبَةِ مُرُورِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عامًا عَلَى رَحِيلِهِ؛ وَذَلِكَ يَوْمَ الاثنينِ الْواقِعِ فِيهِ 28 المُحَرَّم الْحَرام (1) 1427 هـ.

الْمُوافِقِ لِـ 27 شُباط (2) 2006 م. فِي "قاعَةِ الزَّهْراءِ (ع)"، فِي مِنْطَقَةِ "زُقاقِ الْبِلاطِ"، مِنَ الْعاصِمَةِ "بَيْرُوتَ").

مَواقِفُهُ الجِهادِيَّةُ

ولَمْ تَكُنْ مُساهَمَتُهُ المُتَقَدِّمَةُ، والرَّائِدَةُ في مُواجَهَةِ الاحْتِلالِ، إلَّا الصِّيغَةَ الأُخْرَى، لِهَذا المَوْقِفِ المَبْدَئِيِّ الفِكْرِيِّ، العَقائِدِيِّ، الفِقْهِيِّ، الَّذِي التَزَمَهُ دائِمًا؛ بَلْ أَعْلَنَهُ قَبْلَ عُقُودٍ.

وفي قُصاصَةٍ صَغِيرَةٍ، عُثِرَ عَلَيْها بَيْنَ أَوْراقِهِ، يَعُودُ تارِيخُها إلَى العامِ 1969، مَلامِحُ مُبَكِّرَةٌ لِهَذا المَوْقِفِ (السَّراب ص 33).

سُئِلَ: ما رَأْيُكُمْ في التَّحَرُّكاتِ الفِدائِيَّةِ (الفِلَسْطِينِيَّةِ)؟

وما رَأْيُ الدِّينِ بِذَلِكَ؟

فأَجابَ: "بِرَأْيِي، إنَّها تَذُقُّ بِعُنْفٍ أَبْوابَ التَّارِيخِ، وأَخالُها سَتُكَلَّلُ في يَوْمٍ بِالعِزِّ والنَّصْرِ؛ وما حَرَكَةُ الفِدائِيِّينَ إلَّا جُزْءٌ مِنْ كُلٍّ.

والسُّؤالُ عَنْ مَوْقِفِ الدِّينِ مِنْ قَضِيَّةِ فِلَسْطِينَ، لَمِمَّا يَبْعَثُ في نَفْسِي الاسْتِغْرابَ!

أَلَمْ تُصْبِحْ فِلَسْطِينُ جُزْءًا مِنْ كِيانِ كُلِّ مُسْلِمٍ؟!

ومَتَى كانَ دِينُنا يُسَلِّمُ يَدَ المَذَلَّةِ؟! فِيما هُوَ يَعْمَلُ لِلْعَدْلِ، ويَتَحَفَّظُ عَلَيْهِ، ويَعْمَلُ لِصِيانَةِ العَقِيدَةِ والكَرامَةِ؛ وكَلِمَةُ أَعْظَمِ قائِدٍ مِنْ قادَةِ المُسْلِمِينَ، الإمامِ عَلِيٍّ (ع)، لَمْ تَزَلْ تَدْفَعُ الأَجْيالَ، لِلْعَمَلِ عَلَى صَوْنِ الكَرامَةِ، بِكُلِّ جُهْدٍ:

"ما غُزِيَ قَوْمٌ في عُقْرِ دارِهِمْ، إلَّا ذَلُّوا".

فَهَلْ نَحْنُ حَقًّا مُسْلِمُونَ؟

هُنا يَكْمُنُ الدَّاءُ، وسِرُّ الهَزِيمَةِ".

مَواجَهَةُ العَدُوِّ، وصُمُودُهُ، خِلالَ سَنَواتِ الاحْتِلالِ

مُنْذُ بِدايَةِ العُدْوانِ الصِّهْيُونِيِّ عَلَى لُبْنانَ في العامِ 1982، كانَ لِلْمُقَدَّسِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِنِ فَضْلِ اللهِ، مَواقِفُ فِقْهِيَّةٌ، ظَهَرَتْ آثارُها بِشَكْلٍ أَوْ بِآخَرَ، عَلَى مَسارِ الوَقائِعِ.

فأَثْناءَ حِصارِ بَيْرُوتَ، عامَذاكَ، أَفادَ قِياداتٍ وَفَدَتْ إلَيْهِ لِلْمَشُورَةِ، حَوْلَ خِياراتِ المُواجَهَةِ، فِيما لَوِ اجْتاحَتِ القُوَّاتُ الإسْرائِيلِيَّةُ الضَّاحِيَةَ الجَنُوبِيَّةَ؛ أَفادَها بِحَتْمِيَّةِ المُواجَهَةِ، لَكِنْ مَعَ رَسْمِ تَحالُفاتٍ مَيْدانِيَّةٍ مَأْمُونَةٍ، وذاتِ مَعْنًى، وبِأُسْلُوبٍ يَسْمَحُ بِادِّخارِ، جُزْءٍ مِنَ الطَّاقاتِ الجِهادِيَّةِ وتَعْبِئَتِها، لِلْمَرْحَلَةِ التَّالِيَةِ.

رُبَّما لأَنَّهُ (قده) مِنْ أَوائِلِ مَنْ وَعَوْا أَهَمِّيَّةَ تَنْظِيمِ حَرْبِ كَرٍّ وفَرٍّ، طَوِيلَةِ الأَمَدِ ضِدَّ الاحْتِلالِ (السَّراب ص 33).

وبَعْدَ اسْتِقْرار الغُزاةِ في المَناطِقِ الجَنُوبِيَّةِ، آثَرَ الإِقامَةَ الدَّائِمَةَ في جَبَلِ عامِلَ المُحْتَلِّ، عَلَى خِلافِ ما دَأَبَ عَلَيْهِ في سَنَواتِهِ السَّابِقَةِ، بَعْدَ أَنِ اقْتَطَعَتِ الإِقامَةُ في بَيْرُوتَ شَطْرًا مِنْ وَقْتِهِ؛ وقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّ ذَلِكَ رُضُوخٌ لِتَكْلِيفٍ شَرْعِيٍّ، يُمْلِي عَلَيْهِ البَقاءَ.

في عامِ 1983، رَعَى (قده) في دارَتِهِ لِقاءاتٍ عُلَمائِيَّةً مُوَسَّعَةً، بَحَثَتْ في سُبُلِ تَصْعِيدِ المُواجَهَةِ الشَّعْبِيَّةِ، أَهَمُّها إِثْرَ اعْتِقالِ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ راغِب حَرْب، في آذار 1983، وبَعْدَ اسْتِشْهادِهِ في العامِ 1984؛ كَما قَدَّمَ مُساندَةً مُباشِرَةً لِلْعُلَماءِ، الَّذِينَ تَعَرَّضُوا لِقَمْعِ الاحْتِلالِ ومُضايَقَاتِهِ.

ويَذْكُرُ مُتابِعُو تِلْكَ المَرْحَلَةِ، أَنَّ مَنْزِلَهُ في خِرْبَةِ سِلْمَ، أَصْبَحَ مَحَلًّا دائِمًا، تَتَقاطَرَ إِلَيْهِ القِياداتُ الدِّينِيَّةُ والمَحَلِّيَّةُ، لِلتَّداوُلِ في شُؤُونِ المُواجَهَةِ والتَّخْطِيطِ، لِلتَّحَرُّكاتِ الشَّعْبِيَّةِ.

ومَعَ تَصاعُدِ وَتِيرَةِ الانْتِفاضاتِ والمُقاوَمَةِ، باتَ السَّيِّدُ (قده) أَبًا رُوحِيًّا، ومَصدَرًا شَرْعِيًّا لِلْفَتْوَى، لِكَثِيرٍ مِنَ المُنْضَوِينَ تَحْتَ لِواءِ المُقاوَمَةِ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ قَدْ أَدْرَكَتْ بَعْدُ، شَكْلَها النِّظامِيَّ التَّامَّ، الَّذِي عَرَفَتْهُ فِيما بَعْدُ (السَّراب ص 34).

يَقُولُ السَّيِّد عَبَّاس الموسَوِيّ (أبو علي) حَوْلَ سِيرَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِن:

"قَرَّرَ – ومِنْ مَوْقِعِ المَسْؤُولِيَّةِ – أَنْ يَبْقَى صامِدًا في أَرْضِهِ، مُوَجِّهًا النَّاسَ أَنْ يَصْمُدُوا في أَرْضِهِمْ، ويَسْتَقِرُّوا عَلَيْها. وقَدْ تَعَرَّضَ لأَكْثَرَ مِنْ مُحاوَلَةِ اغْتِيالٍ.

وهَكَذا كانَ الصَّامِدَ، الصَّابِرَ، المُحْتَسِبَ، الَّذِي عاشَ مَعَ أَبْنائِهِ أَيَّامَ مِحْنَتِهِمْ، بِكُلِّ ما تَحْمِلُ مِنْ قَساوَةٍ، وقَهْرٍ، واضْطِّهادٍ. وقَدْ فَتَحَ بَيْتَهُ لِلشَّبابِ والنَّاسِ، واسْتَقْبَلَهُمْ في ظُرُوفٍ مُعَقَّدَةٍ، يَجْثُمُ فِيها العَدُوُّ عَلَى أَرْضِ الوَطَنِ، وبَيْنَ البُيُوتِ، وفي الشَّوارِعِ؛ ويَحْتَلُّ الخَوْفُ أَثْناءَها القُلُوبَ، الَّتِي في الصُّدُورِ".

وقالَ:

"كانَتْ حَياةُ هَذا السَّيِّدِ الجَلِيلِ عامِرَةً بِالعَطاءِ والبَرَكَةِ، بِالإِضافَةِ إِلى جِهادِهِ بِمَوْقِفِهِ، ولِسانِهِ، وإِرْشادِهِ. كانَ لَهُ جِهادٌ بِقَلَمِهِ، فَقَدْ كَتَبَ عِدَّةَ مُؤَلَّفاتٍ ثَمِينَةٍ، أَعْطَتْ ثِمارَها الطَّيِّبَةَ".

إِلَى أَنْ قالَ:

"وهَكَذا، كانَ بَيْتُ والِدِهِ، الَّذِي كانَ السَّيِّدُ يُقِيمُ أَكْثَرَ وَقْتِهِ فِيهِ، بَيْتَ جِهادٍ لِلْعَدُوِّ، ومُقاوَمَةٍ في وَجْهِ المُحْتَلِّ. وإِذا أَرَدْنا أَنْ نُؤَرِّخَ لِجِهادِ العُلَماءِ، فَهذا البَيْتُ أَطْهَرُ مَصادِيقِ هَؤُلاءِ العُلَماءِ" (السَّيِّدُ عَبَّاسُ المُوسَوِيُّ

(أَبُو عَلِيّ)، في تَرْجَمَةِ المُقَدَّس السَّيِّد عَبْد المُحْسِن، في كِتابِهِ: "عُلَماءُ ثُغُورِ الإِسْلامِ"، في الجُزْءِ الأَوَّلِ، عَلَى الصَّفْحَةِ 594).

دَوْرُهُ في أَيَّامِ "القَبْضَةِ الحَدِيدِيَّةِ"

امْتَدَّتْ خُطُوطُ القِتالِ مَعَ العَدُوّ، وازْدادَتْ مَعَها ضَراوَةُ القَمْعِ والإِرْهابِ، وفي أَقْصَى صُوَرِهِ، ما سَمَّاهُ الاحْتِلالُ: "القَبْضَةَ الحَدِيدِيَّةَ".

فاتَّسَعَتْ بِالمُقابِلِ دائِرَةُ المُجاهِدِينَ المُتَحَلِّقِينَ حَوْلَهُ، يَتَّخِذُونَ مِنْ حِماهُ مَلْجَأً ومَحَطَّةً، بَلْ إِنَّ غالِبِيَّةَ مَجْمُوعاتِ المُقاوَمَةِ، الَّتِي عَبَرَتْ إِلَى الجَنُوبِ المُحْتَلّ، وخُصُوصًا إِلَى جَنُوبِ نَهْرِ اللّيطانِي، عَرَفَتْ دارَتَهُ، وأَقامَتْ فِيها مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، طالَتْ أَوْ قَصُرَتْ، أَوِ اتَّخَذَتْها مَقَرًّا مؤَقَّتًا.

لَقَدْ تَجاوَزَ (ره) في ارْتِباطِهِ بِالمُقاوَمَةِ، حُدُودًا، تَوَقَّفَ عِنْدَها كَثِيرُونَ مِنْ عُلَماءِ جِيلِهِ، فلَمْ يَتَطَبَّعْ بِرُوحٍ مُحافِظَةٍ، آلَتْ بِأَقْرانٍ لَهُ إِلَى التَّرَدُّدِ عَنِ الانْدِماجِ بِالمَدِّ الثَّوْرِيّ المُتَصاعِدِ، وإِلَى التِزامِ تَأْوِيلاتٍ دِينِيَّةٍ حَرْفِيَّةٍ، تَقْصُرُ

عَنْ مُسايَرَةِ الأَحْداثِ، وسَبْرِ غَوْرِ المَرْحَلَةِ، أَوْ مُواكَبَتِها، فَضْلًا عَنِ المُساهَمَةِ في قِيادَتِها؛ فقَدْ جَمَعَ إِلى حِكْمَتِهِ المَعْرُوفَةِ، جُرْأَةً وإِقْدامًا، حَمَلَتْهُ إِلى رَفْضِ الأَعْرافِ، الَّتِي أَبْطَأَتْ تَفاعُلَ مُعاصِرِينَ لَهُ مَعَ مُتَطَلّباتِ تِلْكَ الحِقْبَةِ، واسْتِيعابِ تَغَيُّراتِها.

وتَرْوِي القِياداتُ المَيْدانِيَّةُ لِلْمُقاوَمَةِ – في تِلْكَ المَرْحَلَةِ، بِكَثِيرٍ مِنَ الوَجْدِ – حِكاياتِها عَنْ هَذِهِ العَلاقَةِ، المَجْبُولَةِ بِالعاطِفَةِ والأُبُوَّةِ، الَّتِي رَبَطَتِ السَّيِّدَ بِهِمْ، وقَدْ زادَتْها المُعاناةُ تَرَسُّخًا وتَوْثِيقًا؛ وبِحَسبِ أَحَدِ النَّاشِطِينَ البارِزِينَ آنَذاكَ، فإِنَّ الدَّعْمَ الشَّرْعِيَّ والمَعْنَوِيَّ، الَّذِي مَنَحَهُ السَّيِّدُ لِلْمُقاوِمِينَ، كانَ مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ، قِياسًا إِلَى بِيئَتِهِ، والرُّتْبَةِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي يَحْمِلُها، ومُقارَنَةً مَعَ ما كانُوا يُصادِفُونَهُ في أَماكِنَ أُخْرَى. (السَّرلب ص 35).

ويَرْوِي آخَرُ، أَنَّ كَثِيرًا مِنَ العَمَلِيَّاتِ الرَّئِيسِيَّةِ، الَّتِي تَتَطَلَّبُ مَوْقِفًا فِقْهِيًّا دَقِيقًا، لَمْ تَكُنْ لِتَحْصَلَ، لَوْلا إِبْراؤُهُ الحازِمُ لِشَرْعِيَّتِها. ولَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى المَواقِفِ العامَّةِ؛ ففي أَوْقاتٍ حَرِجَةٍ أُخْرَى، تُطْلَبُ مَشُورَتُهُ العاجِلَةُ مِنْ أَرْضِ المَيْدانِ، فيَتَوَقَّفُ العَمَلُ، أَوْ يَتَصاعَدُ، بِناءً عَلَى ما يَنْصَحُ بِهِ.

يَقُولُ الشَّيْخُ يُوسُف عَمْرو، في مُقابَلَةٍ أَجْرَيْتُها مَعَهُ، حَوْلَ سِيرَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِن:

"لَقَدْ كانَ سَماحَةُ آيَةِ اللهِ السَّيِّدِ عَبْدِ المُحْسِنِ فَضْلِ اللهِ (قده)، يُمَثِّلُ – بِشَخْصِهِ، وهَدْيِهِ، ومَواقِفِهِ تِجاهَ العَدُوّ الإِسْرائِيلِيّ – العالِمَ الرَّبَّانِيَّ، والفَقِيهَ السِّياسِيَّ، والمُجاهِدَ المُحَمَّدِيَّ، والمُؤْمِنَ الغَيُورَ عَلَى وَطَنِهِ وكَرامَتِهِ، والزَّاهِدَ في الدُّنْيا بِمَظاهِرِها.

وقَدِ ابْتَلاهُ اللهُ تَعالَى أَشَدَّ البَلاءِ في نَفْسِهِ، وأَهْلِ بَيْتِهِ؛ فَما زادَهُ ذَلِكَ إِلَّا إِيمانًا وتَسْلِيمًا لِقَضاءِ اللهِ تَعالَى، وإِعْلانًا لِلْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ طَرِيقَ الجَنَّةِ لا يُنالُ إِلَّا بِالصَّبْرِ، والابْتِلاءِ بِالجِهادِ.

وبَعْدُ، فَلا غَرْوَ أَنْ يَصِحَّ في وَصْفِهِ، أَنَّهُ كانَ مِنْ عُلَماءِ جَبَلِ عامِلَ، كَما كانَ أَيُّوبُ (عَلَيْهِ السَّلامُ) في الأَنْبِياءِ صَبْرًا، واحْتِسابًا، وتَقَرُّبًا للهِ تَعالَى" (الشَّيْخ يُوسُف عَمْرو، كِتاب: "عُلَماءُ عَرَفْتُهُمْ"، الحَلْقَة الأُولَى).

مُحاوَلاتُ اغْتِيالِهِ

أَدْرَكَ العَدُوُّ الدَّوْرَ المُؤَثِّرَ لِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ، الَّتِي لَمْ تُعْرَفْ حَتَّى ذَلِكَ الحِينِ، بِغَيْرِ العِلْمِ والفَضِيلَةِ؛ فنَظَّمَ حَمْلَةَ ضَغْطٍ، تَصاعَدَتْ مَعَ الوَقْتِ، لِتَتَحَوَّلَ إِلَى اسْتِهْدافٍ مُباشِرٍ، تَرْهِيبًا، ومُحاوَلاتِ اعْتِقالٍ، واغْتِيالٍ، وقَتْلٍ.

في البِدايَةِ، أَرْسَلَ العَدُوُّ مَنْ يُشَجِّعُهُ عَلَى الرَّحِيلِ إِلى العاصِمَةِ، بِناءً عَلَى تَسْرِيبٍ مُتَعَمَّدٍ، مَفادُهُ أَنَّ الاحْتِلالَ يُخَطِّطُ لِلنَّيْلِ مِنْهُ؛ ولَمَّا لَمْ يَأْبَهْ، وَزَّعَتِ الاسْتِخْباراتُ الصِّهْيُونِيَّةُ – عَلَى مَدَى المَناطِقِ المُحْتَلَّةِ – قائِمَةً بِأَسْماءِ قِياداتٍ، غَيْرِ مَرْغُوبٍ اسْتِمْرارُها في الإِقامَةِ فِيها، وتَصَدَّرَ القائِمَةَ اسْمُ السَّيِّدِ (قده).

بَعْدَ ذَلِكَ كَرَّتْ سُبْحَةُ الاعْتِداءاتِ المُسَلَّحَةِ، الَّتِي زَرَعَتْ مَنْزِلَهُ بِالرَّصاصِ، والقَذائِفِ، والصَّواريخِ، في سَبْعَ عَشْرَةَ مُحاوَلَةً مُباشِرَةً لِلاغْتِيالِ، يَفْصِلُ بَيْنَ الواحِدَةِ والأُخْرَى أَسابِيعُ، أَوْ أَيَّامٌ، وأَحْيانًا ساعاتٌ قَلِيلَةٌ، وفيإِحْداها اسْتُعْمِلَتْ عبوةٌ كَبِيرَةُ الحَجْمِ، زُرِعَتْ عَلَى مَمَرِّهِ اليَوْمِيِّ إِلَى الصَّلاةِ؛ وفي أُخْرَى، صَواريخُ مُوَجَّهَةٌ، اخْتَرَقَتْ سَرِيرَهُ الخاصَّ؛ أَمَّا آخِرُ هَذِهِ الاعْتِداءاتِ، فكانَتْ بِمَرْوَحِيَّاتٍ حَرْبِيَّةٍ، أَصابَتْ صَواريخُها الأَرْبَعَةُ مَنْزِلًا مُجاوِرًا (السَّراب ص 36).

نَجاتُهُ، وإِصابَةُ زَوْجَتِهِ

نَجا (ره) مِنْ هَذِهِ المُحاوَلاتِ، الَّتِي اسْتَمَرَّتْ حَتَّى جَلاءِ الاحْتِلالِ، عَنْ هَذِهِ البُقْعَةِ الجَنُوبِيَّةِ وجِوارِها، في حَزِيران 1985، لَكِنَّ زَوْجَتَهُ، كَرِيمَةَ المُقَدَّسِ آيَةِ اللهِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ فَضْل اللهِ، أُصِيبَتْ في إِحْداها، بَعْدَ أَنْ دَفَعَتْها اللَّهْفَةُ، إِلى اقْتِحامِ غُرْفَةِ دَرْسِهِ، المَكْشُوفَةِ عَلَى مَواقِعِ النِّيرانِ، بَعْدَ لَحَظاتٍ مِنَ البَدْءِ بِإِطْلاقِها، كانَتْ إِصابَةً بالِغَةً، أَدْخَلَتْها في غَيْبُوبَةٍ اسْتَمَرَّتْ أَشْهُرًا، لِتَسْتَفِيقَ عَلَى شَلَلٍ نِصْفِيٍّ، وجِراحٍ مُضْنِيَةٍ، كابَدَتْها طَوالَ ثَلاثِ سِنِينَ، قَبْلَ أَنْ تُسْتَشْهَدَ.

ومُنْذُ إِصابَتِها، صارَ جِهادُهُ جُزْءًا مِنْ سِيرَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، وبَعْضِ مَلامِحِ وِجْدانِهِ، وأَساهُ الخاصّ. ضاعَفَ مِنْ أَسَفِهِ، أَنَّها نُقِلَتْ وَحِيدَةً إِلى مُسْتَشْفَى قُوَّاتِ الطَّوارِئِ الدَّوْلِيَّةِ في النَّاقُورَةِ – وهِيَ الَّتِي لَمْ تَرَها الشَّمْسُ – وظَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ شَهْرَيْنِ، أَوْ يَزِيدُ؛ وقَدْ حالَ العَدُوُّ دُونَ عِيادَتِها؛ حَتَّى أَنَّ النِّسْوَةَ مِنْ أَبْناءِ قَرْيَتِها، اللَّواتِي قَصَدْنَها، تَعَرَّضْنَ لِلإِرْهابِ في الطَّرِيقِ، ورُدِدْنَ عَلَى أَعْقابِهِنَّ (السّراب ص 36).

الصُّمُودُ، ورَفْضُ العُرُوضِ

لَمْ تَفُتَّ هَذِهِ المُعاناةُ مِنْ عَضُدِهِ، ولا أَثَّرَ في صُمُودِهِ، وُقُوعُ أُسْرَتِهِ الكَبِيرَةِ، تَحْتَ طائِلَةِ الخَطَرِ الدَّاهِمِ، وتَعَرُّضِ بَلْدَتِهِ لِلْحِصارِ، وهِيَ الَّتِي غَدَتْ تَحْتَ الاحْتِلالِ، حِصْنًا مَنِيعًا، يَهابُ الاحْتِلالُ وعُمَلاؤُهُ مِنِ اقْتِحامِها.

أَصَرَّ عَلَى مَوْقِفِهِ في الصُّمُودِ، على الرُّغْمِ مِنْ تَعَدُّدِ العُرُوضِ، الَّتِي تَخَلَّلَتْ أَوقاتِ الهُدُوءِ بَيْنَ هَجْمَةٍ وأُخْرَى؛ وكانَ رَفْضُهُ لَها مِثالًا آخَرَ، عَلَى ما تَحَلَّى بِهِ ذَلِكَ السَّيِّدُ المَهِيبُ، مِنْ حَزْمٍ، وصَلابَةٍ، وجُرْأَةٍ.

فيَوْمَ أَرْسَلَتْ قِيادَةُ الاحْتِلالِ، مَنْ يَحْمِلُ إِلَيْهِ رَغْبَةَ وَفْدٍ رَفِيعٍ بِزِيارَتِهِ، وفي عِدادِهِ العَمِيلُ المَعْرُوفُ عَقْل هاشِم، والقائِدُ الصِّهْيُونِيُّ لِلْمَنْطَقَةِ الشِّمالِيَّةِ؛ أَرْفَقَ رَفْضَهُ بِتَهْدِيدٍ مُبَطَّنٍ، بِأَنَّهُمْ مُحْتَلُّونَ، ويَسَعُهُمُ التَّنَقُّلُ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُونَ، لَكِنَّ مَنْ يَأْتِي يَتَحَمَّلُ مَسْؤُولِيَّةَ نَفْسِهِ.

ولَمْ يُعَدِّلْ مِنْ بَرْنامَجِهِ، المُرْتَكِزِ عَلَى البَقاءِ، مُحاوَلاتٌ أُخْرَى، مُتَعَدِّدَةُ الأَوْجُهِ، بَينَها اقْتِحامُ مَنْزِلِهِ، مِنْ قِبَلِ قُوَّةٍ كَبِيرَةٍ، مِنَ مُخابَراتِ العَدُوِّ، بِهَدَفِ إِبْعادِهِ، كَما عُلِمَ فِيما بَعْدُ؛ فغادَرَ عَبْرَ المَسالِكِ الجَبَلِيَّةِ الوَعِرَةِ، إِلى أَحَدِ بُيُوتِ القَرْيَةِ المُجاوِرَةِ، لِيَعُودَ بَعْدَ ساعاتٍ.

كَما لَمْ يَأْبَهْ بِعَرْضٍ اسْتِثْنائِيٍّ، قَدَّمَتْهُ قِيادَةُ قُوَّاتِ الطَّوارِئِ الجَنُوبِيَّةِ العامِلِيَّةِ، في جَنُوبِ لُبْنانَ، بِوَضْعِ طائِرَتَيْنِ، تَحْمِلانِ شاراتِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، في تَصَرُّفِهِ، لِتَأْمِينِ انْتِقالٍ آمِنٍ، لَهُ ولِعائِلَتِهِ إِلى بَيْرُوتَ، بَعْدَ تَصاعُدِ الاعْتِداءاتِ عَلَيْهِ. (السَّراب ص 37).

وخَمَّنَ السَّيِّدُ أَنَّ في هَذا العَرْضِ، رَغْبَةً إِسْرائِيلِيَّةً مُضْمَرَةً.

"قَدَّمَ سَماحَتُهُ في صَبْرِهِ وصُمُودِهِ الجَبَّارِ في جَبَلِ عامِلَ – خِلالَ سَنَواتِ الاحْتِلالِ الإِسْرائِيلِيِّ، على الرُّغْمِ مِنْ تَعَرُّضِهِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ مُحاوَلَةَ اغْتِيالٍ، مِنْ إِسْرائِيلَ وعُمَلائِها – دَرْسًا لا يُنْسَى في التَّفانِي، والتَّضْحِيَةِ، والصَّلابَةِ في وَجْهِ العَدُوِّ، على الرُّغْمِ مِنَ الآلامِ الكَبِيرَةِ، والمُعاناةِ الَّتِي نَتَجَتْ عَنْ إِصابَةِ زَوْجَتِهِ، في إِحْدَى المُحاوَلاتِ الغادِرَةِ، وأَدَّتْ إِلى اسْتِشْهادِها لاحِقًا؛ وأَعْطَى سَماحَتُهُ دُرُوسًا عَمَلِيَّةً في الثِّقَةِ بِاللهِ، والاطْمِئْنانِ إِلى قَضائِهِ، بِرَفْضِهِ مُغادَرَةَ مَنْزِلِهِ في بَلْدَةِ خِرْبَةِ سِلْم، على الرُّغْمِ مِنْ حالَةِ اللَّا اسْتِقْرار، واللَّا أَمان، الَّتِي أَحاطَتْ بِهِ، نَتِيجَةَ تَكَرُّرِ أَعْمالِ إِطْلاقِ النَّارِ والقَذائِفِ عَلَى مَنْزِلِهِ مِنْ قِبَلِ الاحْتِلالِ وعُمَلائِهِ، وزَرْعِ العبواتِ النَّاسِفَةِ في الطَّرِيقِ المُؤَدِّيَةِ إِلَيْهِ".(الإِعْلامِيّ نايف عَبْد الحَسَن كريّم، بِتارِيخ 16 /9 / 2010).

اِحْتِضانُهُ لِلْمُقاوَمَةِ، وتَأْيِيدُهُ لَها

مَكَثَ في المَناطِقِ المُحْتَلَّةِ، حَتَّى انْكِفاءِ الاحْتِلالِ عَنْها، إِلى ما يُعْرَفُ بِالشَّرِيطِ الحُدُودِيِّ، وتَحَوَّلَ صُمُودُهُ إِلى أَحَدِ الفُصُولِ البارِزَةِ، الَّتِي تُؤَرِّخُ لِتِلْكَ المَرْحَلَةِ، وما تَلاها.

وبَقِيَ عَلَى عَلاقَتِهِ الحَمِيمَةِ والأَبَوِيَّةِ بِالمُقاوِمِينَ، الَّذِينَ تَضاعَفَتْ أَعْدادُهُمْ، وانْتَظَمَتْ صُفُوفُهُمْ؛ بَلْ إِنَّ غالِبِيَّةَ الشُّهَداءِ، الَّذِينَ سَقَطُوا في تِلْكَ المَرْحَلَةِ، عَرَفَتْ دِيوانَهُ، وداوَمَتْ عَلَى مَجْلِسِهِ.

لَقَدْ كانَ صُمُودُهُ، عَلَى ما يُقَدِّرُ مُواكِبُوهُ، دَعْوَةً واضِحَةً إِلى رَفْعِ مُسْتَوَى المُشارَكَةِ في المُقاوَمَةِ، واعْتِرافًا بِسَعَةِ الدَّوْرِ وجَلالِهِ الَّذِي تَقُومُ بِهِ، وقُدْسِيَّةِ الأَهْدافِ الَّتِي تَسْعَى إِلَيْها.

وقَدْ أَصَرَّ – إِثْرَ تَحْرِيرِ القِسْمِ الأَكْبَرِ مِنَ الأَراضِي المُحْتَلَّةِ، في العامِ 1985 – عَلَى احْتِضانِ الثُّلَّةِ المُجاهِدَةِ، والانْتِصارِ الواضِحِ لَها، والدِّفاعِ عَنْها، في مُواجَهَةِ التَّحْرِيضِ الدّاخِلِيّ، والتَّشْهِيرِ المُوَجَّهِ ضِدَّها.

بَلْ تَجاوَزَتْ أَنْظارُهُ إِلى المَناطِقِ، الَّتِي بَقِيَتْ تَرْزَحُ تَحْتَ ثِقْلِ الاحْتِلالِ؛ بَحَثَ في أَمْرِ الانْتِقالِ إِلَيْها، فِيما لَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَعْزِيزِ الصُّمُودِ، وتَأْجِيجِ رُوحِ المُقاوَمَةِ (السَّراب ص 38).

اِرْتَبَطَ بِعَلاقاتٍ وَطِيدَةٍ مَعَ القِيادَةِ السِّياسِيَّةِ لِلْمُقاوَمَةِ، ولا سِيَّما مَعَ الشَّهِيدِ السَّيِّدِ عَبَّاس المُوسَوِيّ (قده)، الَّذِي شَغَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَكانَةً خاصَّةً، فِيما دَأَبَ السَّيِّدُ الشَّهِيدُ، وفي ظُرُوفٍ حاسِمَةٍ عَلَى اسْتِطْلاعِ آرائِهِ، والتَّزَوُّدِ بِنَصائِحِهِ.

والمَعْرُوفُ أَنَّهُ (ره)، كانَ مِنَ القِلَّةِ الَّتِي مَنَحَتِ الشَّرْعِيَّةَ، والتَّأْيِيدَ المُبَكِّرَ، لِلإِطارِ التَّنْظِيمِيّ لِلْمُقاوَمَةِ، والحَرَكَةِ الإِسْلامِيَّةِ؛ على الرُّغْمِ مِنَ التَّحَفُّظِ الَّذِي كانَ سائِدًا في بَعْضِ الأَوْساطِ تِجاهَهُ.

وقَدْ أَدَّتْ مَواقِفُهُ الصَّرِيحَةُ في هَذا الشَّأْنِ إِلى تَعَرُّضِهِ لِحَمْلَةِ مُضايقاتٍ، دَفَعَتْهُ إِلى النُّزُوحِ إِلى بَيْرُوتَ.

مَرَضُهُ ووَفاتُهُ

تَضافَرَتْ عَلَيْهِ في المَرْحَلَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ عُمُرِهِ، ضُغُوطاتٌ هائِلَةٌ، وتَعَدِّياتٌ ظالِمَةٌ، ضاعَفَ مِنْ قَسْوَتِها، أَنَّها مِنْ مُقَرَّبِينَ، وأَبْناءِ جِلْدَتِهِ ومُجْتَمَعِهِ، وبَعْضٍ مِمَّنْ نالُوا رِعايَتَهُ، قَبْلَ أَنْ تُنْهِكَ سِنِي المُعاناةِ ذَلِكَ الجَسَدَ المُكافِحَ؛ فأَقْعَدَهُ مَرَضٌ عُضالٌ، وظَلَّ يُرَدِّدُ، عَلَى أَلَمِهِ الشَّدِيدِ، كَما يَعْرِفُ كُلُّ مَنْ أَحاطَ بِهِ:

"إِلَهِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ سَخَطٌ، فلا أُبالِي".

إِلى أَنْ أَسْلَمَ الرُّوحَ إِلَى بارِئِها، في 23 شَعْبانَ 1412 هـ. المُوافِقِ لِـ 26 شُباط 1992 (السَّراب ص 38).

وقَدْ وُورِيَ ثَرَى بَلْدَةِ خِرْبَةِ سِلْمَ العامِلِيَّةِ، حَيْثُ رَوْضَتُهُ.

مُؤَلَّفاتُهُ، ونِتاجُهُ الفِكْرِيُّ والأَدَبِيُّ والفِقْهِيُّ

1 – الإِسْلامُ وأُسُسُ التَّشْرِيعِ ، بَحْثٌ مُقارَنٌ

وفِيهِ بَيانٌ لِبَعْضِ الأُصُولِ والأُسُسِ، الَّتِي يُبْتَنَى عَلَيْها التَّشْرِيعُ الإِسْلامِيُّ، مَعَ مُقارَناتٍ بِالتَّشْرِيعِ المُعاصِرِ.

2 – بُلْغَةُ الطَّالِبِ في شَرْحِ المَكاسِبِ

يَقَعُ في سَبْعَةِ أَجْزاءٍ؛ أَرْبَعَةٌ مِنْها تَقْرِيرٌ لِبَحْثِ أُسْتاذِهِ الإمامِ الخُوئِيّ (قده)؛ طُبِعَ مِنْهُ أَرْبَعَةُ أَجْزاءٍ، وما زالَ الباقِي مَخْطُوطًا.

3 – نَظَرِيَّةُ الحُكْمِ والإدارَةِ في عَهْدِ الإمامِ عَلِيٍّ (ع) في عَهْدِهِ لِلأَشْتَرِ

شَرْحٌ مُوجَزٌ لِلْعَهْدِ الشَّرِيفِ، اِقْتَطَعَهُ مِنْ كِتابِ "الإسْلام وأُسُس التَّشْرِيعِ"، وطَبَعَهُ مُسْتَقِلًّا، تَلْبِيَةً لِرَغْبَةٍ مِنْ طُلَّابِهِ.

4 – كِتابُ الشَّرِكَة

بَحْثٌ اسْتِدْلالِيٌّ حَوْلَ الشَّرِكَةِ في الفِقْهِ الإسْلامِيّ الجَعْفَرِيّ، مُقارَنًا بِالتَّشْرِيعِ الوَضْعِيّ، وآراءِ المَذاهِبِ الإسْلامِيَّةِ الأُخْرَى.

5 – كِتابُ الوَصِيَّة

عَلَى نَسَقِ كِتابِ الشَّرِكَةِ، بَحْثًا واسْتِدْلالًا، في الشَّرِيعَةِ الإسْلامِيَّةِ والقانُونِ المَدَنِيّ.

6 – وِلايَةُ الفَقِيهِ

بَحْثٌ اسْتِدْلالِيٌّ فِقْهِيٌّ مُوَسَّعٌ حَوْلَ هَذِهِ المَسْأَلَةِ مِنَ الفِقْهِ، لَمْ يَكْتَمِلْ، بَلْ مَنَعَهُ المَرَضُ، الَّذِي أَلَمَّ بِهِ آخِرَ حَياتِهِ، مِنْ جَمْعِ بُحُوثِهِ المُتَفَرِّقَةِ. غَيْرُ مَطْبُوعٍ.

7 – دَلِيلُ الفَتْوَى

مُحاوَلَةٌ لِبَيانِ دَلِيلِ كُلِّ فَتْوَى ومُسْتَنَدِها، مُبْتَدِئًا بِأَوَّلِ أَبْوابِ الفِقْهِ. حالَ دُونَ إِكْمالِهِ المَرَضُ. غَيْرُ مَطْبُوعٍ.

8 – مُسْتَنَدُ الفَقِيهِ

مَخْطُوطٌ، عِبارَةٌ عَنْ بُحُوثٍ فِقْهِيَّةٍ اسْتِدْلالِيَّةٍ عَلَى كِتابِ العُرْوَة الوُثْقَى.

9 – الإسْلامُ شَكْلًا ومَضْمُونًا

كُرَّاسٌ صَغِيرٌ، طُبِعَ تَحْتَ عُنْوان: "مِنْ واقِعِ الإسْلامِ".

10 – بُحُوثٌ فَلْسَفِيَّةٌ

مَخْطُوطٌ غَيْرُ مُكْتَمِلٍ، وفِيهِ مُناقَشاتٌ فَلْسَفِيَّةٌ عَقائِدِيَّةٌ، تَناوَلَ فِيها آراءَ فَلاسِفَةٍ مِنَ الغَرْبِ، ومُسْتَشْرِقِينَ.

11 – السَّراب

دِيوانُ شِعْرٍ.

هَذا إِضافَةً إِلى تَعْلِيقاتٍ أُصُولِيَّةٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وخُصُوصًا عَلَى الجُزْءِ الأَوَّلِ مِنْ كِفايَة الأُصُولِ لِلشَّيْخِ "الآخَوَنْد".

الخاتِمَةُ

في نِهايَةِ المَطافِ، أَقُولُ بِكُلِّ تَجَرُّدٍ ومَوْضُوعِيَّةٍ: لَقَدْ عِشْتُ في ظِلالِ السَّيِّدِ عبد المحسن فَضْلِ اللهِ (ره)، وتَنَقَّلْتُ بَيْنَ جَنَباتِهِ قَدَرَ المُسْتَطاعِ؛ جُبْتُ في آفاقِهِ الرَّحْبَةِ، ثُمَّ خَرَجْتُ بِبَحْثِي، آمِلًا أَنْ أَكُونَ قَدْ نَجَحْتُ في إِعْطاءِ الصُّورَةِ الصَّحِيحَةِ عَنْ عَصْرِهِ وحَياتِهِ.

ولَكِنِّي تَأَكَّدْتُ بِأَنَّ هَذا الجَبَلَ العامِلِيَّ، أَرْضٌ خِصْبَةٌ، مِعْطاء، ومَعِينٌ دافِقٌ، ما كَلَّ عَنِ العَطاءِ، حَتَّى في أَحْلَكِ الأَزَماتِ؛ وصَدَّرَ الكَثِيرَ مِنَ العُلَماءِ والأُدَباءِ إِلَى الأَصْقاعِ العَرَبِيَّةِ، فانْتَفَعَ مِنْ عَطائِهِمْ.

السَّيِّدُ عَبْدُ المُحْسِنِ فَضْل اللهِ (ره)، عالِمٌ عَلَمٌ، وشاعِرٌ كَبِيرٌ، ولَوْ لَمْ يُغَطِّ عِلْمُهُ عَلَى شِعْرِهِ، لَكانَ شَبِيهًا بِالسَّيِّدِ المُرْتَضَى.

المهندس الاستاذ نبيل مكي

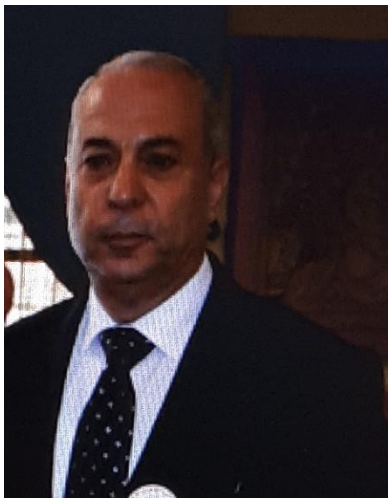

العمارة البيئية

إننا محاطون بهالة من التطورات عمّت اشياء كثيرة حولنا كالسيارات والإتصالات والحاسبات الآلية الى غير ذلك. ولكن أهم شيء وأهم صفقة ندخل فيها في حياتنا وهي مساكننا التي لاتزال كما هي" منذ ثمانين سنة". إن مساكننا تأتي من الآلام الإجتماعية والثقافية والإقتصادية وغيرها. مساكننا تفتقر الى مقومات التوافق ، وتحتاج أن يُنظر اليها من قبل العلماء بمختلف تخصصاتهم، سواء المعماريون أو المهندسون ، فتكاد تكون نسخ لنموذج واحد لم يتغير منذ سنين ، ونحن في حاجة الى نظرة بيئية لمساكننا تتمحور على مفهوم العمارة البيئية .

إن أهم أهداف هذه العمارة ببساطة : مأوى يحقق المتطلبات الاساسية ولايضر بالأرض في دورته التصنيعية والإستخدامية ، إن من أهم الطرق المؤدية الى هذه المفاهيم البيئية هو التحوّل في مفاهيمنا، في بناء مساكننا من العداء للبيئة إلى الصداقة معها.

ولاشك أن دعوة كل المعماريين من جريبيوس و لوكوربوزييه ومبس فان ديروه، و الذين مثّلوا هم وآخرون الإتجاه الجديد في عمارة القرن العشرين، والذي يدعوا إلى تدمير الطرز المعمارية الكلاسيكية الميتة من وجهة نظرهم ، والدعوة إلى اتجاه جديد يمثل طرازاً دولياً له مفردات جديدة تتمثل في الأسقف الأفقية والأسطح المستوية، واستخدام مواد جديدة كالخرسانة المسلحة والحديد والألواح الزجاجية، دون النظر لإعتبارات البيئة والعمارة المحلية الخاصة بكل منطقة ، وبالرغم من انتشار هذا الطراز الدولي للعمارة في مختلف دول العالم، حيث بدأت الأبراج العالية وناطحات السحاب، تأخذ مكان المباني المنخفضة والفيلات الأنيقة ذات الحدائق الجميلة.

كذلك انحراف العالم أعقاب الثورة الصناعية في القرن الماضي إلى الاعتماد على الصناعة في مجال علوم ومواد البناء، وكان هذا سببا" مباشرة في الإعتماد على النفط كمصدر للطاقة ، لذلك نشأت أزمة الطاقة في عام 1973م، وكانت نقطة التحّول في عمليات التصميم والأنشاء حيث بدأت الأنظار تتجه لمجال الطاقة، وحماية البيئة، والحد من التلوث، ونشأت عن ذلك ميلاد مايسمى بعصر ما بعد الحداثة والعودة إلي الطبيعة ، وأخرى تنادي بالتقنيات الحديثة في العمارة وظهرت مدارس وأفكار تنادي بعمارة خضراء،

وأخرى عضوية وعمارة مستدامة ، عمارة ذكية .... إلي أن تم توقيع 150 دولة في مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية (قمة الأرض) في ريودي جنيرو .

وكان للنهوض بالتنمية المستدامة للمستوطنات البشرية، وهو يمثل تحدياً رئيسياً غير معتاد لمخططى المدن، والمهندسين المعماريين، والساسة، والمستثمرين، بل وكل أفراد المجتمع. وقبل أن نتطرق للعمارة الخضراء لابد من تعريفها من وجهات النظر المختلفة وذلك على المستوى الدولي والمحلي.

<u>أولا :- العمارة الخضراء :</u>

هي تلك المباني التي تصمم وتنفذ ويتم أدارتها بأسلوب يضع البيئة في الإعتبار الأول، وهي التي قل تأثيرها السلبي على البيئة. وتعتبر العمارة الخضراء أو المباني والمدن الصديقة للبيئة، أحد الإتجاهات الحديثة في الفكر المعماري، والذي يهتم بالعلاقة بين المباني والبيئة، وهناك العديد من المفاهيم والتعريفات التي وضعت في هذا المجال.

فالمعماري كين يانج Ken Yeang : يرى أن العمارة الخضراء أو المستديمة، يجب أن تقابل احتياجات الحاضر، دون إغفال حق الأجيال القادمة لمقابلة احتياجاتهم أيضا.

ويرى المعماري وليام ريد William Reed : أن المباني الخضراء ماهي إلا مباني تصمم وتنفذ و تتم إدارتها بأسلوب يضع البيئة في اعتباره ، و يرى أيضاً أن أحد أهتمامات المباني الخضراء يظهر في تقليل تأثير المبنى على البيئة، إلى جانب تقليل تكاليف إنشائه وتشغيله.

أما المعماري ستانلي أبركرومبي Stanley Abercrombie : فيرى أنه توجد علاقه مؤثره بين المبنى والأرض .

وفي وجهة نظر البعض فإن العمارة الخضراء هي منظومة عالية الكفاءة، تتوافق مع محيطها الحيوي، بأقل أضرار جانبية ، فهي دعوة إلى التعامل مع البيئة بشكل أفضل يتكامل مع محدداتها، تسد أوجه نقصها أو تصلح عيبها أو تستفيد من ظواهر هذا المحيط البيئي و مصادره.

وعلى ذلك يمكن تعريف العمارة الخضراء من مجمل الآراء السابقة بأنها: عملية تصميم المباني بأسلوب يحترم البيئة مع الأخذ في الإعتبار تقليل استهلاك الطاقة والموارد مع تقليل تأثيرات الإنشاء والإستعمال على البيئة، مع تعظيم الإنسجام مع الطبيعة.إن المدخل الأخضر في العمارة ليس بجديد، بل يمكن

ملاحظته أيضا في مأوى الكائنات الأخرى من الحشرات والطيور والثدييات الصغيرة التي تظهر مهارة فائقة في تصميم بيوتها وتغير مواقعها بما يتلاءم مع حياتها وحياة صغارها، فالنمل يبني بيوتاً تتوافر داخلها الرطوبة والدفء, وهو يستخدم في سبيل ذلك مادة بناء خاصة يختارها من الطين الرديء الموصل للحرارة، والأرانب البرية تختار فتحات ومداخل بيوتها كلها إلى الجنوب، لكي تتلقى أكبر قسط ممكن من الإشعاع الشمسي المباشر.

ولو تأملنا بيوت النحل والشكل المسدس للخلايا, لوجدناه الشكل الوحيد من بين الأشكال المضلعة والذي إذا مع كل واحد منها الى مثله لن يحدث بينهم مسافات خالية . وبذلك يعطينا النحل درساً في كيفية إقامة أكبر عدد من الخلايا أو البيوت في أقل مساحة متاحة.

إن هذه الكائنات تعطي للإنسان دروساً في العمارة الخضراء، وفي خلال تاريخ الإنسان مع العمارة والمباني نجد أمثلة واضحة لاحترامه البيئة والتجانس معها.

ففي مصر الفرعونية تم توجيه مداخل للمعابد بحيث تصل أشعة الشمس إلى داخل قدس الأقداس، في شروقه يوما في السنة يطلق عليه يوم مولد المعبد.

أما اليونانيون القدماء فقد شيدوا معظم مبانيهم بمواجهة الشرق مع وجود فتحات كبيرة تجاه الجنوب .. وهذا الأسلوب في المعبد يسمح بالحصول على أكبر قدر من الأشعة الشمسية في الشتاء عندما تنخفض الشمس في السماء.

وفي العالم الجديد وبأمريكا الشمالية، فإن مدينة بابلو بونيتو Pueblo Bonito والتي يطلق عليها الآن (نيو مكسيكو) كانت مخططة على شكل شبه دائري، على هيئة مدرجات موجهة بأسلوب يراعي زوايا الشمس في الصيف والشتاء. كما أن الحوائط السميكة من الطوب واللبن تمتص الحرارة والأشعة الشمسية أثناء النهار، وتشعها إلى الهواء أثناء الليل، مما يجعل المكان ذو حرارة معتدلة طوال اليوم ، بينما أن الأسقف المصنوعة من القش والطين تعمل كعازل ضد حرارة الشمس في الصيف . ولكن فيما يبدو فإن الثورة الصناعية قد غيرت من فكر الإنسان وأنسته التجارب والخبرات التي اكتسبها عبر الآلاف من السنين في مراحل تطوره المختلفة، وبدأت الآلة تغير من الفكر الإنساني، وفقد مسكن الإنسان ارتباطه مع البيئة والطبيعة. وفي الأعوام التي سبقت الحرب العالمية الأولى ظهر عدد من الفنانين الباحثين عن طرق خاصة تسمح بتحقيق التكامل بين الفن والصناعة.

ثانيا : مبادئ العمارة البيئية:

تتصف المباني والمدن المريضة بثلاث صفات رئيسية:

الأولى : استنزاف في الطاقة والموارد.

الثانية : تلويث البيئة بما يخرج منها من انبعاثات غازية وأدخنة أوفضلات سائلة وصلبة .

الثالثة: التأثير السلبي على صحة مستعملي المباني نتيجة استخدام مواد كيماوية (النشطيبات أو ملوثات أخرى مختلفة). وبناءً على هذه السلبيات قامت مبادئ العمارة الخضراء حاملة أفكار وطروحات قادرة على التغلب على السلبيات السابقة، ويمكن تفصيل هذه المبادئ كما يلي :

1- الحفاظ على الطاقة

فالمبنى يجب أن يصمم ويشيّد بأسلوب يتم فيه تقليل الإحتياج للوقود الحفري، والإعتماد بصورة أكبر على الطاقات الطبيعية، والمجتمعات القديمة فهمت ودقّقت هذا المبدأ في أحيان كثيرة.

وقد تأثرت جميع الشعوب، ومنذ بدأ الخليقة، بالعوامل البيئية عند تصميمها لمبانيها، فنجد أن الإنسان قديماً قد تأثر بحركة الشمس في بناء مسكنه ، كما هو الحال عند سكان البادية الذين يقومون بتوجيه خيامهم نحو جهة الجنوب، حتى تستفيد بقدر المستطاع من الشمس المنخفضة في الشتاء، وتتقي بسهولة الشمس العالية في الصيف.

هي عمارة تحافظ على متطلبات المناخ الحاد واحتياجاته وصولا للراحة الحرارية، التي توفر درجات حرارة ورطوبة نسبية مناسبة لإحتياجات الانسان داخل الفراغ المعماري، سواء كان هذا الفراغ سكني ، صحي، تجاري ، ترفيهي ... فالمبنى يجب أن يصمم ويشيّد بإسلوب يتم فيه تقليل الإحتياج للوقود الحفري والإعتماد بصورة أكبر على الطاقات الطبيعية، وأن استخدام التصميمات التي تراعي البيئة مع استخدام التكنولوجيا المتاحة، ولا شك أن التجربة التي استخدمت في امريكا، اصبح بالإمكان ان تخفض من استخدام الطاقة بمقدار 70% في المباني السكنية و 60% في المباني التجارية، وذلك طبقاً لتقرير المعمل القومي للطاقة المتجددة في كولورادو ... وفي تقرير لقسم الطاقة في المملكة المتحدة عام 1988

اقترح بان يكون 50% من اعتماد المملكة في استهلاك الطاقة على الموارد والطاقات المتجددة: مثل الطاقة الشمسية، والرياح والامواج، والمساقط المائية، والكتلة الحية ، كما يمكن خفض استهلاك الكهرباء باستخدام الخلايا الشمسية الكهروضوئية والتي تنتج الكهرباء مباشرة من ضوء الشمس. ومع استخدام التكنولوجيا بجانب التوجه للإنتاج بالجملة انخفضت تكلفة الكهرباء الناتجة من الخلايا الشمسية بنسبة تصل الى أكثر من 90% منذ عام 1986، ومع استمرار انخفاض أسعار الخلايا الشمسية فإن دمجها مباشرة في واجهة المبنى بدلاً من لصق ألواح شمسية منفصلة أصبح من الممكن تعميمه قريبا , فقد استطاعت شركة المانية (flachglas) من دمج الخلايا الشمسية في النوافذ الزجاجية نصف الشفافة، والتي تمد المكان بالضوء أثناء توليدها للكهرباء .

2- المناخ :

وقد حرص الانسان على أن يتضمن بناؤه للمأوى عنصرين رئيسيين هما: الحماية من المناخ، ومحاولة إيجاد جو داخلي ملائم لراحته ، ويلعب التوجيه الأمثل للمبى دوراً أساسياً في تخفيض الطاقة والاستفادة من التصميمات المتوافقة مع طبيعة المناخ، وتحقيق وفراً ملحوظاً فى استنزاف الطاقة.

3- التقليل من استخدام الموارد الجديدة :

هذا المبدأ يحث المصممين على مراعاة التقليل من استخدام الموارد الجديدة في المباني التي يصممونها، كما يدعوهم الي تصميم المباني وانشائها بأسلوب يجعلها هي نفسها، او بعض عناصرها في نهاية العمر الافتراضي لهذه المباني مصدراً وموردا للمباني الأخرى، فقلة الموارد على مستوى العالم لإنشاء مباني الأجيال القادمة خاصة مع الزيادات السكانية المتوقعة، يدعو العاملين في مجال البناء والتشييد للإهتمام بتطبيق هذا المبدأ بأساليب وأفكار مختلفة ومبتكرة في نفس الوقت .... وهناك طريقة هامة أخري للتقليل من استخدام الموارد والمواد الجديدة تتمثل في إعادة تدوير المواد والفضلات وبقايا المباني ، فعلى سبيل المثال حظيت المباني المشيدة علي نظام ولاية نبراسكا بامريكا والتي تصنع من بالات القش، والمكبوس، والمكسوة بالجص، بإهتمام العاملين في مجال البناء في أوائل التسعينات من القرن العشرين، فبالاضافة الي وفر القش (يحرق المزارعون في امريكا 180 مليون طن من القش سنويا يكفي لبناء خمسة مليون منزل بالنظام السابق)، فهو سهل الإستخدام، وعازل من الطراز الأول للحرارة، وإن استخدام الزجاجات الفارغة في البناء كبديل للطوب في بناء الحوائط ظهرت عام ،1960 على يد الالماني ألفريد هنكيس وقد

تم استخدام السيليكون كمادة لاصقة بين هذه الزجاجات، وتم بناء منزل صيفي بهذا الاسلوب عام 1965.

4- احترام الموقع:

الهدف الأساسي من هذا المبدا ان يطأ المبنى الأرض بشكل وإسلوب لايعمل على إحداث تغيرات جوهرية في معالم الموقع، ومن وجهة نظر مثالية ونموذجية ان المبنى اذا تم ازالته او تحريكه من موقعه فإن الموقع يعود كسابق حالته قبل أن يتم بناء المبنى.

5- احترام العاملين والمستعملين:

اذا كانت العمارة الخضراء تولي أهتماماً بقضية الحفاظ على الطاقة والموارد، كما تنبه المصممين لأهمية احترام البيئة بصفة عامة، فلا شك أنها تعطي إهتماماً أكبر للمتعاملين معها، سواء كانوا عمالاً او مستعملين ، فسلامة الانسان والحفاظ عليه هو الهدف الأهم والأسمى لها.

6- التصميم الشامل :

إن مبادىء العمارة الخضراء يجب أن تراعى بصورة متكاملة أثناء عملية تصميم المبني او تخطيط المدينة، وربما يكون من الصعب في الواقع العملي تحقيق كل المبادئ السابقة، ولكن مع الدراسة الدقيقة الى جانب اقتناع المجتمع بهذا الفكر، فلن يكون ذلك مستحيلاً.

المدن والمباني الخضراء :

إن المدن الخضراء أو المباني الخضراء هي ذات مستوي كربون منخفض جداً، بالإضافة إلي نسبة منخفضة جداً من غازات الاحتباس الحراري، المنبعثة في الغلاف الخارجي، ويتم حالياً بناء هذه المدن مع التركيز على الطاقة النظيفة المتجددة، المصممة لدمج الإستجابات لتغير المناخ مع خطط التنمية الحضرية. و خلال بناء هذه المدن ، يتم الأخذ بأفضل طرق العمل في مجال الطاقة المتجددة، مثل النقل النظيف وتوفير الطاقة، وهذا يشمل تشييد مبان خالية من الكربون لإنارة الشوارع، بإستخدام نظام ال leed وأنظمة الطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء وتسخين المياه.

وهناك مدينتين تبنى علي فلسفة ومنظومة المدن الخضراء في الوطن العربي مثل مدينة "مصدر" في الإمارات العربية المتحدة ومدينة "بوغزول" في الجزائر.

المباني الخضراء تعني كفاءة دورة الحياة للمبنى وتتمثل في: تحديد المواقع / تصميم المبنى / التشغيل / الصيانة / الهدم / الترميم / ثم تصميم المباني للحد من التأثير على البيئة الداخلية للمبنى وأثرها على صحة الانسان ويتم ذلك عن طريق:

أ – احترام الموقع ومحدداته.

ب– استخدام مواد بناء صديقة للبيئة.

ت– إستخدام مواد غير سامة معاد تصنيفها أوقابلة لإعادة التصنيع.

ث– كفاءة إستخدام المياه وإعادة تدويرها.

ج– إستخدام معدات موفرة للطاقة وصديقة للبيئة.

ح– إستخدام الطاقة المتجددة.

خ– ضمان نوعية الهواء الداخلي لسلامة الانسان والراحة من خلال رقابة فعالة وأنظمة إدارة المبنى ، أو المباني.

الأستاذ يوسف نصار

الجمعيات والأندية التي تعاونت معها، في نشاطات مشتركة، هيئة تكريم العطاء المميز

إن هيئتنا هيئة تكريم العطاء المميز، دأبت ومنذ نشأتها على المحافظة على تميّزها بالتكريم لعطاءات رائعة ومتنوعة . وحرصت في ذات الوقت أن تبتعد عن التكرار والبازار والإستلحاق. هذا بالإضافة الى صوغ أرقى العلاقات وأنجعها مع أقرانها وأخواتها من الجمعيات الأهلية والأندية الثقافية والاجتماعية الناهضة، والمتحررة من أبة وصاية مادية أو سياسية، لذلك كان على هيئتنا أن تختار وتمحّص من بين تلك الهيئات والجمعيات المسؤولة والفاعلة للتعاون والتشبيك في إطلاق أنشطة ومشاريع ثقافية وتكريمية و معرفية، بالتواصل الدائم والمشترك لزرع القيم، وبث روح العرفان بجميل العطاءات الإبداعية، ونشر الوعي والثقافة، والإضاءة المعرفية عبر مؤتمرات وأبحاث تنبش في التاريخ و الحاضر، وتفتش على الدر الثمين.

قبل الإضاءة على الأندية و الجمعيات التي أرسينا معها أسس التعاون والمساهمة في كثير من الأنشطة المتنوعة و الراقية، لابد لي من إلتفاتة صريحة وواضحة لواقع العمل الثقافي والاجتماعي في مدينة النبطية والجوار، من خلال الأداء الحاصل، والدور الذي من المفترض القيام به إنسجاماً مع وجودها وأهدافها... بالدليل أين أصابت وأين أخفقت؟وما هي الأسباب؟

أولاً: إن مدينة النبطية حاضرة جبل عامل الغزير، على مر التاريخ، بعلمائه وأدبائه وشعرائه وفلاسفته ومناضليه ومثقفيه ، والمشهود لمدينتنا النبطية بأنها مدينة العلم و النور، مدينة الأدباء والعلماء، مدينة المخترع حسن كامل الصباح، مدينة المقاومة ، قلب الثقافة النابض. وكانت منذ أوائل الستينات تزخر

بالمحطات الأدبية و الثقافية حتى يومنا هذا، وكلنا يشهد بزحمة اللقاءات والندوات والمؤتمرات على تنوعها وتعدد مراميها، حتى حاولنا جاهدين، وأكثر من مرة، للإتفاق على هيئة تنسيق الأندية والجمعيات لترتيب مواعيد المناسبات فيها، حتى لا تتضارب الأنشطة مع بعضها، لأهميتها، ولكي تسنح الفرصة لأي مهتم أو متابع أن يحضر ويحيط بمعظم الأنشطة. وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على همّة عالية، ونشاط مستمر وحثيث، لدى الهيئات الثقافية والاجتماعية في النبطية ومحيطها.وبسبب عدم الوصول الى هيئة تنسيق بين الأندية و الجمعيات، كانت تتضارب الأنشطة والمناسبات فيما بينها.

ثانياً: إن الكثير من الجمعيات الثقافية والاجتماعية أصيب بالضحالة والإنكفاء لأسباب موضوعية أو مادية، أو سياسية ضيقة. والبعض منها بعد أن تمت مصادرته من قبل أحزاب سياسية وربما أفقدته وهجه ودوره الثقافي المستقل، وتحوّل الى منبر اعلامي مرتهن. وبعض منها لأسباب مادية ، حيث لم يلق الدعم المطلوب من مجتمعه وقواه الحيّة، ولم يجد الحضن الدافئ من قبل بعض المسؤولين، انكفأ وبات يتمثل برئيسه والبعض القليل من زملائه في الهيئة الادارية ... ولكن هذا الواقع السياسي والاقتصادي الضاغط لم يمنع بعض الهيئات والجمعيات من الإستمرار في العطاء والأنشطة ، وتغطية التكاليف برسوم الاشتراك والتبرعات وباللحم الحي، دون أية منّة من أحد. لاجهة سياسية ولا ادارية رسمية، وهنا تبرز بوضوح الارادة والإيمان بأهداف تلك الجمعيات وتقديرها بدورها ومثابرتها على متابعة الرسالة التي من أجلها قد أنشئت.

وهنا لابد من الاشارة بأن الجمعية أو النادي ليس رقماً يضاف الى قائمة العديد من الأندية والجمعيات وما أكثرها. ولا ضير من أن يكون في النبطية والجوار ما يزيد عن خمسين أو ستين جمعية ونادٍ، ولكن المؤسف أن من بين تلك الأعداد الكبيرة نرى أن الفاعل والحاضر بأنشطته وعطاءاته لا يتعدى أصابع اليد.

لذلك فإن كان الهدف المنشود من أي ناد أو جمعية هي خدمة المجتمع والمواطن بعيداً عن الذات والشخصنة والمصلحة والتمظهر ، وبعيداً عن استيلاب دورها لمآرب سياسية أو دينية أو مكاسب... لماذا لا تتورع بعض الجمعيات الى توأمة فيما بينها، طالما أن الأهداف المعلنة هي واحدة ومشتركة . لأن الأداء الانساني والخدماتي والتطوعي لا يتحقق بالكم، بل بالنوع والمثابرة والعطاء. والمطلوب بشكل دائم هو التنسيق الفاعل و المبرمج بين الأندية الفاعلة و الناهظة في المدينة والجوار.

جمعية نادي الشقيف الثقافي:

– تأسس في النبطية عام 1963 ومارس نشاطات ثقافية واجتماعية وفنية ورياضية.

– شكّل محوراً لتلاقي الشباب والمثقفين والأندية في النبطية و الجوار.

– تمكّن بمساعي الخيّرين من بناء صرح على أعلى تلة في المدينة مع ما يحتوي من صالات ومطاعم ومنتزه ومكتبة وملعب رياضي وقاعة محاضرات ومواقف سيارات و..

–استقبل النادي عشرات المفكرين والأدباء والشعراء من الداخل اللبناني والوطن العربي، ولا يزال يمارس نشاطه على الرغم من تدخلات سياسية ضيقة الأفق من هنا وهناك.

–نادي الشقيف هو جمعية لاتتوخى الربح في أعمالها ولاتتعاطى الأمور السياسية .

– شعاره : من أجل مجتمع راقٍ واعٍ ومتحضّر، ليبقى نادي الشقبف إطاراً دائماً للتلاقي والإلفة، وموئلاً مستمراً في الحوار والديمقراطية.

جمعية تقدم المرأة (أهدافها الطفل والمرأة والمسن)

–تأسست عام 1969 جمعية اجتماعية ثقافية خدماتية ورياضية ومن أهدافها:

*غرس روح التعاون والتطوع في نفوس المواطنين.

* رعاية وإغاثة المحتاجين والأيتام في جميع الحقول وتأمين الخدمات الصحية والاجتماعية...

*الإرشاد والتوجيه في بناء الأسرة وتنشيط المهارات اليدوية.

* رعاية الأطفال ومساعدة الأم العاملة وإسعاد المسنين.

* تعزيز القيم التي تحترم حقوق الانسان وفي صميمها حقوق المرأة.

رابطة المتقاعدين المدنيين في محافظة النبطية:

تأسست في العام 2009 ، غايتها خدمة المتقاعدين الاداريين والتربويين، عن طريق توفير مقر لجمعيتهم من أجل مزاولة النشاطات الاجتماعية والثقافية ، ولا دخل للرابطة بالشؤون السياسية أو الدينية.

وقد أبلت الرابطة بلاءً حسناً في لم شمل المتقاعدين في المحافظة بشكل دائم، ودأبت منذ تأسيسها على التفتيش والجهد اليومي من أجل بناء مقراً مستقلاً للرابطة وذلك بجهود رئيسها وأعضائها ، وذلك من

الاشتراكات السنوية والتبرعات وريع الحفلات... وقد استطاعت أن تحصل على عقار قي بلدة شوكين، قدمه لها معالي النائب علي عسيران ، وبوشر بالتشييد ولا زالت أعمال البناءجارية حتى يومنا هذا .

بنت الرابطة علاقات مميزة مع مختلف الجمعيات والأندية في المحافظة، تميّزت بالاحترام والتواصل الثقافي والاجتماعي فيما بينها .

جمعية هيئة الخدمات الاجتماعية في النبطية:

تأسست عام 1969 جمعية اجتماعية ثقافية خدماتية ورياضية ، استقطبت العديد من أبناء النبطية ، وساهمت في تأمين الخدمات الصحية والاجتماعية للمنطقة.

أهدافها :

- غرس التعاون الانساني والاجتماعي بين المواطنين، وتنشيط السياحة في المنطقة.
- إغاثة المحتاجين في جميع الحقول والميادين .
- تأمين ما أمكن من خدمات اجتماعية وصحية للمنطقة.
- خدمة المناسبات الدينية و الوطنية .

مركز الجعية يقع على تلة مشرفة على قرى جبل عامل، والعمل فيه ما يزال مستمراً حتى اليوم ، وهو يستقبل مراكز انسانية حرفية وصحية وسياحية ورياضية...

جمعية حماية البيئة والمحافظة على التراث:

تأسست عام 1983 وهي تهتم بشؤون البيئة ، قامت بسلسلة من النشاطات البيئية وزراعة الأحراج، وأشرفت على تنقيذها ورعايتها . كما استقبلت الكثير من الناشطين في مجالات الفكر والأدب والبيئة والفن والمسرح والسياسة والأدب الشعبي...

كذلك التزمت منذ سنوات: نشاط شهري في أول أربعاء من كل شهر نشاطاً فكرياً أدبياً إجتماعياً بيئياً وفنياً...

نادي النهضة (كفررمان):

تأسس عام 1970 وسعى لتحقيق الأهداف التالية :

- تنشئة أجيال مُحبة للرياضة ومُمارسة لها.
- بث روح الإيمان والتعاون وتعزيز القيم الانسانية.

- إعداد برامج التوعية والتثقيف الاجتماعي و الوطني.
- مساعدة الفقراء والمحتاجين.
- إنشاء مستوصق خيري وصيدلية نعاونية ومكتبة عامة .
- إنشاء دار للحضانة وروضة للأطفال.

وقد تناوب على رئاسة النادي الكثير من الاصدقاء ومن بينهم رئيس هيئتنا الأسبق الأديب والشاعر المرحوم د. حسن محمد نورالدين.

لنادي النهضة نشاطاته الفكرية والثقافية المميزة ، وعطاءاته لبلدته كفررمان في شتى الميادين.

نادي النبطية الفوقا الاجتماعي:

تأسس عام 1970 وهو عبارة عن نادي ثقافي اجتماعي تميز بنشاطات كانت توزعت بين الصحي والبيئي والتربوي والثقافي والرياضي. وقد أدى دوراً رائداً على مستوى البلدة والمنطقة والوطن. فقام بسلسلة من الأنشطة الاجتماعية والتربوية و الثقافية ودورات تعليم الخياطة ومحو الأمية، وحملات تنظيف الشوارع، وإحياء المناسبات الوطنية والقومية، وعقد عددا من المؤتمرات الشبابية .

جمعية روح العمل الاجتماعية :

تأسست عام 2017 جمعية لبنانية لاتبغي الربح، وتسعى الى تحقيق الأهداف التالية:

- العمل على خدمة الانسان من مختلف فئات المجتمع.
- السعي الى تعزيز التعاون مع منظمات المجتمع المدني و المحلي.
- دعم الفئات المحرومة في مجالات الصحة و التعليم.
- تنمية روح التطوع والمشاركة الشبابية.
- الإهتمام بالشؤون الثقافية و الاجتماعية و التربوية و البيئية .
- إصدار مطبوعات تعنى بنشر أهداف ونشاطات الجمعية.
- تنفيذ برامج تساهم في تنمية الحس الوطني وبناء ثقافة السلام.

الدكتور حسن جعفر نورالدين

رحلة مع نعيمة وجبران الى جبال الأرز

إفترقا ثم اجتمعا في وطن عشقاه، آه كم ليلك نهار وروابيك الأسرار، ذاك جبران هناك آلهة الأرض يداه، والمجنون صداه، والموسيقى نايه، والأرز علاه، يستهدي مضمعه حيث لأول مرة شقّت عيناه نسيم الفجر، مذ ذاك تعلّم موسيقاه، جبران هناك تحمم بثلجه، بالماء الساطع من شمس خجلى، من دروب الكهّان، وكنائس إيمان علوية، يحضره وجهك يا بشري ملتفاً بالتاريخ، بحداء الرهبان الملكية، وأحاديث الطير العاشق في غابات الأرز الصامدة، يتطلع من قمم القرنة السوداء، فيشاهد لبنان صحيفة ألوان، دراً قائمة في الغيم وفي الغابات.

هما وصلا الشرق بالغرب صلة حضارة ورقي وفكر، آنذاك فتيان من الفريكة وبشري وبسكنتا وحمص نقلوا الثقافة العربية الى الغرب، ثم نقلوا الثقافة الغربية الى العرب، ثم نقلوا الغرب الى الشرق، وبالأخص جبران و نعيمة ، رائدان من رواد العلم والحضارة في العالم الجديد، بناة حضارة وفكر للإنسانية جمعاء ، استطاعا فرض أنفسهما احتراماً وتقديراً لما أسدوه للحضارة الانسانية لإنتاج فكر تنحني له العقول.

هوذا جبران أمامي كما لو كان من الأحياء

من ذروات بشري كفّ الروح مدّ

ويوقظ في نعيمة أياماً في البال

من قاديشا يشرب خمرته يتناول

شلحاً من شجر الأرز ويرسم

حورية قاديشا، أودعها

حفر الثلج وجثماناً من شلح

الأرز الفتان

جبران من بشري تسمعه

تلمسه وتراه، تكتشف العبق الغربي

يتجلى في ناره وهوائه وبموسيقاه

يأخذ ما بين ذراعيه بشري

يسأل عن محبوبته الأولى ، يرسمها، يكتبها

بالحبر حيناً وبالثلج أحياناً أخرى

شفتاه تمتصا من خمرة مي

وسلمى كرامة وماري هامكل

أكثر ما من عنب بشري

وغابات الصنوبر في أرز الرب

جبران... من قاديشا يشرب

ماء الإبداع

آه كم ليلك أنت نهار

وروابيك الأسرار

والقمم الأدعية المرفوعة

نحو الله...

فالأرز علاك

جبران الغافي منذ سنين

بين الثلج وبين الماء

قلمه خشب الأرز ودفتره

هذي ريشة من عود القمم الشمّاءْ

وكذلك دفتره من شلح العرعارْ

من نسغ لحاء الأشجار

جبران هناك يستحم بثلجه

بالماء الساطع من شمس خجلى

ودروب الكهّان كنائس إيمان

وأحاديث الطير العاشق

في غابات الأرز الملكية

أتطلع من ذروة القرنة السوداء

فأشاهد لبنان وسوريا وشرق الاردن

تلك هي قبة الصخرة على مرمى حجر أيها الأعراب

فلسطين العربية ، صحف ألوان ، لوحاتٌ فنية صنع الله، ومحابر من شتى الألوان، فساتين دهشة وغمام ككرات بيضاء فنية صنع الله...

جدلية:

من قاديشا يشرب جبران مياه الإبداع

يوقظ في نعيمة أياماً في البال

جبران أمامي بملابسه ومتاحفه وأصابعه

الخالقة: ألواناً ورسوماً جدلية

يتذكر صاحبه وأخاه في الهجرة والإبداع

يوقظ في نعيمة أياماً في البال

يمدّ الى بسكنتا كفّ الروح

تلك هي بسكنتا دمع الشخروب

قطعة الماس خضراء وصفراء وغمامية

صحبني نعيمة يوماً لزيارة بسكنتا

صعدناها من بيروت، كنت فتى في عمر الأزهار

شاهدت الشخروب قبل أن نصعد بعيني نعيمة

وهناك من تلك الأروة تشاهد لبنان

حيث قمر الروعة والسحر الفتان، وأين أين كان ذات يوم

يقرأ ويكتب ذكريات في البال، وقد سعدت بزيارته سنة 1966 في لقاء أدبي جميل.

بسكنتا وصنين، الأرز وبشري، يتحدان لخدمة البشرية في أنصع عطاء وصل العالم، إذ ترجمت كتبهم الى معظم لغات العالم، والتحم الشرق والغرب(عبقريان من بلادي، بل نابغتان: جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة)، أديا خدمة عظيمة للأدب بلغاته المختلفة ، ولا نبالغ إذا قلنا أن حضارتنا كانت محط أنظار العالم أجمع.

وإذا ما أردنا أن نعرف هذين العظيمين ونقف أمامهما احتراماً فما لنا إلا التوجه الى (مار سركيس) قرب غابة الأرز حيث يرقد جبران، الذي أعلى مكان بلاده وذهّب حروف مجدها بقلمه، ثم الى الشخروب في أعالي بسكنتا حيث البيت الصغير المتواضع الذي كان مقراً ومنزلاً لنعيمة، حيث استلهم منه معظم ما كتبه في عالم الأدب والفن والإبداع.

كاتبان كبيران التقيا في مقتبل عمرهما في بوسطن إحدى مدن الولايات المتحدة الأميركية فتكاتفا واتحدا وخصصا معظم أوقاتهما للكتابة في الصحف الأميريكية التي كانت تصدر باللغة العربية آنذاك.

جبران سكنة روح، موسيقي ورسام وأديب وشاعر وعاشق وقاصٍ وملحن، وكان غريباً في كل شيء، في أسلوب حياته وطريقة عيشه وروعة فنه وجدة شعره وأدبه ونمط حبه وعشقه، ولو لم يكن آنذاك في المهجر لما استطاع أن يقدم لوطنه هذا الإبداع كله، ربما، وهو الذي أراد من الفن أن يجعله خادماً وكان له ما أراد، استماله الفن حتى العبودية، كان حبه للفن أقوى من حبه للمرأة، لذلك تفوّق في الفن، و لم يحقق أحلامه في الحب الذي ظل في المناجاة والتمنيات، وربما لم يكن عشقه للفن الذي أخذ عليه كل وقته هو الذي لم يُتح التفكير في الزواج، وبقي الحب حتى مات رهين الرسائل والمناجاة، ومن يجدي لعل الزمن لو منحه حياة أطول لمال الى معادلة الفن بالحب، لكن القدر كان أسرع وربما ربح الأدب والفن في معركته مع الحب الذي ظل رهين الرسائل والعواطف المتبادلة ، جبران الآن وغداً على كل شفة ولسان ، في الأحداق يعيش، في الأدب العالي مغتربه ومقيمه، في الشعر الصافي في حدقات المجد، قد نتماهى ونبالغ بعض الأحيان ، لكن سيرته تحظى بالمتعة وأسبق حضوراً في تاريخ الأدب مقيمه ومغتربه، في قاديشا وبشري لا يغرب معناه، في حدقات الأرز العالي تنساب جداول الرسام و الملحن والمصور، وسيبقى ضريحه ومتحفه صورة لوجوده ومتعة لزواره، وكأنه ما زال يعيش في الذاكرة والوجدان . الى اليوم مثالاً منقطع النظير للشعراء العرب المحدثين، هؤلاء الشعراء الذين يدعون جبراناً أباهم ومعلمهم، لقد تلقى من أحد أكبر هؤلاء الشعراء كتاباً سطرت عليه عبارة الإهداء وجاء فيها: الى منقذ

الشعر الخالد، الى الشعلة الروحية التي أيقظت فكر الشرق ، الى جبران خليل جبران، معلمنا، أتشرف بأن أهدي هذا الكتاب الذي ليس غير مهدى لصدى صوته.

وإثر إهدائه كتاباً في محترف الرسام داود العرم تمثل لوحات عائدة الى عصر النهضة، وشغف بفن الرسم، وقام برحلتين الى باريس حيث أثار إعجاب "رودان" الذي وجد في جبران مزايا فريدة عجيبة في هذا الميدان، وعندما رجع الى بوسطن عاش حياة حافلة كمفكر ورسام وشاعر، وكان مثقفاً ثقافة عالية وشخصية ، وقد عرض أول لوحاته باللغة الانكليزية. وكان جبران ثائراً على الظلم والإستبداد صديقاً حميماً للمرأة، ففي وصفه لجسد المرأة بالذات وصفاً مادياً خالص المظهر نجد لهب الروح وحرارة الشوق. يقول عنه الناقد الأميركي(كلود برامظتون) إن قدرته كانت تأتي من خزان روحي كبير، ولولا درع لم يكن عالمياً وعظيماً الى هذه الدرجة ، ولكن جلال وجمال اللغة التي رش بها هذه القدرة، كانا بكاملهما واحدة .

الأمس هو ذكرى اليوم فقط، والغد حلم اليوم. أما المرأة في حياة جبران فهي المرأة في حياة كل فنان، لا اختلاف في النظر اليها مع الإختلاف في النظر دون الجوهر والى الشكل دون المضمون.

وكان جبران في الحادية عشرة من عمره عموماً عندما أخذته والدته الصبية من بشري مسقط رأسه الى الولايات المتحدة الاميركية مع أولادها الثلاث الآخرين، من أجل أن تعيش وإياهم فيها لتربيهم من عملها كخياطة. ثم عاد الى لبنان في الخامسة عشرة حتى يتعلم العربية في معهد في بيروت... وقد لمع هناك في دروسه كثيراً، حتى أن مؤلفات شبابه الاولى المكتوبة بهذه اللغة أحدثت هزة في جمعي أنحاء الشرق الأدنى، الذي قال أحد مؤرخيه: خلق هذا اللبناني أسلوباً أدبياً جديداً، وأوجد مدرسة في التعبير لم تكن معروفة في الآداب العربية.

جدول بأسماء كتب جبران العربية مع تاريخ صدورها

اسم الكتاب	تاريخ الإصدار
الموسيقى	1905
عرائس المروج	1906
الأرواح المتمردة	1908
الأجنحة المتكسرة	1910

دمعة وابتسامة	1914
المراكب	1919
العواصف	1920
البدائع والطرائف	1923

جدول بأسماء كتب جبران الإنكليزية مع تاريخ صدورها

اسم الكتاب	تاريخ الإصدار
المجنون	1918
السابق	1920
النبي	1923
رمل وزبد	1926
يسوع بن الانسان	1928
آلهة الأرض	1931
التائه	1930
حديقة النبي	؟

جبران خليل جبران

إذن عظيمان من وطني جمعتهما الكلمة الجميلة، والعقيدة الراسخة، والموهبة التي عادت بالخير على الأدب والشعر في الوطن وخارجه.

عبقريان أكدا وجودهما الفاعل وعبقريتهما الفذّة ، كانا رائدين من رواد العلم الحديث في العالم الجديد، تبوءا مركزاً متقدماً في قلوب اللبنانيين ، إذ استطاعا أن ينشرا أدبهما في كل مكان في العالم ، وباللغتين العربية والانكليزية ، على أنهما كانا محط أنظار أبناء وطنهما . وعلى صعيد العالم ، حازا على إعجاب الغرب ، إذ عاشا فيه سنوات طوالاً، وأديا خدمات كبرى للأدب والفن ، وحازا على إعجاب ومحبة العلماء و العظماء، وكان لهما صيت واسع ومكانة مرموقة في كل مكان. وقد اشتهر جبران علاوة على أدبه الرفيع بفن التصوير والرسم، فهاجر الى باريس ليتخصص في هذا الفن، وأصبح إثر ذلك رساماً مبدعاً، وذاع صيته في العالمين، وكان اسمه على كل شفة ولسان، بعد أن نشرت رسومه في أميركا ، وقد نال إعجاب الرسامين العالميين في بلدان الشرق والغرب، وكانت بوسطن مسرحاً لأحلام نعيمة وجبران، إنطلقت منها مواهبهما.

السائح منطلق خطواتهما، وعكاظ قوافيهما ومنبر أفكارهما، إذ نشرا فيها مقالات كثيرة في الأدب والاجتماع والفلسفة ، وقد جمعت تلك المقالات في كتب اللغة العربية ، ولاقت نجاحاً باهراً وصيتاً واسعاً، كما أنهما أصدرا كتباً كثيرة غيرها في اللغة الانكليزية والتي برعا كلاهما وتعمقا في أصولها وقوانينها اللغوية واتقانها بالعامية والفصحى إتقاناً تاماً زاحما فيه أبناء وكتّاب وأدباء اللغة نفسها. ومن أهم هذه الكتب "النبي" لجبران و"مرداد" لنعيمة ، وعشرات الكتب لكليهما والتي لا يخفى على الناس أسماءها، إذ انتشرت في كل مكان وأصبحت تراثاً أدبياً فذاً يعبّر عن ثقافة و إبداع كليهما وعن الغايات والأهداف التي ترمز اليها ، فمرداد مثلاً يمثل الحقيقة العظيمة التي هي فوق الدنيوات الصغيرة الحقيرة، والنبي لجبران وهو خلاصة ما استوحاه من الحياة المريرة التي عاناها في ماضيه وشبابه وكهولته، فأعطى من خلاله حكماً وعبراً وصوراً مختلفة عن سوءات الناس وأخطائهم ، وقد خطب فيهم في مدينة (أورفليس) موجهاً اجاباته الى المطرة التي كانت تطرح عليه أسئلة عن كل عمل يقوم به الانسان في دنياه ، وكانت هذه الإجابات آيات أرضية مقدّسة يجب أن يتبعها كل انسان.

أما ميخائيل نعيمة ، فإنه ولد سنة 1899 في بسكنتا وهي بلدة في أعالي المتن الشمالي ، تعلو عن سطح البحر حوالي ألف وأربعماية متر.

تلقى تحصيله الدراسي الابتدائي في مدرسة الضيعة وأنهى دراسته في المدرسة المسكوبية بتفوق وحصل سنة 1904 من الجمعية الروسية على منحة لمواصلة دراسته في دار المعلمين الروسية في الناصرة ، ثم حصل على منحة ثانية من الجمعية نفسها في الناصرة لمتابعة دراسته في السنمار الروحي في مدينة بولتافا في جنوب روسيا 1902 . نظم بواكير قصائده في اللغة الروسية وبينها قصيدته المشهورة(النهر المتجمد) سنة 1910 .

أنهى دراسته في بولتافا وعاد الى لبنان ثم انتقل الى الولايات المتحدة الاميركية ليلتحق بشقيقه في مدينة(موالاوالا) في ولاية واشنطن.

افتتح حياته الأدبية بمقال في النقد الأدبي عنوانه(فجر الأمل بعد ليل اليأس)، نشر هذا المقال في العدد الرابع من مجلة الفنون النيويوركية التي أنشأها الشاعر نسيب عريضة ، ثم تخرج سنة 1916 من جامعة واشنطن بإجازتين في المسرحية(أبناء و بنون) وهي مسرحية من أربعة فصول نشرت تباعاً في مجلة الفنون .

انتقل الى نيويورك بإلحاح من نسيب عريضة، وتعرّف هناك الى عدد من الكتّاب الشباب الذين كانوا يكتبون للفنون، ومنهم الى جانب نسيب عريضة، عبد المسيح حداد وجبران خليل جبران ورشيد أيوب و ايليا أبو ماضي سنة 1917 ونشر في الفنون رواية مذكرات الأرقش. وقد تسلم تحرير الفنون سنة 1918، ثم استدعي الى الخدمة العسكرية في الجيش الاميركي سنة 1919 ، وكان من بين الذين اختارتهم القيادة للدراسة في جامعات فرنسا، فدخل جامعة (رين) لدراسة الآداب الفرنسية و التاريخ الفرنسي.

عاد في أواخر العام 1920 الى نيويورك واستأنف نشاطاته الأدبية وألّف في العام نفسه مع زملائه من أسرة الفنون (الرابطة العلمية) التي وضع دستورها ، وعمل مستشاراً لها، كما حدد في مقال إفتتاحي الإنتقال في الأدب العربي من طور التخلف و الجمود الى طور الجدّة والأصالة و المعاصرة، بغية ترسيخ الأدب العربي في العالم الجديد.

سنة 1932 ترك مهجره الأميركي نهائياً وعاد الى مسقط رأسه لينصرف كلياً الى ما يشبه التعبّد الى الحياة العلمية، وأصدر سنة 1934 كتاب جيران خليل جبران حياته وموته، أدبه وفنه، وهو سيرة جبران كما عرفه نعيمة خلال ست عشرة سنة من الصداقة والزمالة القلمية في نيويورك.

سنة 1936 صدر له كتاب "زاد المعاد" وهو مجموعة من الخطب والمحاضرات التي ألقاها بعد عودته من المهجر في مناسبات تكريمية له أو بناء لدعوات من بعض الأندية والمؤسسات الثقافية والجامعات في لبنان وسوريا وفلسطين.

سنة 1937 صدر في بيروت كتاب "كان ما كان " وهو مجموعة من القصص التي كان كتبها في المهجر 1914– 1920 ، ذهب سنة 1944 في جولة محاضرات شملت الاردن وفلسطين، وصدر له سنة 1945 ديوان " همس الجفون " وهو مجموعة قصائده العربية و الانكليزية المترجمة الى العربية، وكان نظمها متفرقة في الصحف في العالم العربي. كما صدر له في القاهرة كتاب " البيادر" وهو مجموعة محاضرات ومقالات متفرقة منذ سنة 1940 .

صدر له سنة 1946 في بيروت "الأوثان" وفي القاهرة كتاب "كرم على درب" وهو شذرات وحكم وأوابد، ثم كتاب "لقاء " وقد صدر في بيروت سنة 1948 وهو رواية أسطورية وفيها عقيدة التقمص، ثم في القاهرة صدر له كتاب " صوت العالم " وكتاب " مرداد" بالانكليزية، وكتاب "مذكرات الأرقش" سنة 1949 وهو رواية كانت قد كتب القسم الأكبر منها في نيويورك سنة 1947 ونشرها في مجلة الفنون .

وصدر له في بيروت سنة 1950 كتاب " النور والديجور"، وصدرت سنة 1952 الترجمة الانكليزية لكتاب " مذكرات الأرقش" ، و سنة 1953 كتاب " في مهب الريح" ، وسنة 1954 كتاب " دروب " وقد صدر في بيروت ، و قام سنة 1956 بزيارة الاتحاد السوفياتي بدعوة من اتحاد الكتاب الروس. وصدرت له في مدريد " همس الجنون" (ترجمه ليونور مارتينز) ، وكتاب " النبي " لجبران ترجمه ميخائيل نعيمة ، وصدر له في الخمسينات كتاب " أكابر" و كتاب " أبعد من موسكو وواشنطن" وفي بومباي الطبعة الانكليزية لرواية " لقاء" ، وفي بيروت كتاب " أبو بطة" وسنة 1909 الجزء الأول من كتاب " سبعون" ومجموعة قصص بالروسية ترجمها الاستاذ اسكندر قزما، و بالأرمنية رواية " لقاء" نقلها عن العربية سركيس أشجيان، وسنة 1960 الجزء الثاني والثالث من كتاب " سبعون" ، وصدرت في هولندا الطبعة الثالثة لكتاب " مرداد".

مُنح نعيمة جائزة رئيس الجمهورية سنة 1961 ، ثم ذهب الى تونس بدعوة من حكومتها، ثم الى العراق بدعوة من حكومته أيضاً . وصدرت له سنة 1964 أول طبعة لبنانية بالانكليزية لكتاب "جبران" .

ذهب الى الهند بدعوة لحضور مؤتمر عالمي في مدينة(سملا) حول الدين والمجتمع. هذا عدا عن كتب كثيرة لنعيمة طبعت أو ترجمت الى اللغة العربية.

أقام له الرئيس سركيس سنة 1978 مهرجاناً تكريمياً شاركت فيه الدولة.

من مؤلفاته أيضاً:

- "الغربال" وقد صدر في القاهرة سنة 1913 وهو مجموعة مقالات مختارة من مقالاته الأدبية التي ظهرت بين 1913 و1022 .
- ظهرت أول قصائده باللغة الانكليزية بعنوان " الجوع " في جريدة التايمز النيويوركية سنة 1928.

سنة 1931 توفي صديقه جبران في مستشفى القدّيس فنسنت في نيويورك، وكان هو الوحيد بين رفاق جبران في الرابطة فقيّض له أن يكون الى جانب صديقه في ساعاته الأخيرة ويشهد صراعه المضني مع الموت طوال ست ساعات.

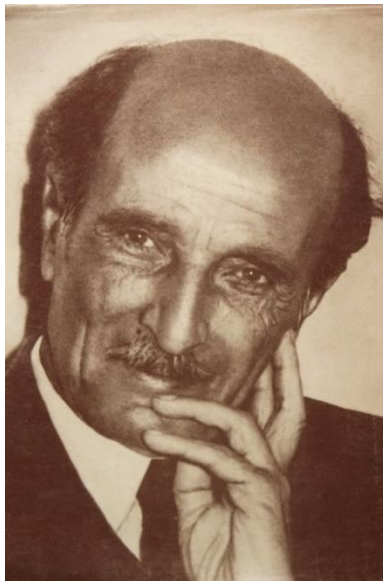

عضو الهيئة التنفيذية في اللجنة الدولية لحقوق الانسان: العميد الركن حسن بشروش

الحدود" الأولى لدولة فلسطين الحديثة

ترسيم الحدود اللبنانية

لم يكن للحدود اللبنانية مفهوم ثابت عبر التاريخ بل كانت ترتبط بقوة أو ضعف الحاكم. خلال العهد العثماني، قُسّم لبنان إلى قائمقاميتين مارونية ودرزية لكن هذا التقسيم أدى إلى وقوع فتن ومجازر انتهت بإعلان نظام المتصرفية بموجب بروتوكول العام 1861 والذي أدخلت عليه تعديلات طفيفة بموجب بروتوكول 1864 فكان أول ظهور لمفهوم الحدود اللبنانية الثابتة والمعترف بها من قبل الدول الأوروبية. بقي نظام المتصرفية قائماً حتى الحرب العالمية الأولى في العام 1914 حيث دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا فبادر الحلفاء إلى عقد اتفاقيات لتقاسم أراضي السلطنة المهزومة، فتم الاتفاق بين فرنسا وبريطانيا وروسيا على ضم اسطنبول والمضائق لممتلكات القيصر ووضع القسم الآسيوي منها تحت وصاية فرنسا وبريطانيا. تم تقاسم النفوذ بين فرنسا وبريطانيا بموجب اتفاقية سايكس- بيكو التي أبقت على بعض الخلافات وتمت معالجتها في مؤتمر سان ريمو.

الترسيم الأول للحدود/ خط بوليه – نيوكومب 1923.

بتاريخ 31 آب من العام 1920، أعلن الجنرال غورو إنشاء دولة لبنان الكبير بموجب القرار رقم 318. جاء في هذا القرار أن الحدود الجنوبية هي "كما ستُحدّد في الاتفاقات الدولية".

بتاريخ 26 كانون الأول من العام نفسه تم توقيع معاهدة بين فرنسا وبريطانيا حول بعض النقاط التي تتعلق بانتداب الدولتين. نصت المادة الثانية من هذه الاتفاقية على تأليف لجنة مشتركة فرنسية- بريطانية لترسيم الحدود عُرفت بلجنة "بوليه نيوكومب". قامت هذه اللجنة بوضع 71 نقطة حدودية بين رأس الناقورة والحمه السورية، من ضمنها 38 نقطة على الحدود اللبنانية – الفلسطينية بين رأس الناقورة والجسر الروماني، ووضّحت الخط الحدودي بين هذه النقاط عن طريق الوصف والرسم على خريطة مقياس 1/50.000.

بناءً على عمل اللجنة، وقّعت بريطانيا وفرنسا أول اتفاق مكتوب حول الحدود بتاريخ 7 أيار 1923 وعلى أساسه ظهرت تسمية "حدود 1923"، وصدّقت عصبة الأمم على هذا الإتفاق عام 1934 فأصبح مكرّساً من وجهة نظر القانون الدولي. شكّل هذا الترسيم إيجابية هامة كونه الترسيم الأول للحدود اللبنانية الفلسطينية والمعترف به من قبل عصبة الأمم، إلاّ أنه تسبّب بسلخ القرى السبع عن لبنان وضمّها إلى فلسطين، كما ترك اشكاليات عدة ظهرت أثناء ترسيم خط الهدنة في العام 1949 بسبب الخلاف على تفسير الوصف، كما حصل على خط الحدود بين المطلة والجسر الروماني، أو بسبب التنفيذ الخاطئ كما حصل عند النقطة BP22 (صلحا).

يمتد خط الحدود بعد مرحلة توقيع اتفاقية الهدنة (اللبنانية الإسرائيلية) شرقاً من رأس الناقورة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط إلى النقطة الثلاثية السورية عند نهر الحاصباني. ويبلغ طول الخط 49 ميلاً ويتزامن مع الحدود الدولية السابقة بين لبنان وفلسطين المحتلة. تم ترسيم هذه الحدود بواسطة 38 عمودًا دائمًا أقيمت في عام 1922 من قبل لجنة مختلطة الأنجلو–فرنسية. تم إنشاء خط الهدنة الحالي بموجب اتفاقية الهدنة الموقعة من قبل وفدي إسرائيل ولبنان في 23 اذار 1949.

الترسيم الثاني للحدود/ خط الهدنة 1949.

بعد قيام الكيان الإسرائيلي في فلسطين عام 1948، شارك لبنان مع الدول العربية في حربهم ضد إسرائيل، ووقّع بعدها اتفاق الهدنة بتاريخ 23 آذار 1949، حيث جاء في المادة الخامسة منه " على أن يتبع خط الهدنة الحدود الدولية بين لبنان وفلسطين".

بهدف ترسيم خط الهدنة تنفيذاً للمادة الخامسة المذكورة، تم تشكيل لجنة لبنانية– إسرائيلية بإشراف الأمم المتّحدة، حيث قامت بترسيم الخط الحدودي فثبّتت النقاط الأساسية الـ38 وأضافت عليها 8 علامات مساعدة و97 معلم وسيط، فأصبح عدد النقاط الحدودية 143 نقطة وأصبحت الحدود أكثر وضوحاً ودقة، إلا أنها تركت اشكاليات عدة نتيجة الفوارق بين خط الهدنة وخط بوليه– نيوكومب. على سبيل المثال: رأس الناقورةBP1، اللبونة 7/A التي أصبح رمزها B7/1، مارون الراس BP22 (صلحا)، مركبا BP34 (هونين)، وإشكالية الخط الممتد بين النقطة BP38 والجسر الروماني. هذه الاشكاليات تشير إلى إحتمال أن

يكون التنفيذ قد تم استناداً للواقع الميداني الذي تركه ترسيم 1923 دون الأخذ بالإعتبار الأخطاء الناتجة عنه.

وصف الحدود كما وردت في اتفاقية الهدنة

يتبع خط الهدنة الإسرائيلي اللبناني "الحدود الدولية بين لبنان وفلسطين ". وقد وصفت اتفاقية ترسيم الحدود لعام 1923 تلك الحدود بأنها: تبدأ من الغرب لجهة البحر الأبيض المتوسط عند نقطة تسمى رأس الناقورة (روش هانيكرا) ثم يوجد مخفر للشرطة الفلسطينية في رأس الناقورة. ومن هناك تتبع الحدود نفس الخط إلى البرج 2 في خربة دانيان.ومن ثم تتبع نفس الحدود إلى 300 متر جنوب غربي قرية اللبونة. ومن ثم فإنه يتبع نفس القمة إلى النقطة رقم 4 ،على بعد 1 كيلومتر. شرق – جنوب شرق قرية اللبونة بعدها يسير باتجاه الجنوب ، ويتبع لوادي حتى التقاء وادي قطاية ؛ تشكل طريق وادي قطاية من الشرق إلى الشمال الشرقي لمسافة 2 كيلومتر ؛ ومن ثم يصعد من رافد صغير على يسار وادي قطاية ، قادم من الشرق حتى النقطة الخامسة ، والذي يقع في الحد الجنوبي الشرقي من الأراضي المزروعة في هذا الوادي. ومن ثم فإنه يتبع خطا مستقيما إلى النقطة رقم 6 الذي يقع على القمة بين وادي قطاية والدليم. من النقطة 6 يتبع خطًا مستقيمًا بطول 700 متر في اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي إلى النقطة 7 ، التي تقع عند التقاء وادي دالم مع خط تلع صغير، ثم يتابع نحو الشمال وتستمر صعودًا في وادي دليم 1300 مترًا في الإتجاه الشرقي الشمالي الشرقي ، ثم 400 مترًا في الإتجاه الشمالي ، ثم 600 مترًا في اتجاه الغرب والشمال الغربي وكيلومتر واحد. مرة أخرى في اتجاه الشمال والشمال الشرقي حتى النقطة 8 ، الواقعة على الطريق شرق علما الشعب. و2500 متر شرق قرية علما الشعب. ومن هناك يتبع الطريق الذي يمر على بعد أمتار قليلة جنوب بركة الريشة إلى النقطة 9 ، وتقع على بعد 700 متر جنوب شرق خربة بلاط عند مفترق الطريق من راميا إلى طربيخا. مع الطريق من راميا الى علما الشعب. ومن هناك يتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 10 الواقعة على ارتفاع 600 متر جنوب–جنوب–شرق 9 ، ومن ثم على طول القمة بين وادي طريبيخا جنوبا والحوض من راميا شمالاً إلى النقطة 11 ، وتقع على بعد كيلومتر واحد. جنوب شرق قرية راميا. ومن هناك يتبع خطًا مستقيمًا إلى النقطة 12 ، الواقع على القمة 700 متر غربًاقرية عيتا الشعب ومن هناك تتبع القمة في الاتجاه الجنوبي بشكل عام إلى النقطة 13 في تل رحيب.

ومن هناك يجري في خط مستقيم حتى التقاء الوادي مع خط تلع على بعد 300 متر شمال شرق تل أبو بابين ، يتبع هذا الوادي غير المسمى والخط يمر شرق المنصورة وغرب السموكية حتى النقطة

14 ، وتقع على بعد 600 متر غرب عين قطمون.ومن هناك تسير في خط مستقيم في الإتجاه الشرقي حتى برج 15 ، الموجود في وادي بدية. ومن هناك تسير في خط مستقيم إلى النقطة 16 الواقع عند ملتقى الوادي بخط تلع آخر ومن هناك تتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 17 الواقع على القمة الغربية لجبل هارمون. ومن هناك تتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 18 الواقع على القمة الشرقية لجبل

هارمون. ومن هناك تتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 19 ، الواقعة على تل على ارتفاع 2100 متر جنوب شرق قرية يارون. ومن هناك يتبع خطًا مستقيمًا إلى النقطة 20 ، الواقعة على مسافة 2 كيلومتر. شرق قرية يارون. ومن هناك يتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 21 الواقع على قمة جبل العاصي. ومن ثم إذا كان يتبع خطاً مستقيماً إلى برج 22 الواقع على ضفة الوادي ، و 600

متر شمال خربة عوبا وحوالي كيلومتر واحد. إلى الجنوب من بيركت. ومن هناك يتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 23 الواقع على قمة جبل غابية وعلى بعد 600 متر جنوب دير الغابية. ومن هناك تتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 24 الواقع على الحافة الشرقية لجبل غبية. ومن هناك يتبع خطًا مستقيمًا إلى النقطة 25 ، الواقعة في الوادي ، على الضفة الشرقية لهضبة 600 متر شمال غرب قرية المالكية. ومن ثم يتبع في اتجاه شمالي بشكل عام إلى بنفس المسار من قرية قدس الى بلدة عيترون 26 ومن هناك يتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 27 ، الواقعة على بعد 700 متر من الغرب إلى الشمال الغربي من قرية قدس قرب شجرة خربة منافير الكبيرة. (خربة المنافر). ومن هناك يتبع خطًا مستقيمًا إلى النقطة 28 ، الواقع عند تقاطع الطريق من قدس إلى ميس الجبل مع وادي عتبة. ومن هناك تتبع طريق وادي العتبة إلى النقطة 29 ، الواقعة عند الملتقى لوادي عتبة مع خلة غزيلة. ومن هناك تتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 30 الواقع على القمة شرق مرج التوفة. ومن هناك يتبع خطًا مستقيمًا إلى النقطة 31 ، حيث يقع على نتوء صغير على مسافة 800 متر إلى شرق قرية ميس الجبل الشرقية ومن هناك يتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 32 ، الواقعة على بعد 300 متر إلى الشمال الغربي لخربة المنارة عند مفترق الطرق من ميس الى حنين ومن خربة المنارة الى بلدة حولا. ومن هناك يتبع القمة في اتجاه شمالي وشمالي غربي بشكل عام إلى النقطة 33 ، وهي نقطة التثليث القديمة المسماة الشيخ عباد. ومن هناك يتبع خطًا مستقيمًا إلى النقطة 34 الواقعة في وادي هونين ، و شمال غرب قرية هونين. ومن هناك يتبع خطًا مستقيمًا إلى النقطة 35 ، الواقع على

مستجمعات المياه بين الليطاني والحولة و 1300 متر شمال قرية هونين. ومن هناك تتبع خطاً مستقيماً إلى النقطة 36 الواقعة على قمة جبل المروج. ومن هناك يتبع خطًا مستقيمًا إلى برج 37 ، الواقع على عامود العديسة 50متر على طريق ألعديسة إلى المطلة. ومن هناك يتبع المسار من عمود ألعديسة ويمر 1400 متر شمال غرب وشمال جبل أرياق ، ثم يتجه إلى الجنوب الشرقي عند تقاطع

شرق آخر بيوت القرية وجنوبها، مع الممرات المؤدية إلى الجديدة التابعة لمرجعيون والخيام والقليعة، ومن هناك يمر فوق الجسر 200 متر شمال شرقي قرية المطلة ، ثم يتبع المسار من المطلة إلى بانياس في اتجاه جنوبي بشكل عام إلى النقطة 38 ، تقع على تل 900 متر شمال شرق قرية ابل القمح، ومن هناك يتبع خطاً موازياً لـ 100 متر إلى الجنوب من المسار إلى بانياس مرورا بالجسر الروماني القديم على نهر الحاصباني.

اعتداءات إسرائيلية في ظل اتفاق الهدنة.

بين العام 1949 والعام 2000، تعرّضت الحدود اللبنانية لسلسلة اعتداءات إسرائيلية أقدم خلالها الجيش الإسرائيلي على ضم مساحات من الأراضي اللبنانية. في العام 1978 إجتاح العدو الإسرائيلي الأراضي اللبنانية في عملية أسماها "عملية الليطاني"، فأصدر مجلس الأمن الدولي بنتيجتها القرار رقم 425 دعا فيه الجيش الإسرائيلي للانسحاب الفوري من الأراضي التي إحتلّها، لكن العدو الإسرائيلي لم يكترث لهذا القرار وللقرارات الملحقة به واحتفظ بحزام داخل الأراضي اللبنانية وأسّس ميليشيا جيش لبنان الجنوبي، ومارس كل أشكال التعذيب بحق اللبنانيين، وقام باعتداءات متكرّرة أهمها اجتياح العام ،1982 حيث وصل الجيش الإسرائيلي إلى العاصمة بيروت، ونفّذ بعدها عملية تصفية الحسابات في العام 1993، وعملية عناقيد الغضب في العام 1996 التي تسبّبت بمجزرة قانا التي أدّت إلى استشهاد أكثر من 120 شخصاً، وجرح حوالي 500 شخصاً من المدنيين اللبنانيين، الذين لجأوا إلى مركز الكتيبة الفيدجية في البلدة، ظنّاً منهم أن هذا المركز آمن كونه تابع للقوات الدولية.

الخط الأزرق/ التثبت من الانسحاب الإسرائيلي عام 2000.

بقي هذا الوضع حتى العام 1998 حيث بدأت تصدر مواقف من مسؤولين إسرائيليين يعلنون فيها نيّتهم الإنسحاب من لبنان، ولكن بقيت بشكل غير رسمي حتى تاريخ 17 نيسان 2000، حيث أرسلت الحكومة الإسرائيلية كتاباً رسمياً إلى الأمم المتّحدة تُبلغها فيه أنها ستسحب قواتها من لبنان بحدود شهر تموز، تطبيقاً للقرارين الدوليين 425 و426. نتيجة الخسائر اليومية التي كانت تلحق بالجيش الإسرائيلي، الذي لم يستطع الإنتظار حتى شهر تموز، فبدأ عملية الإنسحاب إعتباراً من 21 أيار، وخرج آخر جندي إسرائيلي من الأراضي اللبنانية بتاريخ 24 أيار، فأعلنت الحكومة اللبنانية يوم الخامس والعشرين من أيار عيداً وطنياً، أطلقت عليه إسم:" عيد المقاومة والتحرير".

في الفترة الفاصلة بين الإعلان عن الإنسحاب وبين الإنسحاب، قامت الأمم المتّحدة بالإتصالات اللازمة مع الدول المعنية لإنجاح عملية الإنسحاب تطبيقاً للقرار 425. نتيجة ذلك، توصّلت إلى وضع خطٍ أقرب ما يكون إلى خط الحدود الدولية أسمته "خط الإنسحاب" وعُرف حينها بـ"الخط الأزرق"، وأعلنت أن هذا الخط هو مؤقت والهدف الوحيد منه هو التثبّت من الإنسحاب الإسرائيلي. بعدها، أرسلت فريقاً متخصّصاً انضم إلى فريق من اليونيفيل، وطلبت من لبنان تعيين فريق لبناني لمشاركة فريقها في عملية التثبّت من الإنسحاب الإسرائيلي، فوافق لبنان وعيّن فريقاً من الضباط لهذه المهمة.

الخط الأزرق، أو خط الإنسحاب، هو خط يبلغ طوله 120 كم، تم وضعه من قبل الأمم المتحدة عام 2000، لتأكيد انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان. وخلال أحد الاجتماعات الثلاثية عام 2007، اتفق لبنان وإسرائيل على وضع علامات مرئية على الخط الأزرق على الأرض.

ويحصر لبنان المناطق التي يختلف فيها مع إسرائيل عبر الخط الأزرق في 13 بقعة، تمتد من مزارع شبعا (جنوب الشرق)، إلى بلدة الناقورة (جنوب غرب)، في قضاء صور بمحافظة الجنوب.

وتجدر الإشارة إلى أن الخط الأزرق لا يمثل بأي شكل من الأشكال الحدود الدولية، هو فقط لا يعدو كونه خط التثبت من إنسحاب العدو من الاراضي اللبنانية الى داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة، وطبعا" تطبيقا للقرارات الدولية ذات الصلة لاسيما منها القرارات 425-426 وآخرها القرار 1701

درس الفريق اللبناني بدقة الوثائق التي تسلّمها فتمكّن من تحديد الفوارق بين الخط الأزرق وبين الحدود الدولية، وأبلغها للسلطة اللبنانية ولفريق الأمم المتّحدة، فتم تصحيح قسم منها وبقي قسم آخر تم التحفّظ عليه.

كما تمكّن الفريق اللبناني، من تنفيذ التثبّت الميداني حيث ظهر له أن عدداً من المراكز الإسرائيلية كان وما يزال يمتد داخل الأراضي اللبنانية فنجح في إزالة الخروقات، رغم مخاطر الألغام المنتشرة على طول الحدود، كما نجح بإستعادة مساحات كبيرة حاولت إسرائيل اقتطاعها، وقد أقامت حولها سياجاً حديدياً مجهّزاً بالوسائل الألكترونية، كما قامت بشق الطرقات وتجهيز البنى التحتية بداخلها، كما لو أنها أراضٍ إسرائيلية.

إلاّ أنه إلى جانب هذا النجاح، فقد تركت هذه المرحلة إشكاليات هامة نتيجة الفوارق بين الخط الأزرق وخط الحدود الدولية، وخاصةً عند رأس الناقورة، حيث تم نقل البوابة الإسرائيلية حوالي 18 متراً داخل الأراضي اللبنانية، فأصبحت مباشرةً عند الخط الأزرق بعد أن كانت عند الحدود الدولية، وكذلك عند مستعمرة مسكفعام حيث يقتطع الخط الأزرق مساحات كبيرة من الأراضي اللبنانية الواقعة على تلة استراتيجية تشرف على العديسة وكفركلا وسائر البلدات المجاورة. هذا، بالإضافة إلى الخط الواقع بين المطلة والجسر الروماني حيث شرّع الخط الأزرق القضم الإسرائيلي ووضع كامل الطريق بين المطلة والجسر الروماني إلى الجهة الإسرائيلية، في حين أن خط الحدود الدولية يمر على مسافة 100 متر.

هذا على الحدود اللبنانية – الفلسطينية، أما على الحدود اللبنانية – السورية فقد بقيت إشكالية بلدة الغجر التي قسمها الخط الأزرق إلى شطرين، فلم يدخلها الجيش اللبناني بسبب وضعها الحساس كون سكانها سوريون ويحملون الجنسية الإسرائيلية، ولكن في نفس الوقت انسحب منها الجيش الإسرائيلي ولم يعد يُسمَح بأي وجود إسرائيلي ظاهر. ولكن عملياً، كان الأهالي ينتقلون يومياً للعمل داخل إسرائيل وكانت الحكومة الإسرائيلية تمارس سلطتها على كامل الغجر بشكل مدني.

وفي موضوعٍ متّصلٍ ببلدة الغجر، ظهرت إشكالية نهر ونبع الوزاني حيث يتم ضخ المياه بشكل متواصل من نبع الوزاني باتجاه بلدة الغجر، بحجة تأمين حاجات البلدة، في حين أن الدراسات أثبتت أن كمية الضخ أكبر بكثير من حاجة سكان الغجر، وأن إسرائيل تسرق حوالي 1500متر مكعب يومياً من المياه اللبنانية. إضافةً إلى ذلك، تستفيد إسرائيل من مياه نهر الوزاني التي تتدفق باتجاهها بكميات أكبر بكثير من حقوقها في وقت تعاني القرى والبلدات اللبنانية الحدودية من نقص كبير في المياه.

وليس بعيداً عن نبع الوزاني، هناك مشكلة نبع الدردارة الذي هو نبع لبناني داخلي قريب من مستعمرة المطلة. تفيض مياه هذا النبع وتختلط مع مياه الأمطار شتاءً فتشكّل شبه بحيرة تغمر سهل الخيام دون أن تبادر

السلطات اللبنانية للإستفادة من هذه المياه. كعادتها، لجأت إسرائيل إلى استغلال التقصير اللبناني، فحفرت خنادق داخل سهل الخيام لتنقية هذه المياه وجرّها إلى أراضيها، عبر العبّارة عند النقطة B90.

أما بالنسبة لمزارع شبعا، فقد تحفّظ الفريق اللبناني على الخط الأزرق هناك كونه يعتبرها أرض لبنانية، لكن الأمم المتّحدة لم تأخذ بالخريطة اللبنانية التي وضعت في العام 2000 فوضعتها جنوب الخط الأزرق، وبرّرت ذلك بأنها استندت على عشرات الخرائط ومنها خرائط صادرة عن السلطات اللبنانية، وجميعها تُظهر مزارع شبعا خارج الأراضي اللبنانية، واستندت أيضاً على خريطة فصل القوات في الجولان، حيث تُظهر مزارع شبعا ضمن منطقة عمليات قوات الفصل الدولية UNDOF. لكنها أكّدت أن هذا لا يعني موقفاً منها حول ملكية هذه المزارع، واعتبرت أن تحديد هويتها مرتبط حصراً بالحكومتين اللبنانية والسورية، وأكّدت أن ترسيم الحدود في هذه المنطقة هو المدخل الصحيح لتأمين الإنسحاب الإسرائيلي منها.

. تعليم الخط الأزرق بعد عدوان تموز 2006.

بقي الوضع على هذا الحال حتى 12 تموز من العام 2006، حيث شنَّ العدو الإسرائيلي عدواناً واسعاً على لبنان رداً على الكمين الذي نصبه حزب الله لإحدى دورياته مقابل عيتا الشعب، وتمكّن من قتل عدد من الجنود وأسر عدد آخر. بنتيجة هذا العدوان، أصدر مجلس الأمن الدولي القرار الدولي رقم 1701 دعا فيه الجيش الإسرائيلي للإنسحاب من الأراضي اللبنانية ودعا لبنان وإسرائيل لاحترام الخط الأزرق، ووقف الأعمال العدائية. تنفيذاً لهذا القرار، تم تعزيز اليونيفيل فأصبح عديدها 15000 جندي كما تم نشر عدد مماثل من الجيش اللبناني في منطقة جنوب الليطاني، وصولاً حتى الخط الأزرق.

من أجل تطبيق القرار 1701، تم تشكيل لجنة ثلاثية بدأت تعقد اجتماعات في مركز اليونيفيل (32A) ، عند رأس الناقورة برئاسة قائد اليونيفيل، وكانت تجري خلالها محادثات عسكرية غير مباشرة، بهدف معالجة الأمور المتعلّقة بتطبيق القرار 1701. عُقد الاجتماع الأول بتاريخ 2006/8/14 وتمكّنت اللجنة في الاجتماعات الثلاثية الأولى من وضع خطة تم بموجبها إنهاء انسحاب الجيش الإسرائيلي وانتشار اليونيفيل والجيش اللبناني بتاريخ 2006/9/30. بعدها، تابعت اجتماعاتها الدورية بمعدّل مرة في الشهر كانت تناقش خلالها مواضيع مختلفة تتعلّق بتطبيق القرار 1701.

كون هذا القرار يشدّد على ضرورة احترام الخط الأزرق، أولت الأمم المتّحدة أهمية قصوى لتعليم هذا الخط لجعله ظاهراً بوضوح لتسهيل مراقبته ولتخفيف الاحتكاكات بين القوى المنتشرة على جانبيه. حاولت اليونيفيل بادئ الأمر تنفيذ مهمة التعليم بمفردها فاعترضت قيادة الجيش واشترطت أن يتم التعليم بمشاركة الجيش اللبناني. وافقت اليونيفيل وطلبت من الجانبين اللبناني والإسرائيلي تعيين ممثلين عنهما لمرافقة فريقها في عملية التعليم فشكّلت قيادة الجيش لجنة تقنية من الضباط، اعتبرت بمثابة لجنة فرعية تعمل تحت إشراف اللجنة الثلاثية.

تمكّنت هذه اللجنة من تعليم 278 نقطة على طول الخط الأزرق من ضمنها 91 نقطة حدودية من نقاط العام 1949. تم التعليم بشكل رئيسي بواسطة براميل زرقاء وتم إستثنائياً وضع أعلام على بعض النقاط بسبب قربها من السياج التقني. جميع النقاط التي تم تعليمها هي خارج مناطق التحفّظ أي في المناطق حيث يتطابق الخط الأزرق مع خط الحدود الدولية باستثناء نقطة واحدة على المقطع BP6–BP7(مقابل علما الشعب) حيث وافق الجانب اللبناني في الاجتماعات الثلاثية على وضع علم على النقطة رقم (25) بحسب لائحة إحداثيات العام 2000، ورقم (131) بحسب إحداثيات الخط الأزرق الرقمي وذلك كبادرة حسن نية لتسهيل عملية التعليم.

حاولت اليونيفيل معالجة مناطق التحفّظ التي أسمتها "مناطق خلافية" أو "مناطق حساسة"، عن طريق إدارة مفاوضات مع الطرفين لكنها لم تنجح بسبب تمسّك الجانب اللبناني بحقوقه وفق الحدود الدولية ومحاولة الجانب الإسرائيلي تحقيق مكاسب إضافية على حساب لبنان عن طريق عدم اعترافه بالخط الأزرق الرقمي وتمسّكه بالخريطة الورقية للاستفادة من سماكة الخط المرسوم عليها والتي تمثّل حوالي 50 متراً على الأرض.

بالإضافة إلى الإنجازات الميدانية التي تمّ تحقيقها من خلال عملية تعليم الخط الأزرق، طالب الجانب اللبناني بتفعيل عمل فريق المراقبين الدوليين وخاصةً في مناطق التحفّظ للتذكير بالحدود الدولية والسعي لعدم ترك الخط الأزرق يحلّ مكانها، كما انتدب وفوداً من الضباط إلى الأمم المتّحدة، حيث قاموا بعدّة زيارات إلتقوا خلالها المسؤولين عن قسم عمليات حفظ السلام، وممثلي الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وممثلي الدول المشاركة في اليونيفيل، فشرحوا لهم الموقف اللبناني حول تطبيق القرار 1701 وسلّموهم ملفاً مفصّلاً أعدوه بالتعاون مع بعثة لبنان الدائمة لدى الأمم المتّحدة، حدّدوا فيه النقاط العالقة التي

تعيق التطبيق الكامل للقرار 1701، وأهمها: مزارع شبعا، الغجر، مناطق التحفّظ، الحدود البحرية، الخروقات الإسرائيلية اليومية في البر والبحر والجو، أبراج التنصت والتشويش التي يقيمها الجيش الإسرائيلي على طول الخط الأزرق، بالإضافة إلى أجهزة التجسّس وشبكات العملاء التي يزرعها في الداخل للقيام بأعمال تخريبية على الأراضي اللبنانية.

إن ما قام به الفريق اللبناني هو إنجازٌ هام، كونه تمكّن من جعل الخط الأزرق ظاهراً للعيان، وتم توثيق ذلك في الأمم المتّحدة عبر تقارير اليونيفيل، والتقارير الدورية للأمين العام للأمم المتّحدة. فعدد النقاط التي تم تعليمها أصبح ضعفي النقاط التي كانت موجودة في العام 1949، وهذا الأمر ساهم في تخفيف الاحتكاكات وتخفيض عدد الخروقات. وقد تمكّن الفريق اللبناني من تأمين دقة عالية في التعليم كونه تمكّن من الوصول إلى جميع النقاط، واستخدم وسائل طبوغرافية حديثة لم تكن متوفرة في العام 2000.

لكن إلى جانب هذا الإنجاز، تركت هذه المرحلة مجموعة إشكاليات تم تلخيصها بثلاثة عشر منطقة تحفّظ على طول الخط الأزرق، بلغت مساحتها 485487 م^2 بالإضافة إلى بلدة الغجر والمنطقة المحيطة بها التي لم ينسحب منها الجيش الإسرائيلي بعد عدوان تموز 2006 ومساحتها حوالي 787400 م^2. وكذلك، فإن مزارع شبعا ومساحتها حوالي 25.000.000 م^2 ما زالت تحت الاحتلال الإسرائيلي رغم أن القرار 1701 يطلب من الأمين العام للأمم المتّحدة إجراء الإتصالات اللازمة لمعالجة هذه المسألة.

بالإضافة إلى الإشكاليات البرية، برزت إشكالية الحدود البحرية حيث استغلت إسرائيل ثغرة في الإتفاقية التي وقّعها لبنان مع قبرص حول ترسيم حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة، فقضمت منطقة واسعة من المنطقة الاقتصادية اللبنانية مساحتها 860 كيلومتر مربع وفرضتها كمنطقة متنازع عليها.

آلية تحديد الحدودالبحرية (الإقليمية والمنطقة الإقتصادية الخالصة) تبعا لقانون البحار

المناطق والدول المعنية في شرق البحر المتوسط – لبنان – إسرائيل – قطاع غزة (تحديد كلي للمنطقة الإقتصادية الخالصة) ,مصر – قبرص (تحديد جزئي للمنطقة الإقتصادية الخالصة)، الأسس المعتمدة لتحديد المناطق الإقليمية ، والمناطق الإقتصادية الخالصة تبعا لقانون البحار خط الأساس– خط الوسط – الجزر– المناطق الإقليمية– المناطق الإقتصادية الخالصة– المقاييس المعتمدة في الدراسة – كلم : 1000 م – ميل بري: 1609 م – ميل بحري: 1854 م

تحديد الأسس المعتمدة في هذه الدراسة من قانون البحار

- خط الأساس ، يمكن إعتماد الخط المتعرج تبعا للساحل – أو الخطوط المستقيمة المتعرجة تبعا للساحل – لا يمكن إعتمادها في تحديد المناطق الإقليمية الخالصة إذا انحازت عن الخط المستقيم للساحل بشكل واضح – الخطوط المستقيمة على طول الساحل – وهي تحدد الإتجاه العام للساحل المنطقة أو الدولة أو لعدة مناطق ودول.

المياه الإقليمية، المياه الإقتصادية الخالصة أعالي البحار

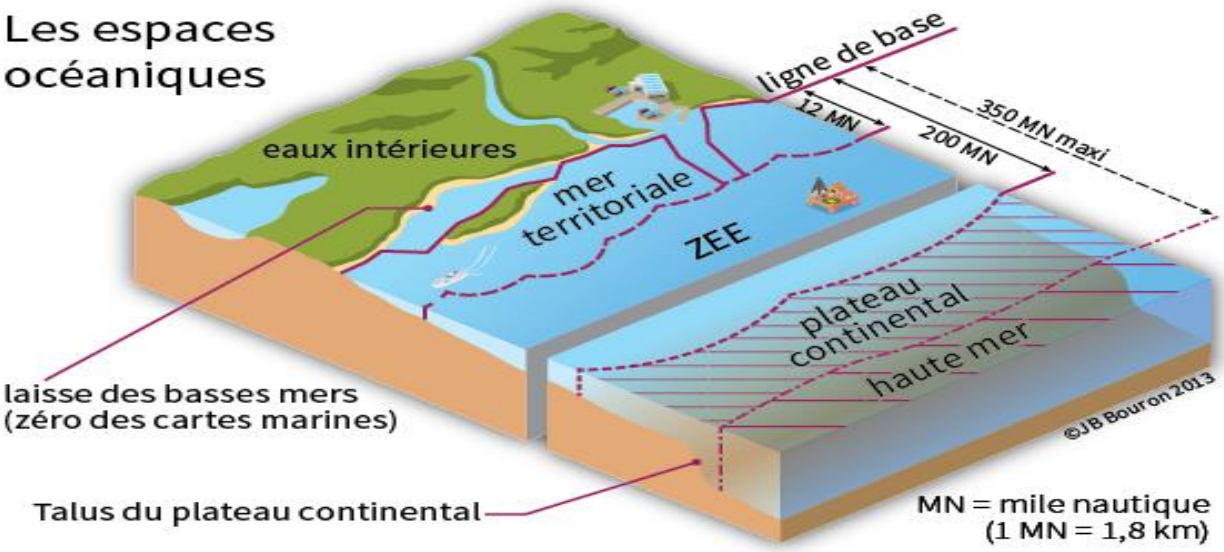

المصطلحات المعتمدة

خط الوسط :هو الخط الذي يفصل ما بين دول ومناطق متجاورة أومتقابلة ويطبق فقط في المناطق الإقليمية للبحار، وليس للمناطق الإقتصادية الخالصة ، كما حصل في اتفاق لبنان وقبرص لعام 2007.

– يستعمل لتحديد المنطقة الإقليمية، والمنطقة الإقتصادية الخالصة للدول، والمناطق المتجاورة، ويكون عادة إمتداداً للخط البري الذي يفصل بين الدول والمناطق المتجاورة

– للدول والمناطق المتجاورة تكون كل نقطة تبعد عن المنطقة المقابلة للدولة المجاورة على الساحل بشكل متساوي.

- الجزر المناطق الترابية أو الصخرية المقابلة للساحل لكل دولة ، شرط أن يمكن أستعمالها للسكن أو للإستعمال (المادة 121 من قانون البحار)، وتستعمل في خط الأساس على أن لا تنحاز عن الإتجاه العام للخط الساحلي المشترك ما بين الدول والمناطق (أن لا تزيد درجة الإعوجاج عن 10 درجات)

– منطقة الشرق الأوسط:

- في الخارطة التي اعتمدتها الأمم المتحدة مع قبرص والكيان الإسرائيلي، بالتعاون مع Nobel Energy اعتمد الخط المستقيم إمتداداً من الساحل.
- ما بين الحدود اللبنانية والسورية في شمال لبنان – ما بين الحدود السورية والتركية – في قطاع غزة على الحدود الشمالية مع الكيان الإسرائيلي – في قطاع غزة على الحدود الجنوبية مع مصر – وعلى نفس الخارطة اعتمد الخط الملتوي الذي يشكل زاوية تتجاوز ال 30 درجة شمال الخط المستقيم الممتد من الحدود اللبنانية بإتجاه البحر.

الخارطة المعتمدة لتحديد خط الوسط ، تبعا لوزارتي الطاقة في إسرائيل وقبرص ولشركة نوبل انرجي والأمم المتحدة.

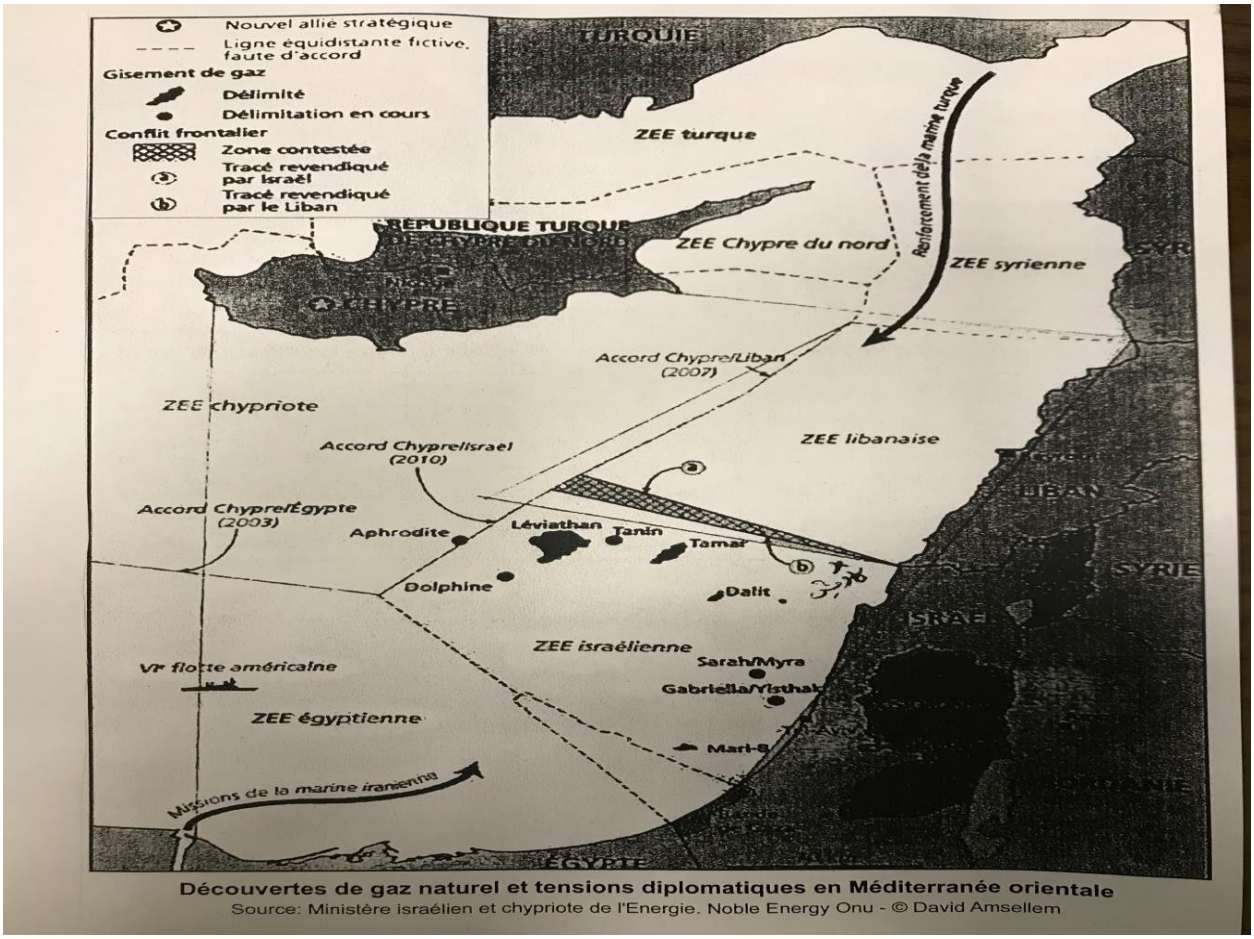

Découvertes de gaz naturel et tensions diplomatiques en Méditerranée orientale
Source: Ministère israélien et chypriote de l'Energie. Noble Energy Onu - © David Amsellem

- الملاحظات والأخطاء الواردة في هذه الخارطة – تحليل بعض بنود الإتفاق ما بين لبنان وقبرص: تصل حدود الإتفاق ما بين لبنان وقبرص إلى مسافة لا تتعدى ال 130 كلم بينما يحق للبنان أن يستفيد من مسافة تصل إلى حدود ال 370.8 كلم ، ولما كان هذا الإتفاق غير نهائي لذلك وجب على منظمة الأمم المتحدة أن لا تقوم بتسجيل هذا الإتفاق ولا أن توافق على خرائط لتحديد المناطق الإقتصادية الخالصة في المنطقة قيد النزاع). وحتى يكون الإتفاق منصفا كما ورد في قانون البحار الدولي يجب اقتسام المنطقة الممتدة من سواحل خط الأساس لكل من قبرص ولبنان إلى المسافة المنوّه عنها أعلاه يجب اقتسام هذه المساحة مناصفة. ولما كانت الخارطة المرفقة أعلاه تبين أن المسافة من مختلف نقاط الشط في قبرص المقابلة للسنترال بوينت، تقدر بحوالي 157 كلم بينما مختلف النقاط المتواجدة على الساحل العائد للكيان الإسرائيلي تبلغ أقله أقله 170 كلم ، إذا لا يمكن إعتماد هذه النقطة، كسنترال بوينت أو نقطة مركزية في تحديد المناطق الإقتصادية الخالصة، وهذا ما أدى إلى إجحاف في احتساب الحدود اللبنانية ما بين قبرص ولبنان .

التدقيق الحسابي للمساحات المعتمدة حالياً

- تبعا للمعادلات الرياضية اعتمد في الترسيم الحالي 10 نقاط لتحديد الخط الوسطي الذي هو غير قانوني تبعاً لقانون البحار. وغير كاف للحصول على نتيجة دقيقة.
- المبدأ الواجب اعتماده هو أكثر من 40 نقطة، من أصل 220 كلم طول للساحل اللبناني بخط متعرج، على طول الخط الساحلي لتكون الحسابات دقيقة.

تبعا للحسابات التي نفذناها في احتساب المساحة الأقتصادية الخالصة يتراوح هامش الخطأ ما بين 6000 كلم2 و 8000 كلم2 في احتساب حصة لبنان من المساحة الإجمالية.

- يتبن من الخط الفاصل ما بين قبرص ومصر تبعاً للخارطة المرفقة بأنه يوجد تداخل ما بين المنطقة الإقتصادية العائدة لمصر ولبنان وهذا ما لا يجوز أن يتم بإتفاق ما بين دولتين على اقتسام قسم من المنطقة الإقتصادية الخالصة العائدة للبنان على كل من قبرص ومصر على حد سواء. (الخط البياني المبين تبعا لإتفاق قبرص ومصر عام 2003).
- ثالثا: تحليل الخريطة المرفقة أعلاه بالنسبة إلى نقاط الفصل ما بين حدود لبنان والكيان الإسرائيلي وقبرص بالنسبة ل Central point.
- بعد إجراء مختلف القياسات ما بين مختلف النقاط، تبين أن لبنان يخسر حاليا حوالي 10000 كلم2 من المساحة الصحيحة موزعة ما بين قبرص الحدود الغربية والكيان الإسرائيلي في الحدود الجنوبية.
- تحديد المنطقة الإقتصادية الخالصة ما بين الدول والكيان الإسرائيلي بشكل منصف بالإرتكاز على قانون البحار وقانون المحكمة الدولية خصوصا المادة 38.
- تحديد المناطق الإقتصادية الخالصة الإجمالية لكل من لبنان، قبرص، الكيان الإسرائيلي، غزة ومصر للمساحة التي تمتد ما بين الساحل وصولا إلى 200 ميل بحري أي حوالي 370.8 كلم في البحر غرباً. وقد اعتمدنا على تحديد حدود كل منطقة على الوقائع والمراجع الا تؤخذ أي نقطة أو أتجاه على الساحل أو في البحر، لتحديد المناطق الإقتصادية ، تؤدي إلى أنحراف كبير عن خط الإتجاه العام (يوجد نقطتين معتمدتين حاليا على طول الساحل الأسرائيلي، (رأس حيفا، وصخرة تخليت التلتين تسببان احرافاً عن الخط الساحلي المستقيم تزيد على 35 درجة)

- تقدر المساحة الإقتصادية الخالصة لكل من لبنان وفلسطين المحتلة (الكيان الأسرائيلي)، وقطاع غزة، ومصر وقبرص التي تمتد على طول الساحل الجنوبي للجزيرة 137368 كلم2، عند اعتماد الطول من الساحل اللبناني والبالغ 370 كلم

توزع مساحات المناطق الإقتصادية الخالصة تبعا لطول الخط الساحلي لكل منطقة أو دولة،

الحدود البحرية ملخص النزاع

وقع لبنان اتفاقية مع قبرص في مطلع 2007 ترسِّم الحدود البحرية والمناطق الاقتصادية الخالصة (EEZ) لكل من البلدين. وتقول سيبل رزق أن ذلك غير صحيح... فالمنطقة الاقتصادية الخالصة للبنان تم تحديدها في 2009، بعد أن رسّمت حدودها مع سوريا كذلك]. أقصى النقاط جنوباً لتلك الحدود البحرية تسمى "النقطة 1 ."وفي 2010، وقعت قبرص اتفاقية مع إسرائيل تؤسس حدودهما البحرية، واستخدمت نفس النقطة 1 كمرجع نهاية. وبحلول ذلك الوقت، كان لبنان قد قرر أن "النقطة 1" هي في الواقع بعيدة جداً إلى الشمال وأن نقطة التقاطع الحقيقية بين البلدان الثلاث تقع على بعد عدة كيلومترات إلى الجنوب، فيما يُعرف بإسم "النقطة 23 ."وقدمت الأوراق الداعمة لذلك إلى الأمم المتحدة في يوليو 2010. فاختيار النقطة 1 في البداية كان خطأً فادحاً في حق لبنان، كما اعترف بذلك المسئولون المعنيون. وبالطبع، اعترضت إسرائيل على ادعاءات لبنان، مذكرةً الأمم المتحدة أن تلك الحدود الجديدة تخالف إتفاقية لبنان الأصلية مع قبرص. وقد تدخلت كل من الأمم المتحدة والولايات المتحدة كوسيطين، إلا أنه لم يتم التوصل لحل للخلاف. وبناء على المجموعات المختلفة من الإحداثيات المقدمة من إسرائيل، قبرص ولبنان إلى الأمم المتحدة،.

أما التفسير المتعامد فهو ترسيم للحدود البحرية بخط عمودي على خط الساحل. وحسب هذا التفسير فإن منطقة الخلاف في الحدود الإسرائيلية اللبنانية تتضاعف إلى ما يزيد على 1,800 كم².

اقتراح هوف

إزاء تعذر قبول شركات التنقيب العالمية عن النفط التزام هذا التنقيب في منطقة متنازع عليها، نظراً الى المخاطر المحتملة على عملها وعلى معدّاتها وجهازها البشري في حال تطور النزاع الى أحداث عسكرية أو أمنية، في 3سبتمبر 2012 اقترح فردريك هوف، الموفد الأمريكي الخاص إلى سوريا ولبنان، أن يتولى هو التفاوض مع كل من لبنان وإسرائيل، فيما يخص مناطق النزاع الحدودية بين البلدين. وتولى هوف أيضاً التنسيق مع الأمم المتحدة في هذا الصدد. وإذ سلّم هوف، بعد تعمقه في الملف وقيامه باتصالاته مع الجانب الإسرائيلي بحق لبنان في تحديد حدوده وفق ما يراها وبإرساله الخريطة بها الى الأمم المتحدة، فإنه اقترح الآتي: أن يجرى تقسيم المنطقة المتنازع عليها (850 كلم مربعاً) في شكل مؤقت يعود ثلثاها الى لبنان

والثلث الباقي الى اسرائيل، على أن يكون الخط الذي يحدد هذين الثلثين الخط الأقصى لمسرح التنقيب لمصلحة لبنان، موقتاً، من دون الغاء الخريطة التي وضعها لبنان والتي رفعها الى الأمم المتحدة والتي تتضمن كامل الـ850 كيلومتراً على أنها تابعة للسيادة اللبنانية.

وأوضحت مصادر رسمية أن هوف اقترح هذا الحل المؤقت الذي يحفظ حق لبنان، في انتظار الظروف المناسبة للتفاوض المباشر بينه وبين اسرائيل على تحديد الحدود، لأنه يسمح بمباشرة التنقيب من دون تحفظ من جانب الشركات لأنه يضمن عدم حصول نزاع عسكري أو أمني في منطقة الخلاف.

كما أن هوف تعهّد اقناع ادارته اسرائيل بهذا الحل الموقت ولجم أي تحرك عسكري أو أمني من قبلها ضد اعتماده. وكانت حجة هوف أن هذا الحل يضمن عدم حصول نزاع عسكري لأن واشنطن مهتمة باستقرار الجبهات في هذه المرحلة، ولا يعيق تحقيق مصلحة البلدين ببدء التنقيب لاستثمار ثروتهما النفطية والغازية.

وتشير المصادر الرسمية إلى أن رئيس المجلس النيابي اللبناني نبيه بري أبدى موافقة على هذا الحل المؤقت، وجاء موقف رئيس الحكومة نجيب ميقاتي متقاطفاً مع موقفه، اذ أبلغ اللجنة الوزارية الفنية التي درسته قبل أسابيع أنه إذا أفضت الجهود الأميركية اليه، من دون أن يتخلى لبنان عن حدوده كما سبق أن رسمها، فلماذا لا نقبل به؟

وعليه أعدت وزارة الخارجية اللبنانية تقريراً بهذا الحل مع الخريطة الكاملة للحدود وفق الخريطة اللبنانية، وأحالته الى مجلس الوزراء الذي لم يستكمل دراسته في جلسة مجلس الوزراء في حينه ، إذ أن وزير الطاقة السابق جبران باسيل طرح سؤالاً يتعلق بالمبدأ، إذ ان مجلس الوزراء أخذ قراراً بالخريطة الأصلية للحدود اللبنانية للمنطقة الاقتصادية الخالصة، فما هو أثر التغيير في هذا القرار قانونياً؟ وأجابه ميقاتي: «نحن لا نغير في قرارنا السابق لأننا نحتفظ به ونعتمد حلاً ديبلوماسياً للنزاع.«

وارتؤي تأجيل للنقاش نظراً الى غياب وزير الخارجية عدنان منصور في الوفد المرافق للرئيس ميشال سليمان الى قمة دول عدم الإنحياز في طهران، الى جلسة لاحقة.

وكانت أوساط الرئيس بري طرحت تساؤلاً عن تساؤلات الوزير باسيل، خصوصاً أنه كانت هناك أفكار تشير الى الإبقاء على النزاع معلقاً مع اسرائيل حول الحدود البحرية على أن يبدأ التنقيب خارج المنطقة المتنازع عليها، وأبدت أوساط الرئيس بري خشية من أن يكون الهدف بدء التنقيب خارج الجنوب، فيما يحرص رئيس البرلمان على مباشرته منه.

الوساطة الأمريكية

ومع رفض الجانب الإسرائيلي للمطلب اللبناني، عرض المبعوث الأمريكي التالي آموس هوكستاين تسوية تلحظ تطوير "خط هوف"، على النحو الذي يسمح لشركات الطاقة باستثمار الكيلومترات المربعة الثلاثمئة والستين المتنازع عليها، وتأسيس صندوق خاص لعائدات النفط والغاز في هذه الرقعة، تتفاوض لاحقًا كل من بيروت وتل أبيب على توزيع عائداته، وهو ما قوبل مجدداً برفض لبناني.

وبحلول بداية 2019، وبعد جولات عدة قام بها المبعوث الأمريكي الثالث ديڤد ساترفيلد، بدا أن الأمور لم تعد في صالح لبنان، خاصة منذ أن بدأت أزمته الاقتصادية تلوح في الأفق، وكذلك بعدما بدأت إسرائيل بالفعل في تلزيم بعض النقاط المتنازع عليها لشركات الغاز الأجنبية، وهو ما دفع بوزير الخارجية الأمريكي مايك بومپيو لتطوير خطة آموس هوكستاين، خلال زيارته لبيروت في مارس 2019، حين اقترح تسوية النزاع الحدودي البحري حصراً، في مقابل تقديم شركات حكومية أميركية ضمانات لقروض بات الاقتصاد اللبناني في أمسّ الحاجة إليها، وهو ما رفضه الجانب اللبناني مجدداً.

ورغم محاولة الجانب اللبناني إقناع الأمريكيين بتلازم الترسيم البري والبحري للحدود، فإن المطالب اللبنانية قوبلت بتصلب حادّ من جانب الولايات المتحدة، لُمِس بوضوح خلال زيارة وفد برلماني – دبلوماسي إلى واشنطن، التي أصرت مجدداً على "خط هوف" كأساس للتفاوض، في وقت حاول المبعوث الأميركي الحالي ديفيد شينكر طوال العام الماضي على ايجاد حلول تسمح ببدء التفاوض، وهو ما أثمر الاتفاق–الإطار، الذي اقرّ بضرورة تلازم المسارين البري والبحري، وإن كانت الآلية التي يفترض أن تعتمد في هذا الإطار خلال المفاوضات المقبلة غير واضحة حتى الآن، وهو ما يضفي المزيد من الغموض حول فرص التوصل إلى اتفاق نهائي[8].

على هذا الأساس، تركز الخلافات المتصلة بترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل على ثلاث نقاط أساسية:

- أولها تحديد وتثبيت النقطة "ب–1" عند رأس الناقورة كآخر منطقة حدودية بين البلدين، والنقطة الثلاثية التي تربط الحدود البحرية بين كل من لبنان وقبرص وإسرائيل، والوضعية القانونية لجزيرة تخيليت.

وكان قائد الجيش اللبناني جوزيف عون قد أكد، خلال اجتماع عقده بوقت سابق لإعطاء التوجيهات الأساسية لانطلاق عملية التفاوض، أن ترسيم الحدود البحرية يجب أن يتم على أساس "الخط الذي ينطلق من نقطة رأس الناقورة براً والممتد بحراً تبعاً لتقنية خط الوسط دون احتساب أي تأثير للجزر الساحلية التابعة لفلسطين المحتلة استنادا إلى دراسة أعدتها قيادة الجيش وفقا للقوانين الدولية."

مفاوضات ترسيم الحدود 2020

في 1أكتوبر 2020 ، أعلنت وزارة الطاقة الإسرائيلية، أن تل أبيب يمكنها البدء في المفاوضات حول ترسيم الحدود البحرية مع لبنان، وبوساطة أمريكية بعد 9 أكتوبر 2020، كما أكد مصدر لبناني أيضاً أن مواعيد المفاوضات ستحدد بناء على اتصالات مع الأمم المتحدة والجانب الأمريكي.

وخلال مؤتمر صحفي، تلا رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري نص "اتفاق الإطار العملي للتفاوض حول ترسيم الحدود"، وجاء فيه أن "الولايات المتحدة تدرك أن حكومتي لبنان وإسرائيل مستعدتان لترسيم الحدود البحرية بالاستناد إلى التجربة الإيجابية للآلية الثلاثية المعتمدة منذ تفاهم نيسان عام 1996، وحالياً بموجب القرار 1701، والتي حققت تقدماً في مجال القرارات حول الخط الأزرق."

وأشار الاتفاق إلى أنه: "في ما يخص الحدود البحرية سيتم عقد اجتماعات في الناقورة [مقر الأمم المتحدة عند الحدود اللبنانية–الإسرائيلية] تحت راية الأمم المتحدة برعاية فريق المنسق الخاص للأمم المتحدة في لبنان، لإعداد محاضر الاجتماعات بصورة مشتركة ستوقع وتقدم إلى إسرائيل ولبنان للتوقيع عليها"، على أن يتولى الجيش اللبناني إدارة المفاوضات مع الجانب الإسرائيلي.

وأضاف: "طُلب من الولايات المتحدة من قبل إسرائيل ولبنان أن تعمل كوسيط ومسهل لترسيم الحدود البحرية"، لافتاً إلى أنه "حين يتم التوافق على الترسيم سيتم إيداع اتفاق ترسيم الحدود البحرية لدى الأمم المتحدة عملاً بالقانون الدولي."

ووفقاً للاتفاق الإطاري فإنه :"عند التوصل إلى اتفاقيات في المناقشات بشأن الحدود البرية والبحرية سيتم تنفيذها وفقا للتالي: الحدود البرية على أساس مرتبط بالخط الأزرق، والحدود البحرية استنادا إلى الحد البحري للمناطق الاقتصادية الخاصة."

ونص الاتفاق على أن: "الولايات المتحدة تعتزم بذل قصارى جهودها للمساعدة في تأسيس جو إيجابي وبنّاء والمحافظة عليه لإدارة المفاوضات واختتامها بنجاح في أسرع وقت ممكن". ورداً على سؤال حول الأثر المحتمل لهذا الاتفاق على أعمال التنقيب عن النفط في المياه الجنوبية للبنان، قال بري إنه كان من المفترض أن يبدأ التنقيب (في المربع رقم 9) السنة الماضية، وأعتقد أن عدم التوصل إلى اتفاق الإطار هذا هو أحد أسباب التأخير."

وأضاف: "ثمة وعد أن تبدأ شركة توتال بالتنقيب الوعد قبل آخر العام 2020، وقلت للرئيس الفرنسي ماكرون أن يتمنى على توتال عدم التأخير"، لافتاً إلى أن "هذا التفاهم يساعد الشركة على أن تبدأ" في عمليات التنقيب .

إلى ذلك، نفى الرئيس بري وضع الاتفاق مع إسرائيل في سياق التوجه العربي للتطبيع، لافتاً إلى أن لبنان بدأ العمل منذ عشر سنوات على مسألة ترسيم حدوده مع إسرائيل.

في 1أكتوبر 2020 ، رحبت الولايات المتحدة باتفاق إسرائيل ولبنان على إطار لبدء محادثات بوساطة أمريكية بهدف حل نزاع قائم منذ فترة طويلة بشأن الحدود البحرية .وقال الوزير إن المناقشات بين الدولتين يمكن أن تسفر عن تعزيز استقرار وأمن ورفاهية مواطني لبنان وإسرائيل على حد سواء

وأدلى بومبيو بهذا التصريح بعد أن قال مسؤولون من البلدين إن إسرائيل ولبنان اتفقا على إطار عمل للتفاوض بشأن قضايا الحدود البحرية. وهناك خلافات بين البلدين بشأن أنشطة التنقيب عن الغاز في شرق البحر المتوسط.

وتوقع مساعد وزير الخارجية الأمريكي ديڤد شنكر، أن تبدأ المحادثات في 14 أكتوبر، وأن يتم التوصل إلى اتفاقية حول الموارد الطبيعية البحرية. وبشأن الحدود البرية بين الدولتين، قال شنكر إن هناك محادثات جارية، وهي مختلفة عن الإتفاقية الحالية المرتبطة بالحدود البحرية، وهذه الإتفاقية ويمكن أن تكون البداية لحل كافة الخلافات بين الطرفين. مهمة .

كما رحبت قيادة قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان "اليونيفيل "بالإعلان وأكدت في بيان أنها على استعداد لتقديم كل الدعم الممكن للأطراف، وتسهيل الجهود لحل هذه المسألة. وشدّدت اليونيفيل على أنّها وفي إطار قرار مجلس الأمن الدولي 1701، تدعم أي اتفاق بين البلدين بما يعزز الثقة، ويحفّز الأطراف، على الإلتزام مجدداً بإحترام الخط الأزرق وعملية ترسيم الحدود الأوسع.

عقدت في الناقورة في 14أكتوبر 2020 الجلسة الأولى من المحادثات بين لبنان ، مقر اليونيفيل ببلدة الناقورة وبرعاية أمريكية، وعقد الاجتماع الثاني بين الجانبين في 28 تشرين اول

وقال مصدر مقرب من الجيش اللبناني أن: "الاجتماع الأول كان بروتوكولياً واستكشافياً، وأن الاجتماع التاني سيعقد في 28 أكتوبر الجاري"، مؤكداً أن "الجانب اللبناني رفض التقاط صورة رسمية برغم إصرار الأمريكيين والإسرائيليين وتم الاكتفاء بصورة غير رسمية"،

وبين شهري تشرين الماضيين عقدت عدة جلسات مفاوضات ثم اتهمت إسرائيل لبنان بتغيير موقفه بشأن ترسيم الحدود البحرية بين البلدين، محذرة من احتمال أن تصل المحادثات إلى طريق مسدود وعرقلة مشاريع التنقيب عن محروقات في عرض البحر. وكان لبنان وإسرائيل اختتما في منتصف نوفمبر جولة ثالثة من المفاوضات برعاية الولايات المتحدة والأمم المتحدة، وقررا عقد جولةلاحقة في بداية ديسمبر،

الا ان التخبط لدى المفاوضبن من العدو الاسرائيلي، والتصلب في مواقف الفريق اللبناني، اضطر الفريق العدو من ان يرسل الى الفريق الدولي الوسيط عن تاجيل موعد الجاسة القادمة الى اجل غير مسمى .

د. أمين الياس

لبنان الكبير: من «سحر الخطأ التاريخيّ» إلى الدور الحضاريّ المُرتجى

تمهيد

يتضمن هذا النصّ مُلخَّصًا عن كتاب "لبنان الكبير من سحر الخطأ التاريخي إلى الدور الحضاري المُرتجى" لكتابه أمين الياس، والصادر عن دار سائر المشرق (2020) بمناسبة الاحتفال بمئويَّة لبنان الكبير.

في هذا الكتاب قسمان رئيسيّان: في الأوّل نجد قراءة استخلاصيَّة للمئة سنة المنصرمة من تاريخ هذا الكيان الحديث الولادة بما تضمّنته هذه المئويَّة من إشكاليَّات أرخت بثقلها على المحطات المحوريَّة من تاريخ هذا "اللبنان الكبير". أمَّا في القسم الثاني، فيَخرج فيه الكاتب من عباءة المؤرّخ ليأخذ دوره كمواطن يحاول استخراج مشروع فكرة–أمّ من معاناته الوطنيَّة. فكرة تقوم على "العلمانيَّة الشخصانيَّة" بما هي من نظام حياة يفصل ما بين الشأن السياسي والاجتماعي العام والشأن الديني والروحي الخاص، بما يحترم حريَّة ضمير الكلّ مساويًا ما بين كلّ المواطنين على المستويات المعنوية والقانونيَّة. علمانية تقوم على محوريَّة الشخص بما هو مصالحة ما بين أبعاد ثلاثة: الفرد، والآخر (بما يعنيه هذا الآخر من جماعة) والبُعد الما–فوقي أو الروحي.

لبنان الكبير: حلم وهزيمة

ربَّما يكون حدث إعلان دولة لبنان الكبير في الأوَّل من أيلول 1920 أهمّ الأحداث التي شهدها لبنان منذ ذلك التاريخ وحتَّى يومنا هذا. ذلك أنَّ الأحداث اللاحقة مقارنة بهذا الحدث لم تكن إلَّا هزَّات ارتداديَّة لولادة كيان شاءَه جزءٌ من أبنائه ورفضه الجزء الآخر.

في الواقع، وفي حين كانت هذه الولادة خاتمة نضال طويل خاضَه الموارنة (بقيادة الكنيسة المارونيَّة وبعض المثقّفين والأحزاب والجمعيَّات اللبنانيَّة التوجُّه) الذين اعتبروا أنَّ لبنان الكبير هو التحقُّق الواقعيّ والقانونيّ لحلمهم التاريخيّ، كانت بالنسبة للمسلمين عامَّة، وللسُنَّة خاصَّة، هزيمة سياسيَّة وخيبة أمل ببناء دولة عربيَّة موحَّدة تكون التحقُّق التاريخيّ لتصوُّرهم العربيّ. وممَّا زاد الطين بلّة عندهم أنَّ هذه الدولة العربيَّة كانت التعويض المعنويّ والواقعيّ الوحيد للفراغ، الذي وجد العرب المسلمون أنفسهم فيه بعد العام 1924 إثر إلغاء أتاتورك الخلافة الإسلاميَّة. صحيح أنَّ فكرة القوميَّة العربيَّة، أو العروبة، نادى بها في البداية العديد من مُفكّري النهضة الأولى المسيحيّين من أمثال بطرس وسليمان البستاني وإبراهيم اليازجي وأمين الريحاني وغيرهم، وهي كانت بالنسبة لهؤلاء الأرضيَّة المشتركة التي يمكن أنْ تجمعهم مع المسلمين من أجل النضال ضدّ الأتراك. غير أنَّ المسلمين بغالبيَّتهم الساحقة لم يستطيعوا الخروج من فكرة ومقولة أنَّ العروبة هي الإسلام. بتعبير آخر كانت العروبة عندهم تعويضًا معنويًّا ومشروعًا يمكن أنْ يحلّ مكان نموذج الخلافة الإسلاميَّة. إذًا، في هذا المرحلة، كُنّا أمام فريقَيْن: أوَّل مسيحي ماروني يعتبر لبنان ابن نضاله وتحقيقًا لحلمه التاريخي، وبلدًا يمكن للمسيحي أنْ يعيش فيه حرًّا، سيّدًا، قادرًا على تحقيق ذاته الإنسانيَّة وعلى فرض وجوده وهويّته في عالمٍ مُتجدّد ومُتطوّر؛ وثانٍ مسلم بغالبيَّة سنيَّة (ذلك أنَّ الشيعة والدروز لم يكونوا قد بلوروا توجُّهًا سياسيًّا واضحًا آنذاك)، يعيش حالة هلعٍ وضياع سبّبهما إلغاء الخلافة لتُعمّقهما في ما بعد ولادةُ دولة لبنان الكبير وسقوط مشروع الدولة العربيَّة الموحَّدة.

جاء العام 1936 بتغيُّراته الاستراتيجيَّة الكبرى نقطة تحوّلٍ في موقف المسلمين من لبنان. فالسوريُّون، المطالِبون بإعادة ضمّ المناطق الملحقة بلبنان عام 1920، استغنوا عن مطالبتهم بحُكم المعاهدة الفرنسيَّة–السوريَّة، مُفضّلين صبَّ جهودهم على توحيد أقاليم سوريا الأربعة (المنطقة العلويَّة، والمنطقة الدرزيَّة، حلب ودمشق). بينما انقسم المسلمون السُنّة في لبنان فريقَين: أوَّل أصرّ على الوحدة السوريَّة–العربيَّة، وآخر بدا أكثر واقعيَّة وتقبُّلًا لفكرة الكيان اللبنانيّ المستقلّ على أنْ يكون جزءًا من عالمٍ عربيّ على طريق الاتّحاد (وهو النموذج الذي عكسته في ما بعد جامعة الدول العربيَّة). تجرّأ كاظم الصلح، في مقالته التي تحوَّلت كُتيّبًا «مسألة الاتصال والانفصال في لبنان»[80]، على دعوة المسلمين إلى الاعتراف بلبنان الكبير والاتّفاق مع المسيحيّين على مشاركتهم السلطة وإدارة البلاد بانتظار تحقُّق الحلم الكبير بإقامة الدولة العربيَّة الموحَّدة أو الاتّحاد العربيّ بموافقة الجميع بمن فيهم المسيحيّون والموارنة أنفسهم. تلاقى هذا الموقف مع التوجُّه الماروني الاستقلاليّ بقيادة يوسف السودا، وكانت ترجمة هذا التلاقي بميثاقٍ وطنيّ أوَّل مكتوب[81] في العام 1938 كان أساس الميثاق الوطنيّ الشفهيّ الذي اتّفق عليه رياض الصلح وبشارة الخوري في العام 1943[82]، وعكساه في خطبهما وبياناتهما الوزاريَّة والتعديل الدستوري الذي جرّد الانتداب الفرنسيّ من كلّ صلاحيَّاته الدستوريّة.

طبعًا كانت التسوية طائفيَّة. إذ إنَّها قامت بين جماعتَين دينيَّتَين وثقافيَّتَين مُختلفَتَين: المسيحيِّون والمسلمون. وكان كلٌّ من الصلح والخوري مُدركَين لهذا الواقع. من هنا استفاضة كلّ البيانات الوزاريَّة والخطب الرئاسيَّة والمشاريع السياسيَّة بالتشديد على الطابع الموقَّت للطائفيَّة إلى حين بناء المجتمع المدنيّ

---

[80] - كاظم الصلح، **مسألة الاتصال والانفصال في لبنان**، بيروت، 1936.

[81] - انظر نصّ هذا الميثاق في عصام خليفة، **من الميثاق الوطني إلى الجلاء 1938-1946**، بيروت، 1998، ص. 21-22.

[82] - حول ميثاق 1943 انظر باسم الجسر، **ميثاق 1943**، بيروت، دار النهار، 1997، طبعة أولى 1978.

على أساس المواطَنَة والهويَّة اللبنانيَّة والتربية المدنيَّة. حتّى أنَّ المواد المتعلّقة بالطائفيَّة في الدستور اللبناني هي ذات طبيعة موقَّتة كما بيّنته دراسات العلَّامة الدستوري إدمون ربّاط[83].

غير أنَّ رياح المنطقة جرت بما لم يكن يتوقّع أرباب التسوية اللبنانيَّة آنذاك. اصطدم العرب بعضهم ببعض حول مشاريع الوحدة العربيَّة، فهذا ينادي بالهلال الخصيب، وذاك ينادي بسوريا الكبرى. ثمَّ كان إعلان دولة إسرائيل في العام 1948 لتليها هزيمة الجيوش العربيَّة في العام نفسه وهجرة مئات آلاف الفلسطينيّين إلى الدول المحيطة ومنها لبنان. تشظَّت المنطقة بين سياسات أحلافٍ متناقضة، ثم كان تحوُّل الأنظمة العربيَّة إلى الدكتاتوريَّة العسكريَّة يزايد كلٌّ منها على الآخر بعروبته ووفائه للوحدة العربيَّة وللتحرُّر العربيّ من الاستعمار وللقضيَّة الفلسطينيَّة. كان على لبنان، هذا الكيان الحديث الولادة والدقيق المعادلات، أنْ يتعامل مع كلّ هذا الضغط المتأتّي من الخارج والمسبّب لتردّدات داخليَّة. توقَّفت مسيرة التطوّر السياسيّ مباشرة، وكان التجديد للرئيس الخوري العام 1948 بما يمثّله من خرقٍ للدستور خير دليل على ذلك. فجأة سقطت كلُّ مشاريع التطوير السياسيّ في لبنان التي كان يُفترض بها أخذه أكثر باتّجاه العلمانيَّة وإلغاء الطائفيَّة. وعلى الرغم من محاولة الرئيس فؤاد شهاب إبَّان الستينيَّات إجراء بعض الإصلاحات فإنَّها اقتصرت على المجالات الإداريَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، ولم يستطع المسّ بطبيعة النظام الطائفيّ اللبنانيّ.

على الرغم من الازدهار الذي شهده لبنان، ومحافظته وحيدًا في الفضاء العربيّ على شكلٍ من الديمقراطيَّة وتداول السلطة ومساحة للحريَّات الفرديَّة والجماعيَّة وللِّقاءٍ بين التيَّارات الفكريَّة والدينيَّة والسياسيَّة المختلفة، فإنَّ الطائفيَّة كانت حاجزًا أمام تشكيل شعبٍ لبنانيّ على أساس المواطَنة. سقطت كلّ مشاريع

---

[83] - انظر: أمين الياس، **علمانية من عندنا، أفكار في الطائفية والعلمانية والدين والدولة مع مقدّمةٍ حول الصيغة اللبنانية**، بيروت، دار سائر المشرق، 2017، ص. 22-23.

القوانين المدنيَّة في المجلس النيابي بحجَّة أنَّها لا تتلائم والشريعة الإسلاميَّة. وبالمقابل سقطت كلّ المطالب بتعزيز مشاركة المسلمين في السلطة السياسيَّة بحجّة الدفاع عن الامتيازات المسيحيَّة. فكان أنْ خرجت على لسان السيّد مُنح الصلح فكرة استئثار المارونيَّة السياسيَّة بالسلطة[84].

ظلّ النقاش مُحتدمًا بين تيَّار الهويَّة اللبنانيَّة وتيَّار العروبة ليتحوَّل صراعًا سياسيًّا دائمًا كان يتفجّر عند كلّ لحظةٍ تتكامل فيها عناصر التفجُّر الداخليَّة والخارجيَّة كما حصل عامَي 1958 و1969. ثم أتى صعود الناصريَّة ومن بعدها صعود نجم المقاومة المسلَّحة الفلسطينيَّة التي حوَّلت مخيَّمات لبنان، بدعمٍ عربيّ ولبنانيّ–إسلاميّ، إلى معسكرات وثكنات عسكريَّة، ليعلنا بدء انهيار تسوية العام 1943 بين المسيحيّين والمسلمين.

جاء العام 1975 عامًا فاصلًا في تاريخ لبنان السياسيّ لما عناه من تكريسٍ للانقسام المسيحيّ–الإسلاميّ في لبنان حول هويّته وشخصيَّته ودوره ونمط حياته وعلاقاته وحتّى ديمومته وطبيعة نظامه السياسيّ والاجتماعيّ[85].

أخطأ تاريخي؟

للمرّة الأولى بعد إعلان دولة لبنان الكبير العام 1920 والتسوية الميثاقيَّة العام 1943 بدأ المسيحيُّون التفكير بإعادة النظر بلبنان الكبير. مُذَّاك تصاعدت موجة المسيحيّين الذين يلومون البطريرك الياس الحويّك

---

[84]- حول هذا الصراع انظر الكتاب المميّز للبروفيسور فريد الخازن، **تفكّك أوصال الدولة في لبنان 1967-1976**، ترجمه إلى العربية شكري رحيّم، بيروت، دار النهار، 2002.

[85]- حول مرحلة الحروب في لبنان والتي انطلقت شرارتها في العام 1975 انظر عبد الرؤوف سنّو، **حرب لبنان، 1975-1990، تفكّك الدولة وتصدّع المجتمع**،جزءان، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.

على إصراره على حدود لبنان الكبير وضمّه تلك المناطق ذات الغالبيَّة المسلمة. كثيرون منهم أيضًا ندموا على تسوية العام 1943 ورأوا وقوف المسلمين إلى جانب كلّ التيَّارات العربيَّة وصولًا لتفضيلهم البندقيَّة الفلسطينيَّة على سيادة لبنان واستقلاله وازدهاره وأمنه وجيشه خرقًا فاضحًا لميثاق 1943. هنا علت بينهم المطالبات بالعودة لحدود لبنان الصغير. وقد يكون الكتاب الضخم (الذي هو كناية عن مجموعةٍ من الكتيّبات الصادرة عن نخبةٍ مُفكّرة في جامعة الروح القدس الكسليك) أدلّ تعبير على شعور الخيبة لدى النخبة المسيحيَّة من تجربة العيش مع المسلمين؛ كان عنوان الكتاب: «لبنان الكبير مأساة نصف قرن»[86].

قد تكون هذه النخبة أوَّل من طالب بثنائيَّة العَلْمَنة والفَدْرَلة في لبنان. وهي أوردت اقتراحاتها في المجلّد المذكور آنفًا حيث طُرح «الحلّ الفدراليّ» كسبيلٍ للخروج من أزمة النظام السياسيّ في لبنان. كان هذا الاقتراح موجَّهًا من نخبةٍ مسيحيَّة إلى المسلمين اللبنانيّين تقول لهم فيها ما معناه: إمَّا العَلْمَنَة وإمَّا الفَدْرَلَة. كان هذا الاقتراح محاولة ردّ على مقالةٍ لمدير عام دار الإفتاء في الجمهوريَّة اللبنانيَّة، السيّد حسين القوتلي، يُعبّر فيها بصدق عن الوجدان المسلم، خاصَّة السنيّ منه. يقول في مقدَّمة مقالته المنشورة في 18 أيلول 1975[87]: «إمَّا أنْ يكون الحاكم مسلمًا والحكم إسلاميًّا فيرضى عنه [المسلم] ويؤيّده وإمَّا أنْ يكون الحاكم غير مسلم والحكم غير إسلاميّ فيرفضه ويعارضه ويعمل على إلغائه باللين أو بالقوّة بالعلن أو بالسرّ. هذا موقف واضح [...] هو في أساس عقيدة المسلم. وإنَّ أي تنازلٍ من المسلم عن هذا الموقف أو عن جزءٍ منه، إنَّما هو بالضرورة تنازلٍ عن إسلامه ومعتقده [...]».

[86] - مجموعة مؤلّفين، **لبنان مأساة نصف قرن**، الكسليك، جامعة الروح القدس، 1975-1976.

[87] - حسين القوتلي، «عن الصيغة والخوف والمساواة»، **السفير**، بيروت، 18 أيلول 1975.

طبعًا يجب ألّا ننسى هنا توجّهات الشيعيَّة السياسيَّة، بعد تغييب الإمام موسى الصدر، التي ذهبت بمعظمها إلى تبنّي النموذج الإسلاميّ الإيرانيّ –بعد ثورة العام 1979– وربما خير دليل على ذلك ليست فقط شرعة حزب الله السياسيَّة الصادرة العام 1985 والتي يعلن فيها هدفه بجعل لبنان جزءًا من الجمهوريَّة الإسلاميَّة بقيادة الوليّ الفقيه[88]، بل بمشاريع الدساتير الإسلاميَّة التي عمل عليها كثيرٌ من الأئمة الشيعة من أمثال محمد حسين فضل الله وغيره (مع أنَّهم عادوا وحادوا عن هذه المشاريع في ما بعد، لكنّ الواقعة كانت قد وقعت)، دساتير تهدف لتحويل لبنان، بعد أسْلَمَة مُجتمعه إلى دولة إسلاميَّة تحكمها «الديمقراطيَّة العدديَّة» الطائفيَّة الإسلاميَّة[89].

وعليه حكمت ثنائيَّة الفَدْرَلَة–العَلْمَنَة كلَّ الجدل السياسيّ–الفكريّ في لبنان حتَّى كان اتّفاق الطائف عام 1990، اتّفاق فرضته التحوُّلات الدوليَّة والإقليميَّة في منطقة الشرق الأوسط على لبنان بحيث يوضع هذا البلد الصغير تحت الوصاية السوريَّة بموافقة الدول الكبرى ومباركتها، وأهمّها الولايات المتحدة الأميركيَّة.

تسوية ما بعد الطائف: اِستمرار سحر لبنان الكبير

اِنسحب الجيش السوري ومخابراته من لبنان في نيسان 2005 إبَّان تحوُّلات إقليميَّة ودوليَّة ومحليَّة أهَّمها أحداث 11 أيلول 2001 والاحتلال الأميركي للعراق في العام 2003 واغتيال الرئيس رفيق الحريري في شباط 2005. عادت «المارونيَّة السياسيَّة» لتحتلَّ مكانها في النظام الطائفيّ اللبنانيّ بعد إبعادٍ دام

[88] - «**الرسالة المفتوحة التي وجهّها حزب الله إلى المستضعفين في لبنان والعالم، مبيّنًا فيها تصوّراته ومنهجه**»، 16 شباط 1985.

[89] - حول المشاريع الإسلامية المقترحة للبنان، انظر الكتاب الضخم الذي أعدّه كلٌّ من محمد شمص وحسين مرجي، **الجمهورية الإسلامية في لبنان، خط بياني للمو اقف منذ العام 1977**، بيروت، المركز الإسلامي الثقافي، [دون تاريخ]، ثلاثة أجزاء.

خمسة عشر عامًا إثر هزيمة 13 تشرين الأول 1990، بعد أنْ كانت الطائفيَّات السياسيَّة الإسلاميَّة قد تقاسمت مغانهما برضا وتحكيمٍ سوريَّين.

كان من المنطقيّ أنْ تصطدم طموحات «المارونيَّة السياسيَّة» المتجدّدة بإرادة الطائفيَّات الإسلاميَّة المحافظة على مغانمها. وعلى الرغم من انقسامها السياسي، برزت رغبة عارمة عند جميع أطياف المسيحيَّة السياسيَّة لاسيَّما المارونيَّة منها بزيادة حصّتها من النظام الطائفيّ السياسيّ في لبنان والتي مثَّل التيَّار الوطني الحرّ بقيادة الرئيس ميشال عون أبرز تجليَّاتها.

وربّما كان الشلل التام الذي ضرب الدولة اللبنانيَّة منذ العام 2005 حتى أيلول 2016 أبرز دليل على انتهاء صلاحيَّة اتّفاق الطائف كما طُبِّقَ منذ العام 1990. مثّلت الأزمة الرئاسيَّة بين عامَي 2014 و2016 ذروة هذا الشلل، لتأتي الانتخابات الرئاسيَّة بعدها محطة–مفترقًا حاولت فيه «المارونيَّة السياسيَّة» تعزيز دورها في النظام السياسيّ من خلال فرض «رئيس قويّ تمثيليًّا»؛ وقد جوبهت هذه المحاولة بعنادٍ إسلاميّ راغب بالمحافظة على امتيازاته التي حصل عليها إبَّان الحقبة السوريَّة.

خلال فترة الفراغ الرئاسيّ برزت أصوات تُعيد التذكير بجدليَّة الفَدْرَلَة والعَلْمَنَة. في محاضرةٍ في مركز عصام فارس في 22 تشرين الأول 2014 عبَّر الرئيس إيلي الفرزلي عن حقيقة رفض الزعماء المسلمين إعادة لعب المسيحيّين دورهم في الدولة، يقول[90]: «كلّ الزعماء المسلمين يرفضون السماح للمسيحيّين بإعادة لعب دورهم في السلطة والدولة. والمرحلة التي نمرُّ بها حاليًّا هي مرحلة مصيريَّة، فإذا لم يتمّ اعتماد قوانين وتعديلات وآليَّات تُعيد للمسيحيّين دورهم وتعطيهم المناصفة الحقَّة فإنَّهم سوف يذهبون إلى خيارات أخرى

[90] - إيلي الفرزلي، «**رئاسة الجمهورية: نحو الشراكة الحقيقية**»، محاضرة في مركز عصام فارس، سن الفيل، 22 تشرين الأول 2014.

مصيريَّة ووجوديَّة للكيان اللبناني». واللافت أيضًا في هذا الكلام أنَّه أتى عقب محاضرة للصحافي جان عزيز[91] الذي أصبح في ما بعد المستشار الإعلاميّ للرئيس ميشال عون، عبَّر فيها عن قناعته بأنَّه ما دام المسلمون يرفضون إعادة التوازن إلى النظام السياسيّ من خلال انتخاب رئيسٍ ذات حيثيَّةٍ تمثيليَّةٍ مسيحيَّة أو القبول بإقرار قانونِ انتخاب يُعيد للمسيحيّين المناصفة الكاملة، فإنَّ المسيحيّين «سيضعون الآخرين أمام مشاريع تبدأ بالفدراليَّة ولا تنتهي بالتقسيم».

بهذا يمكننا أنْ نفهم أنَّ شيئًا ما كان يجري –وربما لا يزال– في كواليس النخب الفكريَّة والسياسيَّة المسيحيَّة يشي بأنَّهم أعادوا إلى جدول أعمالهم فكرة الفدراليَّة كمشروع نظامٍ سياسي بديل عن نظام الطائف المشلول كلّيًّا. خاصَّة وأنَّهم يجدون أنفسهم في جوٍّ إقليميّ شديد الخطورة تتفكَّك فيه الدول في العراق وسوريا وليبيا واليمن وتتعرَّض فيه الأقليَّات والأكثريَّات على أنواعها لاضطهادات مُرعبة على يد الجماعات الإسلاميَّة المتطرِّفة والتكفيريَّة.

على ضوء هذه المعطيات علينا قراءة التصريحَين الصحافيَّين للعماد ميشال عون –قبل انتخابه رئيسًا– في حزيران 2015 حيث يُعبّر بوضوح على أنَّ العلمانيَّة هي النظام الأمثل للبنان. غير أنَّ عدم استعداد اللبنانييّن لهذا الخيار، وتعنُّت التيَّارات الإسلاميَّة السياسيَّة برفض مبدأ المناصفة الفعليَّة بين المسلمين والمسيحيِّين في النظام ربما سيدفعان بالمسيحيّين إلى المطالبة باللامركزيَّة الموسَّعة وصولًا إلى الفدراليَّة[92]. هذان التصريحان يجب عطفهما على ورقة إعلان النوايا بين التيَّار الوطني الحرّ وحزب القوّات اللبنانيَّة التي تنصّ في مادتها الرابعة عشر على «اعتماد اللامركزيَّة الإداريَّة والماليَّة الموسَّعة ونقل قسم كبير

---

[91] - جان عزيز، «**رئاسة الجمهورية: نحو الشراكة الحقيقية**»، محاضرة في مركز عصام فارس، سن الفيل، 22 تشرين الأول 2014.

[92] - مقابلةٌ مع العماد ميشال عون، **الجمهورية**، 19 حزيران 2015.

من صلاحيَّات الإدارة المركزيَّة ولاسيَّما الإنمائيَّة منها إلى سلطات لامركزيَّة مُنتخبة وفقًا للأصول وتأمين الإيرادات الذاتيَّة اللازمة لذلك»[93]. ومن المعلوم أنَّ حزب القوّات ليس ببعيدٍ عن فكرة الفدراليَّة منذ أيَّام الرئيس بشير الجميّل وصولًا إلى ترؤس السيّد سمير جعجع حزب القوّات اللبنانيَّة. ولم يكدّ يمرّ أسبوعان على كلام العماد عون حتى صرّح السيّد سامي الجميّل في تموز 2015 عند تسلّمه رئاسة حزب الكتائب بفشل الدولة المركزيَّة في لبنان وأنَّ الحلّ الوحيد لن يكون سوى اعتماد النظام الاتحاديّ[94] –أي الفدراليّ– شكلًا جديدًا لإدارة الدولة اللبنانيَّة. بهذا تكون الأحزاب المسيحيَّة الثلاثة الرئيسيَّة في البلاد قد خرجت صيف العام 2015 بخلاصةٍ موحّدة مفادها أنّ الفدراليَّة أو النظام الاتّحاديّ هو مطلبهم الضمنيّ.

ربما يكون رئيس تيَّار المستقبل، الرئيس سعد الحريري قد أدرك هذا التوجُّه المسيحيّ (وربما قيادة حزب الله أيضًا). وربما كان هذا أحد أهمّ الأسباب التي دفعته – إضافة إلى أسبابٍ أخرى معروفة وغير معروفة– بعد رفضٍ طويل، إلى تبنّي ترشيح العماد عون للرئاسة الأولى، والقبول بتسويةٍ ثلاثيَّة الأبعاد تجمع ما بينه وبين التيَّار الوطني الحرّ وحزب الله. إنَّ هذه التسوية التي أُعلِن عنها أواخر صيف 2016 والتي أتى بموجبها العماد عون رئيسًا للجمهوريَّة اللبنانيَّة هي التي أعطت اتّفاق الطائف الأوكسجين الكافي ليستمرّ بالحياة. أمّا ما بعد سقوط هذه التسوية والانهيار التام الحالي الحاصل، السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا سيبقى من الطائف؟

بالتوازي مع هذا، هناك حراك مدنيّ–شعبيّ أيضًا انطلق العام 2011 تحت شعار "إسقاط النظام"، وتوضّحت ملامحه صيف 2015، حراك كان مطلبه الأساس إسقاط النظام الطائفيّ وبناء الدولة العلمانيَّة.

---

[93] - «ورقة إعلان النوايا بين التيار الوطني الحرّ والقوات اللبنانية»، **النهار**، 2 حزيران 2015.

[94] - خطاب سامي الجميل عند تسلمه رئاسة الحزب، http://party.kataeb.org/detailssi.php?id=2831، 7 حزيران 2015.

ولم يترافق هذا الحراك بمطالب شعبيَّة فحسب، بل بمحاولات لتشريع الزواج المدنيّ في لبنان وشطب القيد الطائفيّ عن سجلّات النفوس. ثم كان 17 تشرين الأوَّل 2019 حيث انفجر اللبنانيُّون بوجه أطراف السلطة جميعًا تحت شعار "كلّن يعني كلّن".

يبقى لافتًا، رغم كلّ هذا المخاض، ورغم كلّ هذه المسار التاريخيّ الذي فيه من الخيبات بقدر ما فيه من الآمال والتحدّيات، بقيَ لبنان الكبير صامدًا –هذا البلد الذي وصفه كثيرون بالخطأ التاريخيّ وبالكيان الاصطناعيّ– وها هو يحتفل بمئويّته الأولى. أمرٌ صادم حقًا، كيف استطاع هذا الكيان أنْ يمارس سحره على الأفرقاء الداخليّين والخارجيّين حتى يومنا هذا. لماذا يستمرّ اللبنانيَّون في العودة إلى هذا الكيان رغم كلّ خلافاتهم؟

نحو مئويَّة جديدة: أيّ نظام سياسيّ لأيّ لبنان؟

في افتتاحه السنة الاحتفاليَّة بمئويَّة لبنان الكبير خَتَمَ الرئيس ميشال عون كلمته بالتالي: «لبنان الكبير نريده لمئة سنةٍ أخرى، ولألف سنة، بلد الإشعاع، والحريَّات، وتفاعل الحضارات، والديمقراطيَّة، والابتكار، والتنوّع، وأرض الإيمان والتراث»[95].

كيف يمكن أنْ نحافظ على لبنان لمئة سنةٍ أخرى؟ وما الفكرة الأمّ التي نحتاج إليها لوضع أسُس لبنان الجديد القادر على مواجهة تحدّيات المئويَّة المقبلة؟

[95]- مساء يوم السبت 31 آب 2019.

قد يكون واقع أنَّ لبنان يُشكّل مساحة للحريَّات وللقاء بين «العائلات الروحيَّة» المتنوّعة في المشرق والفضاء العربي هو ما يعطيه الدور الحضاريّ الذي كان علّة وجوده. السؤال الكبير الذي يُطرح هنا: هل لا يزال لبنان فعلًا صاحب دورٍ حضاريّ؟ هل لا يزال يُشكّل نموذجًا يُحتذى؟ لا بل هناك اليوم أسئلة أكثر بديهيَّة من مثل: هل هو قادر على الاستمرار مئة سنة أخرى؟ هل لا يزال يتمتّع بمقوّمات البقاء والازدهار والإشعاع ليكون له هذا الدور؟ كثيرون باتوا مُقتنعين بأنَّ لبنان كما يُقدّم نفسه اليوم ليس قادرًا على البقاء. وإنْ بقيَ فلن يكون نموذجًا للدور الحضاريّ بل للدولة الفاشلة حيث يعمّ الفساد والتخلّف والانحطاط والفقر والبؤس والاقتتال.

ربما يكون أكثر ما يحتاجه لبنان اليوم هو هذه «الفكرة الأمّ» (Idée matrice) التي تكون قادرة في آنٍ على إخراج لبنان من المستنقع القابع فيه منذ العام 1969 وعلى إنارة مسيرته نحو المئويَّة المقبلة.

عددٌ مهمّ من التيّارات اللبنانيَّة[96] ومن المُفكّرين اللبنانيّين، من مثل ناصيف نصّار، يُعبّرون عن قناعتهم بأنّ الحلّ الأجدى يتمثّل بالعلمانيَّة. الأطروحة المقابلة لها تقول إنّه يستحيل تطبيق علمانيَّة – بحسب النموذج الغربي– في مجتمعٍ شرقيّ طائفيّ. ما الحلّ إذًا؟

دفعت هذه الجدليَّة عددًا من المفكّرين لطرح السؤال التالي: أيّ علمانيَّة لأيّ لبنان؟ الغرابة في مسألة العلمانيَّة أنّها تبدو، من جهة، الجواب الأصحّ والأوضح لأزمة لبنان وحتّى أزمات كلّ مجتمعات دول الفضاء العربيّ، والمدخل إلى الحداثة والمستقبل والاستقرار والازدهار، ومن جهة ثانية، مستحيلة التطبيق لرفض

[96]- مثل التجمّع الديمقراطي العلماني في لبنان (انظر نشرة **لنبدأ**)، ومنظّمة العمل الشيوعي الذاهبة باتّجاه اعتماد العلمانية جزءًا أساسيًا من مشروعها النضالي ومن اسمها الجديد: انظر **المؤتمر العام الرابع، منظّمة العمل الشيوعي في لبنان، من أجل حزبٍ يساري ديمقراطي علماني، من أجل حركة علمانية ديمقراطية لبنانية وعربية**، منظّمة العمل الشيوعي، بيروت، تشرين الثاني 2018.

المجتمع الشرقيّ–العربيّ لها لأسبابٍ دينيَّة وثقافيَّة. كان ثمة رأي هنا يقول إنَّ علينا تجاوز هذا الصراع الجدليّ باتّجاه «علمانيَّة» تكون نابعة من تراثنا ومعاناتنا وثقافتنا ومتوافقة مع البُنى المجتمعيَّة المشرقيَّة العربيَّة.

ثمة من ذهب باتجاه القول بـ«الدولة المدنيَّة». غير أنَّ هذا التعبير يُعَدّ نوعًا من المواربة لأسباب عدّة: منها أنّه مصطلحٌ غامضٌ وحمّالُ أوجه، ولا يعبّر إلّا عن حالة هرب من العلمانيَّة باتّجاه مفهومٍ يُلغي الطائفيَّة السياسيَّة ليُبقي على الأشكال الأخرى من الطائفيَّة من مثل الطائفيَّة الاجتماعيَّة والقانونيَّة والتربويَّة والثقافيَّة. هذا الأمر لن يكون إلَّا تجهيزًا لمرحلةٍ جديدة من الصراع الدامي في لبنان ما بين عائلاته أو جماعاته الطائفيَّة التاريخيَّة حول المشاركة في السلطة السياسيَّة. الأخطر من هذا الأمر هو أنَّ تعبير «المدنيَّة» إنّما هو اختراع الإسلام السياسيّ –لاسيّما الممثَّل بتيَّار الإخوان المسلمين– وهو تعبير حقّ يُراد به تكريس إسلاميَّة الدولة. بعض المفكّرين كان أكثر جذريَّة في طرحه، من مثل مشير باسيل عون الذي دعا جهارًا في كتابه أهؤلاء هم اللبنانيّون؟[97] إلى علمانيَّة، لا تكون قاهرة بل «هنيَّة».

في كتابي الذي أصدرته في العام 2017 عن دار سائر المشرق والذي عَنْوَنتُه علمانيَّة من عندنا[98] حاولتُ أنْ أظهرَ للقارئ اللبنانيّ والمشرقيّ والعربيّ كيف أنَّ مفكّرين لبنانيّين نجحوا من على منبر «الندوة اللبنانيَّة» (1946–1984) في بَلْوَرَة نموذجٍ علمانيّ سمّيتُه «من عندنا» تُحاكي البُنى المجتمعيَّة والفكريَّة في لبنان والمشرق. وهو نموذج يقوم على «التمييز» لا «القطع» بين الدينيّ والسياسيّ، أو بين الدين والدولة.

---

[97] - مشير باسيل عون، **أهؤلاء هم اللبنانيّون؟ عوارض الاضطراب البنيوي في الذات اللبنانية**، بيروت، دار سائر المشرق، 2016.

[98] - أمين الياس، **علمانية من عندنا**، بيروت، دار سائر المشرق، 2017.

قبل هاتَيْن المحاولتَيْن، كان البابا بنيدكتوس السادس عشر في ورقةٍ تحضيريَّة للسينودس الخاصّ بكنائس الشرق الأوسط (2012) صادرة في حزيران 2010، قد دعا المسيحيّين الكاثوليك في الشرق الأوسط إلى «التعاون مع المسيحيّين الآخرين والمفكّرين والمُصْلِحِين المسلمين لتعميق مفهوم العلمانيَّة الإيجابيَّة في الدولة» (الفقرة 25) رابطًا إياها بـ"حرية الضمير" أي أنْ يكون «الفرد حرًّا في أنْ يؤمن أو لا يؤمن» وأنْ يكون حرًّا في تغيير ديانته.

هناك إذًا مسار فكريّ يُقدّم مشروع «فكرة أُمّ» تقوم على «علمانيَّة إيجابيَّة، رحبة، هنيَّة، من عندنا». لكن يبقى هناك أمرٌ ناقصٌ في هذا المسار يعكسه السؤال التالي: كيف نوائم بين حقوق الجماعات (التي هي في لبنان وفي المشرق جماعات تاريخيَّة ثقافيَّة طائفيَّة) وحقوق الأفراد؟

تقوم العلمانيَّة نظريًّا على محوريَّة المواطن–الفرد دون الاعتراف بالجماعات. لكنّ الجماعات في شرقنا واقعٌ تاريخيٌّ ثقافيٌّ طائفيٌّ يعود إلى مئات بل آلاف السنين. هل يُمكننا إلغاء هذا الواقع بشحطة قلم؟ بالطبع لا. إذًا علينا التفكير بعلمانيَّة لا تنفي البُعد الجماعي (من جماعة) من تكوينها. هنا يأتي مفهوم «الشخص».

ما هو مفهوم الشخص؟ إنّه مفهوم طوَّرته الفلسفة الشخصانيَّة (Le personnalisme) في فرنسا أوائل القرن العشرين مع المفكّر الفرنسيّ إيمانويل مونييه (1905–1950) [99]. بحسب هذا الأخير يتكوَّن «الشخص» من عمليَّة مواءمةٍ ما بين أبعادٍ ثلاثة: البُعد الفرديّ والبُعد الجماعيّ والبُعد الروحيّ. فإذا كانت العلمانيَّة التي نريد في لبنان وفي المشرق قائمة على محوريَّة الشخص، فإنّه يجب أنْ تأخذَ في الاعتبار

[99]- Emmanuel MOUNIER, *Le Personnalisme*, Paris, PUF, 2009.

هذَين البُعدَين في تدابيرها على ألّا تَتَخلَّى في الوقت عينه عن أهمّ مُشتَرَكَيْن تَتَشَارَكهما كلُّ الأشكال العلمانيَّة العالميَّة وهما: احترام حريَّة الضمير لكلّ مواطنٍ بما تعنيه هذه الحريَّة من حريَّة الإيمان والاعتقاد والعبادة وتغيير الدين والتبشير وممارسة الدين فرديًّا أم جماعيًّا؛ والمساواة الكاملة بين جميع المواطنين.

لماذا «العلمانيَّة الشخصانيَّة»؟ لأنّها برأيي ربما تمثّل حلًّا لأزمتنا العميقة لا في لبنان فحسب بل في جميع مجتمعات الفضاء العربيّ. فبهذه العلمانيَّة نكون قد أعدنا الاعتبار إلى الفرد كقيمةٍ بحدّ ذاته، ونكون في الوقت عينه قد حافظنا على الحقوق الأساسيَّة للجماعات. إنَّها الأرضيَّة التي تسمح بالحفاظ على التنوّع الدينيّ والطائفيّ في لبنان والمشرق، فلا تكون قاهرة لها، وفي الوقت عينه، تُحرّر الفرد–الشخص –الذي هو المواطن– من طغيان هذه الجماعة، فتكون له الحريَّة بأنْ يؤمن بما يشاء ويعيش كيفما يشاء وأينما يشاء ووفق نمط العيش الذي يختاره.

من ناحيةٍ أخرى، تُمثّل هذه العلمانيَّة الشخصانيَّة أرضيَّةً مشتركة للتعاون بين مفكّرين ومتنوّرين مسيحيّين ومسلمين ومُلحدين ولاأدريّين لكي يُبَلْوروا نموذجًا جديدًا للعيش قد تستفيد منه كلّ مجتمعات الفضاء العربيّ.

من يُمكنه أنْ يلعب هذا الدور في أخْذ الإسلام نحو الحداثة والإصلاح أكثر من مسلمي لبنان المتنوّرين بالتعاون مع مسيحيّيه ولِمَ لا مع ملحديه ولاأدريّيه؟ أليس لبنان هو المساحة الأفضل والأسلم لإطلاق ورشة إصلاحٍ دينيّ مسيحيّ–إسلاميّ؟ أليست العلمانيَّة الشخصانيَّة الرحبة الهنيَّة –ضمن هذا الإطار وهذا المشروع– هي الأرضيَّة الأفضل التي تؤدّي إلى استقرار العلاقات بين الجماعات ما يلغي التوتّر الدائم القائم بينها ويدفعها إلى الحوار العميق؟

«إنَّ عُمْق أزمتنا في لبنان وفي كلّ مجتمعات الفضاء العربيّ أنَّنا نعيش في حالة من «اللاتاريخيَّة»[100]. لا أزال أذكر مقولة المفكّر الإسلامي الراحل جمال البنّا عندما قابلتُه في مكتبه في القاهرة في نوّار من العام 2010 حين قال لي بما معناه: نحن الشرقيّون والمسلمون نعيش في منظومةٍ فكريَّة تعود إلى القرن العاشر ميلادي. ولا أمل لنا إلَّا بتطوير هذه المنظومة الفكريَّة القرنوسطويَّة التي تميل إلى النقل والغيبيَّات والمطلقات أكثر مما تميل إلى العقلانيَّة والتاريخيَّة. هنا بالذات تأتي العلمانيَّة الشخصانيَّة لتنقلنا إلى مرحلة تُمَكّننا من تطوير منظومتنا الفكريَّة.

هذه، لعُمري، هي صرخةٌ موجَّهة إلى كلّ من يعنيه الإنسان في هذه المنطقة من العالم. العلمانيَّة الشخصانيَّة قد تكون التدبير الأسلم من أجل التلاقي الإنسانيّ في لبنان وفي مجتمعات الفضاء العربيّ. فيها سيتشجّع المسيحيُّون على العودة إلى الانخراط في قضايا مجتمعاتهم الشرقيّة وشؤونها فاعلين ومؤثّرين فيها لا مهمَّشين، وإلى الثبات في هذه الأرض لا أنْ ينتظروا تهجيرهم على يد موجةٍ جديدة من اللااستقرار والفقر والبؤس والحروب والحركات المتطرفّة دينيًّا. هذه العلمانيَّة هي التي ستطمئنهم إلى حاضرهم ومستقبلهم المشترك مع المسلم والملحد واللاأدري. هي التي ستدفعهم إلى استعادة الدور الذي لعبوه في تاريخ هذه المنطقة وخاصَّة إبَّان مرحلة النهضة العربيَّة ولمخاطبة الشريك الآخر المسلم بلغة العيش المشترك معه على قاعدة الحداثة والحريَّة والتعدديَّة والديمقراطيَّة والمواطَنة والاعتراف المتبادل، مُدركين أنَّ لا أمل لهم ولا معنى لوجودهم هنا إلَّا من خلال العيش الكريم مع المسلم؛ عيشًا يكون كريمًا لهم وللمسلم. لكنّ هذا العيش لن يكون عزيزًا إلَّا على قاعدة منظومةٍ فكريَّة حديثة. هذا بالذات ما سيسعون إلى بنائه مع المسلم من خلال

[100]- هذا هو الوصف الذي أطلقه المفكّر اللبناني حسين مروة (1910-1987) على «الفكر العربي-الإسلامي»، لمزيدٍ من الاطلاع على فكر مروّة انظر لطيف الياس لطيف، «حسين مروّة (1910-1987) الماركسية والتراث الفلسفي العربي-الإسلامي»، **الفكر الفلسفي المعاصر في لبنان**، تحرير مشير باسيل عون، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص. 73-99.

حوارٍ خلَّاق، عميق، بنّاء، محترم، محبّ، تُطرَح فيه الإشكاليَّات الموجودة كما هي من دون مجاملات ولا تكاذب؛ حوار يخرج بتصوُّرات مُشتركة يُبنى على أساسها الإنسان اللبنانيّ والمشرقيّ. تصوُّرات تكون أساس المنظومة الفكريَّة الجديدة والحديثة. منظومة إنسانيَّة عقلانيَّة لا طابع دينيًّا لها. منظومة تُخرجنا من جدليَّة دار الإسلام ودار الكفر ودار الحرب ودار السلم. منظومة تأخذ أفضل ما في القيم المسيحيَّة والقيم الإسلاميَّة وتُهمل ما لا يفيد اليوم حتّى ولو كان موروثًا من السلف. منظومةٌ تُحرّر إنسان منطقتنا الحالي من ثقل تراثٍ «مُقدَّس» بات يأخذنا إلى الوراء أكثر ممَّا يدفعنا إلى الأمام. منظومةٌ تُحرّر الإنسان من كلّ شريعةٍ سلفيَّة، وتفصل الدين عن أوجه الحياة العامَّة جاعلة منه خيارًا شخصيًّا حُرًّا، وتفصله أيضًا عن التشريع الذي يجب أنْ يكون وضعيًّا مدنيًّا عقلانيًّا إنسانيًّا يُلائم حاجات إنسان اليوم وكرامته وقيمته بغضّ النظر عن جنسه وجندره ودينه ولغته ولونه وأصله وثقافته ونمط عيشه. منظومةٌ تبني «وطنيَّة لبنانيَّة إنسانيَّة» يكون فيها الانتماء الأوَّل للبنان الوطن والنموذج والرسالة الإنسانيَّة، على أنْ تكون انتماءات اللبنانيّين الأخرى ثانويَّة لا تعلو على الانتماء للبنان. فالمسلم في لبنان –سنيًّا كان أم شيعيًّا– مدعوّ إلى حسم الصراع الذي يعتريه في ما خصّ انتمائه، بحيث يخرج من دوامة الضياع التي تمزّقه ما بين انتماءٍ وطنيّ (لبنان)، وانتماءٍ قوميّ (العروبة)، وانتماءٍ دينيّ (الأمَّة الإسلاميَّة –أكانت بنموذجها السُنّي، أو بنموذجها الشيعيّ). هو مدعوّ ليفصل بين انتمائه السياسيّ للبنان وانتمائه إلى الأمَّة الإسلاميّة التي يرى أحيانًا تعويضًا عنها في عروبةٍ وهميَّة. فالانتماء الأوّل هو انتماء سياسيّ ووطنيّ قائم على العقد الاجتماعيّ مع الشريك الآخر، أمَّا الانتماء الثاني فهو دينيّ، وجدانيّ، روحيّ لا بُعدَ سياسيًّا له. من هنا ضرورة تحرّره من هذا المخيال الديني، الذي بناه الإيديولوجيّون الإسلاميّون والذي يشكّل له عائقًا لبناء وطنٍ تعدّديّ لا صبغة دينيَّة أو طائفيَّة له. وإنّي لمقتنع أنَّ هذا الأمر مرتبط بإرادة المسلمين وخيارهم. فالتحرّر من الإرث الثقيل رهن بقرارٍ يتّخذه الإنسان: إمَّا أنْ

يبقى أسيرًا للتراث السلفيّ الأسطوريّ اللاتاريخيّ، وإمَّا أنْ يُقرّر التحرُّر ممّا هو غير مفيد في هذا التراث، فيعتمد العقلانيَّة نهجًا ويكون بالتالي قادرًا على تحقيق ذاته اليوم وفي المستقبل، وعلى صناعة الإنسان الجديد. وإنَّي لمقتنع –على غرار ما قاله في العام 1965 من على منبر الندوة اللبنانيَّة الأب يواكيم مبارك (1924–1995)[101]– بأنَّ الكثير من المسلمين باتوا جاهزين للخطو باتجاه الانعتاق من أسر الإسلام السياسيّ ومن شعار أنَّ الإسلام دين ودولة. دليل ذلك أنَّ عددًا مهمًّا من المفكّرين اللبنانيّين المسلمين قد نادوا بالعلمانيَّة بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، من مثل حسن صعب، ومهدي عامل وعادل ضاهر وغيرهم.

أمَّا العروبة، فهي لا تقوم إلَّا على الرابطة الحضاريَّة واللغويَّة. أمَّا بُعدها السياسيّ، فإنْ كان يُؤمل تحقّقه، فلن يكون إلَّا بعد مرحلة نجاح النموذج الوطنيّ وتطوّر مستوى المواطن–الفرد–الشخص. فاتّحادٌ عربيّ بهذه الضخامة لا يمكن أنْ يتحقّق في عالم اليوم إلَّا على أساس العلم والحداثة والعولمة وحقوق الإنسان، كلّ إنسان، وفصل الدين والفقه عن الدولة، والحريّات –لاسيَّما حريَّة الضمير منها– والديمقراطيَّة وتداول السلطة، والمواطَنة، والاقتصاد الحرّ الضامن في آن للرفاهيَّة وللعدالة الاجتماعيَّة وللمساواة الكاملة.

المسيحيّ بدوره مدعوّ أيضًا إلى الخروج من فكرة أنَّه «أقليَّة» في هذا المشرق والاتّجاه إلى رحاب المواطنيَّة. هذه الفكرة الأقلويَّة التي تدفعه عادة إمَّا إلى التمسّك بالحالة الراهنة في وطنه وعدم المخاطرة بالذهاب نحو آفاق جديدة بالشراكة مع المسلم، وإمَّا إلى السعي الحثيث والمدروس للهجرة إلى بلدانٍ حيث تحقّق فيها الاستقرار والحداثة وبحبوحة العيش. ولا ضير هنا من ذكر النصّ السياسيّ للكنيسة المارونيَّة الوارد في المجمع البطريركيّ المارونيّ، الصادرة أعماله في العام 2006، والذي يُعَدّ أوَّل وثيقة تاريخيَّة لإحدى طوائف الشرق ولبنان تطالب علنًا وصراحة بدولةٍ يُعتمد فيها مبدأ «التمييز الصريح، حتى حدود

[101]- يواكيم مبارك، «أضواء وتأملات»، **محاضرات الندوة**، 19(1965) 8-11، بيروت، ص: 166-192.

الفصل، بين الدين والدولة، بدلًا من اختزال الدين في السياسة، أو تأسيس السياسة على منطلقات دينيَّة لها صفة المطلق»[102]. إنَّها إقرارٌ بضرورة تخطِّي الطائفيَّة وعودةٌ إلى فكرة «التمييز» التي تفصل الممارسة السياسيَّة عن الدين ومطْلَقاته. هذا التمييز قادر على التوفيق بين كون اللبنانيّين مواطنين لبنانيّين مدنيّين علمانيّين، وكونهم ينتمون أيضًا إلى عائلات روحيَّة متنوّعة.

المسيحيّ مدعوّ أيضًا ليلعب دوره ابنًا أصيلًا لهذه الأرض –وهو الابن الأصيل لها– فيخاطب الآخر وفق إرادة العيش معًا على قاعدة الأخوّة والمساواة. ليس مسموحًا في عصرنا هذا أنْ يكون الإنسان المسلم بنظر الإنسان المسيحيّ هذا «الغريب». إنَّ دعوة «الحبّ» عند المسيحيّ ليست ترفًا. من هنا، واجبه يقضي ببناء علاقةٍ مع المسلم على أساس هذا «الحبّ». فالمسيحيّ كالمسلم، كالملحد، وكاللاأدريّ هم كلّهم أبناء هذه الأرض الرحبة يتشاركون معًا الأزمات والمآسي نفسها. كلّهم يعانون على السواء، يهاجرون على السواء،يُقتَلون على السواء. لكنّهم من ناحية ثانية، كلّهم يحلمون بالعيش الكريم على السواء. وإنّني على يقين أنّهم كلّهم يحلمون ببناء وطن يليق بالإنسان الحرّ.

***

في الخلاصة، لا فضاء أرحب وأفضل وأسلم وأهنأ من الفضاء الذي يمكن أنْ تُوجِدَه العلمانيَّة الشخصانيَّة من أجل القيام بهذا الحوار الخلّاق.

---

[102]- **المجمع البطريركي الماروني، النصوص والتوصيات**، الملفّ الثالث «الكنيسة المارونية وعالم اليوم»، النصّ 19 «الكنيسة المارونية والسياسة»، المقطع 44-45 «في بناء دولة ديمقراطية حديثة»، بكركي، 2006، ص. 721.

وفي هذا النموذج بالذات ستَكمن ثورة لبنان الحضاريَّة، تلك الثورة التي يقوم بها الكلّ من أجل الكلّ على حدّ تعبير المفكّر رنيه حبشي. فهل سيكون لبنانيُّو المئويَّة الجديدة على قدر هذه المسؤوليَّة الوجوديَّة والحضاريَّة

الأستاذة محاسن نجم

مراكز الأبحاث بين النخبوية والرصانة العلمية (مراكز للتفكير أم مؤسسات للثقافة

اذا كانت بداية استحداث المراكز البحثية قد بدأت في أوروبا ، وتحديداً في بريطانيا ، في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، الا ان سبعينيات القرن الماضي شكّلت بداية العصر الذهبي لهذه المراكز، حيث اخذت في التزايد ووصلت الى اوجها عام 1996 بمعدل ولادة 160 مركزاً للتفكير في العام الواحد. وهذا الإهتمام مرده الى سعي المجتمعات لتأسيس الأطر التي تحفظ منجزاتها في شتى فنون المعرفة، وإيجاد المؤسسات التي تدفع إلى تحسين مستوى اتخاذ القرارات. وبالتالي تصبح المراكز البحثية بمثابة المرآة الحقيقية التي تعكس اهتمام الأمم والشعوب بالعلم والمعرفة واستشراف آفاق المستقبل لمجتمعاتها ، وتتحول الى خزانات للتفكير تحاكي قضايا المجتمع ومشاكله وتعمل على إيجاد الحلول لها.

ان نجاح المراكز البحثية يرتبط بمدى قدرتها على تحليل قضايا المجتمع وتفسيرها، ما يسمح لصاحب القرار باتخاذ المواقف المناسبة وعدم الركون إلى التوصيف، ورصد المعلومات، أو ممارسة نوع من الخطاب النخبوي . فالحكومات الغربية تستشير بشكل متواصل مراكز الدراسات والأبحاث وتطلب خدماتها في مختلف المجالات. فالولايات المتحدة الأمريكية تعتمد بشكل مباشر على مؤسسات بحثية متعددة وتعطي دروساً في السياسة الخارجية ليس لبلادها وحسب، بل لبلدان المركز في العالم. فمؤسسة راند مثلا التي تخصص لها ميزانية ضخمة، تهتم بدراسة ظاهرة الصحوة الاسلامية وتعمل على تعزيز وإرساء مفهوم الاسلام المدني الديمقراطي الذي يلتزم بمنع صدام الحضارات.

اما المراكز البحثية في الوطن العربي ، فعلى الرغم من الحاجة الماسة لها ، الا أنها لا تعدو بمعظمها مؤسسات ثقافية تهتم بنقل المعرفة دون إنتاجها.

اشكالية انشاء المراكز البحثية بين النظرية والممارسة

اولا: مقاربة نظرية:

تعود اهمية انشاء المراكز البحثية الى ما يمثله البحث العلمي من مظاهر التقدم والتطور لكل بلد . فالجامعات تقاس بقدر ما تقدمه من بحوث علمية، وبقدر ما تحتويه من كفاءات علمية وتقنية، الأمر الذي يحوّل مراكز الأبحاث الى خزانات للتفكير وأداة لاستنهاض قوى المجتمع لتطويره وتقدمه. وهذا ما اعلن عنه شيمون بيريز بقوله : " ان النصر لا يصنع على جبهة الحرب بل في أروقة الجامعات" . فماذا يعني مركز البحوث وما هي أوجه الإختلاف بينه وبين المؤسسات الثقافية؟

- يسعى مركز البحوث لدعم البحوث العلمية والعناية بها وتنظيمها ونشرها وتطويرها لتحقيق الفائدة العامة لخدمة المجتمع. اما المؤسسات الثقافية فهي التي تمارس نشاطات ثقافية ، ما يجعلها موضع اهتمام من قبل أهل السياسة وتطلعاتهم لاستيعابها واختراقها لجعلها تعبر عن توجهاتهم الايديولوجية. عادة ما تكون أبواقا للسلطة، ولا ترمي الى العلمية والموضوعية أسوة بمراكز البحوث والدراسات.

واذا كانت المراكز البحثية تشكّل دوراً اساسياً في بنية المجتمع السياسية والاقتصادية والثقافية ، فان ذلك يطرح تساؤلات حول دورها الفعلي في الوطن العربي، مقارنة بالدول الغربية. فهل الدول العربية بحاجة الى هذه المراكز؟ وبالتالي هل بإمكانها المساهمة في تغيير بنيوي في المجتمع؟ وهل أضافت المراكز القائمة بعض المعارف حول المجتمعات العربية واستشرفت بعض الحلول لمشاكلها؟(قضية الديمقراطية، الفساد، تبادل السلطات...).

صحيح ان المراكز البحثية في المجتمع العربي لم تستطع إحداث تغيرات جوهرية على مستوى القضايا التي تواجه المجتمع لأسباب متعددة تتعلق بشكل أساسي بتبعية معظم هذه المراكز للنظام السياسي وارتباطها به مالياً وايديولوجياً. الا أن ذلك لا ينفي الحاجة الماسة لمراكز بحثية في الوطن العربي تعتمد على البحث العلمي الجاد والرصين للأسباب الآتية:

1- تزاحم المشكلات الداخلية التي تواجهها المجتمعات العربية وبخاصة في ما يتعلق بقضايا الفساد على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
2- تزايد الضغوط الخارجية في ظل غياب التضامن العربي

3- التبدل الكبير في طبيعة النظام الدولي ما يستوجب رصد التحولات العالمية وفهمها من منظار المجتمع المحلي.

4- دور المراكز البحثية في العلاقات الدولية (أول باحث عربي أسس أول مركز يعنى بشؤون الشرق الأوسط هو البروفسور العراقي مجيد خدوري 1908 -2007 ، اختارته الحكومة العراقية عضواً في المؤتمر التأسيسي للأمم المتحدة عام 1945).

5- تدني عدد الباحثين العرب اذ لا يتجاوز عددهم عدد الباحثين في دولة أوروبية وقد بلغ عدد مراكز الأبحاث في العالم 7815 مركزًا بحثيًا، نصيب الولايات المتحدة 1872 مركزا عام 2107 تلتها الصين ثم بريطانيا والهند، أما في العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط يقل وجود هذه المؤسسات، لا سيما في الدول التي تعيش اضطرابات سياسية وحروبًا، حيث بلغ عددها 497 مركزًا، تأتي (اسرائيل) في المركز الأول 62 مركزاً العلمي بحيث لا تزيد على 0.8% من الدخل القومي كحد أقصى، في حين تنفق "إسرائيل" 3.93% من إجمالي ناتجها المحلي لتمويل الأبحاث العلمية.

6- انخفاض معدل إنتاجية الباحثين العرب بحيث تشكل 10% من معدل إنتاجية الدول المتقدمة.

7-انخفاض معدل براءات الإختراع العربية المسجلة في الولايات المتحدة الأمريكية حيث بلغت في نهاية عام 2015 حوالى 2900 براءة اختراع. في حين سجلت "اسرائيل" 35900 براءة اختراع للفترة نفسها، أي ما يزيد على 12 ضعفاً من عدد البراءات الممنوحة للعالم العربي بأسره.

8- تزايد نسبة هجرة الباحثين الى الخارج ، اذ أن اكثر من 35% من الكفاءات العربية في الخارج (وصل العدد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها الى 6560 باحثاً ومتخصصاً يتوزعون على مراكز التفكير والدراسات)

ان انخفاض هذه النسب يؤثر سلبا في الإنتاجية العلمية ويشير الى ضعف الدول العربية في مجال البحث الذي يشكل بداية الطريق نحو النهوض العلمي. ويشير أيضاً الى الحاجة لاستقرار سياسي واقتصادي واجتماعي الذي يشكل مدخلاً للتطور الحضاري البنّاء.

إن مواجهة هذه التحديات لا تتم الا من خلال عمل جماعي تتضافر فيه جهود ذوي الكفاءات والخبرة في مركز علمي يعتمد على تقنيات عالية في البحث والتطوير.

ثانيا: مقاربة لوجستية:

تعتمد هذه المقاربة على المنطلقات العملية بإعتمادها على الرؤيا العلمية ، حيث تأخذ ابعاداً متعددة أهمها:

1- **تحديد فكرة المشروع:** اي الإتجاه الفكري الذي يعتمده المركز (تنموي، سياسي، اقتصادي، الحكم الصالح ، الفساد ، الديمقراطية ...) بمعنى آخر التوجهات الرئيسة التي ينطلق منها صاحب المشروع.

2- **أهداف المشروع:** إن لم يكن المركز مبتكراً ومجدداً او مقدماً الحلول للمشاكل الاجتماعية في المجتمع المحلي والمحيط، فليس لوجوده معنى ولا مبرراً . من هذا المنطلق يقتضي تحديد اهداف المركز بشكل دقيق بحيث تأخذ اتجاهين رئيسيين:

الأول:أهداف عامة : تحقيق أرباح ، تحقيق مركز اجتماعي، تنمية المجتمع، معالجة المشاكل الاجتماعية المحلية من منظور محلي، (قطاع عام ام خاص)

الثاني: أهداف متخصصة: يمكن توزيعها على الشكل الآتي:

أ- ارتياد عالم الإنتاج الفكري والإبتكار.

ب-رصد المشكلات المحلية.

ت-إحصاء الخدمات المتوافرة(بشرية ومادية وطبيعية)

ث-الخروج من دائرة التبعية الفكرية والبحثية (الشائع ان الدول المتقدمة تشتري المواد الخام من الدول النامية بأسعار مخفضة وتصنها لتبيعها بأسعار عالية ، ما يعني ان سعر استيراد الأفكار وبراءات الاختراع يكون غالياً ومكلفاً).

ج- الإستغناء عن جهد وخدمات الآخر.

ثالثا: دراسة جدوى مشروع مركز الأبحاث: ان دراسة الجدوى هي عبارة عن جمع معلومات عن المشروع الذي يراد انشاءه ، وتحليل هذه المعلومات وفقاً لقواعد علمية ، لمعرفة امكانيات التنفيذ وتقليل المخاطر وتحقيق الأهداف المرجوة ، والتنبؤ بمدى نجاح المشروع واستمراريته. ويعتبر الإعداد للمشروع من أهم الخطوات لنجاحه ، بحيث يعتمد على التخطيط السليم الذي يضمن فاعلية المشروع ونجاحه.

وتتم دراسة الجدوى في ثلاثة اتجاهات.

رابعا: الهيكلية التنظيمية: تتكون الهيكلية التنظيمية من عدة عناصر أهمها:

1- مجلس أمناء أو مجلس الجامعة، يتكون من جميع أعضاء المركز العاملين، اضافة الى أعضاء شرف يتم اختيارهم عادة من الأعضاء السابقين للمركز، مهمته الإشراف على عمل المركز

ونشاطاته، وعليه مسؤولية تأمين موارد المركز ومراقبة إنفاقها، كما يصادق على الموازنة السنوية للمركز ويجتمع مرة في السنة او عند الضرورة، ويتخذ قراراته بأغلبية الأصوات.

2- الهيئة التنفيذية: تتألف من سبعة أعضاء ينتخبهم مجلس الأمناء لمدة اربع سنوات، وتكون مسؤولة مباشرة عن مراقبة تنفيذ البرامج المقررة سنويا، كما تتولى مهام المجلس في ما بين فترة انعقاده

3- الهيئة الادارية: مهمتها تنفيذ المهام والأنشطة ، التي تهدف الى إنجاز مشاريع المركز، ويترأس هذه الهيئة مدير تختاره اللجنة التنفيذية ويصادق على تعيينه مجلس الأمناء لمدة اربع سنوات

4- المدير

5- سكرتيرة تنفيذية

6- رؤساء أقسام (قسم الدراسات، قسم التحرير، القسم الاداري(شؤون الموظفين، المحاسبة)، قسم التوزيع،

7- مكتبة عامة

8- مكتب علاقات عامة

خامسا: مراكز الأبحاث في الجامعة اللبنانية

البحث العلمي هو نشاط تقوم به الجامعة اللبنانية، بهدف إنتاج المعرفة ونقلها وتوثيقها واستثمارها في تنمية المجتمع اللبناني، إنسانيا واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. ويحدّد قانون تنظيم الجامعة اللبنانية (رقم 67/75 بتاريخ1967/12/26) في الفصل الأول (مهمة الجامعة وأقسامها)، في مادته الأولى، مهام الجامعة اللبنانية على النحو الآتي:

"الجامعة اللبنانية مؤسسة عامة تقوم بمهام التعليم العالي الرسمي في مختلف فروعه ودرجاته، ويكون فيها مراكز للأبحاث العلمية والأدبية العالية، متوخية من كل ذلك، تأصيل القيم الإنسانية في نفوس المواطنين".

وبذلك يكون المشترع قد ربط بين البحث العلمي والتعليم، ووضعه في صلب مهام الجامعة. ما يعني أن دور الجامعة لا يكتمل بدون السعي إلى القيام بهذه المهمة. وأن البحث العلمي ليس ،فقط ،نشاطاً فردياً اختيارياً يقوم به الأستاذ الجامعي، إذا ما توفرت له الظروف، أو الدوافع، أو الحاجة الشخصية (الترفيع مثلاً)، بل هو في صلب مهام الجامعة كمؤسسة تعليمية بحثية.

غير أن اللافت ان القانون نفسه (رقم 67/75 بتاريخ1967/12/26)، إذ يحدّد بتفصيل دقيق البنية الإدارية والمالية والأكاديمية المعنية بتحقيق المهام التعليمية للجامعة، ويفصّل بدقة عمل

الكليات والمعاهد والأقسام، ومهام العمداء والمدراء ورؤساء الأقسام والموظفين في 76 مادة، يشير إلى البحث العلمي في فقرة وحيدة من المادة 43 في الفصل الخامس حول "الهيئة التعليمية" وعلى النحو الآتي:

"يمكن تكليف أفراد الهيئة التعليمية الداخلين في الملاك بأبحاث وتحريات وتحقيقات، بالإضافة إلى ساعات تدريسهم"، وفي معرض الكلام عن السنة السابعة في المادة 41: "على أن تكون الغاية الإستزادة من التخصص أو الإنصراف إلى البحث العلمي". وان عدم إعطاء الأهمية اللازمة لوضع استراتيجية تنظم عمل البحث العلمي في الجامعة جعلت منه حالة غير جديرة بإنتاج فكري يحاكي المشاكل التي تواجه المجتمع. في الوقت الذي تساهم الجامعة في دعم الأساتذة الذين يقومون بأبحاث او ينظمون المؤتمرات أكان ذلك على المستوى الفردي ام على مستوى الفرق البحثية، غير ان نتائج هذه الأبحاث تأخذ طريقها الى الحفظ في المستودعات، ناهيك عن الإستنسابية في منح الدعم لهذه الأبحاث. فعلى سبيل المثال لا يوجد في الجامعة أرشيفاً مفصلاً بالباحثين ونشاطاطهم البحثية. خصوصاً ان البحث يتوقف لدى غالبية الأساتذة عند حصولهم على الترقية الى رتبة أستاذ. كما لا يوجد في الجامعة نصاً يجبر الأستاذ على إجراء أبحاث خلال فترة خدمته في الجامعة.

1- برامج دعم الأبحاث العلمية في الجامعة اللبنانية

تقدّم الجامعة الدعم المالي واللوجستي للباحثين من خلال أربع برامج:

أ- البرنامج العام لدعم الأبحاث الأكاديمية الفردية الذي اطلق سنة 2002.

ب- برنامج دعم االفرق البحثية (1، 2، 3) الذي أطلق سنة 2008.

ج- برنامج دعم المشاريع البحثية التطبيقية ذات العلاقة بالمجتمع.

د- برنامج دعم أبحاث الإبتكار والتطوير اللذين اطلقا حديثاً عام .2012

2-المعاهد العليا للدكتوراه

تضمّ الجامعة ثلاث معاهد عليا للدكتوراه انشئت سنة 2007 لكافة اختصاصاتها:

أ- المعهد العالي للدكتوراه في العلوم والتكنولوجيا.

ب- المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية والتربوية.

ج- المعهد العالي للدكتوراه في الحقوق والعلوم السياسية والإدارية والاقتصادية.

3-المنصّات البحثية (Plateformes de Recherche):

تضم الجامعة ثلاث منصّات لتقديم الخدمات البحثية المشتركة لباحثي ومختبرات الجامعة

والقطاعات الرسمية والخاصة تعمل تحت اشراف المعهد العالي للدكتوراه في العلوم والتكنولوجيا:

أ- منصة أبحاث العلوم البيئية.

ب- منصة أبحاث علوم النانوتكنولوجيا.

ج- منصة أبحاث البيوتكنولوجيا.

4-مراكز الأبحاث:

تضم الجامعة اللبنانية سبع مراكز أبحاث :

أ- مركز الأبحاث والدراسات الأدبية في كلية الآداب والعلوم الانسانية.

ب- مركز أبحاث الحقوق والعلوم السياسية في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية.

ج- مركز الدراسات والأبحاث في المعلوماتية القانونية في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية.

د- مركز الأبحاث في معهد العلوم الاجتماعية.

هـ- مركز أبحاث العلوم التربوية في كلية التربية.

و- مركز الأبحاث في كلية الاعلام.

ز- مركز البحوث الهندسية والعلمية في كلية الهندسة.

كما تقدم الجامعة الخدمات الألكترونية للباحثين للدخول الى قواعد معلومات عالمية عبر تسهيلات الشبكة الألكترونية في كلياتها ومعاهدها كافة.

خلاصة البحث: لا شك في ان تطور المجتمع يرتكز على البحث العلمي الهادف والرصين، والذي تشكّل الإحصاءات ومعرفة الموارد المتاحة المدخل الرئيس لأي عملية بحثية ، إلا أن مراكز الأبحاث في الدول العربية لا تعتمد استراتيجية واضحة نظراً الى تبعيتها للنظام الحاكم الذي ليس من مصلحته الكشف عن الثغرات التي يمكن ان تؤدي الى زعزعته، بحيث تبقى النار تحت الرماد حتى تصل الى نقطة اللاعودة ويحدث الإنفجار. وما سمي بالربيع العربي خير دليل على هذا التخفي . أما في لبنان فإن الأبحاث التي تجرى في الجامعة اللبنانية على أهميتها أكانت من خلال الأبحاث التي يجريها الطلاب والتي بغالبيتها تعالج ظواهر اجتماعية من خلال دراسات ميدانية، أم التي يجريها الأساتذة فإنها لم تصل الى أصحاب القرار الذين بدورهم لا يولونها أهمية تذكر، وتبقى في أدراج ومكتبات الكليات الجامعية . اما مراكز الأبحاث فإنها تعاني من ضآلة الدعم المالي الذي يحول دون نشر مجلة المركز بشكل دوري ومستمر.

7- تليها ايران 61 مركزاً وتركيا 26 مركزاً. ويعود انخفاض عدد المراكز البحثية في الدول العربية الى تدني نسبة الإنفاق على البحث.

الأستاذة فاطمة بشر

A Fragrance of Welted Dreams

My dreams are rarely naturally soft, I beg them to be, but they disappoint me every time. I dream about forgotten lands wrapped around in silence. I dream of moonlight, soaked in the sun's violence. The pain that my words may reveal, well, I think you might understand, for you were with me this whole time, I know you were with me. This will forever be imprinted in my mind, and written on my soul, this, and your beautiful name, that I never learned from you. But here I am, wishing against all hope that you will remember. It was hard for me at first, although I became familiar with it, the chorus of all the unwanted severe memories, the dead past, heavy on my chest, the guilt that haunts me –why haven't I ever stopped the time to look at you for few more seconds–, slowly, dragging me out of here… I wish, you will remember this one day, even if I'm on the verge of forgetfulness.

Waves crashing and wind moaning loudly, yet alone I stood in that dim light of the moon trying to understand what's going around me. That was where I found you the first time, carving the sea rocks and enchanting the depth of the ocean to be wilder, that was my first dream where I met you. But just as I was about to catch a glimpse of you, the visions faded away, and you became a mere half–forgotten memory, with no sound, nor comfort that anyone can hold on to.

But we met again, the breeze so soft playing a melody I didn't like, the hill I was standing on was somewhere in my childhood's walls. I can never forget the basked sunlight that span in my head, those plain memories you gave me, made me dull and ashamed, oh I just wonder if things were a little different how better it'd be. But again I'm trapped in those dreams that I can never think about without feeling this burdened pain I left on my tired shoulders. The wind kept on whistling the same tune and the willow tree's leaves joined in harmony, I saw the grass turning yellow and the sky turning gray, I watched the days die and people crawl out of their graves. Looking back, I'm not sure you were there, but I saw that blank white dress and the blinding gold of your hair, I thought that were you, but no, I saw death, you weren't there.

Days kept on coming back, and I saw you every night, only glimpses of you, you were like a consolation and a nightmare at the same time. I craved you, those little moments that I knew your existence in, everything about you, the things I know, and the things that are left unquestioned. How little did I know, and how much I loved you. Cold as ice, yet a fire that devours forests and lands easily. Now let me stay alone, swaying in your storm, with no thoughts of how to get home. Without you.

Another time, another place, another decade later, I saw you. You stood alone, under the rain that was not touching you, what could have I done, I sped to where you were standing, and joined your motionless woe that couldn't be spoken. The ice that was to frost us here never came; your existence was enough for both of us to be safe. Your dress was woven out of those little souls that the sea nymphs hunt at night. Your blown hair and the aura around you gave you an unearthly beauty. Your voice was like the

sirens, broken to so many pieces begging me to stay. *You begged me to stay,* how I could say no. I like how we imprisoned memories in golden chains, how we gave life to crumbled ruins. How *you* killed in the name of art and poetry, the number of people in that cold painting? Dead. We were just like pressed flowers, beautiful, dead, sleeping in a long griefless pain. We were just like gentle light, grinned in roses' thorns forever.

As you may be reading this, I wish you are, I hope you can remember, and I hope you can understand. Lately, you've been hiding places and your voice isn't as beautiful as it was, I'm scared. Getting drunk over words you never said, and I never knew. "See you later", you said the last time I saw you. "Last time" was so long ago, I can't even remember. All those memories… are half-way through oblivion. What was your name, how did you look like? I keep on messing up and forgetting how I even do look.

The way you lose yourself over & over [& over] again

Is ~~art~~ art

But the way I find you every time, in my heart

Is pain

You still find ~~yourself~~ your ghost, in those old mirrors, and I still lose myself in my old body.

الاعلامي علي عميص : الثقافة وتقنيات انتقالها

الثقافة هي الذاكرة الجمعية لأي مجتمع، هي أساس هويته وانتمائه وتميّزه، كما هي قاطرة نحو تنميته المستدامة في شتى المجالات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية. تنبع أهميتها من الجدارة التي أثبتتها في حفظ الذاكرة والتاريخ، واستنهاض مختلف التعبيرات والخصوصيات الثقافية، وفي إغناء وإفادة المجتمع، وإعطائه حضارة متألقة. والثقافة بهذا المعنى، هب سجل مفتوح يواكب تطور المجتمعات وسيرورتها، ويخضع عبر مجريات التاريخ لتفاعلات عدة . إنها تعبير عن الحياة الاجتماعية للانسان، بما تنطوي عليه من قدرات ومهارات وعادات وتقاليد، تُكتسب في الجماعة البشرية ذاتها.

وفي ظل العولمة أضحى العالم قرية صغيرة، تنتشر فيه المعرفة بسرعة قياسية، وصارت فيه الممارسات الثقافية مرتبطة بالفضاء الرقمي، وهذا ما حدا بالمتتبعين والدارسين للشأن الثقافي، إلى اعتبار الأمر انقلاباً في المنظومة الرمزية والفكرية لمختلف شعوب العالم، وأن التحولات الشاملة للثقافة في هذا العصر الرقمي، ليست فقط تحولات ثقافية، ولكنها تحولات حضارية أيضاً. وهنا أشير الى الإرتباط بين الثقافة ووسائل الإتصال، وهذا الإرتباط تاريخي ، فإن كل اكتشاف في الإتصالات يحدث هزّة ثقافية خاصة:

– اكتشاف الكتابة أوجد لغة الرموز.

– اكتشاف الطباعة نقل الثقافة من الحالة الشفوية الى المكتوبة.

– اكتشاف الإذاعة والتلفزيون أدخل الثقافة السمعية والبصرية.

– اكتشاف الحاسوب وشبكات المعلوماتية كالأنترنت أدى الى بروز الثقافة التفاعلية. وبات هذا الإكتشاف يقوم بتزويد الانسان بالمعلومات و الافكار المعرفية في شتى الميادين... ومن هنا كانت مجلتنا الالكترونية "معرفة وعطاء"